

الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز

العلامه

عبد الغني النابلسي

تحقيق

رياض عبد الحميد مراد

دار المعرفة



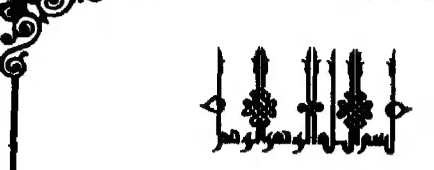
الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز

العلامة

عبد الغني النابلسي

تحقيق رياض عبد الحميد مراد

دار المعرفة



الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

دار المعرفة
نشر توزيع طباعة ترجمة
دمشق - خلف البريد - شارع الجمهورية
سجل تجاري ٥٤٠٩٢ - صندوق بريد ٣٠٢٦٨
هاتف ٢١٠٢٦٩ - تيلكس ٤١٢٥٣٥ طـه

مطبعة العجلاوني

عدد النسخ (٢٠٠٠)

تقديم

بينما كان هذا الجزء في طريقه إلى النشر، وردت إلى دمشق رحلة النابلسي مطبوعة في القاهرة سنة ١٩٨٦ بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وصادرة عن مركز تحقيق التراث بتقديم وإعداد الدكتور أحمد عبد المجيد هريدي .

وحين قلّبت أوراقها لاحظت أنها ليست إلا تصويراً لمخطوطة الكتاب كما هي دون أي تحقيق سوى المقدمة والفهارس ، وكان السؤال الذي ورد حينئذ : لماذا لجأ الدكتور هريدي إلى تصوير المخطوطة دون تحقيقها ؟

وفي محاولة العثور على جواب لهذا السؤال ، قلبت ما قاله في المقدمة فوجدته يقول في آخر المقدمة رداً على هذا السؤال :

« ومرد ذلك إلى احتياجها إلى تضافر جهود مجموعة من الباحثين لتحقيقها لاتصالها بثلاث (؟) بلدان هي الشام ومصر والحجاز . ويضاف إلى ذلك كثرة المصادر التي سيرجع إليها المحققون . وسيصدر الكتاب المحقق في عدة مجلدات . ويضاف إلى ذلك ما تعانيه حركة النشر في عالمنا العربي » .

أربع موانع وقفت حائلاً دون تحقيق هذا الكتاب في نظر الدكتور هريدي، ومعظم هذه الأمور صحيحة ، ولكن .. هل نترك تراثنا دون تحقيق علمي حديث إذا اعترضتنا مثل هذه الموانع ؟

وليست كل هذه الموانع على المحقق فإن بعضها مما تتحمله دار النشر وقد تحملته دار المعرفة مشكورة ، فشجعتني موفرة لي كل ما أحتاجه في هذا السبيل أسأله تعالى أن يجزيهم جزاء وفاقاً .

وبعد ...

فالله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه بعيداً عن أن يقصد به أي رياء أو سمعة .

رياض عبد الحميد مراد

أولاً : المؤلف

١ ــ أسرته

هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل الكناني الحموي الأصل المقدسي الشهير بابن النابلسي[١] .

وأصل أسرته من حماة ، فإن جدّه الثاني عشر برهان الدين إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة ولد بحماة سنة ٥٩٦ هـ ، ثم انتقل إلى دمشق ليتلقى العلوم على علمائها ، وفي سنة ٦٧٥ قصد بيت المقدس لزيارته ، فمات بعد وصوله بأيام[٢] ، فبقيت أسرته في بيت المقدس ، ودرس أولاده فيها ، وتعلموا في مساجدها ، وعلى مشايخها ، ثم تولَّوْا بعد ذلك خطابة المسجد الأقصى وغيره[٣] .

وأول من انتقل إلى دمشق منهم جد النابلسي الرابع إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم برهان الدين[٤] ، وليس بين يدينا ما يدل على سبب هذا الانتقال .

وكما رأينا فإن أسرته عرفت بالعلم والقضاء والخطابة، بدءاً من موفق الدين ابن جماعة ومروراً بوالد المؤلف الذي ألف شرحاً كبيراً[٥] في فقه الحنفية اشتهر به[٦] ، وانتهاءً بعبد الغني مؤلفنا الذي نتحدث عنه .

(١) أورد الغزي في الورد الأنسي نسبه كاملاً في الورقة ١٢/أ على النحو التالي : (عبد الغني ابن أبي الفداء إسماعيل ابن زين الدين عبد الغني بن أبي الفداء إسماعيل بن أحمد شهاب الدين بن إبراهيم بن إسماعيل ابن أبي الفداء عماد الدين بن إبراهيم برهان الدين بن عبد الله جمال الدين بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي إسحاق إبراهيم برهان الدين بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة من حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الحموي الأصل المقدسي الشهير بابن النابلسي) ثم أورد بقية النسب في الورقة ٣٠/أ على النحو التالي : (عبد الله موفق الدين أبو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن فتح بن حذيفة ابن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى ين محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي) . وهذان النسبان يفسران ألفاظ النسب الملحق باسم المؤلف .

(٢) انظر الورد الأنسي ١٤/أ .

(٣) انظر الورد الأنسي ١٧/أ .

(٤) انظر الورد الأنسي ٢٠/ب .

(٥) اسم كتابه (الأحكام في شرح درر الحكام وغرر الأحكام) نقل عنه في رحلته كثيراً .

(٦) انظر تراجم أسلافه في الورد الأنسي ١٣ ــ ٣٣ .

ولد عبد الغني النابلسي بدمشق يوم الأحد الرابع من شهر ذي الحجة سنة خمسين وألف للهجرة ، الموافق للسابع من آذار سنة أربعين وست مئة وألف للميلاد .

وتوفي في دمشق أيضاً بعد مرض ألمّ به في الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف للهجرة ، الموافق لسنة ثلاثين وسبع مئة وألف للميلاد .

٢ — مصادر ترجمته

وفي محاولة استعراض للكتب التي ترجمت للنابلسي نجد أن أحسنها كتاب كمال الدين الغزي المتوفى سنة ١٢١٤ هـ /١٧٩٩م الذي سماه (الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي) ويحوي هذا الكتاب على ثلاثة عشر باباً ومقدمة وخاتمة على النحو التالي :

مقدمة : في فضل ذكر الصالحين ونقل آثار الأولياء الكاملين .
والباب الأول : في نسبة وتراجم أسلافه ونسبه العمري .
والثاني : في ولادته وما يتعلق بها ومبدأ حاله وأمره .
والثالث : في أطواره وأحواله وزهده ومكارم أخلاقه وصفاته .
والرابع : في ذكر مشايخه في أنواع العلوم وأصناف الفنون .
والخامس : في طريقة النقشبندية والقادرية ومن صحبهم في طريق الله تعالى .
والسادس : في تراجم تلاميذه والآخذين عنه وأحوالهم معه .
والسابع : في تآليفه النافعة وتحريراته الجامعة .
والثامن : في نبذة من المكاتبات والمدائح الواردة عليه .
والتاسع : في المنامات التي رؤيت له أو رآها لنفسه .
والعاشر : في كراماته والخوارق التي ظهرت على يديه .
والحادي عشر : في كلماته الإلهية وألفاظه الربانية .
والثاني عشر : في تراجم أولاده وأحفاده وأسباطه .
والثالث عشر : في وفاته وما يتعلق بها .
وخاتمة : في فضيلة الانتساب إلى الصالحين والانتماء إلى الكاملين .

ويلي هذا الكتاب أهمية في ترجمة النابلسي تلك الترجمة التي سطّرها له المرادي في سلك الدرر[٧] ، لما تحويه من تعداد لأساتذته ، ولما فيها من قائمة طيبة لمؤلفاته مع ذكر لتصوفه وولادته ووفاته .

(٧) انظر سلك الدرر ٣٠/٥٣٠ — ٥٣٨

وبعدها تأتي الترجمة التي أودعها النبهاني كتابه « جامع كرامات الأولياء »[8] ، فهي ملخصة عما في السلك ، مع ذكر تفصيلي ودون اختصار لمؤلفاته وكتبه ورسائله .

وأفرد له المحبي في نفحته[9] عدة صفحات ترجم فيها لأسرته بدءاً من جده ثم ترجم لأبيه ثم له ، ويؤخذ عليها أنها تراجم أدبية مسجّعة على طريقة يتيمة الدهر للثعالبي ولكنه بث فيها مختارات من أشعارهم .

وما أورده ابن شاشو في تراجم بعض أعيان دمشق[10] لا يختلف كثيراً عما أورده المحبي .

وكذلك فإن الجبرتي قد ذكره في تاريخه[11] في حوادث سنة ١١٤٣ هـ وذكر سنة ولادته ووفاته وبعضاً من كتبه .

وله ترجمة كذلك في كتاب الباشاة والقضاة ضمن كتاب ولادة دمشق في العهد العثماني[12] .

وفي العصر الحاضر ترجم للنابلسي خير الدين الزركلي رحمه الله في أعلامه[13] ، وكحالة في معجم المؤلفين[14] ، وذيّل كحالة ترجمته بقائمة طيبة للمصادر تضم المصادر العربية المخطوطة ، والمطبوعة ، والمصادر الأجنبية ، ثم المجلات العربية . رحمه الله .

٣ ــ نبوغه المبكر

ويبدو أن مخايل الذكاء بدت على النابلسي منذ صغره ، مما دفع الأب إلى أن يميزه على إخوته بعناية خاصة ، فختم القرآن وهو في سن الخامسة ، وحفظ الألفية والشاطبية والرحبية والجزرية وهو في سن العاشرة ، بل قال الشعر في رثاء والدته التي توفيت سنة (١٠٦٢) وسنه إذ ذاك اثنتا عشرة سنة .

ونتيجة لهذا النبوغ المبكر ، فقد بدأ بالإنتاج مبكراً ، فما بلغ سن العشرين حتى باشر بإلقاء الدروس وتصنيف الكتب .

(٨) انظر جامع كرامات الأولياء ٢/٨٥ ــ ٨٩ .
(٩) انظر نفحة الريحانة ٢/١٣٧ ــ ١٥٩ .
(١٠) انظر تراجم بعض أعيان دمشق ٦٧ ــ ٨٣ .
(١١) تاريخ الجبرتي ١/٢٣٢ .
(١٢) ولادة دمشق ٦٤ .
(١٣) انظر الأعلام ٤/١٥٨ــ ١٥٩ .
(١٤) انظر معجم المؤلفين ٥/٢٧١ ــ ٢٧٣ وفيه ذكر لمصادر أخرى كثيرة لم يتح لي الإطلاع عليها .

٤ — مشايخه

تلقى علومه الأولى على أبيه ، فقرأ عليه مقدمات العلوم والفنون ، وحضر دروسه في التفسير والفقه . ومات أبوه وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فانصرف يتلقى العلوم على مشايخ عصره . فأخذ علوم العربية على الشيخ محمود الكردي (المتوفى ١٠٩٤هـ) ، ومحمد المحاسني (المتوفى ١٠٧٢هـ) ، وإبراهيم الفتال (المتوفى سنة ١٠٩٨هـ) ومحمد ابن بركات الكيواني (المتوفى سنة ١٠٧٦هـ) . وأخذ علوم الفقه وأصوله على أحمد القلعي الحنفي (١٠٦٧هـ) وملا حسين بن اسكندر الرومي . وأخذ الحديث ومصطلحه على عبد الباقي الحنبلي (١٠٧١هـ) ونجم الدين الغزي (١٠٦١هـ) ومحمد بن كمال الدين ابن حمزة (١٠٨٥هـ) . وأخذ التفسير على الشيخ محمد بن تاج الدين المحاسني (١٠٧٢هـ) . والفرائض والحساب على كمال الدين محمد بن يحيى الشهير بالفرضي (١٠٨٨هـ) .

٥ — تصوفه

ومنذ صغره أدمن على قراءة كتب المتصوفة كابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني[١٥] ، فعادت عليه بركة أنفاسهم — على حد قول سبطه الغزي[١٦] — فأتاه الفتح اللدني .

وتروي الكتب أنه دخل الخلوة ولزم العزلة في داره قرب المسجد الأموي سنة ١٠٩١هـ ، وظل في هذه العزلة بعيداً عن الناس ، لا يكلم أحداً ، ولا يخرج إلا لحاجة ، وترك الأكل والشرب إلا ما يقيم أوده ، وداوم على الذكر والصلاة ودراسة القرآن الكريم ، وبعد سبع سنين خرج من خلوته بعدد من كتبه[١٧] المعروفة ، وصار بعد هذه الخلوة أحد أعلام التصوف في العالم الإسلامي[١٨] .

وبعد هذه الخلوة أكثر من التردد على ضرائح الأولياء ، وقبور الصالحين ، يزورهم ، ويبحث عنهم ، ويقرأ سيرتهم ، ومؤلفاتهم ، وأقوالهم ، ويدافع عنهم ضد المنكرين عليهم ، ويمدحهم[١٩] نثراً وشعراً[٢٠] .

(١٥) انظر الورد الأنسي ٣٩ أ — ب .

(١٦) الورد الأنسي ٤٠ ب .

(١٧) منها بواطن القرآن ومواطن الفرقان نظماً على قافية التاء ، وصل فيه إلى سورة براءة بما يزيد على ٥٠٠٠ بيت .

(١٨) الورد الأنسي ٤١ ب — ٤٢ ب .

(١٩) انظر قصيدته التي مدح بها محيي الدين ابن عربي ، وقد أوردها الغزي في الورد الأنسي ٥٤ ب ومطلعها :

خذا حيث هبَّتْ نسمةُ البان والرند ... وعوجا على تلك المعالم من نجد

(٢٠) انظر الورد الأنسي ٤١ ب — ٤٢ ب .

وحين بلغ هذا المبلغ صار يقرىء الناس التصوف في دروسه شارحاً لهم كل أفكارهم بالتفصيل وللخاص والعام[21] .

ونقل لنا في رحلته — كتابنا هذا — طريقتيه في التصوف ومشايخه فيهما ، وهاتان الطريقتان هما طريقة السادة النقشبندية وطريقة السادة القادرية ، ولكل من الطريقتين طريقان أحدهما في الباطن والثاني في الظاهر[22] .

وذكر النابلسي في اليوم العاشر من رحلته هذه أنه تلقى الطريقة النقشبندية عن الشيخ أبي سعيد البلخي الذي زار دمشق عام ١٠٨٧ ، كما ذكر في اليوم الثاني عشر أنه تلقى الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق الكيلاني في عام ١٠٧٥ في زيارته لحماة أثناء رحلته إلى الروم .

ووضع في التصوف كتباً كثيرة أورد بعضها في فهرسه الذي سيمر معنا في رحلتنا هذه[23] . منها ما هو نثر ، ومنها ما هو شعر . وجمع شعره الصوفي في ديوانه المطبوع المسمى « ديوان الإلهيات » .

٦ — وظائفه

ويذهب الظن بأحدنا إلى أنّ من بلغ هذا الشأو من العلم والتأليف حريٌّ به أن يتسلم المناصب العالية والمراكز المرموقة . ولكن الذي حدث هو العكس فإن النابلسي لم يشغل إلا وظيفتين :

— الأولى تولّى قضاء محكمة الميدان سنة ١٠٧٥هـ ولكنه لم يلبث أن تركها .
— والثانية أن أهل دمشق انتخبوه في عام ١١٣٥ مفتياً لدمشق بعد وفاة مفتيها محمد ابن إبراهيم العمادي فرفض ولكنهم ألحوا عليه فقبل ، فكتبوا إلى الدولة العلية فجاء الأمر بتولية خليل بن أسعد الصديقي[24] .

٧ — دروسه

فتفرغ بعد ذلك للعلم باحثاً ومصنفاً وشاعراً وأديباً ومعلماً . وكانت دروسه في ثلاثة مواضيع :

(٢١) الورد الأنسي ٤١ ب — ٤٢ ب .
(٢٢) انظر الصفحة ١٤٤و ١٥٥ من هذا الجزء .
(٢٣) انظر الصفحة ٢٦٨ من هذا الجزء .
(٢٤) انظر عرف البشام فيمن ولي الفتوى بالشام ١٢٠ .

الجامع الأموي والمدرسة السليمية لدروسه العامة[٢٥] .

وفي داره لدروسه الخاصة[٢٥] .

وأما أوقات دروسه العامة فقد كانت بعد الفجر وضحوة النهار[٢٦] ، وبعد العصر . ومن طبيعة الحال أن الدروس كانت موزعة على أشهر السنة ، إلا أنهم كانوا يجدّون لقراءة كتاب بعينه في شهر رمضان أو قبله بشهرين .

وكان قارىء درسه محمد بن إبراهيم الدكدكجي ، وبعد موته صار ابنه إبراهيم الدكدكجي[٢٧] هو القارىء ، وكان يتولى القراءة أحياناً عبد الرحمن البهلول[٢٧] .

وأما مواد دروسه فقد كانت تشمل العلوم كلها من مبادئها إلى التخصص بدءاً بعلم الحديث ثم التفسير ، والفقه ، والتصوف ، ومن خلال استقراء ما كان يقرىء من كتب وجدت الكتب التالية عدا كتبه الخاصة :[٢٨]

في الحديث أقرأ الكتب الستة[٢٩] ومسند الدارمي وموطأ مالك وسنن الدار قطني ومسند الشافعي ، ومسند الإمام أحمد ، والمستخرج على صحيح مسلم[٣٠] لأبي نعيم ، والأربعين النووية ، والأذكار النووية[٣١] أيضاً .

وفي التفسير أقرأ تفسير البيضاوي[٣٢] .

وفي العقيدة السنوسية في العقائد وشرحها[٣٣] .

وفي التصوف أقرأ كتب ابن عربي كمواقع النجوم ، والتجليات مع شرحها لابن سودكين ، والفصوص ، والفتوحات المكية ، وديوان ابن الفارض[٣٤]

---

(٢٥) انظر الورد الأنسي ٧٨ ، ٧٩ أ ، ٨١ أ ، ١٥٠ أ .

(٢٦) انظر الورد الأنسي ٧٩ أ ، وسلك الدرر ٣١/٣ .

(٢٧) انظر الورد الأنسي ٩٢ أ ، ٩٧ أ .

(٢٨) الورد الأنسي ١٥٠ أ .

(٢٩) الورد الأنسي ٩٧ أ ، ١٣٥ أ ، ٧٨ ، ٨١أ .

(٣٠) الورد الأنسي ٩٧ أ .

(٣١) سلك الدرر ٣١/٣ .

(٣٢) الورد الأنسي ٨٢ أ و٧٨ ، والسلك ٣١/٣ .

(٣٣) الورد الأنسي ١٣٥ أ .

(٣٤) الورد الأنسي ١٥١ أ و٨٥ ب ، و١٣٥ أ و١٠٤ ب و١٠٢ ب .

٨ ـــ مؤلفاته وكتبه

مؤلفات النابلسي كثيرة بلغت زهاء ثلاث مئة مؤلف ما بين كتاب ورسالة ، ذكرها في رحلته الكبرى هذه[٣٥] .

٩ ـــ رحلاته

كان النابلسي من المغرمين بالرحلات حتى إنني أحصيت له خمس رحلات ، أربعة منها في حوالي اثني عشر عاماً ، وقد كان هدفه من هذه الرحلات ، زيارة الأولياء الصالحين والتبرك بقبورهم ليرضي الجانب الصوفي في نفسه ، وهدفه الثاني من رحلاته الاجتماع بأهل الصلاح والدين ليرضي الجانب الديني في نفسه ، وثمة هدف ثالث وهو التباحث مع علماء هذه الأمصار ليرضي الجانب العلمي في نفسه ، والهدف الأخير هو الاستمتاع بالنزه في البساتين والغيطان وذلك ليرضي ميله الفطري إلى التمتع بجمال الطبيعة .

وكانت رحلاته على الشكل التالي :

أول رحلة قام بها إلى دار الخلافة في الآستانة سنة ١٠٧٥ ، وهي الرحلة الوحيدة التي لم يسجل عنها ملاحظاته وانطباعاته وخط سيره .

والرحلة الثانية قام بها إلى لبنان سنة ١١٠٠ .

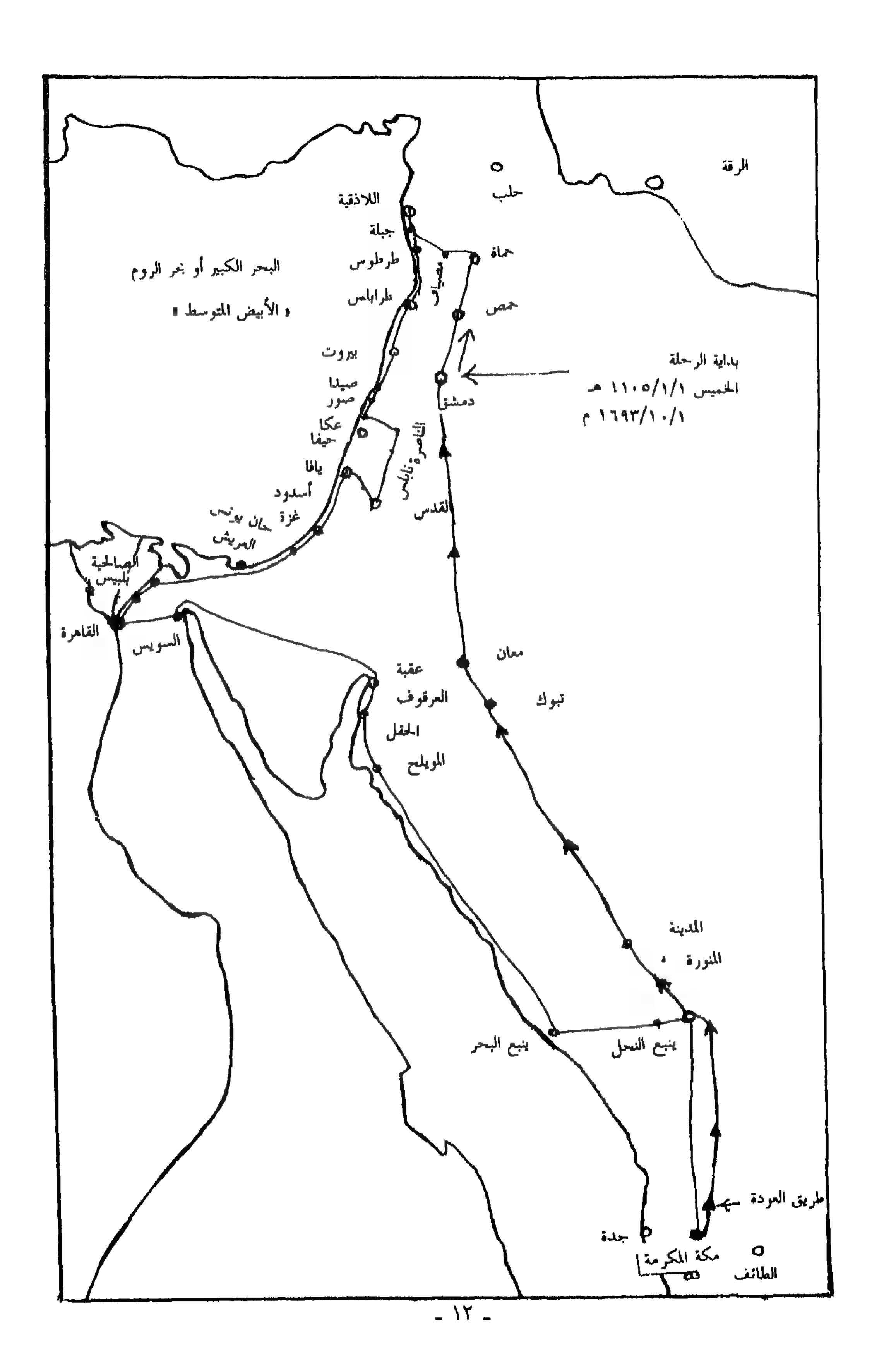
والثالثة إلى فلسطين وقام بها سنة ١١٠١ .

والرابعة إلى مصر والحجاز والشام وقام بها سنة ١١٠٥ وهي رحلتنا هذه .

والخامسة إلى طرابلس وقام بها سنة ١١١٢ .

---

(٣٥) انظر الصفحة ٨٣٦ من هذا الجزء . وانظر مجلة مجمع اللغة العربية ٩٧/٥٩ — ١١٥ و٣٣٤ — ٣٨٨ ففيه بحث قيم عن مصنفات النابلسي كتبه الدكتور بكري علاء الدين .



الرقة
حلب
اللاذقية
جبلة
حماة
طرطوس
البحر الكبير أو بحر الروم
« الأبيض المتوسط »
طرابلس
حمص
مصياف
بيروت
بداية الرحلة
الخميس ١/١/١١٠٥ هـ
١/١٠/١٦٩٣ م
صيدا
صور
دمشق
عكا
حيفا
الناصرة
نابلس
يافا
أسدود
غزة
القدس
خان يونس
العريش
الصالحية
بلبيس
القاهرة
السويس
معان
عقبة
العرقوب
تبوك
الحقل
المويلح
المدينة
المنورة
ينبع البحر
ينبع النحل
طريق العودة
جدة
مكة المكرمة
الطائف

ثانياً : الكتاب

ــ مخطوطاته

أعانني الله في تحقيق هذا الكتاب ... بالحصول على عدة نسخ مخطوطة منه تبلغ ستاً ، خمس منها في ظاهرية دمشق ، والسادسة هي النسخة المصورة في الكتاب المطبوع . وهذه النسخ على النحو التالي :

١ً ــ مسودة المؤلف :

ورقمها في الظاهرية بدمشق (٤٣٠٤ عام) . وعدد أوراقها ١٦٠ ورقة . ومسطرتها ١٤ × ٢٠,٥ سم . وفي كل صفحة ٢٥ سطراً . والنسخة بخط المؤلف لأنها مسوّدته ، وفيها شطب وتصحيح وإضافات وتهميش . وتختلف عن باقي النسخ في تركيب الجمل ، وفي بعض التفصيلات ، وفي التراجم ، وفي عدد أبيات القصائد .

٢ً ــ النسخة الثانية :

ورقمها في الظاهرية (٣٢٢٦ عام) . ورمزت لها بالحرف (ت) . وعدد أوراقها ٤٣٢ ورقة . وهي نسخة تامة جيدة مصححة ومضبوطة ، ومقابلة على نسخة المؤلف . كتبت سنة ١١٢٧ هـ ، ووقفها سليمان باشا العظم والي دمشق على طلبة العلم . مسطرتها ١٤,٥ × ٢٠,٥ سم ، وعدد الأسطر في كل ورقة ٢٩ سطراً .

وأرجح أن هذه النسخة هي نسخة تلميذ النابلسي (محمد بن إبراهيم الدكدكجي) لأنّ الدكدكجي بَيّض الرحلة الكبرى كما يقول الغزي في الورد الأنسي ؛ فإذا علمنا أنه توفي سنة ١١٣٢ هـ علمنا أن من المحتمل أن تكون هي .

ومما يؤكد ذلك ... ما ورد على ورقة الغلاف ، وهما تعليقان :

١ ــ الأول على النحو التالي : (الحمد لله وحده . أعانه أخينا المكرم المحترم الحاج أحمد ابن المرحوم الحاج عمر ابن اليسير ، أعزه الله تعالى بعز التقوى من العبد الفقير محمد بن إبراهيم الدكدكجي الدمشقي خادم الفقراء عفي عنه) .

٢ ــ والثاني : (هذه هدية من العبد الفقير الحاج أحمد الشهير بابن اليسير تابع مولانا وسيدنا قطب العارفين الشيخ عبد الغني قدس سره إلى جناب الدستور المكرم المشير

المفخم قدوة الوزراء في العالم حضرة الوزير الكبير حفظه الله تعالى ، نرجو قبول ذلك والدعاء لكم) .

وعلى هذه النسخة سماعات وقراءات في مواضع مختلفة منها ، ولعل أهمها ما ورد في آخر هذا الجزء في الورقة ١٤٧/ب وهي : (بلغ مقابلة ولله الحمد على النسخة التي بخط شيخنا المصنف قدس الله سره) . ونجد من هذه السماعات والمقابلات أربعة أشكال :

أ — (بلغ) في الورقة : ١٠١ أ و٤٧ أ .
ب — (بلغ قراءة ومقابلة) : ١١٦ ب .
جـ — (بلغ ولله الحمد مقابلة) : ١٤ ب .
د — (بلغ مقابلة) في : ٢١ ب ، ٣١ ب ، ٤١ ب ، ٦٢ أ ، ٧٣ ب ، ٨٣ أ ، ٨٩ أ ، ٩٩ أ ، ١٠٠ أ ، ١٢٩ أ ، ٣٣ أ ، ١٣٩ أ ، ١٤١ أ ، ١٤٥ أ .

ولذلك فقد اعتبرت هذه النسخة هي النسخة الأصل بالنسبة لما بين يديّ من نسخ ، واتخذتها أصلاً ، وأثبتّ روايتها في غالب الأحايين إلا إذا جاء فيها رواية مفضولة .

٣ — النسخة الثالثة :

ورقمها في الظاهرية (٣٢٢٥) ورمزت لها بالحرف (ق) . وعدد أوراقها (٤٥٢) ومسطرتها : ١٦ × ٢١ سم . وعدد الأسطر في كل صفحة ٢٥ سطراً . ولا يعرف ناسخها .

وفي هذه النسخة عدة خروم في الورقات ١٢١ — ١٢٢ وبعد الورقة ١٤٣ ، وبعد الورقة ١٤٥ ، وبعد الورقة ٢٩٩ ب ، وبعد الورقة ٣٣٩ ، وقد رمم بعض هذه الخروم . وعليها تملكات ومطالعات ، ووقف على المدرسة الياغوشية . وعلى الورقة الأولى منها : (استكتبه باكير بن مصطفى بن محمد الشهير بالقباني سنة ١١٧٢) ورغم عدم معرفة الناسخ إلا أن هذا التعليق يساعد على تحديد تاريخ النسخة .

٤ — النسخة الرابعة :

ورقمها في الظاهرية (٤٦٤٢) ورمزت لها بالحرف (ح) ، وعدد أوراقها ٧٥ ورقة . ومسطرتها ١٥,٥ × ٢٠ سم ، وعدد أسطرها ٢٣ سطراً . وهي قطعة من الرحلة تضم اثنين وثلاثين يوماً فحسب . مجهولة الناسخ والتاريخ . وهي نسخة سيئة مليئة بالأخطاء ، وصلتها بالنسخة ن واضحة .

٥ ــ النسخة الخامسة :

ورقمها في الظاهرية (٤٧٥٣) عام .ورمزت لها بالحرف (ن) وعدد أوراقها ٢٤٤ ورقة . ومسطرتها ١٩ × ٢٥ سم ، وتاريخ نسخها ١٣١٩ هـ وناسخها هو أحمد بن محمد النابلسي ، وهي نسخة جميلة الخط ، ولكنها كثيرة الأخطاء ، رؤوس العبارات بالحمرة ويبدو أنها منقولة عن النسخة ق .

٦ ــ النسخة السادسة :

وهي النسخة المصورة في الكتاب المطبوع للرحلة في القاهرة . وهي إحدى النسخ المخطوطة المحفوظة في دار الكتب المصرية ، رقمها فيه (عمومية ٣١٦٩٤/ جغرافيا ٣٤٤) ورمزت لها بالحرفين (مط) . وعدد أوراقها ٢٤٦ ورقة . كتبت سنة ١٢٣١هـ وناسخها هو عبد الجليل بن مصطفى بن إسماعيل ابن مؤلف هذه الرحلة . وهي نسخة جيدة مضبوطة تدلّ على أن كاتبها كان عالماً بحيث أنه تحرّى الدقة فيما كتب . وخطّها واضح لا لبس فيه .

ورغم خلّوها من أية إشارة إلى أنها مقروءة على نسخة أخرى أو مقابلة عليها ، فإنها ترتقي إلى مرتبة نسخة التلميذ لولا أن تاريخها متأخر .

وفي هامشها بعض الاستدراكات التي استدركها الناسخ نفسه ، وبعض العناوين .

وعلى ورقة الغلاف صلاة على النبي ﷺ ودعاء لكاتبه الذي كتبه سنة ١٢٧٢ . والورقة الأولى من المخطوط سرّ لوحة .

★ ★ ★

هذه هي النسخ ، وبإمكاننا أن نرسم الشجرة التالية التي تدل على صلة النسب بين هذه النسخ :

مسوّدة المؤلف

صل (نسخة المؤلف غير معروفة)

ت (نسخة تلميذه)　　　　ق (نسخة قديمة)

ن (نسخة أحمد بن محمد النابلسي)　　　　مط

ح (نسخة ناقصة)

٢ ــ ملخص الرحلة

١ ــ القسم الأول :

خرج من داره بجانب الجامع الأموي بدمشق في أول المحرم من سنة ١١٠٥، وتجوّل في أنحاء دمشق زائراً ومودعاً قبور الصالحين والأولياء والصحابة . ثم اتجه إلى برزة ، فمعربا ، فمنين ، فمعرة صيدنايا ، فالموهبية ، فمعلولا ، فيبرود ، فالنبك ، فقارة ، فحسية ، فسمسين ، فحمص التي وصلها في اليوم الثامن من محرم .

وفي اليوم الحادي عشر اتجه إلى الرستن ، ثم قرية السويدا ، ثم حماة وصلها في اليوم ذاته . وفي اليوم الثالث عشر وصل إلى قلعة مصياف ، وزار بلاد القدموس ، فقلعة المرقب ، فجبلة ، ثم وصل إلى اللاذقية في اليوم الثامن عشر .

وفي اليوم الثاني والعشرين وصل إلى قرية المرقب ، وفي اليوم التالي زار طرطوس وبعد ذلك بيومين وصل إلى طرابلس وبقي فيها أسبوعاً ، ثم سار منها إلى البترون فوصلها في اليوم الثالث والثلاثين من بدء رحلته ، ثم انطلق منها باتجاه قلعة جبيل في طريقه إلى بيروت التي وصلها بعد يومين ، فأقام فيها هي الأخرى أسبوعاً كاملاً . بعدئذ اتجه إلى صيدا فوصلها في اليوم الثالث والأربعين من بدء الرحلة ، فظل بها أربعة أيام حيث زار معالمها وأجاز مفتيها بمصنفاته ، وينتهز هذه المناسبة فيعدد لنا كتبه جميعها وفق الفنون . وفي اليوم السابع والأربعين وصل إلى صور . ثم منها إلى عكة (٤٩) ثم إلى الناصرة (٥١) فنابلس (٥٤) فأقام بها خمسة أيام .

ثم سار باتجاه القدس فوصلها في اليوم الستين ، وأقام فيها إلى اليوم السابع والسبعين ، وانطلق بعدها إلى الرملة (٧٨) فاللد (٨٠) فيافا (٨١) فعسقلان (٨٤) فغزة ، وظل فيها حتى يوم (٩٩) .

وبهذا الشكل ينتهي القسم الأول من الرحلة ويبدأ القسم الثاني :

٢ ــ القسم الثاني :

وهو زيارة مصر ، ويبدأ في خان يونس ، ثم ينطلق منها إلى العريش في اليوم المئة ، ثم يتجه إلى القاهرة فيصلها في اليوم (١١٢) ويظل في القاهرة حوالي سبعين يوماً ، وهو في ضيافة زين العابدين البكري .

٣ ـ القسم الثالث :

وهو زيارة الحجاز والحج إلى بيت الله الحرام ، ويبدأ من اليوم ١٨٣ بمنزلة قايتباي ، فمنزلة الثغار (يوم ١٨٩) ، فمنزلة القلعة (يوم ١٩٥) ، فمنزلة الحقل (يوم ١٩٦) ، ومن ثم منزلة الشرف (١٩٧) ، فمنزلة الرجم (يوم ١٩٨) ، فمنزلة عيون العصب (يوم ٢٠١) ، ثم منزلة الغال ، فمنزلة ظبا (يوم ٢٠٥) ، فمنزلة قلعة الأزلم (يوم ٢٠٧) ، ومنها إلى منزلة اصطبل عنتر (يوم ٢٠٨) ، فمنزلة وادي اكره (٢١٠) فتينة العجلة (يوم ٢١١) فالحوراء (٢١٣) ، فوادي النبط (٢١٤) ، فالخضراء (٢١٤)، وبعد ذلك يصل إلى ينبع البحر في اليوم ٢١٦ ، ثم ينبع النخل في يوم ٢١٨ .

ويصل بعد ذلك إلى المدينة المنورة يوم ٢٣٧ ، فيحدثنا عن هذه المدينة وما ورد فيها ، وعدد أسمائها ، ويصف لنا المدينة ، والحرم ، وأبوابه ، وأبوابها ، ويزور مقبرة البقيع ، ثم يعدد لنا ما في المدينة من آبار مشهورة ، وتمور وأسماء هذه الآبار وهذه التمور . ويبقى فيها إلى يوم ٣٣١ .

وبعد ذلك يصل إلى مكة ، فيحدثنا مطولاً عن أسمائها ، وتاريخها وتاريخ الكعبة والبيت الحرام ، وعن أيام الحج ومناسكه . ويظل فيها حتى يوم ٣٤٦ حيث يطوف طواف الوداع .

ويسير متجهاً إلى الشام ، ولكن في الطريق يموت أخوه في يوم ٣٤٩ وبعد أن يدفنه يتجه نحو الشمال ، فيصل إلى قلعة تبوك يوم ٣٧٣ ، ثم قلعه معان يوم ٣٧٨ ، ثم البلقاء يوم ٣٨٣ ، فالمفرق ، والرمثاء يوم ٣٨٥ ، ثم المزيريب يوم ٣٨٦ ، فغباغب فالكسوة يوم ٣٨٧ .

ويصل أخيراً إلى دمشق في يوم ٣٨٨ من بدء رحلته .

هذه هي الرحلة ، وهذا ملخصها ، فمدتها على ذلك ٣٨٨ يوماً ، لأنها بدأت يوم ١١٠٥/١/١ ، وانتهت في ١١٠٦/٢/٥ أي ما يقرب من سنة هجرية وشهرين .

المرافقون في الرحلة

وأما المرافقون معه فقد كانوا على النحو التالي كما ذكر في يوم ١٨٤ :

ـــ ابنه إسماعيل ، وخادمه .

ـ أخوه الذي توفى في طريق العودة .

ـ ثلاثة أشخاص اسم كل واحد منهم محمد .

ـ واثنان آخران أحدهما اسمه أسعد ، والآخر اسمه عبد اللطيف .

ـ ومن العربان صحبهم ثلاثة ، رجع منهم واحد ، وبقي معهم اثنان وهما حسين ونجم .

ـ ثم انضم إليهم بعد ذلك بعض الهنود في اليوم ٢٠٩ .

ـ وأما المراكب فقد كانت ست نوق وحصانين .

ثالثاً : طريقة التحقيق

أول ما كان من عمل في تحقيق هذا الكتاب أني قمت بعرض النسخ على بعضها لأختار منها النسخة الأقرب إلى نسخة المؤلف ، مثبتاً في الحواشي ما بينها من خلافات في الرواية تفيد في فهم المعنى ، مهملاً الخطأ البين ، والخلاف الذي لا طائل تحته .

وكانت النسخة الأولى عندي هي نسخة (ت) لتصوري أنها أقرب النسخ إلى الأصل ، لما رأيته من دقتها ، وقلة خطئها ، وأنها نسخة تلميذه الدكدكجي .

وأما مسوّدة المؤلف فقد اتخذتها دليلاً وهادياً فحسب ، لأنها مسودة المؤلف تقع في جزء واحد ، فهي مختصرة جداً ، ويبدو أنه وضع فيها رؤوس الأفكار ، ومن ثمّ وسّع هذه الأفكار وأضاف لها حتى غدت على نحو ما نراه .

وقد كنت أميل في الصفحات الأولى من التحقيق إلى ترجمة كل اسم يمرّ بي ، ثم وجدت ذلك مما يثقل الحواشي بما لا فائدة منه ، والكتاب بالأصل مصدر من المصادر ، وموسوعة من الموسوعات ، وحجمه كبير بدون إثقال الحواشي ، فكيف إذا أثقلت ، ولذلك فإني بعد ذلك تخليت عن ذلك ، وأثبت الخلافات بين النسخ ، ثم ترجمت لما هو في حكم الضرورة القصوى .

ولكني التزمت بذكر الجزء والصفحة من كل مصدر من مصادر المؤلف أو مورد من موارده .

وكذلك فإني حاولت تخريج الأشعار التي ليست للنابلسي بقدر الاستطاعة . وأما أشعاره فهي أكثر من أن تخرّج ، بل إن منها مالا تجده في غير هذه الرحلة لأنه وليد حادثة معينة أو زيارة بذاتها .

وأما الآيات فقد خرجتها جميعاً ذاكراً السورة ورقم الآية .

وفي المقدمة ذكرت شيئاً عن حياة المؤلف وأسرته ، وعن مصادر ترجمته ، وعن مشايخه وتصوفه ووظائفه ودروسه وولادته ووفاته ، ورحلاته ، ومؤلفاته . ثم بعد ذلك تحدثت عن الكتاب نفسه ، مبتدئاً بالحديث عن مخطوطاته الخمسة ، ثم لخصت الرحلة تلخيصاً مركزاً .

وسأذيّل الكتاب إن شاء الله بفهارس فنية متنوعة تضم ما يلي :

أ ــ فهرس الآيات .

ب ــ فهرس الأحاديث .

جـ ــ الأعلام .

د ــ البلدان .

هـ ــ الأشعار .

و ــ المصادر والمراجع .

أسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه إنه هو السميع العليم .

رياض عبد الحميد مراد

نظر فيه كاتبه العاجز الحقير
السيد عبيد بن الحاج محمد
غفر الله ذنوبهما
آمين
سنة ١١٨٠

كتاب الحقيقة والمجاز في رحلة
بلاد الشام ومصر والحجاز لمولانا وسيدنا
الإمام الهمام بركة الأنام عمدة الخاص والعام
العالم العلامة الصمصام الوارث المحمدي
العارف بالله تعالى جناب سيدي
الشيخ عبد الغني الشهير نسبه
الكريم بابن النابلسي
الدمشقي
الحنفي القادري النقشبندي المدرس بمدرسة السليمية
بصالحية دمشق المحمية جوار الشيخ الأكبر محي الدين
ابن العربي قدس الله سرها العزيز وجعلنا من
بركتها في حرز حريز بجاه محمد وآله وتابعيه وسلم
آمين

وقف
المستوي المكرم والمشير المفخم حضرت الحاج
سليمان باشا على مدرسته لطلبة
العلم الشريف بشرط ان لا يخرج
منها احسن الله عواقبه في
الدارين سنة ١١٤١

الورقة الأولى من النسخة ت

منه (٢)

أهلها كلهم نصارى في الزمان الماضي فأسلموا كلهم إلا امرأة واحدة
... ما الله عنها بن راسي وعندهم هنالك مقام الخضر فقرأنا الفاتحة
ودعونا الله تعالى وههنا تم الكلام على القسم الأول الذي
هو في الجولانات في بلاد الشام وكان القياس أننا نكمل ذلك
ذكر خان يونس الى بلاد العريش لأن ذلك حد بلاد الشام
كما هو المشهور بين أهل الدراية والتفتيش ولكن لما وجدنا
خان يونس هو أول حكم بلاد مصر وفيه الآن جنود الغز[٢] والعسكر
المصري جعلنا ذلك أول البلاد المصرية وابتدأنا القسم الثاني
من ذلك المكان لأنه ابتداء حكم بلاد مصر في هذا الآن ويقال
لعسكر مصر الغز بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي كما ذكر
الشيخ الإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي رحمه الله تعالى
في مقدمة تاريخه أن الغز قوم من الترك وقبائل دينهم ... الخزر وهم
الترك ... قال ويقال لهم الخزر كانوا ... وصارت جاءوا عندنا
وشددت الزاي انتهى والله المستعان وعليه التكلان
وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى
ونعم النصير وصلى الله على سيدنا
محمد البشير النذير السراج المنير
وآله وصحبه وسلم تسليما
الى يوم الدين

بلغ مقابلة ولله الحمد
على النسخة التي بخط
شيخنا المصنف
قدس الله سره

الورقة الأخيرة من النسخة ت

فصعدنا الى تلك القلعة وسورها منقلع بالتهدم ايما قلعة وبتنا في برجها ذلك العالي وفيه بعض التماسك

ولكن نهاره المظلم كليل من بعض الليالي ثم تلتنا فيه بلسانه وفيه

اتينا الى المصياف والوعر زائد   من الحر والوعر الذي اتعب المتنا

ولم ندر هل في برج قلعتها نرى   ام القبر بتنا حيث من تعب متنا

وهي بلاد قديمة البنا مستكثرة الاناء وكان بانيها فيما وصل الينا رجل من العلماء العامليين يقال له

الشيخ محمد ابو الفتوح واسمه مكتوب على كل باب من ابوابها وقد كانت عمارة سورها وقلعتها في سنة

ست واربعين وخمسماية وله ثلاثة ابواب مفتوحات وباب مسدود وفيها جوامع خربة وموازن

ثم وغالب بيوتها خراب وقد جعلت بساتين وصحراوات وكان اميرها يقال له المقدم سليمان فاجتمعنا

به في حماة المحروسة وجئنا صحبته الى هذه القلعة مع جملة من الناس حتى بتنا هناك في ارغد عيش

واكمل سرور ثم لما اصبحنا في يوم الاربعاء ... الرابع عشر من المحرم من هذا السفر ذهبنا

ببركة الله تعالى الى جهة بلاد القدموس وقد ذهب معنا جماعة من اهل مصياف فمشينا في وعر اكثر

من الاول ووعر شديد هو اعرض واطول حتى قلنا من النظام في ذلك المقام

درب القدموس متعب كل النفوس   كم صعدنا في صخور   بايادو رؤس

هبطنا كل واد   ثم في هم وبوس   بين اشجار قيام   حول احجار جلوس

جميع الدرب معوج كاديان المجوس   فيه ضيق والتفات   ليس ينجاب بقوس

... بمعونة الله تعالى وعظيم لطفه قبيل العصر الى بلدة القدموس وهي على ما هو المشهور بين

الناس بفتح القاف والدال المهملة وضم الميم وفي اخرها سين مهملة وبعضهم يسكن الدال ...

... القدموس كعصفور القديم والملك الضخم والعظيم من الابل والجمع القداميس والقدموسة

من الصخور والنساء الضخمة العظيمة انتهى فلعلها سميت بذلك لقدمها او لان بانيها كان ملكا ضخما

عليا او لما فيها وفي طرقها من الصخور العظام والله اعلم بحقيقة الحال فنزلنا فيها عند فخر الامراء

الكرام المقدم شاهين وهو اخو المقدم سليمان المتقدم ذكره في مصياط وهو من بني تنوخ حي من

اليمن ولا تشدد النون كذا ذكره الجوهري في الصحاح والناس الان يشددونه غلطا منهم والقدموس

الان بلدة غالبها خراب ولها قلعة عظيمة بعمارة متينه وقد تهدم بعضها واهلها كاهل مصياف

المتقدم ذكرها واهل المرقب بعدها اشتهر عنهم انهم اسماعلية اهل بدعة وضلال وفي خارج القلعة

جامع واسع عظيم فيه محراب ومنبر ومنارة يقول مؤذنها الله اكبر فذهبنا وصلينا العصر هناك

إحدى ورقات النسخة ن

الى ان قطعنا معهم حصة وافية من الطريق ثم وقفنا ووقفوا وقرانا الفاتحة ودعونا الله تعالى وذهب كل منا مع جماعته

فريق وبقي معنا صديقنا الشيخ محي الدين فصحبنا الى خان يونس ومن هناك فارقناه بالخير وقد مررنا معه في اثناء

ذلك السير على قرية هناك معروفة تسمى بالدير وكان اهلها كلهم نصارى في الزمان الماضي فاسلموا

كلهم الا امراة واحدة [illegible] عنها ابراهيم وعندهم هناك مقام الخضر فقرانا الفاتحة ودعونا

الله تعالى وها هنا تم منا الكلام على القسم الاول الذي هو الجولان في بلاد الشام وكان القياس

اننا نكمل ذلك بذكر خان يونس الى بلاد العريش لان ذلك حد بلاد الشام كما هو المشهور

بين اهل الدراية والتفتيش ولكن لما وجدنا خان يونس هو اول حكم بلاد مصر

وفيه الآن جنود الغز والعسكر المصري جعلنا ذلك اول البلاد المصرية

وابتدانا القسم الثاني من ذلك المكان لانه يبتدا حكم بلاد مصر في

هذا الآن ويقال لعسكر مصر الغز بضم الغين المعجمة وتشديد

الزاي كما ذكر الشيخ الامام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

الحضرمي رحمه الله تعالى في مقدمة تاريخه ان الغز

من امم الترك وقال قبل ذلك انهم الغز وهم التركمان

قال ويقال انهم الخزر كانه عرب وصارت

خاؤه غينا وشددت الزاي انتهى والله

المستعان وعليه التكلان وهو

حسبي ونعم الوكيل نعم المولى

ونعم النصير وصلى الله

على سيدنا محمد وعلى

آله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا

امين تم

الجزء

الاول

بعونه

[illegible]

الورقة الأخيرة من النسخة ن

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي بمعونته تتم الأمور وبمؤنته المدارة على خلقه تصلح احوال الجمهور وبتوفيقه لانواع العبادة تنشرح الصدور وبتوفيقه على اجناس السعادة تحصل الورود للخيرات والصدور وببركة زيارة الصالحين من أوليائه يدرك المؤمول وبالاطلاع على بدائع آلائه ونعمائه في جميع البلاد يكون العز والقبول والصلاة والسلام على اشرف نبي بعثه بالحق واكمل رسول محمد الداعي الى سبيل الرشاد وتحقيق الأمنية والسؤل المخصوص بالآيات البينات في اثبات معاني الفروع والاصول المنزل عليه في نص الكتاب المبين تذكيرا وارشادا وتثبيتا لقلوب المؤمنين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال سبحانه ما اعظم شانه تعس من اعاب عبده المؤمن وشانه فانه بذلك لبدبع عنايته يشين قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال جل من قائل وافر الكرم والنائل اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرى ان الله على كل شيئ قدير قال تعالى وتبارك عن ان ينازع في ملكه او يشارك ليفلح المؤمنين بالعبرة من فيهم وقبلهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ومع ذلك قال لا اله الا هو على وجه المنة قلادة في النحر هو الذي يسيركم في البر والبحر ثم فصل ذلك في الكتاب تفصيلا فقال

الورقة الأولى من النسخة ح

فهذه بنت افكاري لم يلح انت ... زجو القبول لها كفوا وتعتذر
كفت حياء لديكم وجهها وغدت ... اليكم دون خلق الله تستتر
ثم الصلاة على المختار سيدنا ... خير البرية من سادوا به مضر

ثم عدنا نحو هنا ساني تلمسان البلد ومررنا في الطريق على قرية تباحا
بعض المتقدمين من الاجداد وقد دفن فيها ولدان للملك الظاهر هما
شلاقش والاخر سعيد عليهما رحمة المبدئ المعيد فقرأنا لهما الفاتحة
ودعونا الى الله تعالى وبتنا تلك الليلة في اتم سرور تحت لواء تلك السعادة
المنشور الى ان اصبح الصباح وطار طائر الدجى من غير جناح
وكان ذلك اليوم يوم [illegible] الثاني [illegible] ثلاثة [illegible]
فاصبحنا الى وداع حضرة الوزير المكرم جناب علي باشا فرحلنا الى بركة
البداوي المتقدم ذكرها واجتمعنا به هناك على حالة يطيب نشرها
ثم جئنا الى المنزل وعزمنا على المسير من طرابلس المحروسة فودعنا الجماعة
والاصحاب والاخوان والاحباب وفارقنا المسلم المانوس وحيث مررنا
في السوق وجدنا في دكانه هناك الرجل الصالح الشيخ عبد القدوس
المصري الاصل فسلمنا عليه وزرناه وسألناه الدعاء فقرأ لنا
قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهو رجل
من الصالحين اتخذ له دكانا في السوق لا يبيع فيها شيئا من الاشياء
غير انه جالس فيها للذكر والعبادة واجتماع الاخوان به والمحبين والمتنزهين
له فاذا دخل الليل [illegible] دكانه وذهب الى حجرته في الجامع وقفل عليه بابها
من داخل فلا يراه احد الى اليوم الثاني ثم ذهبنا في الطريق وقد ذهب

[illegible]

آخر ورقة من النسخة ح

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي بمعونته تتم الامور وبمعونته الدارة على
خلقه تصلح احوال الجمهور وبتوفيقه لانواع العبادة
تنشرح الصدور وبتوفيقه على اجناس السعادة يحصل الورود
للخيرات والصدور وببركة زيارة الصالحين من اوليائه
يدرك المامول وبالاطلاع على بدايع الآية ونهايته في جميع البلاد
يكون العز والقبول والصلاة والسلام على اشرف نبي بعثه
بالحق واكمل رسول محمد الداعي الى سبيل الرشاد ورفع تبعة الامنية
والمسؤول المخصوص بالآيات البينات في اثبات معاني الفروع
والاصول المنزل عليه في نص الكتاب المبين تذكيرا وارشادا
وتثبيتا لقلوب المؤمنين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين وقال سبحانه ما اعظم شانه ليس منا عاب عبده
المؤمن وشانه فانه بذلك لبديع عنايته يشين قل سيروا في
الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال جل من قايل وافر
الكرم والنايل اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك
على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير وقال تعالى وتبارك
عن ان ينازع في ملكه او يشاركه ليعتبر المؤمنين بالعبرة من قبلهم
وكيلهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ومع ذلك قال لا اله الا هو على وجه المنة قلادة في النحور

الورقة الأولى من النسخة ق

١٧

كمال السرور الخارج عن التوصيف، فمنها المكاتيب التي جاءتنا
من الشام، وكان منها مكتوب تلميذنا الشيخ سعودي
[illegible] بعد إهداء السلام: بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على الحبيب والخليل والكليم [illegible] نور من سنا
وجهك البادي، [illegible] مقيم و [illegible] هادي
وهيّا [illegible] لاح منك [illegible] [illegible] الا [illegible] ذكر الوادي
وجل [illegible] [illegible] مثله وموسم أعياد
[illegible] فقد وافى سلمى [illegible] بلا قوت سواها ولا زاد
الا [illegible] [illegible] عنيا [illegible] [illegible]
عليه سلام [illegible] [illegible] وما لاح برق من معالم [illegible]
[illegible] والمنتمين له فهم نجوم الهدى ما بين غور وأنجاد
[illegible] تجلى بصفاته السنية في حضرته القدسية
وتجلى بالهيا كل الانسانية في المشاهد الاحسانية
[illegible] لاهل الكمال بنعوت الجلال والجمال [illegible]
[illegible] الظلال [illegible] في الضلال [illegible]
في [illegible] الصالح فلم يزل [illegible] مستور و [illegible] مسبول
[illegible] الذي نزل الفرقان [illegible] الحمد [illegible]
الاكوان [illegible] عين الاعيان [illegible] اهل الشهود
والعيان [illegible] الاستواء [illegible] الاعيان من
آيات [illegible] سيدي وأستاذي [illegible] وملاذي الشيخ
عبد الغني النابلسي، ضاعف الله تعالى أنواره [illegible] وقدس
أسراره [illegible] في معارج السعادة [illegible]
[illegible] السيادة [illegible] في ديوان الولاية [illegible] والاكليل
[illegible] الشيخ [illegible] إسماعيل [illegible] الله تعالى
[illegible] الى الانام [illegible] والمنام [illegible] سيد الانام

جبهته م

إحدى ورقات النسخة ق

إحدى ورقات مسودة المؤلف بخطه

ورقة أخرى من النسخة المسوّدة بخط المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بمعونته تتم الأمور ● وبمؤونته الدارة على خلقه تصلح أحوال
الجمهور ● وبتوفيقه لأنواع العبادة تنشرح الصدور ● وبتوفيقه
على اجناس السعادة يحصل الورود للخيرات والصدور ● وببركة زيارة
الصالحين من أوليائه ● يدرك المأمول ● وبالاطلاع على بدائع الآية ونهايته
في جميع البلاد يكون العز والقبول ● والصلاة والسلام على أشرف نبي بعثه
بالحق وأكمل رسول ● محمد الداعي الى سبيل الرشاد وتحقيق الأمنية والسول ●
المخصوص بالآيات البينات في اثبات معاني الفروع والأصول ● المنزل عليه
في نص الكتاب المبين ● تذكيرا وارشادا وتثبيتا لقلوب المؤمنين ● قد خلت
من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ● هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ● وقال سبحانه ● ما أعظم شأنه
ليتعظ من أعاب عبده المؤمن وشانه ● فانه بذلك لبديع عنايته يشير ●
قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ● وقال جل من قائل ●
واذ الكرم والتأمل ● أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله
على كل شيء قدير ● وقال تعالى وتبارك عن أن ينازع في ملكه أو يشارك ليفكر
المؤمنين بالعبرة من قبلهم وكيلهم ● أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم ● ومع ذلك قال لا اله الا هو على وجه المنة قلادة في النحر
هو الذي يسيركم في البر والبحر ● ثم فصل ذلك في الكتاب تفصيلا ● فقال
لا معبود بحق سواه. ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ● فله الحمد والمنة والشكر ●
ولنا الاستغراق في بحار نعمه وبشائب محبته الشكر ● بيدان الشكر بالنقط ه
الكونية ● والشكر بالنقط الحاصلة من الأبنية الأنيقة ● أشغل العقل عن
ادراك الأتعاب ● بحسب ما ورد في الحديث الشريف السفر قطعة من العذاب
وذلك ما رواه مالك في الموطأ والبخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه
وشرابه ونومه فاذا قضى نهمته فليعجل الى أهله وزاد في رواية مالك ومسلم
[illegible] أخرى للبخاري فاذا قضى نهمته من وجهه فليعجل الى أهله ● فكان

الورقة الأولى من النسخة المطبوعة (مط)

وأخلت عمر النفوس وبانت | حِلْم التشريف والإحكام
وهو ذكر مرتل معجز في | نطق قاريه لحجة وانسجام
سور أعجزت بلاغتها من | فاق في العرب نثره والنظام
ومعان كأنهن بحور | حار فيها الذكي والعلام
ينقضي الدهر والعجائب منه | ما لها لا انقضا ولا انصرام
أبلغ العرب قد أتى بكتاب | أبلغ الكتب فيه ما لا يرام
وهو هادي إلى السبيل بحق | حنظ عبد الغني له استسلام
يترجاه في القيامة ذخرا | فعليه الصلاة ثم السلام

تم الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك الميمون إن شاء الله تعالى نهار السبت الرابع عشر
من شهر ذي القعدة سنة احدى وثلاثون ومائتين وألف على يد الفقير الحقير المعترف
بالعجز والتقصير عبد الجليل ابن مصطفى ابن إسماعيل ابن مولف هذه الرحلة سيدي
وأستاذي علامة الزمان وفريد العصر والأوان خاتمة
المحققين العارف بربه العلي الشيخ عبد الغني
قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه
ونفعنا به وجميع المسلمين
أجمعين آمين
آمين

الورقة الأخيرة من النسخة المطبوعة (مط)

القسم الأول

في الجولان
في البلاد الشامية
والتنقل في محاسن هاتيك
الأراضي المباركة المرضية

[١/ب] بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

مقدمة

الحمد لله الذي بمعونته تتمّ الأمور ، وبمؤونته الدارّة[١] على خلقه تصلح أحوال الجمهور ؛ وبتوفيقه لأنواع العبادة تنشرح الصدور ، وبتوفيقه على أجناس السعادة يحصل الورود للخيرات والصدور ؛ وببركة زيارة الصالحين من أوليائه يُدرَكُ المأمول ، وبالاطّلاع على بدائع آلائه ونعمائه في جميع البلاد يكون العزّ والقبول .

والصلاة والسلام على أشرف نبيٍّ بعثه بالحق وأكمل رسول ، محمدٌ الداعي إلى سبيل الرشاد وتحقيق الأمنيّة والسّول ، المخصوص بالآيات البيّنات في إثبات معاني الفروع والأصول ؛ المُنَزّل عليه في نصّ الكتاب المبين ، تذكيراً وإرشاداً وتثبيتاً لقلوب المؤمنين ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سننٌ[٢] فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبين هَذَا بَيانٌ لِلنّاسِ وهُدًى وَمَوْعِظَة لِلْمُتَّقِين ﴾[٣] . وقال سبحانه ، ما أعظم شانه ، تعس من أعاب عبده المؤمن وشانه ، فإنه بذلك لبديع عنايته[٤] يشين : ﴿ قُلْ سِيروا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبين ﴾[٥] . وقال جل من قائل ، وافر الكرم والنائل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِىءُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُه إنَّ ذلِكَ على اللهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا في الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمّ يُنْشِيءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ[٦] إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ ﴾[٧] . وقال[٨] تعالى وتبارك ، عن أن ينازع في ملكه أو يُشارَك ؛ ليفكّ المؤمنين بالعبرة من قيدهم وكبلهم : ﴿ أَوَلَمْ يَسيرُوا في الأَرْضِ فَيَنْظُروا كَيْفَ كاَن عاقِبَةُ الّذين من قَبْلِهِم ﴾[٩] . ومع ذلك قال لا إله إلا هو على وجه المنة قلادة في النحر ﴿ هُوَ الَّذي

(١) في ح : (المدارة) .

(٢) في ح ، ن : (أمم) وهو خطأ .

(٣) سورة آل عمران ٣/١٣٧ و١٣٨ .

(٤) في ن : (عبادته) .

(٥) سورة الأنعام ٦/١١ .

(٦) في ح : (الأخرى) .

(٧) العنكبوت ٢٩/١٩ و٢٠ .

(٨) ليست الواو في ح ، ن .

(٩) الروم ٣٠/٩ وفاطر ٣٥/٤٤ .

يُسَيِّرُكُمْ في البَرِّ والبحر ﴾[١٠] . ثُمَّ فصّل ذلك في الكتاب تفصيلاً ، فقال لا معبود بحقٍّ سواه : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنا بني آدم وَحَمَلْناهُمْ في البَرِّ والبَحْرِ وَرَزَقْناهمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وفَضَّلْناهُمْ على كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً ﴾[١١] فله الحمد والمنة والشكر ، ولنا الاستغراق في بحار نعمه وبشراب محبته السكر ، [٢/أ] بيد أن الشكر بالنقط الكونية ، والسكر بالنقط الحاصلة من الإنية الآنية[١٢] ، أشغل العقل عن إدراك الأتعاب ، بحسب ما ورد في الحديث الشريف : (السفر قطعة من العذاب) وذلك ما رواه مالك في الموطأ[١٣] والبخاري[١٤] ومسلم[١٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نَهْمَتَه[١٦] فليعجّل إلى أهله)[١٧] وزاد في رواية مالك ومسلم ورواية أخرى للبخاري : (فإذا قضى نَهْمَتَه من وجهه فليعجّل إلى أهله)[١٧] ، فكان ذلك العذاب عذباً[١٨] ، والطعام حُبّاً ، والشراب طبّاً[١٨] ، والنوم عقلاً ولبّاً ، فأورث ذلك مزاجاً معتدلاً وأحال اليابس رطباً ، وأهاج منا مشاة وركباً ، فأكسب سروراً وأزال كرباً ، وحرّك الشوق إلى البلاد الحجازية وأنعش صبّاً : [من الخفيف] .

بجمـــال حَجَبْتـــه بجلال   هام واستعذب العذاب[١٩] هناكا

وقد أطلنا المسافة بالتردّد في البلاد ، والتودّد للصالحين من العباد ؛ ليكثر الثواب بكثرة الخُطا ، ويزول الخطل عنا ويُمْحى الخطَا ، وإذا كانت الأمنيّة ، هي التمتع بالحضرة المحمديّة ، وقد حصلت في الزيارة إن شاء الله تعالى على أتم وجه وأكمل قضيّة ؛ فلابأس

(١٠) يونس ١٠/٢٢ .
(١١) الإسراء ١٧/٧ .
(١٢) ليست اللفظة في ح .
(١٣) الموطأ ١/٩٨٠ (في الاستئذان) : باب ما يؤمر به من العمل في السفر .
(١٤) صحيح البخاري ٣/٤٩٦ في الحج (باب السفر قطعة من العذاب) وفي الجهاد (باب السرعة في السير) وفي الأطعمة (باب ذكر الطعام) .
(١٥) صحيح مسلم الحديث رقم ١٩٢٧ (في الإمارة) (باب السفر قطعة من العذاب) .
(١٦) النهمة : الحاجة (القاموس : نهم) .
(١٧ — ١٧) ما بين الرقمين مستدرك في هامش ق .
(١٨ — ١٨) في ن : (عذاباً ... طلباً) .
(١٩) اللفظة مستدركة في هامش ت .

ولا حيف ، بنزول وادي الصفراء[20] والخيف[21] ؛ ورضوان الله تعالى عن جميع الصحابة الكرام ، والأئمة السادة أهل الشهامة والاحترام ؛ وعن التابعين لهم بالخير ، ما طار الطير ، وغار الواحد من شهود الغير ، فأخاف الطريق على قوم وعامل قوماً بالحفظ والأمان في السير[22] .

وأما بعد ، فيقول شيخنا وأستاذنا بركة الأنام ، وعمدة الخاص والعام ؛ العالم العلّامة ، والعمدة الرحلة الفهامة ؛ فريد العصر في التحقيق ، ووحيد[23] الدهر في التدقيق ؛ مربي الكاملين ، ومرشد العارفين ؛ الوارث المحمدي ، والخاتم لجامع الأحمدي ؛ ذو التصانيف الكثيرة ، والرسائل الغزيرة ، والتحارير الشهيرة[24] ؛ سيدي الشيخ عبد الغني بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني [٢/ب] بن إسماعيل[25] بن أحمد[26] بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشهير كآبائه بابن النابلسي الدمشقي الحنفي القادري النقشبندي أخذ الله تعالى بيده ، وأمد بمدده .

أسباب الرحلة

لقد كنت فيما تقدم من الزمان ، مع جملة من الأصحاب والإخوان ؛ أتمنّى الاستيعاب في زيارة الصالحين من الأحياء والأموات ، والتبرك بنفحات مجالسهم وهاتيك الحضرات ؛ ويكون ختم ذلك بالحج الشريف ، وزيارة النبي ﷺ[27] في ذلك البلد المنيف؛ إلى أن هيّأ الله تعالى لنا الأسباب ، وقطع عنا العوائق وفتح علينا هذا الباب ؛ ولمعت بيننا بوارق التيسير ، وصُفّتْ عندنا نمارق التسيير ، وجاءتنا بشائر القبول ، وشملتنا الهمّة الصادقة بلطائف الشمول ؛ فشمّرنا عن ساعد الجدّ والتسيار ، وشددنا مئزر الخدمة لهذا السعي

(٢٠) وادي الصفراء : واد كثير النخل والزرع في طريق الحج ، بينه وبين بدر مرحلة (معجم البلدان) .

(٢١) الخيف : موضع قرب منى فيه مسجد (معجم البلدان) .

(٢٢) في ح : (بالسير) .

(٢٣) في ح : (وحيد) .

(٢٤) بعدها في ن ، ح : (شيخنا وأستاذنا وقدوتنا إلى الله تعالى وملاذنا صاحب الفيض القدسي والمشرب الأنسي) .

(٢٥) في ح (ابن الشيخ) .

(٢٦) بعدها في ن ، ح : (قدس الله أسراره وضاعف أنواره) .

(٢٧) في ح : (عليه الصلاة والسلام) .

(٢٨) في ن ، ح : (بأنواع) .

المبارك وربطنا الإزار ؛ وقطّبنا في وجوه الموانع ، وبششنا لفلوات السفر ومنابته اليوانع ؛ وكان ذلك في أواخر فصل الصيف ، في شهر آب فكنا نتمتّع بمن ننزل عليهم نزول الضيف ؛ فقطعنا المسافات البعيدة ، في زمان فصل الخريف وأيامه السعيدة ؛ وكنا كالمحمولين على الراحات ، في أنواع[٢٨] المسرّة والراحات ؛ لا تأتي إلى قرية إلا ويقوم لنا أهلها بما يجب من الإكرام ، ولا ندخل إلى بلدة إلا بغاية المهابة والاحتشام ؛ ونحن في كمال اللذة والابتسام ؛ نجتمع بأهل الصلاح والدين ، ونتباسط مع أرباب الكمال واليقين ؛ ونزور الأولياء ، ونتبرك بقبور السادة الأصفياء ، ونتباحث مع العلماء ، ونتكلم مع طلبة العلم من الفضلاء ؛ في غاية من الحفظ والأمان ، ونهاية الرعاية والامتنان ؛ صارت لنا مخاوف الطرقات أماناً ، ومهالك الفلوات إسلاماً وإيماناً ؛ حتى وردنا غالب البلاد الشاميّة ، ومشينا في سواحل قصباتها العامرة الإسلامية ، والجهات القدسية ؛ ثم خلفناها وذهبنا إلى البلاد[٢٩] المصرية ، واجتمعنا بمن فيها [٣/أ] من أكابر المشايخ الأعلام وأعيان الدولة السلطانية ؛ وتبركنا بمشاهد الصالحين ، وقبور السادة الأئمة الكاملين ؛ وذهبنا إلى أماكن النزهات والغيطان ، وانشرحت صدورنا بالبرك والدواليب وسواقي الرياض تحت الأشجار والأغصان ، وسرحت خواطرنا في ميادين تلك الفلوات الأنيقة ، وحضرات هاتيك المجالس اللطيفة الرقيقة ؛ ورأينا مراكب ذلك النيل السعيد ومياهه العذبة الصافية التي ما عليها من مزيد ؛ وشهدنا ميزان المقياس ، الذي هو أعجوبة للناس ؛ ثم ذهبنا إلى البلاد الحجازية ، وتمتعنا بها تيك الحضرات الأنسية ، واجتلينا أنوار التجليات والأسرار القدسية ؛ واجتمعنا بالعلماء الأفاضل ، وطلبة العلم أصحاب الفضائل ؛ وتشرفنا بالحضور مع الصالحين ، وزيارة أولئك السادة والأئمة المجاورين ، وقضينا فريضة الحج ، مع كمال العج[٣٠] والثج[٣١] ؛ ثم رجعنا إلى بلادنا[٣٢] دمشق الشام ، نحن وجماعتنا في كمال الصحة والعافية وبلوغ المرام .

رحلاته

فأردنا أن نثبت ذلك في هذا الكتاب ليكون مُذَكّراً لنا بنعم الله تعالى علينا وعلى بقية الأصحاب ، وإن في ذلك لعبرة لأولي الألباب ، وقصدنا التحدث بنعم الله تعالى بين الأحباب ، وإيراد الفوائد العلمية لأهل الهمم من الطلاب ؛ كما فعلنا ذلك في الرحلة

(٢٩) في ق : (إلى الديار) .

(٣٠) عَجَّ يَعِجُّ عجًّا وعجيجاً : صاح ورفع صوته ، والمقصود رفع الصوت بالتلبية في الحج (القاموس) .

(٣١) الثجّ : سيلان دم الهدي في الحج (القاموس) .

(٣٢) لفظة (بلادنا) مستدركة في هامش ت وبعدها (صح) .

الصغرى إلى جبل لبنان وأراضي البقاع ، وبلدة بعلبك ذات البركة والانتفاع ، المسماة بحلّة الذهب الإبريز[٣٣] ، في رحلة بعلبك والبقاع العزيز[٣٤] ؛ وقد قلنا في تأريخها من أبيات[٣٤] : [من الخفيف]

والـــذي في النَّعيـــمِ فـــارغُ بـــالٍ لا يبالي أرِّخْ : (وضيف البقاع)[٣٥]

وذلك في سنة مئة وألف من الهجرة النبوية ، وكما فعلنا ذلك في الرحلة الوسطى إلى بلاد القدس والخليل ، صحبة الصديق والخليل ، المسماة بالحضرة الأنسية ، في الرحلة القدسية[٣٦] ؛ وقد قلنا في تأريخها من أبيات : [من الهزج]

وزاد الله إنعامـــــــاً علينـــــا لم يــــزل أدوم
ونلنــــا فضلـــــه أرِّخْ (برحلة قدسه الأكرم)[٣٧]

وذلك في سنة إحدى ومئة وألف من الهجرة المحمدية .

فدونك [٣/ب] هذه الرحلة الكبرى[٣٨] التي هي رحلة جامعة لأنواع[٣٩] الفنون ، والحديث شجون ؛ وقد[٤٠] لبس الدهر منها حلة فاخرة مطرزة بالأخبار العجيبة التي هي كاللؤلؤ المكنون ؛ والأبيات الشعرية الفائقة ، والأبحاث الأدبية الرائقة ؛ والمسائل الفريدة ، والفضائل العديدة ؛ وصفات بعض النبيين ، وتراجم الأولياء والصالحين ؛ ممن تشرّفنا بحضراتهم ، في أوقات زياراتهم ، وتعطرنا بنفحاتهم ، واقتبسنا من مشكاة إناراتهم ، ونحن في جميع ذلك لم نَخْلُ من رجاء دعوة صالحة ، من أخ صديق تلوح له في آفاق ما ذكرناه لائحة ، فيذكرنا بالخير في حياتنا ويقرأ لنا بعد مماتنا سورة[٤١] الفاتحة .

---

(٣٣) منها في الظاهرية مخطوط برقم (٧٩١٠) .
(٣٤ — ٣٤) ليس ما بينهما في ح ومكانها كلمة (شعر) .
(٣٥) حسابها بالجمل : وضيف ٨٩٦ + البقاع ٢٠٤ = ١١٠٠ هـ .
(٣٦) منها في الظاهرية مخطوط برقم (٣٦١٣) ، وقد طبع الكتاب طبعتين الأولى في مطبعة جريدة الإخلاص بمصر سنة ١٩٠٢م ، والثانية في مكتبة القاهرة سنة ١٩٧١م .
(٣٧) حسابها بالجمل : برحلة ٤٦٠ + قدسه ١٦٩ + الأكرم ٢٩٢ = ١١٠١ هـ ، وفي هامش ح : (سنة ١١٠١هـ) .
(٣٨) ليست لفظة (الكبرى) في ن ، ح .
(٣٩) في ن ، ح : (لأنواع من) .
(٤٠) ليست الواو في ن ، ح .
(٤١) لفظة (سورة) مستدركة في هامش ت ، وبعدها (صح) .

الكتاب وأقسامه

وقد سمّينا هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى بالحقيقة والمجاز ، في رحلة بلاد[42] الشام ومصر والحجاز ؛ وجعلنا ذلك على ثلاثة أقسام ، ليحصل الاستيعاب فيما نحن بصدد ذكره بالوجه التام :

القسم الأول : في الجولان في البلاد الشامية ، والتنّقل في محاسن هاتيك[43] الأراضي المباركة المرضية ؛

والقسم الثاني : في الإقبال على البقاع المصرية ، والتيّمن[44] بهاتيك الأماكن الحسنة الإحسانية ؛

والقسم الثالث : في التشرف بالوصول إلى الأقطار الحجازية ، والاستقبال لبروق هاتيك الأسرار الأقدسية ،

وقد حصل ، والله الحمد ، ما ذكرناه في رحلة القدس من وعد بعض الصالحين لنا بالحج الشريف بعد زيارة بيت المقدس وصدق الكلام ، الذي أوردناه في ذلك المقام ، حيث تَمَّ الإنعام ، ومن الله تعالى[46] نستمدّ الإعانة والتوفيق ، في سلوك أحسن المسالك والاستطراق على أكمل طريق ؛ إنه البر الجواد ، والله رؤوف بالعباد ؛ ونسأله سبحانه أن يختم أعمالنا بالحسنى ، وأن يتحفنا وإخواننا المؤمنين بالمقام الأسنى ؛ وأن يوفقنا لما يجب ويرضى من الأعمال والأحوال والأقوال ، وأن يكون لنا معيناً وناصراً في هذه الحياة الدنيا ويوم المآب والمآل .

---

(٤٢) ليست اللفظة في ح .

(٤٣) في ق : (تلك) .

(٤٤) في ن ، ح : (التيمم) .

(٤٥) اللفظة مستدركة في هامش مط .

(٤٦) ليست لفظة (تعالى) في ن ، ح .

البداية

لما تحرّكت فينا دواعي الغرام ، وتوجهت الهمّة إلى المسير في جهات بلاد الشام ، وكان ذلك في [٤/أ] أواخر ذي الحجة الشهر الحرام ؛ ونحن إذ ذاك في بلادنا دمشق المحروسة ، ذات الربوع المأنوسة[٤٧] : [من الطويل]

بـلادٌ بها نِيـطَتْ عَلَـيَّ تمائمـي   وأوَّلُ أرضٍ مَسَّ جلـدي تُـرابها

أبيات وتخميسها

كتب لنا بعض الإخوان من الصالحين هذه الأبيات الثلاثة ، وجاء بها إلينا تحرك[٤٨] من القلب عزيمته وانبعاثه ؛ فكانت شرح الحال ، وهي قول بعضهم ولله درُّه حيث قال : [من الخفيف]

عِشْ عَزيـزاً ولا تَـذِلَّ لخَلْـقِ   واطْلُبِ الرِّزْقَ في بلادِ الحَبيبِ
ثُـمَّ سِرْ في البلادِ شَرقـاً وغَربـاً   وتَوَكَّلْ على القَـريبِ المُجـيبِ
فَـعَسى أنْ تَنـالَ مـا تَرْتَجيـه   بِيَدِ اللُّطْفِ من مكـانٍ قـريبِ

وطلب منا تخميس هذه الأبيات ، بما يتمم معانيها من لطائف التتمات .

وأخبرني أنه كان بمصر رجل من الصالحين يخدم مزار العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني[٤٩] قدس الله سرّه ، وكان فقير الحال جداً ، وله أهل وعيال لا يجد من مفارقتهم بدًّا ؛ فسمع يوماً من الأيام منشداً ينشد هذه الأبيات المذكورة ، فأخذه الشوق[٥٠] الشديد ، والهيام المديد ، إلى الحج الشريف وزيارة الحضرة المحمدية المعمورة ؛ فأخذ أهله وعياله ، وسافر بهم على أسهل حاله[٥١] ؛ حتى وصل إلى بلاد الحجاز وأدرك مقصدوه ومرامه ، ورجع بهم مع العافية التامة والسلامة ؛ ويسّر الله تعالى

---

(٤٧) بعدها في ت ، ق : (قلت) وبعدها في ح (شعر) ، ومن عادة ح أن تضيف هذه اللفظة قبل كل أبيات شعرية ، وسأكتفي بهذه الإشارة عن كل المرات القادمة .

(٤٨) في ح : (فحرك) .

(٤٩) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي الشعراني أو الشعراوي — نسبة إلى ساقية أبي شعيرة من قرى المنوفية بمصر — ولد سنة ٨٩٨ هـ/١٤٩٣م . صوفي مشهور له عدة تصانيف . توفي سنة٨٩٧هـ/١٥٦٥م . وانظر الكواكب السائرة ١٧٦/٣ ، والشذرات ٣٧٢/٨ ، والأعلام ٣٣١/٤ .

(٥٠) استدركت لفظة (الشوق) في هامش ت وبعدها (صح) .

(٥١) ليست لفظة (حاله في ن) .

له كل خير وانتفاع ، ببركة الصدق في حسن الاستماع ؛ فإنه قد أجاب داعي الحق من معاني هذه الأبيات ، حيث أزعجه الوارد الإلهي إلى التملّي بهاتيك الحضرات .

ثم إنّا شرعنا في التخميس ، حيث قلنا على وجه اللطافة والتأنيس : [من الخفيف]

أنْتَ عَبْدُ الغَنيِّ فاقْنَعْ بِدَلْقِ[٥٢] واصْحَبِ النّاسَ بالتُّقَى لا بِمَلْقِ
وبِوَجْهِهِ لمن يُلاقيكَ طَلْقِ عِشْ عَزيزاً ولا تَذِلَّ لِخَلْقِ
وَاطْلبِ الرِّزْقَ في بلادِ الحبيبِ

لا تَدَعْ في الفُؤادِ هَمًّا وكَرْبا وتَحقَّقْ وطبْ من الغَيْبِ شُرْبا
واقصدِ اللّهَ واقتربْ منه قُربا ثم سِرْ في البلادِ شَرقاً وغَربا
وَتَوَكَّلْ على القَريبِ المجيبِ

خُذْ بعلمِ الصُّوفي وعلمِ الفقيهِ واتركِ الادّعا فلا خَيْرَ فيه
والتزمْ سيرةَ النبيلِ النبيهِ فعسى أنْ تنالَ ما تَرْتجيهِ
بيدِ اللُّطْفِ من مكانٍ قريبِ

ثم لمّا عزمنا على المسير ، وحصل لنا تيسير ذلك الأمر العسير ؛ أنشأنا هذه الأبيات ، تشوّقاً في استقبال بركات هاتيك الجهات ، حيث قلنا : [من الوافر]

أبياتٌ للنابلسي

خُذاني نحو رنّاتِ القيانِ إلى دار الأحبّةِ وَالْقيانِ
خُذاني نحو زمزمَ والمُصَلّى ونورِ جوانبِ السّوحِ الحسانِ
خُذاني يا خليليَّ اعتناءً بشأني واتركا أقوالَ شاني
إلى أرضِ الحبيبِ حبيبِ قلبي وعُوجا بي على الركنِ اليماني
وحُثّا هذه الأدواتِ شوقاً[٥٣] بأرْسانٍ[٥٤] الرَّجا والامتنانِ
وجولا في أراضي الشام شرقاً[٥٣] وغرباً بي على أهلِ العيانِ
نوَدّعهم ونُودِعهم غراماً ثوى بين الأضالع والجنان
ونوقفهم على الأسرار منّا بإمدادِ الإلهِ المستعانِ

(٥٢) الدّلق : دويبة كالسّمّور ، معربة عن [دَلَهْ) الفارسية (القاموس) والمقصود هنا الشيء القليل .

(٥٣ — ٥٣) ما بين الرقمين مستدرك في هامش ت .

(٥٤) الأرسان : ج رسن وهو الحبل (القاموس) .

وبـالبركات نحظى مـن لقاهـم ... ونطرح مـن جوانـا مـا نعـاني

ونُلقـي باللقـا بُعـداً وهَجـراً ... هما عمّا نحاول مـا نعـاني

نـزور ضرائحاً ملـئتْ وفـاءً ... وإيمانـاً وأنـواع الأمـاني

ونسمـو بالأحبـة إذ[٥٥] نراهـم ... ومنّا الخوف يُبْـدّل بالأمـانِ

ومنهم نجتلي أرواح صدق ... تـألّقتْ في القديـمِ مـن الزمـان

مشاهـد هيبـةٍ وقبـور نـورٍ ... لوامـع مـن فـراديس الجنـانِ

سقَـى اللهُ الأحبـةَ مـن كـرامٍ ... لهم جـودٌ إلى العـافين داني

كـأنَّ نزيلَهـم في دار خُلـدٍ ... يمتّـعُ بالـمَسَرَّةِ والتهاني

ولـيس يخيب قاصدهـم وإني ... وهـم أهـلُ المكانـةِ والمكـانِ

ألا يـا أوليـاءَ اللّـهِ يـا مَـنْ ... سَمَـوْا في كل أرضٍ بالضمـانِ

وهـم يحمـون مَـنْ يلجـا إليهم ... يفكّـون الأسيـرَ وكـلَّ عـاني

مشينـا بالتذلّـلِ في حماهـم ... وخيـل الشوق مطلقـة العنـانِ

ونحن الـركب زوّار المعـالي ... ضيوفُ الصالحين ذوي[٥٦] المعاني

نروم القرب من حضرات قـومٍ ... ترقّـوْا في معاريـجِ العيـانِ

ومقصدنـا القبـول وكل خيـرٍ ... وعفـو اللـهِ مـقصدُ كل جـاني

ومنهم أنبيـاء اللـه نرجـو ... بهم نيـل المنـى في كل آن

عـليهم كلهـم أزكـى صلاةٍ ... منظمـة كعقـدٍ مـن جُمـانِ

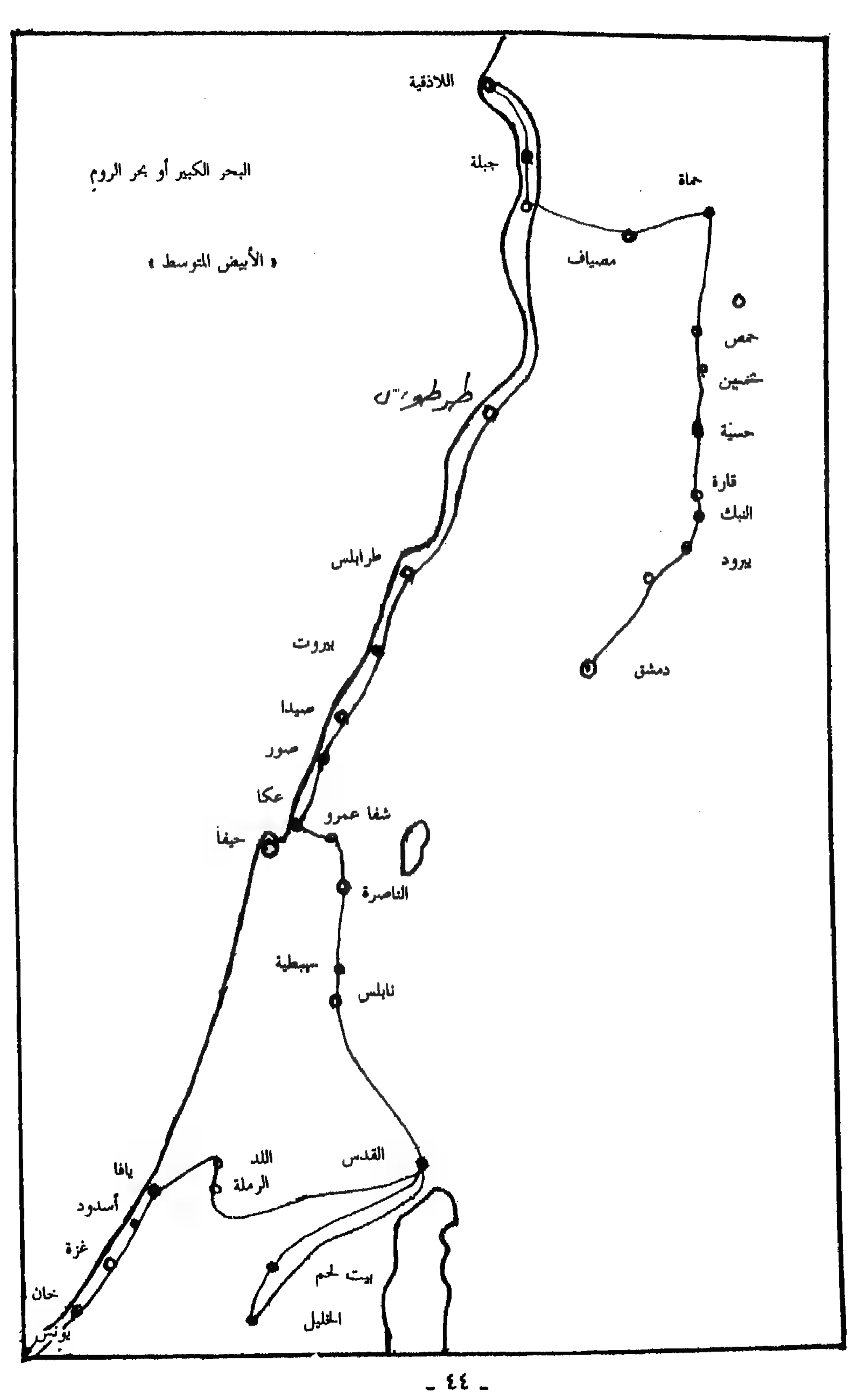
وتسليم بـروض المدح يزهـو ... كـورد في الربـا أو أقحـوانِ

مدى الأزمان ما النسمات هبَّتْ ... ومـا طيـرٌ شدا في غصن بـانِ

---

(٥٥) في ن ، ح : (ان) .

(٥٦) في ح : (ذو) .


اللاذقية
البحر الكبير أو بحر الروم
« الأبيض المتوسط »
جبلة
حماة
مصياف
حمص
شمسين
حسية
قارة
النبك
يبرود
دمشق
طرطوس
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
عكا
شفا عمرو
حيفا
الناصرة
سبسطية
نابلس
القدس
اللد
الرملة
يافا
أسدود
غزة
خان
يونس
بيت لحم
الخليل

اليوم الأول

الخميس ١/١/ ١١٠٥ هـ = ١/١٠/١٦٩٣ م

ثم أصبحنا في يوم الخميس المبارك غرة المحرم أول شهور سنة خمس ومئة وألف من الهجرة النبوية ، على فاعلها أكمل صلاة وأشرف تحية[١] ، فتوجهنا في هذه السياحة المرضيّة ، والرحلة المقبولة إن شاء الله تعالى في الحضرات العليّة ، وأخلصنا[٢] الطويّة ، وصدقنا النيّة[٣] ؛ ولقد ذكر المقريزي[٤] في كتابه الخطط[٥] أن ابتداء تاريخ الهجرة كان يوم الخميس أول شهر الله المحرم[٦] . انتهى . ففي سفرتنا هذه كمال التيمّن والتبرك[٧] إن شاء الله تعالى .

رأس يحيى بالجامع الأموي

وأول ما شرعنا في زيارة رأس السيد يحيى الحصور ، عليه وعلى نبينا الصلاة[٨] والسلام ، بالجامع الشريف[٩] الأموي جوار دارنا ، فوقفنا بالحضور ، وشرعنا في قراءة الفاتحة والدعاء عند ذلك المقام المشهور .

وذكر الشيخ علي بن أبي[١٠] بكر الهروي رحمه الله تعالى في كتاب الزيارات[١١] له

---

(١) في ح : (التحية) .

(٢) ليست الواو في ن ، ح .

(٣) في ن ، ح : (وصدقنا في حبه النية) وفي ق : (وصدقنا في النية) .

(٤) في ت ، ق (رحمه الله تعالى) وتختلف النسخ في إضافة الجمل الترحيمية والترضية اختلافاً كبيراً مما يصعب حصره ولذلك سوف أهمل هذا الخلاف وأكتفي بهذه الإشارة .

(٥) انظر الخطط المقريزية — دار صادر — ٢٨٤/١ .

(٦) ليس لفظ الجلالة في ن .

(٧) في ن ، ح : (التبرك والتيمن) .

(٨) في ن ، ح : (أفضل الصلاة) .

(٩) ليست لفظة (الشريف) في ن ، ح .

(١٠) ليست لفظة (أبي) في ن ، ح . والهروي هو علي بن أبي بكر الهروي السائح ، أبو الحسن ، رحالة ، مؤرخ . توفي سنة ٦١١ هـ/١٢١٥م ، ويعتبر كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) من أحسن المصادر عن حياة مؤلفه ، وقد طبع الكتاب في المعهد الفرنسي سنة ١٩٥٣ بتحقيق جانين سورديل — طومين وانظر في ترجمته : وفيات الأعيان ٣٤٦/٣ ، والشذرات ٤٩/٥ ، والأعلام ٧٣/٥ .

(١١) انظر الإشارات ٤ .

أن في قلعة حلب المحروسة صندوقاً فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ظهر في سنة خمس وثلاثين وأربع مئة . انتهى .

وقد تكلمنا على رأس يحيى هذا في رحلتنا الوسطى المسماة بالحضرة الأنسية في الرحلة القدسية[١٢] في اليوم العاشر منها عند ذكر قرية سبسطية[١٣] من أعمال نابلس المحروسة .

تربة باب الصغير

ثم ذهبنا إلى زيارة تربة[١٤] باب الصغير وهي مقبرة قديمة مباركة تعرف بهذا الاسم ولم نعلم سبب تسميتها بذلك[١٥] ، وقد دفن فيها من الصحابة رضي الله عنهم جماعة :

بلال بن رباح

منهم بلال بن رباح[١٦] مؤذن رسول الله ﷺ فإنّه على القول المشهور مدفون هناك ، [١٧]وقيل إنه دفن بباب كيسان من دمشق[١٧] ، وقيل إنه دفن في قرية داريا من قرى دمشق ، وقيل دفن[١٨] في حلب .

وقال السمعاني في الأنساب[١٩] : إنه دفن في مدينة النبي ﷺ ، وهو غلط ، والصحيح الذي عليه الجمهور أنه مدفون بباب الصغير ، كذا ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات[٢٠] .

وقد استوفينا ترجمته في كتابنا الذي سميناه زهرة الحديقة في ذكر رجال الطريقة

---

(١٢) انظر الحضرة الأنسية ٦ — ٨ .

(١٣) سَبَسْطِيَةُ : من أعمال نابلس في فلسطين ، بينها وبين القدس يومان ، بها قبر زكريا ويحيى عليهما السلام . (معجم البلدان) .

(١٤) ليست لفظة (تربة) في ق .

(١٥) في هامش ت : (سميت بذلك لكونها خارج باب الصغير وهو باب الشاغور . محمد بن الشمعة . وانظر خطط دمشق للمنجد ١١٦ .

(١٦) انظر ترجمة بلال في الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٢/٣ ، وحلية الأولياء ١٤٧/١ ، والاستيعاب ١٧٨/١ ، والإصابة ١٦٩/١ .

(١٧ — ١٧) ما بين الرقمين جاء متأخراً في ق .

(١٨) ليست لفظة (دفن) في ن ، ومكانها (إنه) ، وفي ح : (وقيل إنه دفن) .

(١٩) ذكره في الأنساب ٤٧/٤ ولم يذكر أنه دفن في المدينة .

(٢٠) انظر تهذيب الأسماء ١٣٦/١ — ١٣٧ .

أوس بن أوس الثقفي

ومنهم أوس بن أوس الثقفي الصحابي[٢١] سكن الشام ، ومات بها في خلافة[٢٢] عثمان رضي الله عنه ، ودفن[٢٣] [٥/ب] بباب الصغير .

قال النووي رحمه الله تعالى في تهذيب الأسماء واللغات : مقابل زقاق القلي[٢٤] ، قال أبو إسحاق إبراهيم الناجي[٢٥] : وزقاق القلي بنيت المدرسة الصابونية مكانه .

أبو الدرداء وزوجتاه

ومنهم أبو الدرداء[٢٦] عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي[٢٧] . ولي قضاء دمشق في خلافة عثمان رضي الله عنهما[٢٨] وتوفي بدمشق في خلافة عثمان[٢٩] أيضاً سنة إحدى ، وقيل[٣٠] ثنتين وثلاثين من الهجرة ، وقبره وقبر زوجته أم الدرداء الصغرى[٣١] مشهوران في باب الصغير[٣٢] .

قال[٣٣] النووي :[٣٤] وقبره بباب الصغير بجنب[٣٢] قبر معاوية رضي الله عنهما . وقال[٣٥] : وكان له امرأتان ، كل واحدة يقال لها أم الدرداء[٣٦] ، صحابية وتابعية ،

---

(٢١) انظر ترجمته في الاستيعاب ١١٩/١ ، والإصابة ٩٢/١ .

(٢٢) في ن ، ح : (بخلافة) .

(٢٣) في ن : (دفن) باسقاط حرف الواو .

(٢٤) هو هكذا في زيارات العدوي ص ٩ ، وهو (الزقاق القبلي) في دور القرآن في دمشق للنعيمي ١٧ ، وزيارات ابن الحوراني ٩ ، ومنادمة الأطلال ١٧ .

(٢٥) هو إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر بن عيسى الحلبي الأصل الدمشقي القُبَيْباتي الشافعي . شيخ المحدثين بدمشق . وله مصنفات مشهورة ولد سنة ٨١٦ هـ وتوفي بدمشق سنة ٩٠٠ هـ وانظر زيارات العدوي ٧٦ والشذارات ٣٦٥/٧ .

(٢٦) في هامش ت : (نقل ابن عساكر في تاريخه أن اسمه عويمر بن عامر ، ابن الشمعة) .

(٢٧) انظر ترجمته في حلية الأولياء ٢٠٨/١ ، والاستيعاب ١٢٢٧/٣ ، والإصابة ٤٦/٣ ، والأعلام ٢٨١/٥ .

(٢٨) في ح : (عنه) .

(٢٩) في كل الأصول عدا ت : (عثمان بن عفان) .

(٣٠) في كل الأصول عدا ت : (سنة) .

(٣١) هي هُجَيمة بنت حيي الوصابية . تابعية ، تزوجها أبو الدرداء بعد أم الدرداء الكبرى . وتوفيت سنة ٨١هـ/٧٠٠م . وانظر تهذيب التهذيب ٤٦٥/١٢ ، والأعلام ٦٨/٩ ، وأعلام النساء ٢٠٤/٥ .

(٣٢ — ٣٢) ليس ما بين الرقمين في ح .

(٣٣) في ن ، ح : (وقال) .

(٣٤) انظر تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٨/١ .

(٣٥) في ح : (وقال النووي) .

تزوج التابعية بعد الصحابية . انتهى .

وفي قلعة دمشق مقام فيه قبر يقال إنه قبر أبي الدرداء رضي الله عنه .

معاوية بن أبي سفيان

ومنهم معاوية بن أبي سفيان — واسم أبي سفيان صخر — بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي[٣٧] .

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : بقي معاوية أميراً في دمشق عشرين سنة وخليفة عشرين سنة[٣٨] .

وقال الحافظ ابن طولون في كتابه بهجة الأنام : في الحائط القبلي في جامع دمشق قبر معاوية ، وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام . انتهى .

وهو الآن معروف خلف مزار رأس سيدنا السيد يحيى بن زكريا عليهما الصلاة[٣٩] والسلام ، وهذا قول غريب[٤٠] ، والمعروف أنه بباب الصغير[٤١] كما ذكرنا .

ويقال : إنه لما حضره الموت أوصى أن يكفّن في قميص رسول الله ﷺ وأن يجعل على جسده . وكان عنده قلامة أظافر النبي[٤٢] ﷺ فأوصى أن تسحق وتجعل في عينيه وفمه وقال : افعلوا ذلك وخلّوا بيني وبين أرحم الراحمين .

وفي مقبرة باب الصغير أيضاً جماعة[٤٣] من الصحابة ذكر العلماء أنهم دفنوا بباب الصغير ، ولم تتعيّن أماكنهم ، وفيها من التابعين ، ومن العلماء العاملين ، والأولياء الصالحين ؛ ما لايكاد يحصى ، فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

---

(٣٦) أم الدرداء الكبرى هي خيرة بنت أبي حدرد — سلامة — بن عمير بن أبي سلمة الأسلمية . صحابية . توفيت في الشام سنة ٣٠ هـ/٦٥٠ م . وانظر الاستيعاب ١٩٣٤/٤ ، والإصابة ٢٢٨/٤ ، والأعلام ٣٧٥/٢ ، وأعلام النساء ٣٩٤/١ .

(٣٧) انظر في ترجمته تاريخ اليعقوبي ٢١٦/٢ ، وتاريخ الطبري ١٨٠/٦ ، ومروج الذهب ٣/٣ ، وتاريخ ابن الأثير ٢/٤ ، والأعلام ١٧٣/٨ .

(٣٨) عبارة النووي هكذا : (بقي أميراً خلافة عمر ثم أقرّه عثمان وولي الخلافة بعد ذلك عشرين سنة . قال محمد ابن سعد : بقي معاوية أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة) .

(٣٩) ليست اللفظة في ق .

(٤٠) في ن ، ح : (وهو قول قريب) .

(٤١) انظر خطط دمشق للمنجد ص ١٢٠ ولطف السمر ٤٣٠ .

(٤٢) في ح (رسول الله) .

(٤٣) في ق : (جماعة أيضاً) .

قبر إسماعيل النابلسي

ثم قصدنا زيارة قبر[٤٤] والدنا المرحوم الشيخ[٤٥] الإمام ، والحبر الهمام ، العلامة إسماعيل أفندي الشهير نسبة بابن [٦/أ] النابلسي[٤٦] ، وقبره بالقرب من قبر منصور ابن عمار بن كثير السلمي الخراساني الواعظ الزاهد إلى جانب الطريق[٤٧] . من جهة الشرق في داخل الجدار ، له باب يفتح إلى الطريق[٤٧] . فوقفنا عند قبره[٤٨] ، وقرأنا الفاتحة[٤٨] ، ودعونا الله تعالى .

وهذه التربة التي دفن فيها والدنا المرحوم داخل الجدار كان عمَّرها المرحوم درويش باشا[٤٩] صاحب الجامع العظيم المشهور في دمشق الشام ، لجدّ الوالد شيخ الإسلام إسماعيل النابلسي ، وهو أول مَنْ دفن فيها في القبر الكبير الذي له شباك من الحجر المنحوت ، مطل على الطريق ، ثم دفن بعده في ذلك القبر ولده الشيخ الإمام العالم العامل[٥٠] الهمام جدنا والد والدنا الشيخ عبد الغني النابلسي[٥١] ، ثم دفن في ذلك القبر أيضاً ولد الشيخ عبد الغني وهو والدنا المرحوم الشيخ الإمام صدر المدرسين العظام الشيخ إسماعيل النابلسي .

ولنذكر شيئاً من تراجمهم على وجه الاختصار ، فنقول :

ترجمة والد المصنف

كان والدنا المرحوم أولاً على مذهب الشافعية كما كانت أجداده من قبله ، وهو تبعهم إلى أن صنف[٥٢] حاشية على شرح المنهاج للعلامة ابن حجر الهيثمي[٥٣] ، وقد وقفت

(٤٤) ليست اللفظة في ن ، ح .
(٤٥) لفظة (الشيخ) مستدركة في هامش ت وبعدها (صح) .
(٤٦) سيترجم له المؤلف بعدُ . وانظر في ترجمته : خلاصة الأثر ٤٠٨/١ ، ونفحة الريحانة ١٣٣/٢ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٣ ، والورد الأنسي ق ٢٦ ، والأعلام ٣١٤/١ .
(٤٧ — ٤٧) ليست ما بين الرقمين في ح .
(٤٨ — ٤٨) ليس ما بين الرقمين في ن ، ح .
(٤٩) انظر خطط دمشق للمنجد ١٢٠ ، ولطف السحر ٤٣٩ .
(٥٠) ليست اللفظة في ق ، ن .
(٥١) سيترجم له المؤلف بعدُ . وانظر لطف السمر ٥١٣/٢ ، وتراجم الأعيان ٦١/١ ، وخلاصة الأثر ٤٣٣/٢ ، والورد الأنسي ق ٢٥ .
(٥٢) في كل النسخ عدا ت : (جعل) .
(٥٣) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهَيْتمي — نسبة إلى محلة أبي الهيثم — — بمصر — السعدي الأنصاري شهاب الدين أبو العباس ، فقيه ، له عدة تصانيف منها تحفة المحتاج لشرح المنهاج . توفي سنة

على شيء منها بخطه في المسودة ، ثم إنه رحمه الله تعالى انتقل إلى مذهب الحنفية .

مذهبه

وبلغني أن السبب في ذلك أنه حصل مرة بينه وبين طالب علم حنفيّ جدالٌ في مسألة فقهية ، فقال له ذلك[٥٤] الطالب : ليس هذا مذهبك ، اذهب لتتعلم المذهب ، ثم ابحث معي فيه ، فحصل له بسبب ذلك انزعاجٌ كثيرٌ ، فانتقل إلى مذهب الحنفية ، وقرأ على الفقهاء في متون المذهب ، وبرع وحقّق ، وفهم ودقّق . ورحل إلى مصر في سنة خمسين بعد الألف ، وقد كان مولدنا في هذه السنة في غيبيته بمصر .

شيوخه

ثم أخذ عن جماعة محقّقين ، من العلماء المصريين ، منهم العلامة المحقق الشيخ أحمد الشوبري الحنفي تلميذ العلامة الشيخ عمر بن نجيم صاحب النهر الفائق على كنز الدقائق ، ومنهم شيخ الإسلام العلامة الشيخ حسن الشُّرنبلاني[٥٥] صاحب الحاشية المشهورة على الدر والغرر ، وأجازوه بالافتاء[٥٦] والتدريس ، وإطلاق الأقلام في منشور القراطيس ، حتى إنه رحمه الله تعالى شرع في تصنيف شرحه على شرح الدرر والغرر[٥٦] [٦/ب] الذي سماه بالإحكام — بكسر الهمزة — شرح[٥٧] درر الحكام وغرر الأحكام ، ووصل في تبييضه إلى كتاب النكاح في أربع مجلدات كبار . ومات رحمه الله تعالى ، ولم يكمله . وله مصنفات أخرى كثيرة ، منها تحرير المقال في أحوال بيت المال ، ومنها منظومة في علم الفرائض ، نظم فيها متن السراجية وزاد عليها بعض فوائد ، ومنها تذكرة أفقر الفقراء لحضرة أمير الأمراء ، وشرح حصة وافية من منظومة قريبه العلامة[٥٨] القاضي محب الدين الحموي على وجه الإطالة ، وشرح حصة من ملتقى الأبحر للعلامة الشيخ إبراهيم الحلبي[٥٩] ، وحصة من تنوير الأبصار للتمرتاشي ، وله رسالة في بيان التشبيه في الصلاة

٩٧٤هـ/١٥٦٧م . وانظر خلاصة الأثر ١٦٦/٢ ، والأعلام ٢٢٣/١ .

(٥٤) ليست اللفظة في ح .

(٥٥) في ن ، ح : (الشرنبلالي ، وهو حسن بن عمار بن علي الشُّرُنبلالي أو الشرنبلاني نسبة إلى شبري بلولة بالمنوفية بمصر ، فقيه حنفي مكثر من التصنيف . توفي سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م . وانظر : خلاصة الأثر ٣٨/٢ ، والأعلام ٢٢٥/٢ .

(٥٦ — ٥٦) ما بين الرقمين مستدرك في هامش ت .

(٥٧) في ن ، خ : (على شرح) .

(٥٨) ليست اللفظة في ق .

(٥٩) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحلبي . فقيه حنفي له عدة مؤلفات . توفي سنة ٩٥٦هـ/١٥٤٩م وانظر : الكواكب السائرة ٧٧/٢ ، وكشف الظنون ١٨١٤/٢ ، وشذرات الذهب ٣٠٨/٢ ، وأعلام النبلاء ٥٦٩/٥ ، والأعلام ٦٤/١ .

على الرسول ﷺ وعلى آله ، وله رسالتان في بيان فضيلة ليلة القدر بتفسير سورتها .

مناصبه وشعره

وذهب إلى القسطنطينية مراراً ، وكان مدرسّاً في مدرسة المرحوم السلطان سليم خان بصالحية دمشق ، وكان مدرساً في الجامع الشريف الأموي في علم التفسير وغيره .

وله الشعر الكثير والنظم البديع ، فمن ذلك قوله : [من الطويل]

وقائلةٍ أنفقتَ في الكتبِ ما حَوَتْ … يمينُكَ من مالٍ فقلتُ : ذريني
لعلّي أرى منها كتاباً يدلّني … لأَخْذِ كتابي آمناً بيميني[٦٠]

وقوله أيضا[٦١] في مرض موته رحمه الله تعالى وقد بلغه أن بعض أقاربه ذهب إلى الصالحية بقصد النزهة[٦٢] : [من الوافر]

كأنّ أقاربي مذ زاد ضعفي … وحلّوا الصالحيةَ حينَ حادوا
رأوا أنّي إلى الأجداث ماضٍ … فقالوا كلّ ماضٍ لا يُعادُ

وله أيضاً[٦٣] [من الطويل] :

ولو لم يكن علمي بأنك فاعلٌ … من الخير أضعافَ الذي أنا سائل[٦٤]
لما سطّرتُ[٦٥] كفّي إليك وسيلةً … ولا وصلتْ مني إليكَ الرسائلُ

وله أيضاً[٦٦] [من الطويل] :

أكابدُ وجدي والظلام مسامري … وهيهات مُغْفٍ أن يرقّ لساهر
ببدر دُجًا قد غابَ فالشوقُ زاد بي … وبتُّ أراعي للنجوم الزواهر
أهيفاءُ رِفقاً بالمُتَيَّمِ في الهوى … ألم تنظري[٦٧] ما حلّ بي وبسائري

(٦٠) البيتان في الورد الأنسي ٢٧/ب .
(٦١) ليست (أيضاً) في ق .
(٦٢) البيتان في الورد الأنسي ٢٧/ب .
(٦٣) البيتان في خلاصة الأثر ٤٠٩/١ ، ونفحة الريحانة ١٣٦/٢ ، وتراجم بعض أعيان دمشق ٦٦ ، والورد الأنسي ٢٧/ب .
(٦٤) في خلاصة الأثر : (فاعل) وفي النفحة (قائل) .
(٦٥) في الخلاصة والنفحة : (بسطت) .
(٦٦) الأبيات في الورد الأنسي ٢٧/ب .
(٦٧) مط : (أما تنظري) .

فيا ليتَ أحبابي الغرام لأنّه ... كثير وأعدائي السلوّ لغادر
فما العيش عيشٌ فيه راحةُ عاشق ... وما العشق إلا بالسيوف البواتر
ولا خيرَ في حبٍّ يكون مواصلاً ... ولا في حبيبٍ لا يكون بهاجرِ
رعى اللّهُ أحبابي على البعد إنّني ... أغارُ عليهم أن تراهم نواظري

وله أيضاً :[68] [من مجزوء الكامل]

ظفر الوشاة بمدنف ... لدنوِّ هَجْرِ الأهيفِ
مع أنّ هذا الحبّ سَهْـ ... ـلٌ لو عذولٌ ينتفي
والقلبُ كَلَّ ولم أجدْ ... لسوى كلام معنّفي
في حبِّ مخلفِ وعده ... ووعيدُهُ لَمْ يُخْلِفِ
بدرٌ يشابهُ ريقُه ... للشَّهد أو للقرقفِ
ظبيٌ توطَّنَ مسكناً ... قلبَ الكئيب المتلفِ
يا ليته ولعلَّه ... راعى لعهدٍ مسلفِ
شاهدته في موقفِ ... فشهدت يومَ الموقفِ
لا خير في حُبٍّ عرا ... عن كل هولٍ مُرجفِ
أنا في الصبابة لا أملّ ... ولا بوصلٍ أكتفي
وبلغت مرتبة الكئيـ ... ـب ولم يكن من مُسْعفِ
لو لم يكن صبري أعا ... ن لكنت غير مكلَّفِ
يا بدر إنّ أبا الفدا ... يرجو لقاك وأن تفي[69]
قلبي مقامك دائماً ... والغير منه منتفي

وله أيضاً مادحاً بعض مشايخه الكرام : [من الطويل]

إلامَ الجفا تاللهِ أنْحَلَني الهجرُ ... وانَّ اصطباري قد قَضَى فلك العُمرُ
بغيرك إن أُتْهِمتُ أنّي أحبُّهُ ... يميناً فما للغير في خاطري ذكرُ
أيا ريمَ وادي المنحنى من ضلوعنا ... تَرَفَّقْ فإنّ الصبَّ أنْحَلَه الصبرُ
فإن كنتَ عني قد غنيتَ فإنني ... إليكَ يميناً قد تزايد بي فقرُ

(٦٨) الأبيات في الورد الأنسي ٢٧/ب و٢٨/أ .
(٦٩) في ن ، ح : (وأنت في) .

خليليَّ كونا لي فما الخلّ غير مَنْ يُعينُ خليلاً عندما دائـةُ الـعُسْرُ
إذا جئتما داراً لسلمى فكـرّرا سلامي فأذني عن سُلوٍّ بها وَقْـرُ
وقـولا كئيباً قـد تركناه باكياً ومن شُربه خمر الهوى جاءه السُّكْرُ
لكـي تعتـريها رأفـةٌ وتـرقّ لي ويظهـر في ليـل الجفا ذلك البـدر
يمينًا وإن جـارتْ علـيَّ بحبّهـا فلا أنتهي عن حبّها ما بقي العمر
سقـى اللـهُ أيّامـاً مَضَتْ ولياليـاً وسرّاً خَفَى عن كل واشٍ له ستر[٧٠]
تـرى تينـك الأيـام ترجـع بعدمـا تناءت وهل من عودةٍ يسمح الدهـرُ
زمان تـقضّى لم أكـن فيـه عـالماً بأنَّ ليـالي الوصل تلك هـي العمر
ألا لا تسلنـي مـا أذاقنـيَ الهوى ولا عن بني دهري ولا عنه يا عمرو
لقد خانني هذا الزمان ولم أجدْ[٧١] مُعيناً على ما قـد جنـاه بي الهجـرُ
سوى مَنْ تحلّى بالعلوم وزين الـ ـوجودِ أبي حفصٍ هو العـالم الحَبْـرُ
ويا شيـخ الاسلام الـذي شاع علمُه وقـدْ مَلأَ الأكـوانَ يا مـن الذّخـرُ
تـفضّلْ علينـا بالقبـول لمدحـةٍ يعـودُ بها الماضي لنـا ذلك الأمـرُ

وله أيضاً ، وقد كتبه إلى الأمير المرحوم محمد بيك[٧٢] بن فرُّوخ[٧٣] أمير الحاج الشامي في سنة ست وأربعين وألف ، وقد كان ناظراً على الحج الشريف فعّين له الأمير في كل يوم قربةَ ماء زيادة على ما عين له : [من الخفيف]

هكـذا هكـذا تكونُ الإمـارَهْ لا مجازٌ بها ولا استعـارَهْ
يبذلـون العطـا بـغير سؤالٍ بصريح[٧٤] الكـلام أو بـإشارَهْ
عندهـم عيدهـم نهار وفاءٍ[٧٥] بنفـوس كريمـة مختـارَهْ
يا رعـى اللـهُ ساعةً حَلَّ فيها موعـد منك يـا أميرَ الإمـارَهْ
ورأينـا لقربـة الماء جـاءت تتهادى ويـا لها مـن بشارَهْ

(٧٠) في ن ، ح : (له سر) .
(٧١) في ح : (فلم أجد) .
(٧٢) ليست لفظة (بيك) في ن .
(٧٣) هو محمد بن فرّوخ أمير من الشجعان الكرماء . ولي إمارة الحج الشامي بعد أبيه وبقي فيها ثمانية عشر عاماً وضرب ببسالته المثل وهابته أعراب البادية وامتدحه الشعراء ، وتوفي سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م . وانظر خلاصة الأثر ١٠٨/٤ ، والأعلام ٢١٩/٧ .
(٧٤) في ح : (يحبون العطاء بغير سؤل وصريح) .
(٧٥) في ح : (وقاهم) .

فُزْ به[76] يا أمير منشأ أصلي[77]		فعــل خير وقربــةٍ وفخــارَهْ
حــاتميّ السمــاح لكــن حــواه		بــأصول وحــاتم إستعــارَهْ[78]

وله قوله[79] أيضاً لما اتخذ له خلوة في مدرسة الكلاسة فحسده عليها بعضهم :[80]
[من السريع]

دع حـاسداً يكمـد في غيظـه		وكل مــن يُعْطــى على نيّتــهْ
ومثلنــا حـــاسده لم يـــزلْ		في ظاهــرِ الحالِ وفي خلوتِــهْ

وله قوله في ذلك أيضاً :[81] [من السريع][80]

داريتُ للنــاسِ فلــم أستطـعْ		ذاكَ مـــن الحاسدِ للنّعمـــةِ
ثم اعتـزلتُ النــاسَ في خلــوةٍ		فـزاد فيـه الغيـظُ مـن خلــوتي

وله أيضاً مضمناً : [من الكامل]

يا مَنْ غـدا للعـاشقين مباعـداً		لا سيّمـا للـمستهام المُدْنــفِ
أنحلت جسمي في هواك تجاهلاً		روحي فداك عرفت أم لم تعرفِ

[٨/أ] وله أيضاً مضمناً :[82] [من الخفيف]

دمتَ يـا بـدرُ في عُــلاً وكمالٍ		ثم لا زلتَ مالكـــــي بهواكا
مسْتَ فانقاد كلُّ قـلبٍ مُعَنَّـى		تِـهْ دلالاً فـأنْتَ أهــلٌ لــذاكا

وله أيضاً مضمناً :[82] [من الوافر]

عنـائي في هـواك أرى نعيمــي		وفتكـي مـن لحاظٍ كالصريـمِ
وإن طلبـــوا لخصمٍ في مماتي		غرامي فيك يـا قمـري غريمي

وله أيضاً :[82] [من مجزوء الرجز]

(٧٦) في ح : (فز بها) .
(٧٧) في ح : (أصل) .
(٧٨) في ق ، ن ، مط : (باستعارة) .
(٧٩) ليست لفظة : (قوله) في ح .
(٨٠) البيتان في الورد الأنسي ٢٨/أ .
(٨١) في ح : (وله أيضاً) .
(٨٢) البيتان في الورد الأنسي ٢٨/ب .

يـا مـن جمالـه عَلَا ... وقـد حـوى بـه العُـلا
إلى متـى تمطلنـي ... يـا صبر أيـوب على

[83]وله أيضاً :[82] [من مجزوء الكامل]

يا واحد الناسِ الذي ... أضحى وليس له نظيرُ
لو كان مثلك آخر[84] ... ما كان في الدنيا فقيرُ[83]

وله[85] رحمه الله تعالى على وزان[86] المنفرجة : [من المتدارك]

الصبرُ قضى والصبُّ شجي ... يـا أزمـةُ مـالك فانفرجـي
الـبشر لنـا بنهايتها ... فمتـى تتناهـى تنفـرجِ
يـا نـفس إلامَ في الأهـوا ... ئهويـن ومشيُك بالعـوج
العمـرُ تـقَضّى في الغفـلا ... ت فيوم حسابي كيف[87] أجي
ولعـلّ إذا كثرت هـائتْ ... فرطـاتُ ضعيـفٍ مُنْزَعـجِ
يـا ملجأنـا في عسرتنـا ... لسوى أبـوابك لم نلـجِ
حتّـامَ عُبَيْـدُكَ في رجـوا ... هُ ومنك القصدُ إليه يَجي
يرجـو لزيـارة خير الخَلْـقِ رسول اللـه وخير نجي
مَنْ أظْهَـرَ ديـنَ الحقّ ومَـنْ ... أنْجانـا مـن لُجَجِ الهَمَـجِ
فعَلَيْـهِ صلاةُ اللّـهِ مـع التّـسليم على مَـرِّ الحُجَـجِ
وعلى الصدّيـق أبي بكـرٍ ... خير الأصحاب رذي البَهَجِ[88]
وعلى الفـاروقِ مبيـد الشّرْ ... كِ مـبين الشرع بـلا لجج
وعلى تاليـه الجامـع للـقرآنِ برغـمِ ذوي العـوج
وعلى الضرغـامِ علـيٍّ مَـنْ ... كان[89] المقدامَ لذي الرهج[90]

(83 — 83) ما بين الرقمين في هامش ت وبعده (صح) .

(84) في ن ، ح ، ق ، والورد الأنسي ومط (آخرا) .

(85) في ح : (وله أيضاً) .

(86) في الأصول عدا ت (وزن) .

(87) استدركت لفظة (كيف) في هامش ت وبعدها (صح) .

(88) في ق : (النهج) ، وفي ح : (اللهج) .

(89) في ت : (كان هو المقدام) ولا يستقيم بها الوزن .

(90) الرهج : الشغب . القاموس .

وعلى الأصحـــاب بقـــيَّتهم ـــن بعـــد الآل وكل نجي
وبحسن ختـــام يـــا أملي إخْتم لضعفيـــف منزعـــج

وله[٩١] رحمه الله تعالى[٩٢] أشياء كثيرة من القصائد والمقاطيع والموشحات وغير ذلك تركناها خوف الإطالة .

ولادته ووفاته

ولد نهار الجمعة المباركة[٩٣] عاشر ذي الحجة من شهور سنة سبع عشرة وألف [٨/ب] وتوفي في[٩٢] سنة اثنتين[٩٤] وستين وألف ، فعاش في الدنيا خمساً وأربعين سنة ، رحمه الله تعالى . وكان سنّه لما توفي والده خمس عشرة سنة .

رثاؤه

وقد رثاه جماعة من أهل دمشق الشام منهم شيخ الأدب ، وصاحب الفضل والحسب ، الشيخ محيي الدين ابن الصلتي[٩٥] بقوله لطف الله به :[٩٦] [من الرمل]

أيها النّاعـي الـذي فينـا نعـى ثُبْ حليفَ الحزنِ والنوحِ معـا
وَاكْثـرِ التَّعـدادَ إنْ أمْكنْتَـهُ علّ بالتَّعـدادِ تشعيبَ الوعـا
آهِ مـن نازلـةٍ زلّ الـورى بعدهَـا إذ لم يجدّوا فزعـا[٩٧]
فقـد إسماعيـل صبري بعـده عِيَـل مني والجوى لي صُدّعـا
يـا لقومـي أيّ صبرٍيُقْتنـى بعـدَ أقضى الأروعـي الأورعـا
سيّـدٌ سادَ الـورى وهـم ورى فضلـه حيًّـا وَميْتـاً برعـا
عهدنـا كان إذا قـال وعـى وإذا وقّـع أشفـى الوُلّعـا

(٩١) في ح : (وله أيضاً) .
(٩٢) ليست اللفظة في د .
(٩٣) مط : (المبارك) .
(٩٤) في الأصول (اثنين) وهو خطأ وقد دأبت النسخ على الوقوع بمثل هذا الخطأ وبخاصة في الأعداد ، وسأعمد إلى تصحيح الخطأ دون الإشارة إليه وسأكتفي بهذه الإشارة .
(٩٥) في ح (الصلطي) . وهو محيي الدين بن السلطي ، من أصحاب المحبي الذي ترجم له في نفحته ١/٥٣١ - ٥٣٨ ضمن شعراء دمشق ونقل طرفاً من شعره ونثره وللسلطي في ظاهرية دمشق مخطوطان الأول رسالة في الأحاجي رقمها ٥٨٨٨ والثاني ديوان تخاميسه ورقمه ٥٢٤١ .
(٩٦) القصيدة في الورد الأنسي ل ٢٩ — ٣٠ .
(٩٧) في ح : (نزعا) .

هُوَ بيضاوِي الرُّؤى والفَخْر من ... لفظه والصدق صدق يدّعى

ما رأينا مثلَهُ في عصرِهِ[98] ... هكذا الفخر لمن يدعى دعا[99]

سنَّ في الفضل فروعاً ندبتْ ... وعلى الواجب حكماً فرّعا

لو رآه بالجلال المُجتبَى ... وسطاً كان السيوطيّ وعا

فهو مختار اختيار عمدة ... كنز درّ كم عقود أودعا[100]

من هُدى النائي لهدي حصن الـ ... ـحصين فيه وتحاشى البدعا (؟)

وطَّأ الحكم لمن يعقله ... وشفا المسلم مما لدعا

مدرسات العلم حقاً درست ... بعده دام بكاها هلعا

كان عنواناً على الفضل كما ... في غدٍ ينظر ساعٍ ما سعى

مات أهل الفضل لم يبق سوى ... مُدَّعٍ علماً وللجهل دعا[101]

يا كؤوس الحَيْنِ لِمْ دُرْتِ على ... ربِّ دنِّ الفضلِ حتى صُرِعا

ما رأينا قبلَهُ من بَشَرٍ ... خَلَّدَ الدهرُ وفيه استمتعا

يا أُهَيْلَ الشّامِ نوحوا حزناً ... واكثروا التعداد فيها[102] والنعى

والبسوا ثوب حدادٍ بعد من ... طُنِّبَ الفخرِ لكم قد شرعا

وتغالوا في معالي مجده ... واندبوه ندبَ مَنْ قد أفجعا[103]

ما يرى النادب حالي عبرة ... نزحت عينيّ منها الأدمعا

صب مما نابني أرخ (عنا ... مات إسماعيل والعلم معا)[104]

[٩/أ] فعسى الوارث يرثي حالتي ... وإذا لم يرث للعلم يُعا[105]

---

(٩٨) في ق (عصرنا) .

(٩٩) في ق ، ح : (وعا) .

(١٠٠) ق ، ح : (وعا) .

(١٠١) في ق (دعا) وفي ح (ادعا) .

(١٠٢) في الأصول عدا ت : (فيه) .

(١٠٣) في ح : (فجعا) .

(١٠٤) فوق السطر في ح : (١٠٦٢) وحسابها بطريقة الجمّل على النحو التالي :

عنا * مات إسماعيل والعلم معا

١٢١ + ٤٤١ + ٢١٢ + ١٧٧ + ١١١ = ١٠٦٢

(١٠٥) أراد (يعاب) على طريقة الاكتفاء في البلاغة . وانظر شرح بديعية الحلي ١٦ ، وخزانة الحموي ١٢٦ ، والمطلع البدري ق ٢٠ ، ونسمات الأسمار ٨١ ، وسلك الدرر ١٠١/٣ .

جد المصنف عبد الغني

وأما والده المرحوم جدّنا الشيخ الإمام سليل العلماء العاملين ، الشيخ عبد الغني ابن النابلسي[١٠٦] فإنه كان من الفضلاء الصالحين ، والعلماء العاملين ؛ وكان له مكارم أخلاق ، ولطائف أوصاف تشعر بعلو همته في الكمال وطيب الأعراق ؛ فإنه كان[١٠٧] مع كثرة مدخوله في ذلك الزمان ، إذا طلب منه سائل[١٠٨] ثوباً خلع ثوبه عن جسده وتصدّق به عليه . وكان له في جهات الصالحية ، بدمشق المحمية ، أوقاف آلت إليه من أمه المرحومة حنيفة بنت الشهاب أحمد بن القاضي محب الدين ابن منعة ، وذلك بعض حوانيت وأماكن مستأجرة ، فإذا ذهب إليه للتنزّه مع الإخوان يأتونه بأجرة الحوانيت والأماكن المزبورة ، فربما يرجع في ذلك اليوم إلى بيته وليس معه من ذلك شيء . توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة بعد أذان المغرب الثاني عشر من شهر رجب الحرام سنة اثنتين وثلاثين وألف .

جد والد المصنف إسماعيل

وأما جدّ الوالد الشيخ الإمام العلّامة والعمدة الفهّامة الشيخ إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم ابن النابلسي الدمشقي[١٠٩] ، فقد قال تلميذه الشيخ[١١٠] الشيخ الإمام العلامة الشيخ حسن البوريني[١١١] في ترجمته :

(هو شيخ الإسلام بالاستحقاق ، وعالم عصره بالاتفاق ، نبغ فريداً ، ونشأ متصفاً بالكمال وحيداً ، حتى رفعه الدهر مكاناً علياً ، وألبسه الكمال ثوباً بهياً ، بحيث أنه طار[١١٢] صيته في الأقاليم ، واتصف في حديث الناس بالمجد القديم ، قرأت عليه في منزله

---

(١٠٦) انظر في ترجمته : تراجم الأعيان ٣٧١/٢ ، ولطف السمر (مخطوط) ق ٢٠٠ ، وخلاصة الأثر ٤٣٣/٢ .

(١٠٧) ليست اللفظة في ق .

(١٠٨) في ق ، ن : (سائل منه) .

(١٠٩) انظر ترجمته في : تراجم الأعيان ٦١/٢ — ٧٩ ، والكواكب السائرة ١٣٠/٣ — ١٣٥ ، والورد الأنسي ل : ٢١ — ٢٥٠ .

(١١٠) ليست اللفظة في ن .

(١١١) هو الحسن بن محمد البوريني صاحب كتاب (تراجم الأعيان) الذي طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق . توفي البوريني سنة (١٠٢٤هـ/١٦١٥م) . وانظر مقدمة تراجم الأعيان ، ولطف السمر ق ١٩١/أ . وخلاصة الأثر ٥١/٢ وريحانة الألبا ٤٢/١ — ٥٢ ، وحديقة الأفراح ١٠٤ — ١٠٦ ، ومنتخبات التواريخ ٦٠٠/٢ ، والأعلام ٢٣٥/٢ — ٢٣٦ .

(١١٢) في ن ، ح : (صار) .

عند باب الجامع الأموي من جهة العنبرانيين[113] شرح جمع الجوامع في الأصول للمحقق المحلّي[114] ، فكان يقرّر الشرح أحسن تقرير ، ويحرّر معانيه أكمل تحرير .

قصة البوريني مع شيخه

وحضرت عنده شرح المفتاح للسيد المدقّق الشريف الجرجاني[115] في جامع درويش باشا بمحلة باب الجابية بدمشق.

كان القارىء للدرس المذكور الفاضل تاج الدين الحموي[116] [9/ب] الشهير بالقطان ، وكان الشيخ عمر القاري[117] ، وجمال الدين جلبي[118] الفرفوري[119] والفقير إلى الله تعالى والشيخ أحمد البخعوني الطرابلسي الضني[120] يحضرون الدرس . واستمريت مستمعاً مع الجماعة المذكورين إلى أوائل بحث الالتفات، فصدرت قصة اقتضت انقطاع الفقير عن حضور الدرس المذكور ، وذلك أنه كان الشرط في ابتداء الدرس أنه من غاب منا[121] — معاشر الشركاء — تُتركُ قراءةُ الدرس لأجله ، فلزم أنَّ الفقير لم يَغبْ عن

(113) في ن ، ح : (العمبرانيين) .

(114) هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي ، عالم بالتفسير والأصول . مولده في القاهرة سنة (771هـ/1389م) ومن كتبه تفسير الجلالين الذي أتمّه الجلال السيوطي ، والبدر الطالع في حلّ جمع الجوامع في أصول الفقه وهو الكتاب المشار إليه فوق ، وهو مطبوع ، وله كتب أخرى . وتوفي في القاهرة سنة (864هـ/1459م) وانظر ترجمته في الضوء اللامع 39/7 — 41 ، والشذرات 303/7 ، والأعلام 230/6 .

(115) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني ، أحد علماء العربية الكبار . ولد سنة (740هـ/1340م) . له نحو خمسين مصنفاً منها (المصباح شرح المفتاح) وهو المقصود . توفي سنة (816 هـ/1413م) وانظر في ترجمته الضوء اللامع 328/5 ، وانظر فهرس مخطوطات الظاهرية - علوم اللغة العربية ص 351 — 353 .

(116) هو تاج الدين القطّان الحموي الشافعي نزيل دمشق وصاحب البوريني ورفيقه في القراءة على إسماعيل النابلسي درّس بالجامع الأموي ، من أبناء القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي . انظر تراجم الأعيان 11/2 .

(117) هو عمر الشهير بابن القاري ، قرأ على إسماعيل النابلسي وغيره ، وله شعر ونثر ، وهو من رفاق الشيخ حسن البوريني ودرّس عدة تداريس . توفي سنة (1022 هـ/1614م) . وانظر تراجم الأعيان 330/2 .

(118) في ح : (الحلبي) .

(119) هو جمال الدين عبد الرحمن بن ولي الدين بن شهاب الدين محمود الفرفوري الحنفي الدمشقي، أسرته عريقة في القضاء . قرأ على علماء عصره . وتوفي سنة (995 هـ/1587م) . وانظر في ترجمته تراجم الأعيان 121/2 والكواكب السائرة 164/3 .

(120) لفظة(الضني) مستدركة في هامش ت وبعدها : صح .

(121) في ن ، ح : (أن من غاب من) .

الدرس نحو ثلاث سنين ، فاتفق أن بعض الإخوان دعاني إلى المبيت في الصالحية ليلة الدرس ، فاستأذنت الشيخ المذكور في المبيت وقلت : إن لم يهن عليكم تركُ الدرس تركت المبيت وحضرت الدرس. فقال: نحن على الشرط ونترك الدرس لأجلكم، فوثقت بكلامه ، وسرت إلى الدعوة ، فلم يترك الدرس وذهب إليه ، وخالف ما عاهدني عليه . فطلع إلى الصالحية ، واجتمعت به في المجلس الذي دُعيتُ إليه ، فرأيت كتب الدرس معه ، وعلمت أنه أقرأ[122] الدرس . والحال أن بعض رفقائنا كان يغيب سنة نحو عشرين يوماً في زمن العنب الزّيني ويترك الدرس لأجْله . فكتبتُ في المجلس هذه القصيدة ارتجالاً أخاطبه بها ، فقلت : [من الطويل]

إلى كم تمـــادٍ والخطــوبُ طـــوارقُ
يشيب لأدناهـــنَّ مـــنك المفـــارقُ

أفي غفلـــةٍ يـــا صاحِ أم في تغافـــلٍ
وهـــذا لسانُ الحال بـــالحال ناطـــقُ

إلى كم تُـــرى في دارة الـــذُّلّ ساكنـــاً
وطـرفُك في مضمـار فضلك سائـقٌ[123]

لحى اللـــهُ مَـــنْ يُبْـــدي لخلٍّ صداقـــةً
وفي قلبـــه شخصٌ كـــذوب منافـــق

أكُـــلُّ فتـــى يُبْـــدي ابتسامـــاً مصادقٌ
أيخفـــى صديـــقٌ صادقٌ ومماذق

ولي عند شيخِ العصرِ بعضُ شكايةٍ
وإني بحلـــمٍ منـــه إن قـــلتُ واثـــقُ

لماذا ، حماك الله ، يُهْمَـــلُ جانبـــي
وغيري إذا مـــا قـــال قـــولاً يوافَـــقُ

ويُرعـى إذا مـــا غـــاب فيكـــل حالـــةٍ
وإني لـــه في حلبـــة الـــفضل سابـــقُ

وإني أخـــو فضلٍ لـــه أذْعَـــن الـــورى
مخالفهـــم ، يـــا سيّـــدي ، والموافـــقُ

---

(١٢٢) في ن ، ح : (قرأ) .

(١٢٣) في ن ، ح ، وتراجم الأعيان : (سابق) .

وأنتَ بحمـــد اللّـــهِ أدرى فإننـــا
سواقٍ وأنت البحـــرُ بالـــفضل دافـــقُ
أيجمـــلُ يـــا أعلى الأنـــام مكانـــةً
ويـــا مـــن لـــه زهـــرُ النجـــوم مناطـــقُ
[٣٠/أ] شكايـــة هـــذا الحال منـــي لـــغيركم
وفي الناس ذو بـــغضٍ وفي النـــاس وامـــق
ولي عنـــد بعضِ النـــاسِ لـــو شئتُ حرمـــةٌ
ولكـــنّ قلبـــي بالفضائـــل عالـــقُ
فَـــدُمْ مـــا سرى ركبٌ ومـــا نـــاح طائـــرُ
ومـــا لاح في أرض الأحبـــة بـــارقُ

ولما عرضت عليه هذه القصيدة قام وقعد ، وبرق وأرعد ، واعتذر عما صنع من قراءة الدرس ، وقال : إنه من إلقاء بعض الرفاق(١٢٤) لا منه .

مشايخه

وكان طلبه للعلم أولاً على شيخ الإسلام شهاب الدين الطيبي الكبير(١٢٥) ، وتخرّج في النحو على المنلا محمود العجمي نزيل دمشق ، وقرأ أيضاً على الشيخ الولي الصالح أبي الفتح السبستري(١٢٦) نزيل الخانقاه الشُّميصاتية بدمشق ، وقرأ أيضاً على شيخ الكل في الكل شيخ الإسلام الشيخ(١٢٧) علاء الدين الشهير(١٢٨) بابن عماد الدين(١٢٩) ، وقرأ

(١٢٤) في الأصول جميعاً : (الأرفاق) وما هنا عن تراجم الأعيان .

(١٢٥) هو أحمد بن أحمد الطيبي الكبير . قرأ على علماء عصره ، وتولّى عدة وظائف وتداريس ، وقرأ عليه علماء عصره ، ومنهم : إسماعيل النابلسي والحسن البوريني . وله مؤلفات وديوان خطب . توفي سنة (٩٨١هـ/١٥٧٤م) . وانظر تراجم الأعيان ٩/١ ، والشذبات ٣٩٣/١ .

(١٢٦) هو أبو الفتح السبستري ثم التبريزي الشافعي نزيل دمشق . أخذ عنه نجم الدين البهنسي وإسماعيل النابلسي والشيخ عماد الدين والشيخ شمس الدين ابن المنقار والقاضي عبد الرحمن بن الفرفور . كان يدرّس في الشميصاتية ، توفي بصالحية دمشق شهيداً بالطاعون سنة ٩٦٢ هـ . وانظر الكواكب السائرة ٩٤/٢ .

(١٢٧) ليست اللفظة في ق .

(١٢٨) في ح : (المشهور) .

(١٢٩) هو علي بن إسماعيل بن موسى بن علي بن حسن بن محمد الدمشقي الشافعي الشهير بعلاء الدين ابن العماد وبابن الوسّ ـــ بكسر الواو وتشديد السين ـــ . ولد سنة ٩١٧ هـ . درس الفقه والقراءات السبع والعربية والأصول . ولي نيابة القضاء بمحكمة الميدان ثم نيابة الباب مدة طويلة وسافر إلى الروم سنة ٩٤٦ هـ ودرّس في دار الحديث الأشرفية بدمشق . وألف كتباً وحواشي . ودرّس بالأموي وبالعادلية الصغرى وبالتقوية . وممن برع عليه إسماعيل النابلسي وغيره . توفي سنة ٩٧١ هـ . وانظر الكواكب السائرة ١٨٥/٣ ، والشذرات ٣٦٣/٨ ، ومعجم المؤلفين ٣٧/٧ .

الفقه على شيخ الإسلام فقيه الشام الشيخ نور الدين الشنفي المصري ، وأخذ الحديث رواية ودراية عن شيخ الإسلام أعلم العلماء الأعلام بقية السلف الكرام الشيخ بدر الدين الغزي[١٣٠] الشافعي[١٣١] .

تلامذته

وروى عنه كثير من فضلاء الدهر ، وعلماء العصر ، منهم صاحبنا العلامة الشيخ عمر القاري[١٣٢] ، وصاحبنا الشيخ تاج الدين القطّان[١٣٢] ، ومولانا الشيخ أحمد بن أبي الوفا ، والفقير إلى الله تعالى ، وكثير ما بين أروام وأعجام .

محاضراته

وكانت له الفضائل العديدة ، والمحاضرات المفيدة ، كانت محاضراته كالنسيم إذا سرى ، وكالروض النضير إذا ما[١٣٣] ما فاح مزهرا ، قسماً لقد[١٣٤] كان يزين المجالس بمحاضرته ، ويطرب المجالس بلذيذ مذكراته :

مدارسه

درَّس — رحمه الله تعالى — بالأشرفية دار الحديث ، ثم بالشامية البرانية ، مع تدريس الدروشية ثم بالعادلية الكبرى ، ثم تصدى لبقعة التدريس[١٣٥] بالجامع الأموي .

وكان له قبول عند الحكام والقضاة ، وكانت شفاعته مقبولة ، واقتنى كتباً كثيرة قلَّ[١٣٦] أن جمع أحد في عصره مثلها ، وارتفع شأنه .

كتبه

وكان رحمه الله تعالى علَّق على مغني اللبيب حاشية لم تشتهر ، وكذلك علَّق[١٣٧] حاشية على مواضع من تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله تعالى . وكان قد ألَّف طبقات

(١٣٠) هو محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي أبو البركات بدر الدين ابن رضي الدين . فقيه شافعي ، مفسر ومحدث وأصولي . مولود في دمشق سنة (٩٠٤هـ/١٤٩٩م) . وله مئة وبضعة عشر كتاباً . وتوفي سنة (٩٨٤هـ/١٥٧٧م) وانظر : الشذرات ٤٠٣/٨ ، وريحانة الألبا ٧٢ ، والأعلام ٢٨٨/٧ .

(١٣١) في ق ، ح : (رحمهم الله تعالى) .

(١٣٢) تقدمت ترجمته قبل صفحات .

(١٣٣) ليست اللفظة في ق .

(١٣٤) في الأصول (وقد) وما هنا عن تراجم الأعيان .

(١٣٥) في ن ، ح : (الدرس) .

(١٣٦) في ن ، ح : (فلا جمع) .

(١٣٧) ليست اللفظة في غير (ت) .

للمفسرين فاختفت بعد موته وما عرفنا لها خبراً ، وما وجدنا لها أثراً .

صفاته

وكان — رحمه الله تعالى — يتكلّم [١٠/ب] باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية . وكان حسن الهيئة ، جميل السيرة ، حسن العمامة ، لطيف الشكل . وكان كريماً بإعادة الكتب للطلبة ، وذهب له في الإعارة كتب كثيرة .

رؤيته في منام

رأيته بعد وفاته في النوم ، كأنه في ضيافة ، وكأنه مع جماعة ، وهو متصدر عليهم ، وكأني كنت واقفاً أخدم في الضيافة المذكورة ، فسمعني أقرأ شيئاً من أبيات الشعر ، فقال لي : بالله عليك يا شيخ حسن اترك الشعر والله ما رأيت في الشعر خيراً ولا نفعني الشعر . فقلت له : يا مولانا وما الذي نفعك ؟ قال : نفعني قراءة القرآن وركعات[١٣٨] كنت أصليهن[١٣٩] في جوف الليل ، فمن ذلك أقلعت عن الشعر . انتهى[١٤٠] ملخصاً .

مؤلفاته

وله حاشية على صحاح الجوهري . وكان مفتي السادة الشافعية في دمشق المحمية . وله مصنفات عديدة ، ومؤلفات معتبرة مفيدة . وله رسالة في الرد على الكفرة الدروز[١٤١] ، ألّفها بإشارة بعض الحكام المحاصرين لهم في تلك الأيام ، ثم شاعت في أقطار البلاد ، وانتفع بها الحاضر والبادي ، حتى شاع[١٤٢] ذكره بين أكابر الحكام والوزراء بصاحب الرسالة .

شعره

وله الأشعار الرائقة ، والقصائد الفائقة . فمن ذلك القصيدة[١٤٣] التي أرسلها[١٤٤] إلى حضرة شيخ الإسلام ، والحبر المحقق الهمام ، سعد الملة والدين خوجة[١٤٥] أفندي جوى زاده في أواخر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وتسع مئة ، وهي طويلة ، منها

(١٣٨) في ح : (وركعتان) .
(١٣٩) في ن ، ح : (كنت أصليها) .
(١٤٠) انظر تراجم الأعيان ٦١/٢ — ٨١ .
(١٤١) في ح : (الدروز الكفرة) .
(١٤٢) في ق : (ذاع) .
(١٤٣) في ن ، ح : (قصيدته) .
(١٤٤) في ح : (ألفها) .
(١٤٥) في ن ، ح : (خواجة) .

قوله في ابتدائها :[146] [من الطويل]

تَرَفَّقْ بقَلْبٍ مِنْ تجنّيكَ يخفقُ … وإنسانِ عينٍ كاد بالدمع يغرقُ
وإيّاكَ من ذكرى محاسنِ جلّقٍ … وأنهارها السَّبع التي تتدفَّقُ
وجامعها والسنيريين ومرجها … ومربتها الخضراء والزهرُ يعبُق
وجنّاتها اللاتي حَوَتْ كُلَّ بهجةٍ … حدائقها بالنُّور والنَّوْر تحدقُ[147]
وولدانها في كل أهيفَ مائسٍ … له وجنةٌ حمراءُ كالشمس تشرقُ
ألا لا تُذَكِّرْني بألطافِ جلَّقٍ … فتُصمي فؤادي بالتذكّر جلَّقُ

وله أيضاً قصيدة[148] ، وقد أرسل بها[149] إلى المولى المذكور المعلوم ، وهو يومئذ مفتي الروم ، وهي أيضاً قصيدة طويلة ، منها قوله في مطلعها :[150] [من الطويل]

حنانَيْكَ يا مَنْ شَرَّفَ العلمَ والفتوى … وأصبحَ فردَ الدهرِ في الحلم والتقوى
لكَ اللهُ من بَرٍّ إمامٍ مهذَّبٍ … وقور إذا ما طاش من حادث رضوى
أمولاي يا من غدا الوقت طيّباً … ببهجته والدهر يزهو به زهوا
كأنّ ندى كفَّيْكَ مُزْنُ غمامةٍ … ينال الورى من حسن موقعها الجدوى

إلى آخر تلك الأبيات الطويلة .

وكم له من شعر رائق ، ونظم فائق ، رحمه الله تعالى . وكان مكتوباً على[151] نقش خاتمه قوله :[152] [من الرجز][153]

يرجوكَ إسماعيل في حسن الختام … مستشفعاً بخاتم الرسل الكرام

ولادته ووفاته

ولد سنة سبع وثلاثين وتسع مئة . وتوفي يوم السبت لسبع ليال بقين من ذي القعدة

(١٤٦) الأبيات في الورد الأنسي ٢٢/أ .
(١٤٧) في ح : (يحدق) .
(١٤٨) ليست اللفظة في ت .
(١٤٩) في ح : (أرسلها إلى) .
(١٥٠) سترد هذه الأبيات في القصيدة كاملة ضمن أحداث اليوم ٦٢ .
(١٥١) ليست (على) في ن - ح .
(١٥٢) ليست اللفظة في ق .
(١٥٣) البيت في الورد الأنسي ٢٢/ب .

سنة ثلاث وتسعين[154] ، وتسع مئة ، فكانت مدة عمره في الدنيا ستاً[155] وخمسين سنة .

رثاؤه

ومن رثاه الشيخ شهاب الدين أحمد[156] العناياتي النابلسي صاحب الديوان المشهور بقصيدته التي مطلعها :[157] [من الطويل]

ألم تَرَ عقدَ الفضلِ كيف تبدَّدا	وعطلْ منه تحلّى به الردى
وأفق المعالي كيف تهوي نجومُه	فما للهدى نور ولا نَوْءَ للندى[158]

ومن رثاه أيضاً علّامة زمانه صهره القاضي محب الدين[159] بقصيدته[160] التي مطلعها[161] : [من الطويل][162]

محبٌّ على فقدِ الأحبّة لا أقوى[163]	فكيف وربع الصبر من بعدهم أقوى

ومنهم الشيخ كريم الدين الطيراني[164] بقصيدته التي مطلعها[165] : [من مجزوء الكامل]

---

(١٥٤) ليست (وتسعين) في ن .

(١٥٥) في الأصول (ستة) .

(١٥٦) هو أحمد بن أبي العنايات أحمد (في تراجم الأعيان : محمد) بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم شهاب الدين النابلسي العناياتي ، عرف بابن مكي ، نزيل دمشق وشاعرها المشهور ، من رفاق البوريني . له نظم ونثر . توفي سنة (١٠٠٣ هـ/١٥٩٥ م) على قول الغزي وسنة (١٠١٤ هـ) على قول البوريني وانظر ترجمته في : تراجم الأعيان ٩٢/١ — ١٠٨ ، ولطف السمر ٨٦ أ ، والأعلام ٨٨/١ ، وخلاصة الأثر ١٦٦ — ١٧٠ ، وريحانة الالبا ١٧/١ — ٢٦ ، والأعلام ٨٨/١ ، ومعجم المؤلفين ١٥٠/١ .

(١٥٧) البيتان مقدمة لقصيدة طويلة في الكواكب السائرة ١٣٤/٣ — ١٣٥ والورد الأنسي ل ٢٣ .

(١٥٨) في ن ، ح : (ولا نور للندى) .

(١٥٩) هو محب الدين محمد بن أبي بكر بن داود الحموي العلواني الدمشقي الحنفي ، أبو الفضل . ولد بحماة سنة ٩٤٩ هـ وتعلم علوم عصره وأخذ عن علماء بلده ، وولي القضاء بمصر وحمص ودمشق وغيرها . وتولى عدة دروس ومحاكم ، وأفتى في دمشق . وهو صهر إسماعيل النابلسي زوج ابنته ، توفي سنة ١٠١٦ هـ . وانظر ذيل الكواكب السائرة ١٧٤ أ ، وخلاصة الأثر ٣٢٢/٣ ، وعرف البشام ٥٧ ، ومنتخبات التواريخ ٥٩٨/٢ .

(١٦٠) في تراجم الأعيان ٦٧/٢ ستة من أبيات هذه القصيدة .

(١٦١) بعدها في ق (رحمه الله تعالى) .

(١٦٢) البيت مطلع قصيدة وردت في تراجم الأعيان ٦٧/١ .

(١٦٣) في ح : (لا يقوى) .

(١٦٤) في ح : (الطيراني) وهو عبد الكريم بن محمود بن أحمد المعروف بالطاراني الميقاتي البعلي الدمشقي كريم

خطبُ الحوادثِ قد ألَمْ والحزنُ أورث والألمْ

ورثاه غيرهم أيضاً رحمه الله تعالى .

ترجمته

وقد أُفردت ترجمتُه بالتآليف لبعض الفضلاء ، على سبيل الاستيفاء والاستقصاء ، وقد ترجمه غير واحد أيضاً ضمن تواريخهم فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

والدة المصنف

ثم ذهبنا إلى زيارة قبر والدتنا المرحومة بالقرب من مزار الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان وقبر الشيخ نصر المقدسي[١٦٦] محدث الشام[١٦٧] . فوقفنا عند قبرهما وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسَّر من الدعاء ، وكانت رحمها الله تعالى بارَّةً بنا مشفقة علينا . ماتت قبل سفرنا هذا بشهرين ، في شوال من شهور سنة أربع ومئة وألف في أواخر[١٦٨] الطاعون .

ومن ألطف ما وقع في يوم وفاتها أنَّ رجلاً من أهل الصلاح [١١/ب] والدين يقال له الشيخ علي النبكي من قرية[١٦٩] النبك ، وكان أشعث أغبر من المجاذيب المولهّين ، سيماء الصلاح ظاهرة عليه ، فجاء ذلك اليوم من قرية النبك وحده ماشياً ، ودخل علينا ، ونحن مشتغلون بغسل الوالدة وتجهيزها للدفن . وأخبرنا أنه قيل له : اذهب إلى الشام ، واحضر هذه الجنازة العظيمة البركة[١٧٠] ، فإنّ الطاعون الحاصل في

الدين . كاتب شاعر مؤرخ وأحد كتّاب المحكمة بدمشق ، ونسبته إلى طارية إحدى قرى بعلبك ، رأى المحبي في بعض المجاميع أنه ينتسب بالطيراني على غير قياس ، توفي سنة ١٠٤١هـ . وانظر خلاصة الأثر ٣/١٠ ، ونفحة الريحانة ١/٢٨٣ .

(١٦٥) البيت مطلع قصيدة مكونة من ستة أبيات في الورد ٢٤/أ .

(١٦٦) هو نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي ، أبو الفتح ، شيخ الشافعية في عصره بالشام . توفي بدمشق سنة (٤٩٠ /١٠٩٦م) وله عدة مؤلفات في الحديث والفقه . وانظر في ترجمته : تبيين كذب المفتري ٢٨٦ ، والأنس الجليل ١/٢٩٧ ، والأعلام ٨/٣٣٧ .

(١٦٧) في ن ، ق : (محدث دمشق الشام) .

(١٦٨) في ن ، ح : (آخر) .

(١٦٩) في ح : (من أهل النبك) .

(١٧٠) في ح : (المباركة) .

الشام[١٧١] يختم بها ، ولم يكن[١٧٢] يعلم بحقيقة الأمر ، وساقه الحال إلينا ، فعلم بذلك ، وكان له قبل ذلك تردّد قليل إلى الشام ، فحضر عندنا في ذلك اليوم ، فحملناها إلى الجامع الأموي[١٧٣] ، وصلينا عليها هناك ، وذهب معنا حتى دفنّاها في تربة باب الصغير ، في قبرها المذكور ، ثم لما فرغنا من الدفن وقف ذلك الرجل ودعا لنا وأوصانا بوصايا[١٧٤] صالحة ، ثم سافر من يومه ذلك إلى قرية النبك . ثم ارتفع الطاعون بعد ذلك بحمد الله تعالى ، كما أخبر ذلك الرجل المذكور .

زيارة قبور الأهل

ثم إننا زرنا بالقرب من قبر الوالدة قبور بقية الأهل والأقارب ، وقرأنا الفاتحة لجميع من دُفن في تلك المقبرة المباركة .

محلة القراونة

ثم ذهبنا[١٧٥] إلى جهة محلة القراونة[١٧٦] ، فقرأنا الفاتحة للولي المشهور المعروف بالشيخ السروجي والشيخ خيلخان وبلال بن حمامة الذي هو بلال الحبشي بن رباح مؤذن النبي[١٧٧] ﷺ فإنه يقال إنّ قبره هنا أيضاً[١٧٨] كما قدمناه .

أبي بن كعب رضي الله عنه

ثم ذهبنا جهة أبيّ بن كعب الصحابي[١٧٩] رضي الله[١٨٠] عنه ، على ما يقال ، إنه مدفون خارج باب شرقي[١٨١] تونا بالقرب من مقبرة الشيخ أرسلان . ومما اشتهر عند

(١٧١) في ح ، ن : (بالشام) .
(١٧٢) ليست اللفظة في ق .
(١٧٣) لفظة (الأموي) . مستدركة في هامش ت بخط مغاير ، وبعدها لفظة (صح) .
(١٧٤) في ن : (بوصاية) .
(١٧٥) في ت ، ق : (على) .
(١٧٦) في نزهة الأنام ٣٧٥ : (مقبرة محلة القروانة) وأنها تلي مقبرة باب الصغير . وفي خطط دمشق ١١٦ : أنها لا توجد في أيامنا الحالية .
(١٧٧) في ن ، ح : (رسول الله) .
(١٧٨) في ح ، ق (هناك) ، وفي ن (إن قبره أيضاً هناك) .
(١٧٩) انظر في ترجمته : طبقات ابن سعد ٤٩٨/٣ ، وحلية الأولياء ٢٥٠/١ ، والاستيعاب ٦٥/١ ، وغاية النهاية ٣١/١ ، والإصابة ٣١/١ ، والأعلام ٧٨/١ .
(١٨٠) في ق ، ن : (تعالى) .
(١٨١) ليست اللفظة في ق ، ن ، ح ، ولعل السبب أنها وردت في هامش ت .

أهل دمشق الشام[181] أنّ كل ميت من اليهود أو[182] النصارى إذا مروا به على مزاره ينقلب إلى الأرض ولأجل هذا لا يمرون بموتاهم على مزاره ، ولكن إذا وصلوا إلى قرب مزاره ذهبوا من الطريق الآخر المحاذي لسور البلد . فوقفنا عند قبره المشهور ، وقرأنا الفاتحة له ، ودعونا الله تعالى عنده . وسمعت أن قبر أبيٍّ هذا ظهر برؤيا[183] من بعض قضاة دمشق رآها فبنى عليه هذا البنيان المعروف الآن . والذي ذكره النووي رحمه الله [١٢/أ] تعالى في تهذيب الأسماء واللغات[184] : (أن أبيَّ بن كعب[185] توفي بالمدينة ودفن بها سنة ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه . قال أبو نعيم الأصبهاني : وهذا الصحيح) .

الشيخ ظبيان وضرار

ثم مررنا على قبر الشيخ ظبيان وقرأنا له الفاتحة .

ثم مررنا على قبر ضرار بن الأزور[186] الصحابي[187] على ما يقال . قال ابن الحوراني في كتاب الزيارات[188] : وقبر ضرار بن الأزور الأسدي ، شهد فتح دمشق ، ومات بها ، ودفن ظاهر[189] دمشق ، خارج باب شرقي على جانب الطريق ، وضريحه عليه أنسٌ ومهابةٌ وجلالةٌ ، وقبره ظاهر يُزار ويُتبرّك به في محلة الجُذَمَا[190] . انتهى . فوقفنا عند قبره ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

الشيخ أرسلان الدمشقي

ثم قصدنا ضريح الشيخ أرسلان[191] الدمشقي[192] صاحب الرسالة المختصرة

(١٨٢) في ق ، ح ، ن : (والنصارى) .

(١٨٣) في ن ، ح : (برؤية) .

(١٨٤) انظر تهذيب الأسماء واللغات ١٠٩/١ .

(١٨٥) في ن ، ح ، ق : (رضي الله عنه) وزادت ق (تعالى) بعد لفظ الجلالة .

(١٨٦) توفي سنة ١١ هـ وانظر ترجمته : الاستيعاب ٧٤٦/٢ ، وبدران ٣٠/٧ ، والإصابة ٢٠٨/٢ .

(١٨٧) في ح : (كتابه) .

(١٨٨) انظر الزيارات لابن الحوراني ١٧ .

(١٨٩) في ح : (بظاهر) .

(١٩٠) في ح : (الجزماتية) ، وفي الزيارات : (الجزماء) وهي محلة بدمشق من جهة الميدان .

(١٩١) هو الشيخ أرسلان بن يعقوب بن عبد الله بن عبد الرحمن الجعبري الدمشقي . توفي سنة ٦٩٩ هـ/١٣٠٠م وانظر في ترجمته : زيارات ابن الحوراني ١٨ ، وزيارات الهروي ٣٩ ، والروضة البهية ٨٦ ، وجامع كرامات الأولياء ١٢/٢ ، والأعلام ٢٧٧/١ .

(١٩٢) في ن : (قدس سره) وفي ح (قدس الله سره) .

المشهورة في علم التوحيد ، وقد شرحناها شرحاً لطيفاً سميناه (خمرة الحان ورنّة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان)[١٩٣] عملناه بحسب الفتح من غير مراجعة ولا نقل من كتاب . فدخلنا إلى مزاره رضي الله تعالى[١٩٤] عنه . وكان إماماً زاهداً قدورة من أكابر مشايخ الشام وأعيانها العارفين ، صاحب إشارات عالية ، وأنفاس صادقة . صحب شيخه أبا عامر المؤدب ، وهو مدفون بتربته المشهورة بالقبر القبلي ، والشيخ أرسلان في القبر الأوسط ، واختلفوا في القبر الشمالي ، فقيل : إنه قبر الشيخ أبي المجد خادم الشيخ أرسلان .

نجم الدين بن إسرائيل

وذكر ابن طولون[١٩٥] في بهجة الأنام : قلت : وقال محمد بن محمد الصقلّي ، ومن خطّه نقلت : ودفن بهذا الضريح الثالث نجم الدين بن إسرائيل ، وحضرت أنا دفنه. انتهى[١٩٦] .

ونجم الدين بن إسرائيل[١٩٧] هذا هو صاحب النظم المشهور على لسان أهل التوحيد ببدائع المعاني ولطائف المواجيد . وقد اطّلعتُ على ديوان[١٩٨] شعره الرائق ، ونظمه الفائق ، رحمه الله تعالى .

فوقفنا هناك ، وقرأنا الفاتحة . ودعونا الله تعالى .

قبر خولة بنت الأزور

ثم مررنا على قبر خولة بنت الأزور[١٩٩] ، أخت ضرار المذكور الصحابية[٢٠٠] ،

(١٩٣) طبعت الرسالة وشرحها عدة طبعات ، منها طبعة سنة ١٩٦٩ بتحقيق المرحوم عزة حصرية ، ومن هذا الشرح في الظاهرية ست نسخ مخطوطة وانظر فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ٥٠٦/١ .

(١٩٤) ليست اللفظة في ح .

(١٩٥) في ق : (رضي الله تعالى عنه) .

(١٩٦) انظر زيارات الحوراني ١٨ والروضة البهية ٨٦ .

(١٩٧) هو محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر أبو المعالي ، نجم الدين الشيباني . شاعر غزل متصوف . ولد بدمشق ٦٠٣ هـ/١٢٠٦م ، وتوفي فيها سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م . وانظر العبر ٣١٦/٥ ، والوافي ١٤٢/٣ ، وفوات الوفيات ٣٨٣/٣ ، والبداية والنهاية ٢٨٣/١٣ ، ولسان الميزان ١٩٥/٥ ، والشذرات ٣٩٥/٥ ، والأعلام ٢٤/٧ .

(١٩٨) من هذا الديوان نسخة مخطوطة ولكنها حديثة في ظاهرية دمشق . انظر فهرس التصوف ٥٧٩/١ ، وفهرس الشعر ١٧٢ .

(١٩٩) توفيت نحو سنة ٣٥ هـ/٦٥٥م . وانظر ترجمتها في الدر المنثور ١٨٤ ، والأعلام ٣٧٢/٢ .

(٢٠٠) في ق (رضي الله تعالى عنهما .

فقرأنا الفاتحة لها ولمن دفن في مزارها .

ثم ذهبنا إلى مسجد الأقصاب . فزرنا قبور السادات الشهداء . وقد دفنت فيه أقصاب سوق جماعة من الصحابة رضي الله(٢٠١) عنهم والدعاء عندهم مستجاب .

ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، كالمسعودي في مروج الذهب .

ثم ذهبنا إلى مقبرة مرج(٢٠٢) الدحداح .

فقرأنا الفاتحة للشيخ أبي شامة رحمه الله تعالى . وهو الإمام(٢٠٣) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عثمان المقدسي ثم الدمشقي الفقيه الشافعي المقرىء النحوي المحدّث . عرف بأبي شامة ، لأنه كانت له شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر . توفي(٢٠٤) سنة خمس وستين وست مئة .

وفي هذه المقبرة قبر أبي الدحداح(٢٠٥) الصحابي(٢٠٦) ، ولكنه غير معروف على التعيين . وإليه تنسب المقبرة .

ويقال إن هناك قبر عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق(٢٠٧) رضي الله(٢٠٨) عنهما . وقد عمرت عليه عمارة ، مشهور(٢٠٩) ذلك عند أهل دمشق الشام(٢١٠) .

---

(٢٠١) في ق ، ن ، ح : (تعالى) .

(٢٠٢) تسمى في كتب الزيارات أيضاً : مقبرة باب الفراديس . انظر نزهة الأنام ٣٧/١ ، وزيارات العدوي ١٩ .

(٢٠٣) هو صاحب كتاب الروضتين وذيله . ولد سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م . وتوفي سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م . وانظر في ترجمته : ذيل الروضتين ٣٧ ، والعبر ٢٨٠/٥ ، وفوات الوفيات ٢٦٩/٢ ، والبداية والنهاية ٢٥٠/١٣ ، وغاية النهاية ٣٦٥/١ ، وبغية الوعاة ٧٧/٢ ، والأعلام ٧٠/٤ .

(٢٠٤) في ن ، ح : (توفي في) .

(٢٠٥) هو ثابت بن الدحداح — ويقال ابن الدحداحة — بن نعيم بن غنم بن إياس ، يكنى أبا الدحداح . قيل إنه قتل يوم أحد ، وقيل برأ من جراحاته تلك . ومات على فراشه سنة ٦ هـ/ (وانظر ترجمته في الاستيعاب ٢٠٣/١ و١٦٤٥/٤) وقد أجمعت كتب الزيارات على أن المدفون في دمشق هو الصحابي (انظرنزهة الأنام ٣٧٨ وزيارات ابن الحوراني ١٩ ، وزيارات العدوي ١٩) . ويحتمل أن يكون المدفون في تربة الدحداح المحدث المتأخر أحمد بن محمد بن إسماعيل التيمي الدمشقي المكنى أبا الدحداح والمتوفى في سنة ٣٧٢هـ/٩٤٠م (وانظر في ترجمته الأعلام ٢٠٢/١) .

(٢٠٦) في ح : (رضي الله عنه) .

(٢٠٧) انظر في ترجمته : الاستيعاب ٨٢٤/٢ ، والإصابة ٤٠٧/٢ ، والأعلام ٨٣/٣ .

(٢٠٨) في ن ، ق ، ح : (تعالى) .

(٢٠٩) في ح : (مشهورة) .

(٢١٠) يفصل الآن بين مقبرة عبد الرحمن ومقبرة الدحداح شارع بغداد ، وقد أُقيم بجانب مقام عبد الرحمن مسجد كبير سمي باسمه .

والصحيح ما ذكره الترمذي في سنة[211] في أبواب الجنائز حيث قال :

حدثنا الحسين بن حريث[212] ، حدثنا عيسى بن يونس[213] ، عن ابن جريج[214] ، عن عبد الله بن أبي مليكة[215] قال :

توفي عبد الرحمن بن أبي بكر[216] بالحُبْشي . قال : فحُمل إلى مكة ، فدفن ، فلما قدمت عائشة رضي الله عنها أتت قبر عبد الرحمن بن أبي بكر فقالت[217] : [من الطويل]

وكُنّا كنَدْمانَيْ جَذيمةَ حقبةً ... من الدهرِ حتّى قِيل لن يَتصَدَّعا

وعِشْنا بخيرٍ في الحياة وقَبْلَنا ... أصابَ المنايا رهطَ كسرى وتُبّعا

فلمّا تَفرَّقْنا كأنّي ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

ثم قالت : والله لو حَضَرْتُكَ ما دفنتُكَ إلا حيثُ مُتَّ ، ولو شهدتُكَ ما زرتُك[218] .

والحُبْشِي — بضم الحاء المهملة ، وسكون الباء الموحّدة ، وكسر الشين المعجمة والتشديد — : موضع قريب من مكة . وقال الجوهري : هو جبل بأسفل مكة . كذا في نهاية ابن الأثير[219] .

(216) في ن ، ح (رضي الله — زادت ح : تعالى — عنهما) .

(217) الأبيات الثلاثة وحدها في شرح شواهد المغني ٥٦٥/٢ ، وهي ضمن قصيدة مؤلفة من ١٦ بيتاً في المصدر ذاته ٥٦٦/٢ ، والبيتان الأول والثالث في الأغاني ٢٩٧/١٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، والاستيعاب ٨٢٦/٢ ، ومعجم الشعراء ٤٣٢ — ٤٣٣ .

(218) انظر سنن الترمذي ١١/٤ أبواب الجنائز .

(219) انظر النهاية ٢٢٨/١ .

(211) في ح : (نسخة) .

(212) هو الحسين بن حريث أبو عمار الخزاعي المروزي ، محدث ثقة . توفي سنة ٢٤٤ هـ . انظر الكاشف للذهبي ٢٢٩/١ ، وتهذيب التهذيب ٣٣٣/٢ .

(213) هو عيسى بن يونس بن عمرو السبيعي الهمداني أبو عمرو . محدث ثقة كثير الغزو للروم . ولد بالكوفة . وسكن الحدث قرب بيروت مرابطاً . وفيها مات سنة ١٨٧هـ/٨٠٣م . وانظر تاريخ بغداد ١٥٢/١١ ، واللباب ٥٣٠/١ ، وتهذيب التهذيب ٢٣٧/٨ ، والأعلام ٢٩٨/٥ .

(214) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد وأبو خالد ، فقيه الحرم المكي وإمام أهل الحجاز في عصره . وهو أول من صنّف التصانيف في مكة . ولد سنة ٨٠ هـ/٦٩٩م . وتوفي سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م . وانظر : طبقات الشيرازي ٧١ ، وتاريخ بغداد ٤٠٠/١٠ ، ووفيات الأعيان ١٦٣/٣ ، والعبر ٢١٣/١ ، وميزان الاعتدال ٦٥٩/٢ ، وغاية النهاية ٤٦٩/١ ، وتهذيب التهذيب ٤٠٢/٦ ، والأعلام ٣٠٥/٤ .

(215) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكي . قاض محدث ثقة . توفي سنة ١٧ هـ/ ٧٣٥م . وانظر : المعارف ٢٠٩ ، وطبقات الشيرازي ٦٩ ، والعبر ١٤٥/١ ، وتهذيب التهذيب ٣٠٦/٥ ، والأعلام ٢٣٦/٤ .

وقال في البحر الرائق في شرح كنز الدقائق ، في آخر الجنائز ما نصّه : قال في الواقعات والتجنيس :

القتيل أو الميّت يستحبُّ لهما أن يُدفنا في المكان الذي قتل أو مات في[٢٢٠] مقابر أولئك القوم . لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . وكان مات بالشام ، وحمل من هناك ، فقالت : لو كان الأمر فيك بيدي ما نقلتك ولدفنتك حيث مت ، لكن مع هذا إذا نقل ميلاً أو ميلين أو نحو ذلك [١٣/أ] فلابأس ، وإن نقل من بلد إلى بلد فلا إثم فيه . لأنه روي أن يعقوب صلوات الله عليه مات بمصر ، فحمل إلى أرض الشام ، وموسى عيه السلام حمل تابوت يوسف بعدما أتى عليه زمان إلى أرض الشام من مصر لتكون عظامه مع عظام آبائه ، وسعد بن أبي وقاص مات في ضيعة على أربعة فراسخ من المدينة فحمل على أعناق الرجال إلى المدينة . انتهى .

وقال الصاغاني في در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة ، في وفاة عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما :

توفي فجأة بالحُبْشي ، وهو جبل بينه وبين مكة ستة أميال ، فحمل على رقاب[٢٢١] الرجال إلى مكة .

وقال البكري في معجم ما استعجم[٢٢٢] :

وأهل الحديث يقولون حُبشي[٢٢٣] ، بضمّ أوله[٢٢٣] ، منسوب على مثال فُعْلي : موضع على نحو عشرة أميال من مكة به مات عبد الرحمن بن أبي بكر[٢٢٤] فجأة . وصحته والله أعلم : حَبيش[٢٢٥] .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه الإصابة[٢٢٦] في أخبار الصحابة في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر[٢٢٤] :

وكان موته فجأة من نومة نامها بمكان على بعد عشرة أميال من مكة ، فحمل إلى

---

(٢٢٠) ليست اللفظة في ن .

(٢٢١) في ن ، ح : (أعناق) .

(٢٢٢) انظر معجم ما استعجم ٤٢٢/٢ .

(٢٢٣ — ٢٢٣) ليس ما بين الرقمين في ح .

(٢٢٤) في ن ، ح ، ق : (الصديق) .

مكة ، فدفن بها . ولما بلغ عائشة خبره خرجت حاجّة فوقفت على قبره فبكت وأنشدت أبيات متمم بن نويرة[٢٢٧] في أخيه مالك[٢٢٨] ، ثم قالت : لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولما بكيتك .

قال في ترجمة متمم بن نويرة :

وهو صاحب الأبيات التي ذكرناها عن الترمذي . قال : وتمثلت بها عائشة رضي الله[٢٢٩] عنها لما وقفت على قبر أخيها عبد الرحمن . انتهى .

قلت :

ولعل هذا المدفون بدمشق الشام هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر[٢٢٤] ، لا عبد الرحمن بن أبي بكر .

وقد[٢٣٠] أخبرني بعض الأصحاب أنه وجد مكتوباً على قبره :

عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر .

وقول صاحب البحر الذي تقدم قريباً بأنّ عبد الرحمن بن أبي بكر مات بالشام اشتباه من الراوي ، فإن الذي مات بالشام عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر لا عبد الرحمن ابن أبي بكر ، لأنّ نصوص المؤرخين كلها واردة في أن عبد الرحمن بن أبي بكر مات بالحبشي ونقل إلى مكة .

فوقفنا هناك ، وقرأنا الفاتحة [١٣/ب] ، ودعونا الله تعالى .

---

(٢٢٥) في ح : (حبشي) ، وفي ت : (حبيشي) ، وما هنا عن معجم ما استعجم .

(٢٢٦) الإصابة — السعادة — ٣٦٠/٣ .

(٢٢٧) هو الشاعر الصحابي اليربوعي التميمي أبو نهشل . توفي نحو سنة ٣٠هـ/٦٥٠م ، واشتهر بقصيدته التي رثى بها أخاه مالكاً . وانظر الأغاني — دار الكتب — ٢٩٨/١٥ ، ومعجم المرزباني ٤٣٢ ، وشرح شواهد المغني — دمشق — ٥٦٥/٢ ، وخزانة البغدادي — هارون — ٢٤/٢ ، والأعلام ١٥٤/٦ .

(٢٢٨) هو مالك بن نويرة بن حجرة بن شداد اليربوعي التميمي ، أبو حنظلة . فارس شاعر . أدرك الإسلام فأسلم ثم ارتدّ فقتله ضرار بن الأزور بأمر من خالد بن الوليد سنة ١٢هـ/٦٣٤م . وانظر الأغاني — دار الكتب — ٢٩٨/١٥ ، ومعجم المرزباني ٢٥٩ ، والاستيعاب ١٣٦٢/٣ ، وفوات الوفيات — عباس — ٢٣٣/٣ ، وشرح شواهد المغني — دمشق — ٥٦٥/٢ ، وخزانة البغدادي — هارون — ٢٤/٢ ، والأعلام ١٤٥/٦ .

(٢٢٩) في ح ، ن ، ق : (تعالى) .

(٢٣٠) في ح : (قال) .

الصالحية جامع ابن العربي

ثم سرنا إلى[٢٣١] صالحية دمشق الشام[٢٣١] .

ودخلنا إلى جامع[٢٣٢] السلطان الملك المنصور المؤيَّد سليم خان عليه الرحمة والغفران[٢٣٣] ، فصلينا ركعتين تحية المسجد . ونزلنا إلى حضرة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الشيخ محيي الدين بن العربي[٢٣٤] قدس الله تعالى سره . وأعلى في درجات المقرّبين مقرّه .

له قبران

وله قبران ، قبر مسامت لأرض الجامع المذكور ، يدخل إليه باب في داخل الجامع معقود عليه القبة الشريفة ، وعليه هيبة وجلالة منيفة ، وقليل من الناس يعرفه ويزوره منه . وكان الناس قديماً يزورونه منه ، ثم رأوا في ذلك حرجاً من غلق الأبواب التي في داخل الجامع ، فعدلوا عنه إلى القبر الثاني الذي هو الآن مشهور به على مسامتة ذلك القبر الذي في ذلك المكان العالي .

ولنا في كيفية هذين القبرين وحكمة وضعهما رسالة مستقلّة سميناها (السرّ المختبي في ضريح ابن العربي) .

والقبر الثاني[٢٣٥] يُنْزَل إليه بدرج من خارج الجامع المذكور ، وعليه قبر معقود بالأحجار يسامت أرض الجامع .

قبر ولده سعد الدين

وإلى جانبه قبر ولده الشيخ سعد الدين[٢٣٦] صاحب ديوان[٢٣٧] الغزل المشهور .

(٢٣١ — ٢٣١) مكان ما بين الرقمين في ح (إلى الصالحية) .

(٢٣٢) في ن : (الشام في جامع) .

(٢٣٣) في ح : (والرضوان) .

(٢٣٤) انظر في ترجمة ابن العربي : ذيل الروضتين ١٧٠ ، والعبر للذهبي ١٩٨/٥ ، والوافي بالوفيات ١٧٣/٤ ، وفوات الوفيات ٤٣٥/٣ ، ومرآة الجنان ١٠٠/٤ ، والبداية والنهاية ١٥٦/٣ ، والنجوم الزاهرة ٣٣٩/٦ ، والشذرات ١٩٠/٥ ، وجامع كرامات الأولياء ١١٨/١ ، والأعلام ١٧٠/٧ .

(٢٣٥) لفظتا (والقبر الثاني) مستدركتان في هامش ق .

(٢٣٦) هو محمد بن محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي سعد الدين بن الشيخ محيي الدين بن العربي . ولد سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م . وتوفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ودفن بجانب أبيه . وله ديوان وكتاب في الأدب . وانظر الوافي ١٨٦/١ ، وفوات الوفيات ٢٦٧/٣ والشذرات ٢٨٣/٥ ، والأعلام ٢٥٧/٧ .

القبر الثالث

والقبر الثالث قبر الشيخ العراقي من تلاميذ الشيخ الأكبر(٢٣٨) رضي الله(٢٣٩) عنه .

قبور بني الزكي

وبقية القبور التي هناك قبور بني(٢٣٨) الزكي ، قبر القاضي(٢٣٨) محيي الدين بن الزكي(٢٤٠) ، وإخوته(٢٤١) وأقاربه . وكان الشيخ الأكبر رضي الله(٢٣٩) عنه لما دخل إلى دمشق نزل في دار ابن الزكي ، فتقيّد أولاده في أُموره إلى أن مات عندهم ودفنوه في تربته المذكورة .

مولده

كان مولد الشيخ الأكبر رضي الله(٢٣٩) عنه بمرسية من بلاد الأندلس في زمن السلطان محمد بن سعد بن مردنيش الأندلسي(٢٤١) في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ستين وخمس مئة . وتوفي ليلة الجمعة من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وست مئة(٢٤٢) . فكانت مدة عمره ثماني وسبعين سنة(٢٤٢) .

مؤلفاته في ابن العربي

ولنا في شأنه رضي الله(٢٣٩) عنه كتاب سميناه (الرد المتين [١٤/أ] على منتقص

---

(٣٣٧) من هذا الديوان نسخة مخطوطة في الظاهرية في ٦٢ ورقة رقمها ٣٣٦٢ .

(٣٣٨) ليست اللفظة في ت .

(٣٣٩) في ن ، ح ، ق : (تعالى) .

(٢٤٠) هو محمد بن علي بن محمد بن يحيى المعروف بابن زكي الدين الدمشقي الفقيه الشافعي ولد سنة ٥٥٠ هـ/١١٥٥م وتولى القضاء بدمشق سنة ٥٨٨ وتوفي سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م . وانظر ذيل الروضتين ٣١ ، ووفيات الأعيان ٢٢٩/٤ ، والعبر ٢٠٥/٤ ، والوافي ١٦٩/٤ ، والبداية والنهاية ٣٤٦/١٢ ، وقضاة دمشق ٥٢ ، والشذرات ٣٣٧/٤ ، والأعلام ١٦٨/٧ .

(٢٤١) في ن ، ح : (وأخواته) .

(٢٤١) في الأصول : (محمد بن سعيد) ، تصحيف . وهو محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مَرْدَنيش الجذامي ، أبو عبد الله ، ثائر ، ملك شرق الأندلس ، وطمع بضم الباقي فاستعان بالاسبان فقاتله الموحدون إلى أن مات سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م دون أن يحقق مبتغاه . وانظر الوافي ٨٩/٣ ، والإحاطة ٨٥/٢ ، وتاريخ المن بالامامة ١٠٩ ، والأعلام ٧/٧ .

(٢٤٢ — ٢٤٢) ليس ما بين الرقمين في ن ولا في ح .

العارف محيي الدين)[٢٤٣] ، وكتاب آخر في شأن قبره رضي الله[٢٣٩] عنه سميناه (السر المختبي في ضريح ابن العربي) كما ذكرنا قريباً . وشرحنا كتابه (فصوص الحكم) في مجلدين سميناه (جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص)[٢٤٣] اعتمدنا فيه على الفتح الرباني والفيض الرحماني من غير مراجعة كتاب .

ولنا في مدحه القصائد العديدة ، والأبيات الفريدة .

قصيدة للنابلسي في مدح ابن عربي

فمن ذلك القصيدة التي امتدحناه بها في يوم الجمعة الخامس عشر من المحرم سنة إحدى وتسعين بعد الألف . وهي قولنا[٢٤٤] : [من الطويل]

خذا حيثُ هَبَّتْ نَسْمَةُ البانِ والرندِ ... وعوجا على تلك المعالمِ من نجدِ

وبُثّا غراماً يا خليليَّ كُلَّما ... طَغَتْهُ دموعُ العينِ يزداد في الوقدِ

عَسى رَبَّةُ الخيلان تخلف منَّةً ... عَلَيَّ وتُوفي في الوعيدِ وفي الوعدِ

وإن جئتما بالصالحية منزلاً ... فقوما وقولا فيه بالشكر والحمدِ

وزوروا ضريحاً مَنْ أتاه فإنّه ... ببهجةِ محيي الدين في جنة الخلدِ

فتى بين أهلِ اللهِ كانَ مُقَدَّماً ... له في المعالي رتبةُ العَلَمِ الفردِ

هو العارف الطائيّ من نسل حاتمٍ ... كريمُ السجايا جودُه جلَّ عن عَدِّ

حوى شرف التقوى وحاز سنا الهدى ... ونال رضى المولى وحلّ ذرى السعد

تجرّدَ بالعرفان عن قشرة السوى ... لقسم العدا كالسيف جُرّد عن غمد

فأصبح بحراً في الحقائق زاخراً ... يموج فيلقى الدُرَّ بالجزر[٢٤٥] والمدِّ

وفي كل علم كاملٌ متحقّقٌ ... سواه لديه لا يعيدُ ولا يبدي

خصوصاً علوم القوم فهو إمامُها ... وليس له في[٢٤٦] نفحها الند من ندّ

تصانيفه فيها الهدى لمن اهتدى ... ومن زاغ كانت في بصيرته تردي

فكم جاء فيها للورى بعقيدة ... لدى غير أهل الجهل واسطة العِقدِ

---

(٢٤٣) منه في الظاهرية نسخة في ٦٧ ورقة رقمها ٩٨٧٣ وفيها أيضاً كتاب آخر في الرد على من تكلم في ابن عربي رقمه ١٤١٨ في ٤٧ ورقة .

(٢٤٣) طبع الكتاب في مجلدين بمطبعة الزمان والشرفية سنة ١٣٠٤هـ — ١٣٢٣هـ . ومنه نسخة مخطوطة في الظاهرية رقمها ٩٠٢٩ وورقاتها ٣٠٦ ورقة .

(٢٤٤) القصيدة في الورد الأنسي ١٩٨ ب و١٩٧أ .

(٢٤٥) في الأصول : (بالزجر) وهو تصحيف .

(٢٤٦) في ن : (من) .

ولا يفهــمُ التوحيــدَ إلا مُوَحِّــدٌ بريءٌ من الشرك الخفي سالم العَقد
ومــن أيــن للعميــانِ رؤيــةُ نــورِه وما حظهم منه[٢٤٧] سوى البعد والطرد
بقطـرةِ علـم عندهــم وهــو بحرُهــا أعابوا عليه[٢٤٨] حين غابوا عن القصد
وقد أكثروا في القول إذ فقدو الحيا مـن الله فليبكــوا على ذلك الفقــدِ
وفي كُلّ عصرٍ علـمُ ختـمِ ولايـةٍ عن الأوليا يخْفَى فكيف أولو الجحدِ
هنيئــاً لأهــل الاعتقــاد فإنّهــم بــه في ريــاض الْعِــز يمشون والمجدِ
يطــافُ عـليهم مــن سنــا كلماتــه بكأسٍ رحيقٍ فيه سكـرٌ بلا حـدٌ
فــإن فهمــوا هامــوا وإلا تمتّعــوا بألفــاظ معشوقٍ ألــذّ مــن الشهــدِ
ويــا قبــحَ حــال المنكريــن بخبثهــم وهـل تقـدر الجعلان تعبث بالـوردِ
ولايعرفُ الفتيانَ غيرُ الفتى ولا[٢٤٩] يبينُ ضيـاءُ الشمس لـلأعين الرمـدِ
ومـن عـجبٍ أنّ الكــلاب تنــابحتْ ومــا علــمت أن النبــاحَ على الأسدِ
ومـن يقـرب السمَّ الزعــافَ حياتــه نـزاع فـلا يغتــرّ فيها أولــو الـرشدِ
سقـى الله مــن قــاسون قبراً كأنّــه من القرب شمسٌ أشرقت ومن البعـد
يضم همامــاً لم تـــزل بركاتُــــهُ على الشام في دفـع البليّــة والجهـد
وبلّغــه عنــيّ يــا[٢٥٠] إلهي تحيــةً مباركــةً تأتيــه خــالصةَ الـــودِ
وإنّي آبـنُ إسماعيـل عبد الغني مَنْ بنابــــــلُسيٍّ الأصل مشتهرُ الجدِّ
ولا زالَ رضوانٌ مـــن الله دائمــاً على هيكـل الأنـوار في ذلك اللحـدِ
مدى الدهر مـا نـاح الحمام مغرداً فهَيَّجَ من أهـل الهوى لوعةَ الوجـد
ومـا نسمـاتُ الحيّ هبَّتْ فأذكـرت لذيذَ خطابِ الحبِّ في سالف العهد

ثم إنه اتّفَقَ أنّ[٢٥١] بعضَ أصحابنا في ثاني ليلةٍ ورأى حضرة الشيخ الأكبر قدس اللهُ سرّه الأنور[٢٥٢] في المنام ينشدني من فمه هذين البيتين ، فحفظهما ثم لما أصبح كتبهما إليّ ، وهما قوله : [من الطويل]

(٢٤٧) في ن ، ح : (وما حظه منهم) .
(٢٤٨) في ح : (عليها) .
(٢٤٩) في ن ، ح : (وهل) .
(٢٥٠) ليست (يا) في ت .
(٢٥١) ليست (أن) في ح .
(٢٥٢) ليست اللفظة في ت .

أيا ربَّةَ[٢٥٣] الألحان ديري كؤوسنا   على مَنْ له في الحبِّ أوفر منصبِ
وحَيِّ أناساً قد شغفنا بحبّهم   لهم منحةٌ منّا وودٌ مقرّبِ

فوقفنا عند قبره الشريف وقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسَّر لنا من الدعاء .

ثم توجّهنا إلى زيارة الوليّ الكامل الصالح الشيخ يوسف القَميني وخادمه الشيخ محمود القَميني ، بفتح القاف وكسر الميم ، مخففة ، والناس يشدّدونها ، نسبة إلى قمين الحمّام .

قال في القاموس[٢٥٤] : القَمين — كأمين — : أتُّونُ الحمّام . انتهى .

وكان القميني رجلاً من المجاذيب المولهين في الله تعالى ، يأوي إلى قمين حمّام نور الدين الشهيد بدمشق الشام في سوق البزورية[٢٥٥] ، وكان سابقاً يسمى بسوق القمح[٢٥٦] .

وقال ابن شهبة في تاريخ الإسلام : كان يأوي إلى[٢٥٧] القمامين والمزابل ، وغالب إقامته باقمين[٢٥٨] حمام نور الدين بسوق[٢٥٩] القمح[٢٥٦] . وكان يلبس ثياباً طوالاً تكنس [١٥/أ] الأرض ، ولا يلتفت إلى أحد . والناس يعتقدون فيه الصلاح ، ويحكون عنه عجائب وغرائب . ودفن بتربة[٢٦٠] المولهين بسفح قاسيون ، ولم يتخلّف عن جنازته إلا القليل . توفي سنة سبع وخمسين وست مئة .

وأما الشيخ محمود[٢٦١] فإنه كان من المولّهين في الله تعالى أيضاً ، وكان يخدم مزار[٢٦٢] الشيخ يوسف المذكور . وكان ساكناً فيه بأهله وعياله . وكان يعتقد الناس فيه الصلاح والخير . وله وقائع كثيرة ، وكرامات شهيرة .

---

(٢٥٣) في هامش مت السماع التالي : (بلغ ولله الحمد مقابلة) .
(٢٥٤) القاموس المحيط (قمن) .
(٢٥٥) في ق : (بسوق البزورية) . قلت : ولا يزال حمام نور الدين الشهيد إلى يومنا الحاضر في سوق البزورية بدمشق .
(٢٥٦ — ٢٥٦) ليس ما بين الرقمين في ن .
(٢٥٧) ليست (إلى) في الأصول واستدركتها للسياق .
(٢٥٨) في ح ، ن : (بقمين) .
(٢٥٩) في ح (بسوق) .
(٢٦٠) في ن : (في تربة) .
(٢٦١) في ق : (رحمه الله تعالى) .
(٢٦٢) في ق : (مقام أم مزار) .

ولنا فيهما رسالة مستقلة سميناها (الحوض المورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود)[٢٦٣] .

وقد مات الشيخ محمود سنة خمسين وألف من الهجرة النبوية ، وهي سنة مولدنا ؛ فإنّ مولدنا كان في اليوم الثاني من وفاته ؛ وقد أوصى والدتنا قبل أن يموت بأنها تأتي بنا إلى قبره ؛ وأن تحنكنا بتراب قبره قبل أن يبنى ، ففعلت ذلك والحمد لله تعالى . وللوالدة رحمها الله تعالى معه وقائع وكرامات[٢٦٤] كثيرة[٢٦٥] ، ذكرنا بعضها[٢٦٥] في رسالتنا (الحوض المورود) المذكورة .

وقد جدّد عمارته بأوسع مما كان سابقاً فخر الأماجد والأعيان ؛ خلاصة أهل المكارم من أبناء الزمان ، صديقنا إبراهيم آغا ساعده الرحمن[٢٦٦] ، في كل حال وحقق له المقصود والآمال ، في سنة ألف ومئة ؛ فلما تمّت العمارة امتدحنا حضرة الشيخين الجليلين وذكر تاريخ العمارة في هذه القصيدة الفريدة ، وهي قولنا : [من البسيط]

هـذا مقـامٌ بـه الـرحمن معبـودُ[٢٦٧] ... والخير دانٍ لـه والشرُّ مبعـودُ
وفيـه نـور قبـور الصالحين لها ... بالصّالحيّـة حـوض وهـو مـورودُ
وفيـه شمسٌ وبـدرٌ يشرقـان بـه ... الشيـخ يـوسف ثم الشيـخ محمـودُ
فـالشمس شمس علـوم المتـقين بها ... ظـلّ المريديـن في الآفـاق ممدود
ذاك القمينـي بحرٌ بالعـلا قمـنٌ ... عنه الندى فاضَ والإكرام والجود
محقّـقٌ عـارفٌ بـالله ذو أدبٍ ... ومـن أجـلّ رجـال اللـهِ معـدود
والبـدر سيّدنـا محمـود مَـنْ بَهَـرتْ ... أوصافُه فهـو بالحاجـات مـقصود
لـه الكرامـات في حـال الحياة ومـن ... بعـد الممـات لمـاذا الأمـر مجحـودُ
مـن جـانب اللـه أبوابٌ لـه فُتحت ... وعنـه بـاب السوى والـغير مسدود
وصاحب الصدق في الأحـوال ذو همم ... ينحـلّ أمـرٌ بها للنـاس مشدود

(٢٦٣) من هذه الرسالة في الظاهرية نسختان مخطوطتان إحداهما بخط المؤلف ورقمها (٤٠٠٨) ، والثانية كتبت سنة ١٢٠٥ هـ ورقمها (٣٦٧١) .

(٢٦٤) ليست اللفظة في ق .

(٢٦٥)ـ ٢٦٥) ما بين الرقمين مستدرك في هامش مط .

(٢٦٦) في ق ، ح : (الله الرحمن) .

(٢٦٧) في ن ، ح : (معهود) .

(٢٦٨) في ن : (الأهوال) .

عليهما رحمةٌ من فضل ربهما — سحائبها الجون مبروقٌ ومرعود
ومن يسخّره الباري لخدمة ذي — سعادة فهو بالتوفيق مسعود
عمارة هي في دنيا معمّرها — ودينه وعليها الأجر موعودُ
وتلك بشرى له فيما يؤمّله — عليه منها لواء العزّ معقود
والله(٢٦٩) فضل وإكرام نؤرخه — والله بيت بابراهيم مشهود(٢٧٠)
نسل الكرام الذي ما مثله أحد — في عصره كل رأي(٢٧١) منه(٢٧٢) محمود
وفي المكارم والإحسان طلق يد — كالبحر ما عنه من يرجوه مطرود
كأنه جبل في الحلم منجبل(٢٧٣) — على الكمال وفيه الخير موجود
وكيف وهو سليل الصالحين على — مهد التقى والهدى(٢٧٤) والدين مولود
كم انجلت كربٌ(٢٧٥) للملتجين له — وكم أنارت لو ميلاد من به(٢٧٦) سود
من عسكر لدمشق الشام منتصر — بالله فهو معان منه منجود
أنعِمْ به عسكراً كالأسد في أجمٍ — لان الحديدُ لهم والحتُّ جلمودُ
لا زال بينهم كالبدر يشرق ما — بين النجوم إليه الأمرُ مردود
أمدّهُ اللهُ في سرّ وفي علن — وحظّهُ الروضُ منه أورق العود
ما أسفر الليلُ عن ضوء الصباح وما — سرى نسيمٌ بطيبِ النّشرِ معهودُ

فوقفنا عند قبرهما، وقرأنا لهما الفاتحة، ودعونا الله تعالى. ثم ودّعنا بعض الجماعة هناك

برزة وأبو برزة

وسرنا إلى أن وصلنا إلى قرية برزة المباركة، فدخلنا إلى ذلك الجامع الذي بها، وزرنا فيه ذلك القبر المشهور بقبر أبي برزة، وليس هو أبو برزة الأسلمي الصحابي(٢٧٧) الذي اسمه نضلة ابن عبيد.

(٢٦٩) في ح: (لله).
(٢٧٠) وضع ناسخ ق فوق العجز (خطأ). وحساب الشطر بالجُمّل على النحو التالي: (والله بيت بإبراهيم مشهود) ٧٢ + ٤١٢ + ٢٦١ + ٣٥٥ = ١١٠٠ هـ.
(٢٧١) في ح: (راءٍ).
(٢٧٢) في ق: (فيه).
(٢٧٣) في ن، ح: (منجمل).
(٢٧٤) لفظة (الهدى) مستدركة في هامش ت، ولذلك جاءت الرواية في ق، ن: (الهدى والتقى).
(٢٧٥) ليست اللفظة في ق. وفي ح: (كربا).
(٢٧٦) في ح: بها.
(٢٧٧) في ق، ح: (رحمه الله تعالى).

قال النووي[٢٧٨] في تهذيب الأسماء واللغات[٢٧٩] : أبو برزة الصحابي هو بفتح الباء الموحدة[٢٨٠] ، وإسكان الراء ، بعدها زاي ، وهي كنية مفردة لا يعرف في الصحابة[٢٨١] أحدٌ يكنى أبا برزة غيره . وفي الرواة[٢٨٢] مَنْ كنيته أبو برزة غيره ، وهو أبو برزة الفضل بن محمد الحاسب .

وقال والدنا المرحوم الإمام[٢٨٣] العلامة الشيخ إسماعيل ابن النابلسي رحمه الله تعالى في كتابه[٢٨٤] (الإحكام شرح درر الحكام ، في أواخر باب[٢٨٠] مفسدات الصلاة) ، بعد ذكر أبي برزة في حديث أورده :

أبو برزة هو نضلة بن عبيد ، أسلم قديماً وشهد [١٦/أ] فتح مكة ، ثم تحوّل إلى البصرة وولده بها ، ثم غزا خراسان . ومات بها في أيام يزيد بن معاوية ، أو في آخر[٢٨٥] خلافة معاوية[٢٨٦] ، كذا ذكره الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب[٢٨٧] . وذكر ابن حجر عن ابن سعد[٢٨٨] أنه كان من ساكني المدينة ثم البصرة ، وغزا خراسان[٢٨٩] . وذكر الخطيب أنه شهد مع علي رضي الله عنه[٢٩٠] قتال الخوارج بالنهروان . وغزا بعد ذلك خراسان ، فمات بها . وقال أبو علي محمد بن علي بن حمزة المروزي : قيل إنه مات بنيسابور ، وقيل بالبصرة ، وقيل بمفازة بين سجستان وهراة . وقال خليفة[٢٩١] : مات بخراسان بعد سنة وأربع وستين .

فالحاصل من هذه النقول أنّ ما اشتهر من كونه مدفوناً بقرية برزة بدمشق ليس بثابت ، ولعله كان رجلاً مكنّى بكنيته ، والله أعلم . انتهى كلام الوالد رحمه الله تعالى .

---

(٢٧٨) في ح ، ن ، ق : (رضي الله تعالى عنه) .
(٢٧٩) انظر تهذيب الأسماء واللغات ١٧٩/١ .
(٢٨٠) ليست اللفظة في ق .
(٢٨١) في ق ، ح ، ن : (رضي الله عنهم) .
(٢٨٢) في ح : (الرواية) .
(٢٨٣) في ح ، ن : (العالم) .
(٢٨٤) في ن ، ح : (كتاب) .
(٢٨٥) في ق ، ح : (أواخر) .
(٢٨٦) في ق ، ح ، ن : (رضي الله عنه) .
(٢٨٧) انظر الاستيعاب ١٤٩٥/٤ .
(٢٨٨) انظر الطبقات الكبرى ٩/٧ ، ٣٦٦ .
(٢٨٩) انظر : الإصابة — السعادة — ٥٥٧/٣ .
(٢٩٠) قبلها في ق : (كرم الله وجه) .
(٢٩١) انظر طبقات خليفة ٢٤١/١ .

ولعله أبو برزة الفضل بن محمد الحاسب الذي ذكره النووي رحمه الله تعالى كما نقلناه[٢٩٢] عنه .

إبراهيم الخليل

ثم ذهبنا إلى القرية المذكورة إلى المكان المشهور بمقام الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصلّينا الضحى هناك . ودعونا الله تعالى بما تيسّر من الدعاء .

وهو غار في مسجد يُصعدُ إليه بدرجٍ من داخل المسجد الذي بني عليه هناك ، وهو بالقرب من بيوت القرية ، وفيه ماء يأتي إليه من نهر القرية المذكورة .

وقد ذكر ابن الحوراني في كتابه (الإشارات إلى أماكن الزيارات)[٢٩٣] أخباراً وآثاراً كثيرة تدلّ على فضل مقام إبراهيم الخليل الذي بقرية برزة حيث قال :

وعن أحمد بن سليمان ، سمعت شيوخنا الدمشقيين قديماً يذكرون أن الآثار التي بدمشق في برزة عن المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي في الجبل عند الشق أنه مكان إبراهيم وأن الآثار التي فوق الشق في الجبل هي موضع رأي إبراهيم الكوكب الذي ذكره الله تعالى في كتابه : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ﴾[٢٩٤] أنه كان[٢٩٥] في ذلك الموضع وهو معروف ، فمن قصده وصلّى فيه ودعا أجابه الله تعالى في دعائه [١٤/ب] فإن ذلك الجبل كان فيه لوط وجماعة من الأنبياء ، وآثارهم في مواضع في الجبل بالقرب من مسجد إبراهيم .

وأدركت الشيوخ يقصدونه ويقيمون فيه ، ويدعون الله تعالى . وهو نافع لقسوة القلب وكثرة الذنوب . وإن بعض الشيوخ جاء من مكة ، فصلّى في الموضع الذي فوق الشق ، الموضع الذي يقال إنه رأى إبراهيم الكوكب فيه . وذكر أنه رأى في نومه : إن أحببت أن ترى الموضع الذي رأى فيه إبراهيم[٢٩٦] الكوكب فاقصد دمشق[٢٩٧]، واقصد

---

(٢٩٢) في ن : (فصلناه عنه) .

(٢٩٣) كلام ابن الحوراني في الإشارات ١١٥ - ١٢٢ .

(٢٩٤) سورة الأنعام ٦/٧٦ .

(٢٩٥) ليست (كان) في ق .

(٢٩٦) في ح : (إبراهيم فيه) .

(٢٩٧) في ح (دمشق الشام) .

موضعاً يقال له برزة عند مسجد إبراهيم فوق الجبل فصلّ[298] فيه ركعتين ، ثم أدع[299] بما شئت تُجَبْ[300] ، فقصدت الموضع .

وقال أحمد بن صالح : أدركت الشيوخ بدمشق قديماً ، وهم يفضلون مسجد إبراهيم عليه السلام الذي ببرزة ويقصدونه ويصلّون فيه ويقرؤون ويدعون ويذكرون أن الدعاء فيه مستجاب ، وهو موضع شريف عظيم قديم ويذكرون عن شيوخهم . وممن أدركوا من أهل العلم أنهم يفضلونه ويقولون إنه مسجد إبراهيم عليه السلام ، وأن الشق الذي في الجبل خارج باب المسجد هو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم عليه السلام ، والدعاء فيه مجاب ، فمن قصد الله تعالى في ذلك الموضع ودعا فيه بنية خالصة رأى الإجابة .

وقال ابن عساكر : قال ابن عباس رضي الله عنهما :

مقام إبراهيم بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة ، في جبل يقال له قاسيون ، لما جاء مغيثاً للوط عليه السلام أقام فيه وصلّى .

وعن الأوزاعي أن الخليل في هذا المقام ، أي ببرزة ، واتخذه مسجداً .

وعن الزهري أن مسجد إبراهيم عليه السلام في قرية برزة ، مَنْ صلّى فيه أربعَ ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإن دعا استجيب له . وفي رواية : ويسأل الله تعالى ما يشاء فإنه لا يردّه خائباً .

قال البصروي في فضائل الشام :

قال شيخنا البرهان الناجي : إن القاضي أبا بكر بن العربي الشافعي ذكر في كتابه (أخبار الأوائل) أنه شاهد صحة ذلك،واستدلّ بما وقع للسبكي مع تنكز نائب الشام ، فإنه عزم [١٧/أ] على[301] على ضرب ولده القاضي حسين ، فتوجّه السبكي إلى المقام بقرية برزة فأقام به[302] ، يسأل الله تعالى أن يكفيه شرّه ، فما نزل حتى أخذ الله تعالى تنكز ، وأجاب دعاءه ، ومن المشهور أن الدعاء بالمقام مستجاب لا شك فيه . انتهى .

وقال الحافظ ابن سرور في المقدسي في فضائله :

---

(٢٩٨) في الأصول (تصلي) وما هنا عن ابن الحوراني .
(٢٩٩) في ح (ثم تدعو) .
(٣٠٠) في الأصول (تجاب) وما هنا عن ابن الحوراني .
(٣٠١) ليست اللفظة في ت .
(٣٠٢) ليست اللفظة في ق .

إن المواضع التي يجاب فيها الدعاء في دمشق كثيرة . وذكر منها مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي ببرزة[٣٠٣] . انتهى كلام ابن الحوراني ، رحمه الله في كتابه المذكور .

أشعار في مقام الخلل

ولنا في ذلك المقام ، سابقاً من النظام ، قولنا : [من الخفيف]

يـــا مقـــامَ الخليـــلِ إبراهيمـــا ... زادك اللـهُ في الـورى تعظيمـــا
قـــدْ أتيـــنكَ بافتقـــارٍ وذلٍّ ... نـرتجي العفـوَ والجنـاب الكـريما
فـــعسى الله أن يمنَّ بـــفضلٍ ... وقبـــولٍ يعمّنـــا تعميمـــاً
ودواعـي السرور قـد شملتْنـا ... تمّـمتْ مـا نرومُـه تتميمـاً
في ريـاضٍ جئنـا إليها صباحـاً ... واتّخذنـا الهزار فيها[٣٠٤] نـديما
بين وردٍ ونـرجسٍ وأقـاحٍ ... عطّرتْ ذلك المكان[٣٠٥] شميمـا
وجـرى الماءُ في الجداول ينْسا ... بُ خلال الغصون يشبه أيْما[٣٠٦]
حضرةٌ[٣٠٧] تملأُ القلـوب سروراً ... كملتْ بهجـةً وطـابتْ نسيمـا
وفليـحٌ العيـون يخطـر فينـا ... إنْ رنـا فـاق باللواحـظ ريما
أهيـف القامـة أنثنـى كـقضيب ... في كثـيبٍ فزادنـا تهييمـا

ومما وجدناه في ديوان علاء الدين بن صدقة قوله : [من الوافر]

أتينـا بـرزةً فالـروض زاهٍ ... فطـاب العـيشُ فيها والمقـامُ
إذا كان الخليـل لـه مقـامٌ ... بهاهي المنـى وهـي المرامُ

وقوله أيضاً : [من الخفيف]

لا تَمِلْ عـن ريـاض بـرزةَ يومـاً ... فهواهـا شفـاءُ كـلِّ عليـلِ
قلَّ صبْري عنها وكيف[٣٠٨] اصطباري ... عـن ريـاضٍ فيها مقـامُ الخليـلِ

---

(٣٠٣) انظر الإشارات إلى أماكن الزيارات ١٢٠ — ١٢٢ .
(٣٠٤) ن ، ح : (فيها الهزار) .
(٣٠٥) ن : (ذلك المقام) .
(٣٠٦) الأيم : الحيّة . (القاموس) .
(٣٠٧) ق : (خضرة) .
(٣٠٨) ح (فكيف) .

وقوله أيضاً : [من الخفيف]

يا عذولي دع عنك عذلي فإني لستُ أهوى سوى المقام الجليلِ
لا تلمني إذا خلعتُ عذاري وتهتكتُ في مقامِ الخليلِ

وقوله أيضاً : [من الخفيف]

قال سلطان حبّه لي بابٌ مَنْ يلازمه يأته التشريفُ
[١٧/ب] قلتُ يا من تخلّل الروح مني إنَّ هذا هو المقامُ الشريفُ

قرية معربا

ثم ركبنا مع بقية الإخوان والأصحاب ، وسرنا في ذلك الوادي الخصيب ، نسمع من تلك المياه أصوات الرباب ، حتى مررنا على قرية معربا ، والقرية التي بالقرب منها تسمى القصير ، وهي الآن خراب ، ويا طالما كان النسيم عن طيب[٣١٠] حدائقها معربا ، فتذكرنا فيها قول الشاب الظريف ابن العفيف التلمساني مما هو موجود في ديوانه اللطيف من بدائع المعاني ، وذلك قوله فيه[٣١١] : [من الكامل]

يا حبّذا نهرُ القصير ومعربا ونسيم هاتيك المعالم والربا
وسقى زماناً مرّ بي[٣١٢] في ظلّها ما كان أعذَبَهُ لديّ وأطيبا
أيام أولع بالخدودِ نقيّة والقدّ أهيف والمُقَبَّل أشنبا
وأزور حانات المدام ولا أرى غير الذي قضت الخلاعةُ مذهبا
مالي وما فاتت سنيّ أصابعي لم أقضِ باللذات أوطار الصِّبا
فلأهجرنَّ أخا الوقار وشأنه ولأركبنَّ من الغواية مركبا
ولأطلعنَّ شموسَ كلّ مسرّةٍ وأكون مشرقَ أفقها والمغربا
يا صاحبيَّ جُعلتما بعدي خذا قول امرىء عرفَ الأمورَ وجَرّبا
لم يخلق الرحمنُ شيئاً عابثاً فالخمرُ ما خلقت بأن تتجنّبا
وتغنّيا لا بالحطّيم وزمزمٍ بل بالحمى وبساكنيه وزينبا

---

(٣١٠) ليست اللفظة في ح .
(٣١١) الأبيات في ديوان الشاب الظريف ٤٨ — ٤٩ .
(٣١٢) ت : (مرّ لي) وتحتمل الوجهين في ن ، ق ، وما هنا عن ح .

وينبغي أن يُحمل كلامه في الخمرة هنا عند كل كامل :بيل نبيه على الكناية عن الخمرة الإلهية موافقة لمعاني كلام أبيه فإنّ أباه عفيف الدين التلمساني ، صاحب الديوان المشهور في حقائق المعاني ، كان فارس ميدان المعارف الإلهية ، وترجمان حضرات الحقائق الربانية ، عليهما الرحمة والرضوان من ربّ البريّة .

الشيخ قسيم

وقد مررنا في ذلك الوادي النضير خلال هاتيك الحدائق البهجة والماء الغزير حتى وصلنا إلى قرب المزار المشهور هناك بالشيخ (قُسَيْم) ، بصيغة التصغير ، وبالسين المهملة . وصوابه (قُثَم) ، بضم القاف ، وفتح الثاء المثلثة ، بعدها ميم ، ويقولون إنه قثم بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ؛ ابن عم رسول الله ﷺ. والصواب[٣١٣] ؟ ما ذكره ابن الأثير في كتابه أسد الغابة [١٨/أ] في معرفة الصحابة حيث قال :[٣١٤]

قثم بن العباس لما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة استعمله على مكة ، فلم يزل عليها حتى قتل علي [٣١٥]رضي الله عنه[٣١٥] .

وقال الزبير :[٣١٦] استعمله عليٌّ رضي الله عنه على المدينة ، ثم إن قثم سار أيام معاوية إلى سمرقند مع سعيد بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما فمات بها شهيداً . وكان يشبه النبي ﷺ . إلى آخر ترجمته التي ذكرها هناك .

ولعل المدفون هنا رجل آخر غيره من الأولياء ، وأخبرني رجلٌ أنه قثم بن عبد الله ابن العباس[٣١٧] ، لا قثم بن العباس . وأهل تلك القرى القريبة منه يذكرون له كرامات كثيرة ، وخوارق وعادات شهيرة .

فصعدنا إلى مزاره المبارك ، وعليه قبة قد بنيت ، وهناك مسجد لطيف ، وحوله بيوت لبعض الفلاحين الساكنين هناك . فقرأنا الفاتحة .ودعونا الله تعالى بما تيسرّ لنا من الدعاء .

---

(٣١٣) ق : (والصواب في ذلك) .

(٣١٤) انظر أسد الغابة ٣٩٢/٤ — طبعة كتاب الشعب .

(٣١٥ — ٣١٥) ليست ما بينهما في ن .

(٣١٦) انظر نسب قريش ٢٧ .

(٣١٧) في هامش ت : (قثم بن عبد الله بن عباس ، قتله بمكة بشر بن أرطاة لما بعثه معاوية إلى مكة ، وكان غلامه ، محمد شمعة) .

قرية منين

ثم ذهبنا على ذلك الطريق ، مستظلّين بظلّ كل دوحٍ وريق[٣١٨] ، حتى وصلنا إلى قرية منين ، ذات الرياض الفائقة والماء المعين . وبتنا فيها مع جماعة من الأصحاب ، الذين خرجوا لوداعنا[٣١٩] ، فلا كان وداع الأحباب ، وذلك في منزل صديقنا الشيخ الصالح ، والناجح الفالح ، الشيخ علي ابن الشيخ عمر بن أحمد بن صالح ؛ القاطن يومئذ بالقرية المذكورة . وكان أصل مولده ومنشأه في قرية من قرى طرابلس الشام ، يقال لتلك القرية (بِرْقايل) — بكسر الباء الموحدة ، وسكون الراء ، بعدها قاف مفتوحة[٣٢٠] ، ثم ألف[٣٢٠]، ثم ياء مثناة تحتيّة مكسورة، ثم لام بـ ولد بها سنة ثمانٍ وعشرين وألف . وله بهذه القرية أهلٌ وقرابة مشهورون بالصلاح والديانة ، وكان سنّه لما ارتحل من هذه القرية إحدى عشرة سنة . وسكن بالصالحية ، في دمشق المحميّة ، وقرأ شيئاً من الفقه والفرائض على مذهب الشافعية ، ثم ارتحل إلى قرية منين في سنة ألفٍ وستٍ وأربعين ، وهو يقيم بها إلى الآن ، وله أولاد كبار ، كلهم موفّقون ، إن شاء الله تعالى ، وله نسبة إلى الشيخ [١٨/ب] عدي بن مسافر ، كما أخبر بذلك .

وله الأشعار الكثيرة في المدائح والتغزلات والتواريخ . وله من جملة قصيدة : [من الطويل]

هو الرازق المنّانُ لا ربَّ غيرهُ ... على جودهِ كلُّ الأنامِ قد اشتملْ
فَفَوِّضْ إليه الأمرَ في كلِّ ساعةٍ ... فإنَّكَ منه تدركُ القصدَ والأملْ
وحافظْ على فرض الإله ونفلِهِ ... فما ناقصٌ إلا بذاك قد اكتملْ
وما هذه الدنيا بدارِ إقامةٍ ... تزوّدْ لتلك الدارِ من صالح العملْ

وقد امتدحَنا بقصيدةٍ نحو السبعين بيتاً منها : [من البسيط]

يا خَيْرَ حبرٍ حَوَى علماً ومنزلةً ... ومَنْ حماه غدا للملتجين حِمَا
يا مفردَ العصر كم جندلتَ من بطلٍ ... بمرهف العلم وَلّى منك منهزما
يا كعبة يستغيث الطائفون بها ... مَنْ لم يَلُذْ بحماكم فضلكم حُرما
بالفقهِ والنحو والنظم البديع نعم ... يا صاح حيّرتُمُ الساداتِ والحُكَما
لا شكَّ شمس الضحى في حيّكم بزَغَتْ ... والبدرُ لولا الحيا من أحمد انقسما

---

(٣١٨) ح : (وريف) .
(٣١٩) ح : (إلى وداعنا) .
(٣٢٠ — ٣٢٠) ليس ما بين الرقمين في ح .

من قاسَ بدر الدجا للنسر[٣٢١] أو زحل — أو قاس شمس الضحى للمشتري ظلما
يا خير من مسك القرطاسَ في يده — وفي صدور المعالي خَيَّرَ النُّدما
علمٌ لدنيٌّ من الرحمن أوْهَبَهُ — كأنّه الغيثُ والبحر الخضمُّ طما
بحران بحر علوم فاق سيل سبا — وبحر زهد من الرحمن حازهما
أنتم كواكب فضل يَهْتَدي بكم — إلى طريق النجا مَنْ بابكُمْ لزما

الشيخ جندل

ثم ذهبنا إلى زيارة الولي المشهور صاحب الكرامات الواضحة ، والأسرار اللائحة ، المسمّى بالشيخ جندل بن محمد . فقرأنا له الفاتحة . ودعونا الله تعالى .

قال ابن الحوراني في كتابه[٣٢٢] الزيارات[٣٢٣] نقلاً عن الشيخ تاج الدين الغزاري أنه قال :

(الشيخ جندل من أهل الطريق ، وعلماء التحقيق . ومن كلامه : ما تقرّب أحدٌ إلى الله عز وجل بمثل الذلّ والتضرّع ، توفي سنة خمس وسبعين وست مئة ، ودفن بزاويته المشهورة ، بالقرية المذكورة ، وعلى ضريحه من الجلالة والهيبة ما يقصر عنه الوصف) .

ولنا سابقاً هذه القصيدة في ذكر قرية منين والشيخ جندل والشيخ قثم[٣٢٤] ، وهي قولنا [من الخفيف]

قرية جئتها تسمّى منينا — لا ترى في كرامها منينا
عينها للأنام قرّة عين — تنضح العذب والزلال المعينا
[١٩/أ] وكأنّ الرياضَ جنّةُ عدنٍ — ومن الحور كل حوراء عينا
قد جلسنا منها خلال مروج — زَيَّنتها مياهُها تزيينا
وكفوف النسيم تنفح طيباً — كلّما صافحت لنا العرنينا
قد أجبنا بها دعاةَ سرورٍ — طالما أذّنوا بها تأذينا[٣٢٥]
قُمْ نديمي واتركْ وقارك[٣٢٦] فيها — واطرح القلب في ذراها رهينا

---

(٣٢١) ح : (بالنسير) .
(٣٢٢) ح : (كتاب) .
(٣٢٣) الإشارات في أماكن الزيارات ١٤٢ .
(٣٢٤) ت ، ق ، ن : (قثيم) .
(٣٢٥) البيت مستدرك في هامش مط .
(٣٢٦) ن : (وقاري) .

واغنم العيش في ظلال غصون تنظم الكل عقد در ثمينا
جبل العين طاب من جبل في عين رائيه زائد تحسينا
نحن بالقرب منه في محضر أنس قد قرأنا السنا كتاباً مبينا
وصحاب بهم سريت إليه[٣٢٧] كل شهم منهم تراه أمينا
هم كؤوس الوداد في يد حفظ للمواثيق داوموا الصدق دينا
وكؤوس الغنا باللطف دارت مسكراتٍ أسماعنا تلحينا
وعشايا طابت لنا وبكور في رباها وعن سواها غنينا
قرية حبّذا لطيف رباها قد أبانت وجه المحاسن فينا
ونعمنا بالشيخ جندل فيها وشهدنا كماله المستبينا
ورأينا ضريحه محض نورٍ وفهمنا هناك سرّاً دفينا
ودعونا الإله نرجوه لطفاً ثم زرنا لقبة الأربعينا
وقثيم الذي هناك بقبر حلَّ منه من زار حصناً حصينا
منزل[٣٢٨] يملأ القلوب سروراً ومن الشوق كم أثار كمينا
لم تزل رحمة الإله عليه وعلى من زرنا[٣٢٩] من المسلمينا
وعلى من حوت هناك جهات ما تقضّى الزمان حيناً فحينا

وقد نظمنا سابقاً[٣٣٠] في القرية المذكورة ، وذكرنا فيها محاسنها المشهورة ، وذلك قولنا[٣٣١] : [من الخفيف]

دبَّ خمرُ النسيم بالأغصانِ فتثنَّتْ كغانيات حسانِ
وسرت بيننا روائح روضٍ سريانّ الأرواح في الأبدان[٣٣٢]
وعلى عودها البلابلُ غنَّتْ معربات لنا عن الألحانِ
وجرى الماء صافيًا كلُجَيْنٍ ذائبٍ فوق لؤلؤٍ وجمانِ
وعلى جانبيه حور من الحو ر قيام مخضرّة التيجان

(٣٢٧) ح : (إليهم) .
(٣٢٨) ن : (منزلاً) .
(٣٢٩) ن ، ح : (زارنا) .
(٣٣٠) ن : (نظمنا ذلك) .
(٣٣١) ق : (قولنا في القرية المذكورة) .
(٣٣٢) ن ، ح : (بالأبدان) .

وبساط الظّلال قد رقّمتْهُ فضّةُ الشمس هيئةَ الصلبان
هات قل لي : هل مثل يوميَ يومٌ يا خليلي في سائر الأزمان
[١٩/ب] شمل الأنس مجلسي وتوالتْ[٣٣٣] داعياتُ السرور حول مكاني
وصحابي كأنجمٍ طالعاتٍ في سماءِ الكمالِ والعرفانِ
قلبهم واحدٌ وإن كانت الأجـ ـسامُ منهم كثيرةً في العيانِ
حبّذا حبّذا منين وذاكِ الرّ وض لا زال أنسُهُ متدانِ
قريةٌ حين جئتها أنزلتْني فوقَ عين لها فنلتُ الأماني
طاب فيها لنا الهواءُ فطبنا وصحيحٌ مَنْ عاشر الزّبداني
ورشيق القوام يخطر تيهاً خجلتْ منه قامةُ الأغصانِ
وجهه يفضح الأهلّة حسناً قد سبانا بطرفه النّعسانِ
كان قلبي من قبله في سكون فغدا اليوم منه في خَفَقان
وبه جدولُ القريحة جارٍ بيننا بالنظام والأوزانِ
هذه هذه وجوه المسرّا تِ علينا قد أقبلتْ والتهاني
والذي كان أول العهد عندي من زمان الصبا هو الآن ثانِ
جُدْتَ يا دهرُ بالذي منكَ أرجو فلك الآن غايةُ الامتنانِ

وقد نظمنا أيضاً في ذلك قولنا سابقاً : [من الخفيف]

يا ليالٍ بهنّ[٣٣٤] منّتْ منينُ كان فيها لنا الصّفاءُ المبينُ
بَوّأتْنا منها الخمائلُ داراً أرضُها الوردُ فاح والياسمينُ
ونزلنا من عينها فوق جَفنٍ أخضر الهدب زانَهُ التحسينُ
وشممنا السماء نفحة وردٍ قطُّ ما شمَّ مثلها العرنينُ
والحصا في المياه عقدُ لآلٍ هو من أفخر العقود ثمينُ
وكأنّ الشمسَ المنيرةَ تبرٌ ذاب والماء تحت ذاك لُجَيْنُ
حوله الحورُ قائمات صفوفاً هنّ حور خضر الغلائل عين
ونسيم الحدائق الرطب وافى ينفح الطيب فيه لطفٌ ولين

---

(٣٣٣) ح : (فتوالت) .
(٣٣٤) ت ، ح : (يا ليال بها) ، ل : (يا ليال منت بها) .

وتَغَنَّتْ على الـغصون طيـورٌ ... راق منها الغنـــاءُ والتلحيـــنُ

ذكـرتْ إلفَهـا فحـنَّتْ إليـه ... واعتراهـا مـن البكـاء رنيـنُ

فاستقرّ(٣٣٥) الجوى بقلب مشوقٍ ... وبــدتْ منــه زفــرةٌ وأنين

طف بكاساتِ صبوتي يا نديمي ... واكتم السرّ عندمـا يستبيـنُ

وأعِدْ عند مسمعي ذِكْرَ يومٍ ... يتسلّـى بـه الفـؤادُ الحزيـنُ

يـوم وادي منين بـالأنسِ لمّا ... منـه مُدَّتْ لجذب قلبي عيـنُ

قريـة مثـل جنّة الخلـدِ لكـن ... جنّةُ الخلد مسكـةٌ وهـي طيـنُ

[٢٠/أ] نادمتنـي بها خرائـد فكـرٍ ... يفضح الشمس من سناها الجبين

وبديـع الجمـال يقطر حسنـا ... قلبُ مضنـاه في هـواه رهيـنُ

يختفي البدر إن بدا والرّشا إن ... راح يرنـو فـلا يكـاد يـبين

كـلّ مـن دان في البرية أمـراً ... فأنـا اليـوم حبّـه لي ديـن

هـذه جنـة الوجـود وأمـا ... مـا سواهـا فإنـه سجّيـنُ

وقلت أيضاً سابقاً من النظام في هذا المقام : [من الخفيف]

يـا نهاراًموشّحـاً بـالسرورِ ... في منيـن خـلال تـلك النّهـورِ

حيث ضجّت فيها الطيورُ علينا ... من هزارٍ غنّى ومـن شحـرورِ

والـنسيم الرطيب ينفـح طيبـاً ... في العشايا مـا بيننـا والبكـور

حبّـذا حبّـذا مجالسُ أنسٍ ... في البساتين تحت ظـلّ الحورِ

وبـدا المشمش اللطيـف نجومـاً ... (٣٣٦) في سموات غصنه ذات نور

لونه الزعفرانُ والطعم شهد(٣٣٦) ... لذّ عنـدي وريحه ورد جـوري

سطحوه على الثرى فحكى لي ... جمر نـارٍ يضيء للمقـرورِ

أو بساط العقيق قد بسطوا من ... تحتـه خصفـة مـن البلّـور

شجراتٌ من الزمرّد صيغت ... فوقها الشمسُ خيمة الكافـور

---

(٣٣٥) ن : (فاستفز) .

(٣٣٦ — ٣٣٦) ليس ما بين الرقمين في ح .

يا رعى الله عصبة كنت فيهم فرحاً بين نشأةٍ وحضورِ
نجتلي بالمنادمات كؤوساً أغنت الأذن عن كؤوس الخمور
وكأنّا من فرط ما قد طربنا بينَ صوت الدفوف والطنبور
ولنا من مباحث العلم أمرٌ أشغل الحسّ(٣٣٧) عن جميع الأمور
والمبيت المبيت فوق ربوعٍ عاليات الذرى وفوق قصورِ
كلما طابت النسائم طبنا وكأنّ الصباح يوم النشور
ومعاني الجمال قد شملتنا ولها بيننا أتمُّ الظهور
مقل الغيد ناظراتٌ إلينا من وجوهٍ طوالعٍ كالبدورِ
وقدود الرماح تخطر عن أعـ طاف غلماننا وتلك الحورِ
هذه هذه المنى والتهاني حيث جادت(٣٣٨) بها يدُ المقدور
جلسة رقّ لي بها الدهر قلباً صانه الله بين كل الدهور

وقلنا سابقاً من النظام كذلك ، بعون القدير المالك : [من الوافر]

ألا فانظر إلى الروض العطيرِ وحسن تمايل الغصن النضيرِ
[٢٠/ب]وَمَتِّعْ مقلتيك بطيب أرضٍ لنا مدّتْ بساطاً من حرير
ولا تغفلْ عن الأطيار تسمعْ إذا غنّتْ مقامات الحريري
ألا لله عينٌ في منين لها ماء يشيقك بالخرير
وقد جَرّ النسيم ذيول نشر لنا منه فحدّثْ عن جريرِ
ومكحول اللواحظ(٣٣٩) حين يرنو يحاكي مقلة الظبي الغرير
تثنّى بالدلال كغصنِ بانٍ فصاح مشوقه هل من مجيري
عيوني منه في جنات عدن منعمةً وقلبي في سعير

ولنا أيضاً سابقاً من النظام ، بعون الملك العَلّام : [من مجزوء الرمل]

جَلَّ ربّي وتبارك يومنا يوم مبارَكْ
حيث داعي الهمّ ملقى منه خذيا قلبُ ثارك
حيث غصن العمر غضٌّ هات يا غصن ثمارك

(٣٣٧) ق : (الحسن) .
(٣٣٨) ن : (جاءت) .
(٣٣٩) ق : (النواظر) .

طفح البسط علينا ومنى القلب تدارَكْ
فَتَهَنَّ أيها الصبُّ ودع عنك انتظارك
آن أن تأمَنَ من دهـ ـرك قم واترك حذارَكْ
وتأمَّلْ أيها الطر ف وإيّاك وعارَكْ
وتمتّع يا فؤادي واطفِ باللطف أوارَكْ
وتنحّ يا عذولي في الهوى واكفف فشارك
إن تَمُتْ غيظاً فقد آ ن بان توقد[340] نارَكْ
أيها الدهر الذي أُنْعَمَ ما أحلى نِثارَكْ[341]
ضاق وقتي عن صغار لك فما ملأ لي كبارَكْ
نحن في وادي منين والهنا للقلب دارَكْ
طبت يا وادي وطاب الـ ـلآن من بالعزّ زارك
قرية يا صخرها قد رفع الله منارَكْ
قرية يا ماءها الـدّا فق ربي لا أغارك[342]
قرية من عينها يا روضها حزت عذارَكْ
فَانْهَز[343] الفرصةَ يا زا ئرها واغنم نهارَكْ
وإليها عن سواها فاجعل الآن فرارَكْ[344]
فوق رأس العين منها جعل الله قرارَكْ[345]
حولها يوماً نزلنا حيث همّ الدهر تارَكْ
تارة تختصّ باللهـ ـو وطوراً تشارَكْ
[21/أ] حبذا يا يومنا أنـ ـتَ وما أهنى مزارَكْ
فاز يا روضُ بلطف كل مَنْ أصبح جارَكْ
وأطابَ اللهُ يا عَرْ فُ نسيماً قد أثارَكْ

(340) ن : (نوقد) .
(341) ن : (نشارك) .
(342) ليس البيت في ح .
(343) ق (واغنم) وقد كررت في الشطر الثاني ، وليس في اللغة (انهز) وإنما المشهور (انتهز) ولو قال (ناهِزْ) لصح المعنى واللغة والوزن .
(344) ن : (قرارك) .
(345) ح : (مزارك) .

مِلتَ يا غصنُ فلا أعْـ ـدَمَكَ اللـهُ هـزارَكْ
وإلى كَمْ يـا نسيم الـ ـوَردِ تحمينا عقـارَكْ
قـد طلبنـا بك سُكْـراً فأطـل فينـا خمارك
ومعـاني الأنس زادت مـع قلبـي تتعـارك
هـذه الـنشأة هـذي جـلّ ربي وتبـاركْ

وقلنا أيضاً كذلك على حسب الوقت والمقام : [من الهزج]

ويـوم في منيـنٍ مُسَلّ للحزيـن
قصدنا فيه روضاً لـدى مـاءٍ مَعيـنِ
وأعنابـاً أكلنـا بـه ولطيـفَ تين
وزدنـا فيـه لهواً وزهواً كـلَّ حيـنِ
وكم طير سمعنـا يغنّـي في رنيـنِ
وكم غصن تثنّـى بلطف هوى ولينِ
وقـد وافى إلينـا نسيـمُ الياسميـنِ
وأحيانـاً بـنشرٍ لدينـا مستبيـنِ
وإخـوانٍ كـرام هـداة تُقًـى وديـنِ
نظمناهـم عقـوداً مـن الـدرّ الثـمين

وقلنا أيضاً في القرية المذكورة : [من الخفيف]

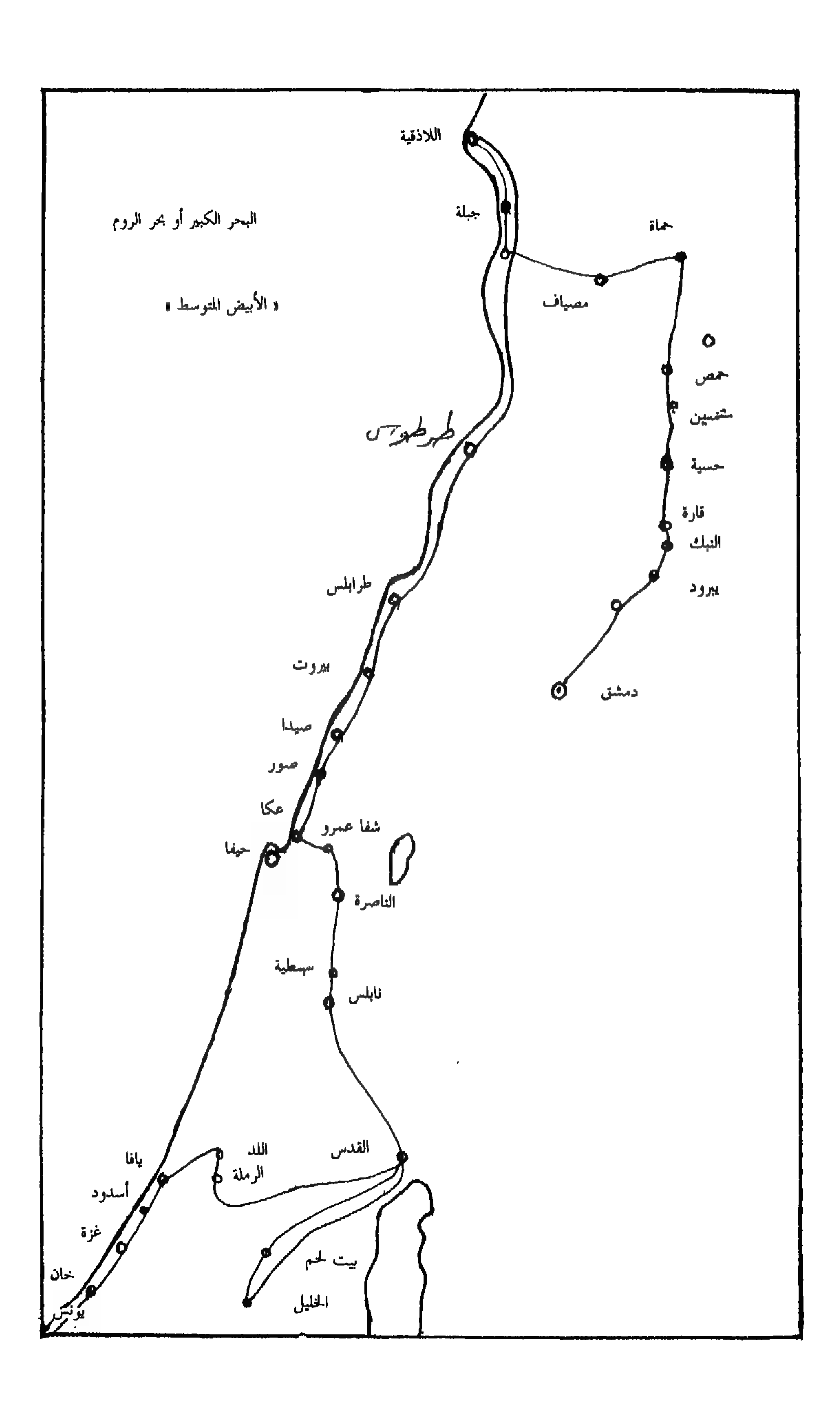
هـذه قريـة هواهـا هـواء الصَّيّـفُ أضحـى والماء مـاء الشتـاءَ
وحكت أرضها الربيع اخضراراً وخريـف بيـوتها للـرأيّ
فلهـا الأربعُ الفصولُ تبـدَّتْ جملـة فهـي نزهـة العقـلاءِ

وقلنا من المواليا في العين التي هناك :

قم يا نديمي لنجلس فوق رأس العيْن هذي منين فهـل نزَّهتَ فيها العيـنْ
فالروض ريّان منعش ذاتنا والعَيْنْ والماء فضة له بالشمس طلـيُ الـعين

وقلنا أيضاً من المواليا :

قف في منين على الوادي برأس العين وانظر تر القمر الزاهي برأس الـعين
في حسنه لا تقسْ وجهو برأس العين لُـجين خديـه مطلـيٌّ بـرأس الـعين



اللاذقية
البحر الكبير أو بحر الروم
« الأبيض المتوسط »
جبلة
حماة
مصياف
حمص
شمسين
حسية
قارة
النبك
يبرود
دمشق
طرطوس
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
عكا
شفا عمرو
حيفا
الناصرة
سبسطية
نابلس
القدس
اللد
الرملة
يافا
أسدود
غزة
خان
يونس
بيت لحم
الخليل

اليوم الثاني

١١٠٥/١/٢ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢ م

معرَّة صيدنايا

[٢١/ب] ثم أصبحنا في اليوم الثاني من المحرّم ، وهو يوم الجمعة المبارك ، فودّعنا الأصحاب والأحباب ، والإخوان والخلّان ، وذهبنا في ذلك الطريق ، بعد مفارقة الفريق ، ومصاحبة الرفيق ؛ إلى أن وصلنا قبيل الظهر إلى القرية المسماة بمعرّة صيدنايا ، فمكثنا فيها حتى صلّينا الظهر بالجماعة ، وأحيينا تلك البقعة بطاعة أهل الإسلام ، وأكرم بها من طاعة .

قرية الموهبيَّة

ثم ذهبنا إلى قرية تسمّى بالموهبية بضم الميم ، وسكون الواو ، وكسر الهاء ، والباء الموحدة ، وبعدها ياء مثناة تحتيّة مشدّدة ، ثم هاء .

وفيها نقول يومئذ من النظام حين قيل لنا : ﴿ آدخُلُوها بِسَلامٍ ﴾[1] : [من الوافر]

نزلنا قريةً غرًّا بَهيَّه   بأقوامٍ لهم همٌ عَلِيَّة
وفيها قد[2] تفاءلنا فقلنا   مواهبُ ربّنا في الموهبيّةْ

وقلنا كذلك على مقتضى ما هنالك : [من الخفيف]

قد نزلنا بالموهبية أرض[3]   كل همٍّ بها عن القلبِ ذاهبْ
ثم بِتْنا بها وكنّا أُتينا   نَحْوَها من معرة أرض راهبْ
فكأنا بها عن الركب منا   قد أزلنا معرة بالمواهب

وهي قرية موقوفة على الجامع الشريف الأموي ، فكان في نزولنا فيها مناسبة لنا فإن دارنا في دمشق الشام بالقرب من الجامع الأموي . وفي ذلك نقول يومئذ على طريق المؤانسة في مناسبة المجانسة : [من الوافر]

أتينا الموهبيّة أرض وقف   لجامعنا الذي لبني أميّة

---

(١) سورة الحجر ٤٦/١٥ .
(٢) ليست اللفظة في ن .
(٣) ن ، ح : (أرضاً) .

فأذكرنا النزول بها دياراً لنا بجواره وقت العشيَّة
وجاد الله مولانا علينا بنوعٍ من مواهبه السنيَّة

وفي هذه القرية بئر ماء يشرب منه أهل القرية ويسقون منه مواشيهم ، وماؤه فيه نوع عذوبة قريب من ماء عين سلوان[4] التي في بيت المقدس ، ومن ماء بئر زمزم الذي في مكة المشرّفة[5] ، فتفاءلنا في سفرنا ذلك بالوصول ، إن شاء الله تعالى إلى ما هو المأمول من زيارة بيت المقدس ، وحصول الحج الشريف لنا . فبتنا في تلك الليلة في إدرام زائد ، وامتداد الموائد .

اليوم الثالث

٣ /١١٠٥/١ هـ = ١٦٩٣/١٠/٣ م

ولدا عبد الله بن الزبير

حتى أصبحنا في اليوم الثالث من المحرم ، وهو يوم السبت [٢٢/أ] ، فقرأنا الفاتحة لقبرين بالقرب من تلك القرية ، عليهما قُبَّتان في أعلى الجبل ، يقال إنهما ولدا عبد الله ابن الزبير ، رضي الله عنه ، وأهل تلك القرى يسمونهم رجال الله وسعاة رسول الله ﷺ .

قرية التواني

ثم ركبنا وسرنا على بركة الله تعالى ، إلى أن مررنا على قرية التواني ، من غير تقصير ولا تواني .

وفي ذلك نقول من النظام ، بحسب ما اقتضاه المقام ، على طريقة التضمين للموشح المشهور بين ذوي الألحان (كَمْ ذا التداني البان البان) [من الوافر] :

مررتُ بقريةٍ تُدعى التواني وكان جوادُنا طلقَ العنان
وقد خرجت تلاقينا شيوخ فقلتُ لصاحبي كَمْ ذا التواني

وكان أهل هذه القرية خرجوا للقائنا ، وأرادوا أن ننزل عندهم ، فأبت الأقدار ، إلا اقتحام هاتيك المهامة والقفار ، وقلنا في ذلك أيضاً ، وقد شممنا من البارق الحجازي

(٤) انظر الحضرة الأنسية للمؤلف ص ٤٢ . ففيها حديث عن عين سلوان .
(٥) في هامش ت : (بلغ مقابلة) .

وميضاً ؛ فحثثنا السير ، ولم نلتفت إلى الغير : [من مخلّع البسيط]

جئنـــا التـــواني بـــلا تـــواني ولات واهٍ ولاتَ واني[1]
وأهلهـــا حاولـــوا نـــزولاً لنـــا بأهنـــى ذاك المكـــانِ
فلـــم نـــرد أن يـــزولَ عنـــا نشاطنـــا ذاك بالتـــواني

قرية معلولا

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية معلولا ، وكان السرور لنا مطلقاً ، وساعد الهم عنا مغلولاً ، فولجنا بين تلك[2] الرياض ، ودخلنا ما بين هاتيك الجداول[3] والعياض ، وفي ذلك نقول ، وقد مرَّ علينا نسيم يتعثَّر بذيله المبلول : [من المنسرح]

لقـــد أتينـــا لأرض معلـــولا وكان فيها الـــنسيم معلـــولا
وذيـل تـلك الرياض منسدلٌ لا زال فيها بالطَّـلِّ مبلـــولا
وقد جلسنـا[4] خـلال مرجتها نـدرك قصداً لنـا[5] ومأمـولا
حتّى اطمأنّتْ[6] بها الرفاق وقد شهـدت سيـف المياه مسلـولا
كربـــوة الشام في حدائقهـــا مَنْ جاء باللطف جاء[7] مشمولا
ومـن نحاهـا فقـد غـدا رجـلاً طبق[9] الرجا عامـلاً ومعمـولاً

المرتقلة

وفي تلك القرية المكان المسمّى بالمرتقلة — بضم الميم ،وسكون الراء ، وفتح التاء المثناة الفوقية ، والقاف ، واللام والهاء — [٢٢/ب] ، وهي كلمة غير عربية[10] ، وهي مغارة كبيرة في نصف الجبل ، والماء يقطر من أعلاها إلى أسفلها ، في أماكن متعددة فيها ، ويقولون إن ذلك الماء فيه خاصيَّة النفع للرياح[11] التي تعرض في بدن الإنسان ، خصوصاً الأطفال ، ويحكون في ذلك الحكايات الطويلة .

وأهل تلك القرية يتكلمون باللغة السريانية ، ويعرفون اللغة العربية .

---

(١) ق : (ولات تواني) ولا يستقيم الوزن بها . (٢) ن : (ذلك) ح : (ذاك) .

(٣) ن : (المتدافقة) . (٤) في الأصول جميعاً (وقد طلبنا) ، وما هنا عن مسوّدة المؤلف ٣/أ

(٥) من ح : (لنا قصداً) ولا يستقيم الوزن بها . (٧) ح : (جاد) .

(٦) ن : (اطمأنّ) ، ولا يستقيم بها الوزن ورواية البيت في المسودة ٣/أ : (٩) ن ح : (طلق) .

(حتى اطمأنـا بها وقـد شهـدت عينـيّ سيـف الميـاه مسلـولا)

(١١) ن ح : (للريح) (١٠) بعدها في المسودة ٢ / أ : (ومعناها بلسان النصارى : المكان الذي يزار ويحترم)

دَنْحَة

ثم توجّهنا سائرين في أكمل لطافة ولين ، حتى نزلنا في واد أمين .

ثم صعدنا منه إلى قرية تسمّى (دَنْحَه) — بفتح الدال المهملة ، وسكون النون ، وفتح الحاء المهملة ، بعدها هاء ، وبعضهم يبدل الهاء ألفاً في الوقف . فوجدناها قرية أهلها قليلون كأنها . قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءَ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[١٢] فإن ماءها يجمع لها في الآبار من السنة إلى السنة من الثلوج والأمطار . فصلّينا فيها صلاة الظهر ، وقدّموا لنا ما تيسّر من الزاد ، والله تعالى قد كفى وزاد .

يبرود

ثم توجّهنا منها إلى قرية يبرود المحروسة ، ذات الرحاب المأنوسة ؛ والمياه الجارية بين الرياض والبساتين ، والنسائم العطرة بروائح الزهور والرياحين . فنزلنا منها في قصر رحيب ، كأنّه صدر حبيب ، وألقينا فيها وعثاء السفر لإسفارها عن الراحة ، فامتدت إلى اقتطاف زهرة نشأتها اليد منا والراحة .

ثم بتنا فيها تلك الليلة في أتمّ نعيم وأكمل إنعام ، ولا نرى من أفواه أزهارها ، ووجوه أهلها غير البشاشة والابتسام .

اليوم الرابع

١١٠٥/١/٤ هـ = ١٦٩٣/١٠/٤ م

حتى أصبحنا في نهار الأحد ، وذلك هو اليوم الرابع من المحرم ، مقيمين في هاتيك المساكن اللطيفة والمرابع ، وفي ذلك نقول ، تغللاً بنسائم القبول : [من الخفيف]

بَـرَدَ القـلبُ في رُبـا يبرودِ	وتذكّرتُ طيبَ تـلك العهـودِ
وانجلَتْ لبسةُ الوجود لعيني[١]	فتحدثتُ عـن وجـود الوجـودِ
يـا سقـى اللـه ليلـةً بتّ فيها	خاليَ السرِّ عن أمـور الحسودِ
في نعيـمٍ مجدَّدٍ ونسيـمٍ	ينفح الطيبَ نفحَ مسكٍ وعودِ
[٢٣/أ] وريـاضٍ أنيقـةٍ وحيـاضٍ	وغياضٍ كحسن دار الخلود
مع صحب كأنّهم زهـراتٌ[٢]	طيّبـاتٌ في أصلهـم والجدود
فرعى الله عهدنـا حيث كنّـا	مظهـراً لانجلاء سرّ الـودود[٣]

---

(١٢) سورة الأنبياء ٢٠/٣١ .

(١) في المسودة ٣/أ : (لقلبي) .

(٢) في المسودة (مع صحب كأنّهن زهور) .

(٣) ن ، ح : (الوجود) .

خليل الرفاعي

ثم بعد صلاة الظهر بالجماعة ، قصدنا اغتنام الأجر بتحصيل بركات تلك الساعة ، فذهبنا إلى زيارة الشيخ خليل الرفاعي ، رضي الله عنه ، فوقفنا عند ضريحه المبارك ، وقرأنا له سورة(٤) الفاتحة ودعونا الله تعالى وتبارك ؛ وعليه عمارة لطيفة ، وقبّة منيفة .

وذكر لنا بعض الحاضرين من أهل تلك القرية عن بعض الناس ممّن كان حاضراً فتح بغداد مع حضرة السلطان مراد ، تغمدّه الله تعالى بالرحمة والرضوان ، أنه رآه هناك يوم الفتح المذكور ، وهو على حائط البلد ، وبيده فأس يحفر فيه الأحجار ، ويرمي بها إلى الأرض ، فقال ذلك الرائي لبعض جماعته ، وكان يعرف بالشيخ رضي الله عنه ، إذا فرغنا من القتال فاذهبوا إلى الشيخ خليل وأمسكوه ، فلما فرغوا ذهبوا إليه ، فلم يجدوا أحداً .

مات رضي الله عنه ، في حدود سنة ثمانٍ وتسعين وألف . ودفن في هذه القرية .

(٥)ثم ذهبنا إلى العين التي هي منبع الماء الذي يدخل إلى القرية ؛ فإذا هي عين(٦) لطيفة ، بجوانبها أنواع المياه والخضرة مطيفة(٧) ؛ فجلسنا عندها حصة من الزمان ، نحن ومن معنا من بقية الإخوان(٥) .

الشيخ حابس

ثم ذهبنا إلى زيارة الشيخ حابس ، الذي يورق ببركته كل عود يابس ؛ وقرأنا له الفاتحة ، وألقى الله تعالى إلينا(٨) من الغيب مفاتحه ؛ وعليه عمارة لطيفة الطول والعرض . وليس له في داخل قبته قبر معين على وجه الأرض ، فكأنه السرّ المكتوم ، في غيابات العلوم .

عين سِكِفْتَه

ثم سرنا إلى عين سِكِفْتَه — بالسين المهملة ، والكاف المكسورتين ، وسكون الفاء ، بعدها تاء مثناة فوقية ، ثم هاء ، وقد تبدّل ألفاً — .

(٤) ليست اللفظة في ق ، ن ، ح .
(٥ — ٥) ما بين الرقمين مستدرك في هامش ت وبعده صح .
(٦) ليست اللفظة في ن ، ح .
(٧) ن : (والخضرة مطبقة) .
(٨) ن ، ح : (علينا) .

اليوم الخامس

١١٠٥/١/٥ هـ = ١٦٩٣/١٠/٥

ثم عدنا إلى منزلنا بالقرية المذكورة بعد أن مررنا على المروج الغضّة ، والمياه الصافية كسبائك الفضّة ، فبتنا في ذلك المنزل على أكمل حال ، بقصد السفر والترحال[1] . إلى أن أصبح الصباح ، ونادى مؤذن الفلاح ، وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الخامس من[2] من المحرم من[3] أيام هذا [٢٣/ب] السفر المبارك ، المشمول بمعونة الله تعالى وتبارك ، وكان البرد في ذلك الوقت منتشر البُرْدِ والوشاح ، وطائر نسيمه في الصباح ، خفّاق الجناح ، بحيث يقتضي[4] تعليق النار ، وتغليق الباب فيلحق الاغتباق بالاصطباح ، وفي ذلك نقول على مقتضى ما أشارت به المرابع والطلول : [من المنسرح]

جئنـــا إلى قريـــة يقـــال لها   يبرودُ ذاتُ الزهــورِ والـــوردِ
وبردُهـــا زائـــدٌ ولا عـــجبٌ   يبرود مشتقّـــةٌ مـــن البردِ

قرية الصالحية

ثم سرنا في ذلك المكان ، بإعانة الله[4] الملك المنّان ، فمررنا في الطريق[5] على قريةٍ خرابٍ تسمّى الصالحيّة ، وكان لها فيما مرَّ من الزمان قناة ماء جارية في أراضيها ، وكانت عامرة بأهلها .

فأخبرنا رجل كان معنا أن سبب خرابها أنه مرّ بها رجل من المغاربة ، فاستطعم[6] أهلها ، فلم يطعموه شيئاً ، فكتب ورقة ، فألقاها[7] في الماء ، فغار الماء ، ولم يعد بعد ذلك ، فخربت القرية ، ونفر أهلها منها ، ثم إن ذلك الرجل المغربي جاء بعد أيام ، وسأل رجلاً من أهلها ، فأخبره بخراب القرية ، فقال له المغربي : أنا كنت السبب في خرابها[8] . وقصَّ عليه الخبر .

(١) ح : (والارتحال) .
(٢) ن (الخامس محرم) ح (الخامس للمحرم) .
(٣) ليست اللفظة في ت .
(٤ ـــ ٤) ليس ما بينهما في ق .
(٥) ن ح : (بالطريق) .
(٦ ـــ ٦) ليست اللفظة في ن .
(٧) ح (وألقاها) .
(٨) ح : (سبب خرابها) .

محمد الغفير النبكي

ثم مررنا على قبر الشيخ محمد الغفير النبكي ، المشهور عند أهل تلك الجهات بالخوارق والكرامات . فقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

قرية النبك

ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى قرية النبك قبل الظهر بقليل ، وقلنا في ذلك بمعونة الملك الجليل : [من مخلّع البسيط]

قِفْ في كثير السرور نبكي	فقدْ أتيْنا لأرضِ نَبْكِ
وفضّة اليومِ في صفاءِ	وإنّما كدّرت بسبكِ
ووقتنا راقَ واطمأنَّتْ	لنا دواعي الهنا بحَبْكِ
ولم يعقنا عن التملّي	بمن تجلّى حجاب لُبْكِ[9]
ونعمةُ الله في ازديادٍ	وقيدها شكرنا بشبكِ

وفي قرية النبك المذكورة الخان الذي بناه صالح باشا[10] الوزير الأعظم ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، في سنة أربع وسبعين بعد الألف ، وهو خان عظيم مشتمل على [٢٤/أ] جامع ومنبر للخطبة ، ومنارة[11] عظيمة متينة ، وفيه تكيّة للمسافرين ، وعليه أوقاف كثيرة في دمشق الشام ، وفيه وظائف وأجزاء تُقرأ ، وله ناظر يجمع أوقافه .

وفي القرية المذكورة مسجد يقال إن أبا العباس الخضر عليه السلام رؤي فيه ، فزرنا ذلك المسجد وتبرّكنا به ، ودعونا الله تعالى[6] فيه بما تيسّر من الدعاء .

وفي القرية المذكورة أيضاً مسجد صغير لطيف ، يقال له مقام فاطمة الزهراء[12] رضي الله تعالى[12] عنها ، لكونها رأت فيه مناماً . فأتينا إليه وزرناه وتبركنا به ودعونا الله تعالى هناك .

---

(٩) ن ح : (نبك) .

(١٠) هو صالح باشا الموستاري ، نائب الشام . ورد دمشق في سنة ١٠٦٩ ، وتولّى عدة مناصب في الدولة إلى أن استشهد نائب الشام الوزير مصطفى باشا القيللي فوجّه إلى مكانه ، وأمر بعمارة خان حسية ، ثم أمر بعمارة خان بالنبك فعمروه عمارة لطيفة ، وقلّدوا في بنيانه بنيان عمارة القطيفة في السوق والجامع والحمام ، وكان ذلك سنة ١٠٧٥ هـ . وكان يحب العلماء ويجالس الصلحاء وكانت وفاته بمدينة صوفية سنة ١٠٧٦ هـ . وانظر خلاصة الأثر ٢٤٢/٢ — ٢٤٣ .

(١١) ق ن ح : (ومنارة بعمارة عظيمة) .

(١٢ - ١٢) ما بينهما عن ق وحدها .

اليوم السادس

١١٠٥/١/٦ هـ = ١٦٩٣/١٠/٦ م

ثم بتنا تلك الليلة في هذه القرية ، وقد كنا في انقباض شديد ، من غير سبب يقتضي[1] ذلك التنكيد . وأصبحنا في فرح وسرور ، وكمال نشاط وحبور . وهو يوم[2] السادس من المحرم يوم الثلاثاء المبارك ، إن شاء الله تعالى . وفي ذلك نقول على الله تعالى حصول المأمول : [من الوافر]

قُبضنا حين جئنا أرض نبك   فكدنا من كثير القبض نبكي
وبتنا بعد ذلك في سرورٍ   وأصبحنا بأفراح وضحكِ
وذلك من تصاريف التجلّي   من المولى الكريم بغير شكٍّ

قارة

ثم سرنا بعد طلوع الشمس إلى جهة قارة ، وكان الليل قد غسل على وجه النهار ره ؛ والبرد المشهور في ذلك الطريق ، مما يُضرب به المثل ويشتغل فيه الرفيق عن الرفيق . ل الشاعر : [من الطويل]

ولمّا سقاني في الهجير[3] رضابَهُ   توهّمْتُ أنّي بين قارةَ والنبكِ

حتى وصلنا إلى تلك القرية التي لها من اسمها نصيب السواد ، وبسببها يحق للقرى ، تسمى عند أهل المدن سواد ؛ أبواب بيوتها صغار جداً أصغر من الطاقات ، مخافة ، يدخل منها ضيف على غنى من أهلها يظهر أنه من ذوي الفاقات . فمررنا فيما بين بيوت تلك القرية على مكان ننزل فيه، فلم نجد غير غربان ينعق كل منها بإشارة فيه ، يدخل في عشه فيسترقوا دمه بخوافيه ، وهيهاتِ لمانع القِرى في القُرى أن يسود ، قال له تعالى : ﴿ وَمِنَ الجِبالِ [٢٤/ب] جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُختَلِفٌ أَلوانُها وَغَرابِيبُ سُودٌ ﴾[4] وليتهم حيث منعوا القِرى ، أجازوا البيع الذي هو جائز بلا مِرا ؛ فنزلنا في تلك الخان الذي هو[5] في الخارج ، واحتجنا في جلب القوت منهم بالأثمان إلى إسراءات معارج . وقلنا في ذلك ، مقالة من اسودّت في عينه[6] هاتيك المسالك : [من الخفيف]

قَدْ أتَيْنا نَوُمُّ قريةَ[7] قارَةْ   والدُّجا غاسلٌ عن الجوِّ قارَهْ
فدخلنا إلى زيارة قومٍ   خاب مَنْ جاءهم بقَصْدِ[8] الزِّيارَةْ

---

١) ن : (مقتضى) .
٢ - ٢) ليس البيت في المسودة ٣/ب .
٣) ن ح : (بالهجير) .
٤) سورة فاطر ٢٧/٣٥
(٥) عن ن وحدها .
(٦) ن ، ح : (أعينه) ، ق : (عينيه) .
(٧) في المسوّدة ٣/ب : (نؤم بالركب قاره) .
(٨) في المسوّدة ٣/ب : (لأجل الزيارة) .

ووجـوه مـن قـارةٍ لـو أتاهـم		طائـــرٌ لم يبلّـــوا منقـــارَهْ

فبتنا في ذلك الخان ، الذي مَنْ وفى من أهله فقد خان ؛ ونحن بحمد الله تعالى مع إخواننا في أهنإ عيش ، وما في تلك القرية مبذولاً غير الماء الذي في البِرْكة فلم نرد حياض عطيش ؛ وبالجملة فإنهم قوم عندهم الكلام ، أكثر من الطعام .

وقلنا في ذلك [من المواليا] :

إنْ كنت كاتب نقولي خذه أوقارا		وكن مجانب لنبكي جئت أو قارا

أوْقى طعامٍ هما منعاً وأو قارى		إني جعلت على مـولاي أوقـارا

ولولدنا محمد بن الدكدكجي[9] من النظام ، في هذا المقام ؛ قوله : [من الخفيف]

قـد نزلنـا جميعنـا أرض قـارَهْ		نحن والصحب في كمال الـبشارَهْ

فرأينـا بخلاً عظيمـاً لـديهم		لست أدري بين الـورى مقـدارَهْ

لـو أتى الـطير نحوهـم في هـجير		لم يبلّـوا مـن الظمـا منقـاره

كيف يرجو من جاءهم بعض قوتٍ[10]		وهـم القـوم دائمـاً في الخسارَهْ

ثم إن الله تعالى أغاثنا عشية النهار ، برجل من أهل حمص يريد السفر معنا إلى بلاده وعليه سيماء الأخيار ، وكانت الحاجة داعية إلى إصلاح سمر دابة[11] لنا قد انكسر ، وليس في ذلك المكان مَنْ يرجى لجبر ذلك ، وهيهات أن يكون له عند أولئك القوم خبر ؛ فأصلح لنا السمر ، وطاب لنا معه في تلك الليلة السمر ، حتى بكرنا تبكير ذوات الأطواق ، وكان الليل داجياً والنسر يشير بجناحه الخفّاق ؛ ولله درّ الشاعر حيث قال : [من الطويل]

إذا أنكرتنـي بلـدةٌ أو نكرتُهـا		خرجتُ مع البازي عليّ سواد

[٢٥/أ] فكان ذلك الرجل الصالح ، دليلنا في قضاء هاتيك المصالح ؛ وسار أمامنا في ظلمة الليل ، نأتمّ به في سلوك سبيل[12] الأمن منشرحين على متون الخيل ، فذهبنا بإشارته من الطريق الفوقاني ، لتحصيل الأمان ونيل الأماني .

(٩) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التركاني الأصل ، المعروف بالدكدكجي : شاعر أديب . ولد سنة ١٠٨٠ هـ/١٦٧٠ م . وتوفي سنة ١١٣١ هـ/١٧١٩م . وله ديوان شعر وديوان خطب وكتاب في التراجم . وانظر سلك الدرر ٢٥/٤ والأعلام ١٩٤/٦ .

(١٠) في المسودة ٤/أ : (ومن الضيف غيرهم في أجور) .

(١١) ح : (معنا) .

(١٢) ليست اللفظة في ن .

اليوم السابع

١١٠٥/١/٧ هـ = ١٦٩٣/١٠/٧ م
قلعة حسية

حتى طلعت طلائع الفجر ، وحلَّتْ صلاةُ الفريضة بثبوت المثوبة والأجر ؛ وكان ذلك اليوم[١] يوم الأربعاء السابع من المحرم فأقبلنا على قلعة حسية المأنوسة ، ذات المراتع والمرابع المحروسة[٢] ؛ فوصلنا إليها قبيل الظهر بنحو ساعة ، ووجدنا فيها جماعة من أحسن الجماعة ؛ ودخلنا إلى ذلك الحصن المنيع ، والصدر الوسيع ، والقدر الرفيع ؛ والماء الجاري ، وتمتعنا ببدائع ألطاف الباري .

ثم دخلنا إلى المسجد الذي في ذلك المكان ، وصلينا فيه الظهر بالجماعة مع الإخوان ؛ ونظرنا في الحائط القبلي فإذا فيه كتابات من جملتها كتابة بخط بعض الناس وصورتها : [من الوافر]

حيـاةُ القـلب علـمٌ فَاغْتَنِمْـهُ ومـوتُ القـلبِ جهـلٌ فاجْتَنِبْـهُ

ووجدنا تحته مكتوباً بخط من مات قلبه بالجهل ، ولم يكن للعلم بأهل ؛ ما صورته « والأحسن أن يقال مكان (فاغتنمه) ، (فاجتهده) ، لأن العلم لا انتهاء له ، وفي لفظ الاجتهاد فريد حسن كما لا يخفى » . انتهى ما وجدناه بلفظة .

قلت : ولم يشعر هذا القائل بأن الاجتهاد لا يتعدّى بنفسه ، فلا يقال : اجتهده ، وإنما يقال : اجتهد فيه ؛ بل الاغتنام أولى للأشعار بأن العلم غنيمة وأي غنيمة ، فيكون في ذلك ترغيب فيه عند النفوس السليمة والاجتهاد مؤذن بالتعب والمشقة ، فلا يناسب هنا[١] ، مع مخالفة اللفظ لقانون العربية كما عرفته فيما دنا .

وقوله (الاغتنام بالشيء) هذا مخالف للقانون العربي أيضاً ، فإن الاغتنام يتعدى بنفسه ، عكس الاجتهاد ، ولا يتعدّى بالياء ، كما هو المعلوم عند الجهابذة النقّاد ؛ وهذا المدّعي للعلم عكس الأمر ، وفعل فِعْلَ [٢٥/ب] الجاهل[٣] الغمر ؛ وهو ملحق بالمتنسبين إلى العلم كواو عمرو .

(١) ليست اللفظة في ق .

(٢) في الأصول كلها : (ذات المراتع المحروسة والمرابع) ولا تستقيم بها السجعة ، وفي المسوّدة : (ذات الرحاب المحروسة) .

(٣) ح : (الجهال) .

وقوله : (العلم لا انتهاء له) غير صواب ، فإن المراد بالعلم هنا المقدار الذي يمكن أن يتعلمه الإنسان من أولي الألباب : وليس المراد مالا نهاية له من العلم ، فإن مالا نهاية له منه لا يمكن الاجتهاد في تحصيله[٤] ، وما أحد أحاط بكثيره وقليله ، ويا ليت شعري ما مزيد الحسن الذي في لفظ الاجتهاد ، عند هذا القائل الذي تعاكس عليه المراد .

وقد وجدنا تحت ذلك الخط مكتوباً بقلم واحد : (كتبه عطاء الله القاضي بدمشق الشام) ، والله أعلم بحقيقة هذه النسبة ، وكلامنا على ذلك ليس بالخصوص وإنما هو بالمعنى العام .

وقد تفاءلنا من اسم حسية بالوصول إن شاء الله تعالى إلى[٥] أرض الحسا التي هي من منازل الحج الشامي في طريق الحجاز ، ونسأل الله تعالى أن يبلغنا ذلك عل أتم الوجوه من وجوه الحقيقة والمجاز .

وقلنا من النظام ، في هذا المقام : [من الخفيف]

قـد أتينـا لأرض حسيـةَ حتَّـى ضَمَّنـا صدرُ قلعـةٍ ذو اتّساعِ
ورأينـا بها السرور كـثيراً ومعـاني الكمـال والانتفـاعِ
وذكرنـا الحسا بحسيـةَ حتـى قـدْ دعانـا إلى التفـاؤل داعـي

اليوم الثامن

١١٠٥/١/٨ هـ = ١٦٩٣/١٠/٨ م

ثم تبعنا تلك الليلة بها في أكمل سرور وهنا ، ونيل الخيرات والمنى . فلما أصبح الصباح ، وهو صباح يوم الخميس ، في اليوم الثامن من المحرم من سفرنا هذا الذي هو السفير الأنيس ؛ ركبنا وسرنا على بركة الله تعالى .

قرية شمسين

إلى أن وصلنا إلى قرية شمسين ـــ بفتح الشين المعجمة ، وسكون الميم ، وكسر

(٤) ن : (تفصيله) .
(٥) ليست اللفظة في ن .

السين المهملة ، وبالياء[1] المثناة التحتيّة الساكنة ، فالنون — فنزلنا بها حصّة من الزمان ، نحن ومن معنا من الإخوان ؛ وأكلنا ما تيسّر لنا من الزاد ، وكفانا الله تعالى جميع مؤونتنا وزاد ؛ فقلنا[2] في هذا شهوة واستلذاذاً [من المنسرح] :

سرتُ بقومي لقرية لطفت ... فزاد يومي بها على أمسي

وأشرقتْ أرضها فقلت لهم ... شمسين مشتقّةٌ من الشمسِ

حمص

[٢٦/أ] ثم ركبنا وسرنا إلى أن أقبلنا على بلدة حمص المحروسة ، ذات الربوع المأنوسة .

قال ياقوت الحموي في المشترك[3] : (حمص موضعان : الأول : حمص مدينة مشهورة بالشام بين حماة ودمشق ، قديمة ، بناها حمص بن المهر من بني عمليق ، فيما زعموا . الثاني اسم لمدينة اشبيلية بالأندلس كان بنو مروان الذين تملكوا الأندلس بعد نزول[4] دولتهم عدا الشرق لمحبتهم للشام[5] سمّوا عدة بلاد بالأندلس بأسماء بلدان الشام) . انتهى .

وكانت فيما تقدّم من الزمان ، محفوفة بالمياه الجارية في السواقي والغدران ؛ فكأنها جزيرة في بحر ، أو قلادة في نحر ؛ والآن قد حال حالها ، ومال بأهلها مالها ، واللّها تفتح اللّها .

ولله درُّ ابن خطيب داريا[6] ، فإنه خطب على منبر الأدب في مسجد هذه الروضة الريا ؛ حيث قال : [من الطويل] :

جزيرةُ حمصٍ كعبةُ الحسنِ أصبحتْ ... يطوفُ بها دانٍ ويسعى بها[7] قاصي

لها حلّة من نبتها سندسيّة ... تعلّق في أذيال أستارها العاصي

---

(١) ن : (والياء) .

(٢) ن : (وقلنا) .

(٣) انظر المشترك ١٤٥ .

(٤) كذا في كل الأصول بما فيها مط ولعلها تصحيف . والصحيح ما ورد في المشترك (بعد زوال) .

(٥) ن (بالشام) .

(٦) هو محمد بن أحمد بن يعقوب الأنصاري الخزرجي الدمشقي المعروف بابن خطيب داريا . أديب شاعر له عدة مؤلفات . ولد سنة ٧٤٥ هـ/١٣٤٤ م . وتوفي سنة ٨١٠ هـ/١٤٠٧م . وانظر : الضوء اللامع ٣١٠/٦ ، وبغية الوعاة ٢٥/١ ، والأعلام ٢٢٧/٦ .

(٧) في ت ، ق ، ن : (لها) وما هنا عن ح والمسوّدة .

ولقد نافسه بعض الشعراء فيما أشار إليه من المعنى ، فكأنه أعاب غناء[8] الغانية في المعنى حيث قال : [من الطويل]

جزيرةُ حمصٍ لم تكن قط كعبةً — يطوف بها دانٍ ويسعى لها قاصي
ولكنها للّهو والقصف حانة — ألم تنظروها كيف جاورها العاصي

[9]وقال الأديب أبو جعفر[10] الأندلسي[9] : [من السريع]

حمصٌ لمن أضحى بها جنّةٌ — يدنو لديها الأمَلُ القاصي
حلَّ بها العاصي ألا فاعجبوا — من جنّةٍ حلّ بها العاصي

[9]وإنما شرف المنازل بسكانها ، ولا تقوم القبة إلا بأركانها ، ولهذا قال أبو الطيب المتنبي في شأن ممدوحه ، وأشار إلى أن حياة البدن بروحه[9] : [من البسيط]

إذا خَلَتْ منكَ حمصٌ لا خَلَتْ أبداً — فلا سقاها من الوسميّ باكرُهُ

وقوله : (لا خلت أبداً) احتراس[11] لطيف ، وهو من أنواع البديع الغني عن التعريف .

وفي كتاب الزيارات للهوري قال[12] : (وفي حمص طلسم العقرب ،إذا أخذ من ترابها ، ووضع على لدغة العقرب تبرأ ، وهو مجّرب يُحمل منه إلى البلاد) انتهى .

ولقد[13] تلطّف بعضهم في هذه المواليا في هذا المعنى كما أنشدنيه بعض الأحباب :

لي ظبي من حمص أهيف فاتني ربرب — طلبت تقبيل خدّه قال لا تقرب
يلسعك عقرب عذاري قلت ذا أغرب — ألسع وفي حمص قالوا طلسم العقرب

ثم إننا نزلنا خارج البلد عند ذلك السبيل . وصلّينا صلاة الظهر بجماعتنا من كل نبيه نبيل . وكان الحاكم في بلدة[14] حمص يومئذ صاحبنا الفارس المقدام ، ذو الشهامة

(8) ليست اللفظة في ق .

(9 — 9) جاء ما بين الرقمين في الصفحة التالية من ق .

(10) أبو جعفر الأندلسي هو أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني . أديب شاعر ، رافق ابن جبير في رحلته إلى المشرق سنة ٧٣٨ فعُرفا بالأعمى والبصير ، وأقام بحلب نحو ثلاثين سنة وتوفي سنة ٧٧٩ هـ/١٣٧٨م . وانظر الدرر الكامنة ١/٣٤٠ ، وبغية الوعاة ١/٤٠٣ ، والأعلام ١/٢٦٠ .

(11) انظر في الاحتراس خزانة الأدب ٤٥٨ ، ونفحات الأزهار ١٧٢ .

(12) انظر الإشارات ص ٩ . (13) ق : (وقد) . (14) ق : (في مدينة) .

والاحتشام ، إبراهيم آغا المعروف بأنواع المعروف والإكرام ، وقد كتبنا إليه هذه الأبيات من النظام ، على سبيل التحية والسلام : [من الطويل]

إلى مَنْ سَمَتْ حمصٌ به ونـواحيها ... ودانَ لـه طوعاً على الحال عـاصيها

وقد حُفظت تلك البلاد بعزمِـهِ ... من السوءِ حتّى فيه طابَتْ مواشيها

إلى الشهم إبراهيم من سار ذكـره ... كما سار في الأفـلاك ساري دراريها

وأصبحت الأقطار في الأمن[١٥] باسمه ... ولا تحفـظ الأغنـام إلا بـراعيها

عليه[١٦] سلامي كلما ذرّ شارق ... ولـذّتْ أويقـات السرور لأهـليها

ثم تلقّانا صديقنا العالم الفاضل ، والهمام الكامل ؛ محمد أفندي الشهير بابن العطّاسي مفتي السادة الحنفية ، يومئذ بالديار الحمصية ؛ فأنزلنا عنده في دار الكرامة ، وبيت الفضائل والشهامة ، وأكرم مثوانا ، وأحسن مأوانا ؛ ثم ذهبنا إلى صلاة العصر بالجماعة في جامع بقرب منزله المعمور ، وحصلنا في ذلك إن شاء الله تعالى[١٧] على كمال الأجور .

قبر دحية الكلبي

وزرنا قبر دحية الكلبي الصحابي الجليل ، على حسب ما هو بين أهل تلك البلدة مشهور ، والراجح أنه مدفون في بلادنا دمشق الشام في قرية المزة ، ويؤيّده ما ذكره الشيخ العيني الحنفي في كتابه عمدة القاري شرح البخاري قال : (دحية — بفتح الدال وكسرها — ابن خليفة بن قرة بن فضالة بن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج[١٨] — بخاء معجمة مفتوحة ، ثم زاي ساكنة ، ثم جيم — وهو العظيم ، واسمه زيد مناة ، سمي بذلك لعظم بطنه) ، ثم ساق بقية نسبه إلى معد بن عدنان . ثم قال : (إنـه كان[١٩] مـن أجمل[١٩] [٢٧/أ] الصحابة وجهاً ، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورته . وذكر السهيلي عن ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾[٢٠] . قال[١٩] : كان اللهو نظرهم إلى وجه دحيه لجماله . وروى أنه كان إذا قدم من الشام لم تبق مُعْصِر إلا خرجت تنظر إليه . والمُعْصِر التي بلغت سنَّ المحيض .

---

(١٥) ح : (الأرض) .

(١٦) ن ، ح : (عليها) .

(١٧) ليست اللفظة في ح .

(١٨) ن ، ح والاستيعاب ٢/٤٦١ (الخزرج) .

(١٩) عن ق وحدها .

(٢٠) سورة الجمعة ٦٢/١١ .

قال ابن سعد : أسلم قديماً ، ولم يشهد بدراً ، وشهد المشاهد بعدها ، وبقي إلى خلافة معاوية . وسكن المزة ، قرية بقرب دمشق ، ومزة بكسر الميم وتشديد الزاي المعجمة ، وليس في الصحابة من اسمه دحية سواه) . انتهى كلام العيني رحمه الله .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات[٢١] : (دحية الكلبي ، يقال بكسر الدال وفتحها[٢٢] لغتان ، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورته ، وكان من أجمل الناس ، وحكوا[٢٣] أنه كان إذا قدم من الشام لم تبق مُعْصِير إلّا خرجت تنظر إليه ، والمعصر التي بلغت سن المحيض . وسكن المزة القرية المعروفة بقرب دمشق ، وبقي إلى خلافة معاوية رضي الله عنه) انتهى .

فالظاهر من هذا أنه دفن في هذه القرية لأنه كان يسكنها .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة[٢٤] في ترجمة دحية : (وقد نزل دمشق ، وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية) . انتهى .

وأما قول الشيخ شمس الدين محمد بن شرف الدين عبد الرحمن المشهور بالعثماني في تاريخ صفد في ذكر قرية نين : (وبجبلها مقام دحية الكلبي صاحب رسول الله ﷺ من المزارات المقصودة) انتهى .

فاعتماد النقول أولى من اعتبار[٢٥] الإشاعة خصوصاً وقد صرّح الراوي في كتاب[٢٦] الزيارات[٢٧] بقوله : (إن قبره في القرية المسماة بالمزة غربي دمشق ، بالقرب منها) . انتهى .

---

(٢١) انظر ١/١٨٥ من تهذيب الأسماء واللغات .
(٢٢) ح . (بفتح الدال وكسرها) .
(٢٣) ليست اللفظة في ق .
(٢٤) انظر الإصابة ١/١٧٤ .
(٢٥) ن ، ح ، ق : (اعتماد) .
(٢٦) ق : (كتابه) .
(٢٧) الواقع أن الهروي ذكر له قبراً في ثلاثة مواضع : في المزة بالشام ، وفي الشجرة بفلسطين ، وفي قرافة مصر انظر الإشارات ١١ ، ٢٠ ، ٣٧ .

اليوم التاسع

٩/١/١١٠٥ هـ = ٩/١٠/١٦٩٣ م

القلعه

ثم عدنا إلى المكان الذي نزلنا فيه ، وبتنا في أتم سرور ، وأكمل حبور ، ونحن في المباحثات العلمية ، والمسائل الفقهية ، والمذاكرات الأدبية . فلما[1] أصبح الصباح ، في يوم الجمعة التاسع من المحرم في هذا السفر المبارك ذهبنا إلى القلعة لأجل زيارة مصحف الإمام [٢٧/ب] عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فصعدنا إليها في طريق مرتفع متهدّم الجوانب ، وكان في الزمان الأول مبنيّاً بالأحجار ، حتى وصلنا إلى عند باب القلعة فرأينا في رأس الحائط الشرقي مكتوباً هذا التاريخ منقوراً في الحجر ، وصورته : (عمل سليمان ابن سام) ، ورأينا أيضاً مكتوباً فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بعمارة هذا البرج الملك المجاهد أسد الله بن أبي الحارث شيركوه بن محمد بن شيركوه ، ناصر أمير المؤمنين ، أعزّ الله أنصاره ، تولى عبده موفق في سنة تسع وخمس مئة) .

ثم دخلنا من باب القلعة إلى باب آخر في داخله وُجلْنا فيها ، وتفرجنا على أماكنها المتهدمة ، وبنائها القديم ، وهي مبنية على سبع طبقات وفيها جامع مبني له[2] منارة ، وفيه منبر للخطبة يخطبون فيه ، ويصلّون الجمعة ، في شهر رجب وشعبان ورمضان لأجل التبرك بذلك الجامع القديم ، وفي بقية السنة لا يصلّون فيه[3] الجمعة ، فدخلنا إليه نحن وجماعتنا ، وصلينا فيه ودعونا الله تعالى بما تيسر لنا من الدعاء .

مصحف الإمام عثمان

ثم طلبنا زيارة المصحف العثماني ، فقام رجل من أهل البلاد[4] ، وفتح لنا خزانة في قبلي الجامع المذكور بالقرب من المحراب ، وأخرج لنا صندوقاً ففتحه ، وإذا فيه مصحف الإمام عثمان[5] رضي الله عنه ، وعليه أثر الدم في بعض الآيات ، فقبلناه وتبركنا به ، وقرأنا الفاتحة للسيد عثمان رضي الله عنه ، وقرأنا فيه[6] بعض آيات ، وهو بالخط الكوفي

(١) ن ، ح : (ولما) .
(٢) ن ، ح : (وله) .
(٣) ت : (فيها) .
(٤) ن : (البلد) .
(٥) ن ، ح (عثمان بن عفان) .
(٦) ن : (في) .

الغليظ ، وأوراقه عتيقة متهرئة، ومن منذ سنين متقدمة نحو العشر سنين أو أقل أو أكثر دفع بعض الأمراء هناك مئة قرش لرجل من المجلدين عندنا في دمشق الشام حتى يأتي إلى بلاد حمص ويصلح هنا المصحف المذكور ، فذهب وأصلح أوراقه ، وأتقن حبكته ، وعمل جلده . ومن عادة أهل حمص أنهم إذا احتاجوا إلى المطر يخرجون هذا المصحف ، ويستسقون به ، ويدعون الله تعالى ، فتحصل لهم السقيا . وقد تكرّر لهم ذلك مراراً . وبالجملة فهو مصحف قديم يظهر عليه آثار التقادم[٧] من الزمان ، وقد اشتهر عند |٢٨/أ| أهل حمص وعند[٨] أهل الشام أنه مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فيمكن أن يكون هذا مصحفه الذي كتبه لنفسه ، وقتل وهو في حجره بدليل أثر الدم الذي فيه ، وقد نقل إلى هذه القلعة ووضع فيها تحصيناً له .

وعندنا في الشام في الجامع الأموي مصحف أيضاً على صورة هذا المصحف بالخط الكوفي ، ويقال إنه مصحف الإمام عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، الذي أرسله إلى الشام محفوظاً في خزانة في مقصورة الجامع الأموي ويتبرك الناس به إلا أنّ أوراقه وخطّه بالنسبة إلى المصحف الذي في قلعة حمص جديدان وليس في أوراقه شيء متقطع[١٠] .

وقد رأينا في مصر المحروسة في جامع عمرو بن العاص في مقصورة هناك مصحفاً على صورة هذين المصحفين عتيقاً متقطّع الأوراق ، يقال إنه مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كما سنذكره في محله إن شاء الله تعالى .

وبلغنا أيضاً أن في ثغر الاسكندرية المحروس[٩] مصحفاً يقال له[١١] مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولكنّا لم نره .

وذكر الشيخ العلامة علم الدين السخاوي الشافعي في شرحه على القصيدة الرائية للإمام الشاطبي في علم الرسم العثماني قال : (إن عثمان رضي الله عنه لمّا كتب تلك المصاحف سيّر منها مصحفاً إلى الكوفة ، ومصحفاً إلى البصرة ، ومصحفاً إلى الشام ، وأبقى في المدينة مصحفاً) .

قال : (وروي[١٢] أنّه سَيَّر أيضاً[١١] إلى البحرين مصحفاً ، وإلى مكة مصحفاً ،

---

(٧) ن ، ح : (التقدم) .

(٨) ليست اللفظة في ت .

(٩) ح (المحروسة) .

(١٠) ن ، ق : (منقطع) .

(١١) ليست اللفظة في ن ، ح .

(١٢) ن ، ح : (ويروى) .

وإلى اليمن مصحفاً ، فتكون الجملة على هذا سبعة مصاحف ، والرواية في ذلك تختلف ، قيل إنه كتب خمس نسخ : الأربعة الأولى ومصحف مكة ، وأما مصحف البحرين ومصحف اليمن فلم يُعلم لهما خبر . وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : أرسل عثمان[١٣] إلى كل جند المسلمين مصحفاً ، وأمرهم أن يحرقوا كل مصحف يخالف الذي أرسل[١٤] إليهم) .

ثم قال الشارح المذكور : (فلما فرغ عثمان[١٤] رضي الله عنه من أمر المصاحف حرق ما سواها ، وقال مالك رحمه الله تعالى : مصحف الإمام عثمان[١٤] رضي الله | ٢٨/ب | عنه تغيّب فلم نجد له خبراً بين أشياخ الهدى الذين يُقتدى بهم في الدين ويعمل بنقلهم وروايتهم[١٥] .

وقال[١٦] ابن قتيبة : كان مصحف عثمان الذي قتل وهو في حجره عند ابنه خالد ، ثم صار مع أولاده وقد درجوا .

قال[١٧] : (وقال لي بعض مشايخ أهل الشام إنه بطرطوس) . انتهى .

وطرطوس ، هذه بليدة صغيرة على ساحل البحر قريبة من حمص ، وقد خرب الآن غالب أماكنها ، وفيها قلعة غالبها خراب ، كما سنذكره[١٨] في محلّه ، فلعلّ هذا المصحف العثماني كان فيها ، ثم لما خربت خيف عليه فنقل إلى قلعة حمص .

وذكر[١٩] السخاوي في شرحه المذكور على الرائية للشاطبي : (أن أبا عبيد القاسم ابن سلام قال في كتابه في[٢٠] القراءات : رأيت المصحف الذي يقال إنه مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، استخرج لي من بعض خزائن الأمراء ، وهو المصحف الذي كان في حجره حيث أصيب ، ورأيت آثار دمه في مواضع منه. وقد ردّ هذا القول على أبي عبيد المذكور أبو جعفر بن النحاس اعتماداً على قول مالك المتقدم أنه تغيّب ،

(١٣) ليست اللفظة في د ح .
(١٤) ن ، ح : (أرسله) .
(١٣) ق : (عثمان بن عفان) .
(١٤) ن : (عثمان بن عفان) .
(١٥) ح : (ورواياتهم) .
(١٦) ن ح : (قال) .
(١٧) ليست اللفظة في ق .
(١٨) ق : (كما سنذكر ذلك) .
(١٩) ق : (ونقل) .
(٢٠) ليست اللفظة في ح .

وليس رده بصواب ، فإنه ليس في قول مالك ما يدلّ على عدم المصحف بالكليّة . حيث لا يوجد لأنّ ما تغيّب[٢١] يرجى ظهوره ويتوقع[٢٢] حضوره ، طال زمان مغيبه أو قصر) . انتهى .

سعد بن أبي وقّاص

ثم نزلنا من القلعة ، وذهبنا إلى زيارة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص أحد العشرة ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، على ما هو المشهور عند أهل تلك البلاد ، وهو مدفون في داخل جامع صغير ، عليه قبة صغيرة ، وعنده بئر من الماء ، وهناك بعض أشجار ، فدخلنا إلى ذلك المسجد ، وصلّينا ركعتين ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

والصحيح ما ذكره النووي ، رحمه الله تعالى ، في تهذيب الأسماء واللغات ، قال في ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (توفي بقصره بالعقيق على عشرة أميال ، أو سبعة أميال[٢٣] من المدينة [وحمل على أعناق الرجال إلى المدينة ، وصلي عليه بالمدينة][٢٤] ، ودفن بالبقيع ، وكان آدم اللون[٢٥] ، طوالاً[٢٦] ، ذا هامة ، ولما حضرته الوفاة ، دعا بخلق جبّة له من صوف [٢٩/أ] فقال : (كفنوني بها ، فإني كنت لقيت المشركين فيها يوم بدر ، وهي علي ، وإنما كنت أخبّئها لهذا) .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب[٢٧] : (مات سعد بن أبي وقاص في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، وحمل إلى المدينة على رقاب الرجال ودفن بالبقيع) .

كعب الأحبار

ثم مررنا على قبر كعب الأحبار ، رحمه الله تعالى ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى هناك[٢٨] بما تيسّر لنا من الدعاء ، وعنده مسجد لطيف ، وقبره تحت حائط ذلك المسجد القبلي ، ظاهر من خارج المسجد ، يزار ويقصد بالزيارة ، وعليه تاريخ مكتوب بالعبراني أو بالسرياني .

(٢١) ح : (يتغيّب) .
(٢٢) ن ح : (ويتوفّى) .
(٢٣) ليست اللفظة في ق ولا في تهذيب الأسماء واللغات .
(٢٤) الزيادة عن تهذيب الأسماء واللغات ٢١٤/١ .
(٢٥) ليست اللفظة في تهذيب الأسماء واللغات .
(٢٦) ح : (طويلاً) .
(٢٧) الاستيعاب ٦١٠/٢ .
(٢٨) ليست اللفظة في ن ح .

وقال الهروي في زياراته[٢٩] : (إن في دمشق الشام ، قبلي مقبرة باب الصغير قبر[٣٠] كعب الأحبار) . ثم قال بعد ذلك : (والصحيح أن كعب الأحبار — وذكر معه جملة من الصحابة والصحابيات — أنهم في مدينة النبي ﷺ) .

وقال ابن الحوراني في كتابه الإشارات إلى أماكن الزيارات[٣١] : (وفي بلدة حمص قبر كعب الأحبار على الصحيح . وهوكعب بن ماتع — بالتاء المثناة فوق التابعي[٣٢] ، أسلم في خلافة أبي بكر[٣٣] ، وتوفي في خلافة عثمان[٣٢] رضي الله عنه[٣٢] . ومات بحمص ، ودفن بها . ويقال له كعب الأحبار ، لكثرة علمه ومناقبه وحكمه وأحواله) . انتهى .

قلت : ولم تضبط التاء المثناة الفوقية من اسم (ماتع) هل هي بالكسر أو بالفتح ؟

وفي القاموس[٣٤] : (الماتع : الطويل والجيّد من كل شيء ، والفاضل المرتفع من الموازين أو الراجح ، والجيد الفتل من الحبال ، والشديد الحمرة من النبيذ ، ووالد كعب الأحبار) . انتهى ، ولم يضبطه أيضاً ، لكن مقتضاه الكسر على وزان[٣٥] فاعل .

ويؤيّده ما ذكره الفارابي في ديوان الأدب — في باب فاعل ، بكسر العين — ، قال : (ويقال : جبل ماتعٌ : أي طويل ، وشراب ماتع : إذا اشتدّت حمرته ، وماتع من أسماء الرجال) . انتهى .

فيتعيّن[٣٦] حينئذ أنّ ماتع والد كعب الأحبار ، يقال بكسر التاء المثناة الفوقية[٣٧] ، لا بفتحها . ولعلّ ما وقع في كتاب الإصابة [٢٩/ب] في معرفة أسماء[٣٧] الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني سهو من قلم النساخ حيث قال : (كعب بن ماتع — بفتح المثناة من فوق — الحميري ، أبو اسحاق المعروف بكعب الأحبار) .

وقال البخاري[٣٩] : (ويقال[٤٠] كعب الحبر ، يكنى أبا إسحاق ، من آل ذي

---

(٢٩) انظر زيارات الهروي ١٤ .

(٣٠) ليست اللفظة في ت . وفي هامشها التعليقة التالية : (أنا رأيته في قبلي باب الصغير مكتوب على شاهدته أسطر بخط كوفي منها أنه قبر الأحبار . محمد شمعة) .

(٣١) انظر الإشارات إلى أماكن الزيارات ١٤٧ — ١٤٨ .

(٣٢) ليست اللفظة في ح .

(٣٣) ح والزيارات (أبي بكر الصديق) .

(٣٤) القاموس المحيط (متع) وفيه (كعب الحبر) .

(٣٥) ن ، ح (وزن) وهما بمعنى .

(٣٦) ح : (فتعيّن) ، ن : (فيقين) .

(٣٧) ن ، ح : (التاء الفوقية المثناة) .

رُعَيْن أو من ذي الكلاع) .

وقد أخرج الطبراني من طريق يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عوف بن مالك :

أنه دخل المسجد متوكئاً على ذي الكلاع[41] ، وكعب يقصّ على الناس ، فقال عوف لذي الكَلاع : ألا تنهى ابن أخيك هذا عما يفعل . فذكر الحديث الآتي .

وكعب أدرك النبي ﷺ رجلاً . وأسلم في خلافة أبي بكر أو عمر ، رضي الله عنهما و قيل في زمن النبي ﷺ . والراجح أن إسلامه كان في خلافة عمر[42] .

فقد أخرج ابن سعد من طريق علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيّب قال :

قال العباس لكعب : ما منعك أن تسلم في عهد النبي ﷺ وأبي بكر حتى أسلمت في خلافة عمر ؟ قال : إن أبي كتب كتاباً من التوراة ، فقال[28] لي : اعمل بهذا ، وختم علي سائر كتبه ، وأكدّ عليّ بحق الوالد على الولد ألّا أفضّ الختم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبي غيّب عني علماً ، ففتحتها فإذا صفة محمد ﷺ وأمته ، فجئت الآن مسلماً .

وأخرج ابن أبي خيثمة بسند حسن عن القاسم بن كثير عن رجل من أصحابه قال :

كان كعب يقصّ ، فبلغه حديث النبي ﷺ : (لا يقصّ إلا أمير أو مأمور أو محتال) . فترك القص حتى أمره معاوية أن يقصّ ، فقصّ بعد ذلك .

وقال أبو مسهر[43] الذي حدثني غير واحد أن كعباً كان مسكنه في اليمن[44] ، فقدم على أبي بكر ، ثم أتى الشام فمات به . روى عن النبي ﷺ مرسلاً ، وعن عمر ، وصهيب ، وعائشة . وروى عنه من الصحابة ابن عمر ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاوية ، ومن كبار التابعين[45] : أبو رافع الصائغ ، ومالك بن أبي

---

(٣٨) ق : (أنساب) .

(٣٨) في الإصابة ٣١٥/٣ : (كعب بن ماتع — بكسر المثناة من فوق) .

(٣٩) انظر التاريخ الكبير ٢٢٣/٧ — ٢٢٤ ، والتاريخ الصغير ٦٢/١ ففيهما روايتان مختلفتان عما هنا .

(٤٠) في ق : (يقال) بدون الواو .

(٤١) انظر ترجمته في المحبر ٢٣٣ ، والاستيعاب ٤٧١/٢ ، وتهذيب ابن عساكر ٢٦٦/٥ ، والقاموس (كلع) والإصابة ٤٩٢/١ ، والأعلام ٢٠٥/٣ .

(٤٢) ق : (عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه) .

(٤٣) في ح ن : (ابن جزعان) وهو تصحيف انظر الأعلام ١٠١/٥ .

(٤٣) لم أجده في مرويات أبي مسهر التي رواها عنه أبو زرعة الدمشقي في تاريخه .

(٤٤) ليست اللفظة في ح .

(٤٥) ق : (وروى عنه من التابعين) .

عامر ، وسعيد بن المسيب ، وابن إمرأته تبع الحميري ، وممن بعدهم : عطاء ، وعبد الله ابن ضمرة السلولي ، وعبد الله بن رباح الأنصاري [٣٠/أ] وآخرون .

قال ابن سعد : في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام .

وقال : كان على دين اليهود ، فأسلم ، وقدم المدينة ، ثم خرج للشام[٤٦] ، فسكن حمص ، ومات بها سنة اثنتين وثلاثين ، وفيها أرّخه غير واحد .

وقال ابن حبان في الثقات : مات سنة أربع وثلاثين ، وقيل سنة اثنتين ، وقد بلغ مئة وأربع سنين .

مقبرة الأشراف

ثم قرأنا الفاتحة لأهل تلك المقبرة التي بجانب قبر كعب الأحبار المذكور ، ودعونا الله تعالى ، ويقال لها مقبرة الأشراف عند باب مدينة حمص المسمّى بباب الدُّريب[٤٧] — بضم الدال المهملة مصغّراً .

أولاد جعفر الطيّار

ثم توجهنا إلى زيارة أولاد جعفر الطيار ، أخي علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، وهم في داخل مزار ، وعليهم قبة معقودة ، وهما عبد الله وعبد الرحمن ولدا جعفر الطيار في قبر واحد كبير ، وعندهم مقبرة كبيرة ، فزرناه ولله الحمد ، وقرأنا لهما الفاتحة ، ودعونا الله تعالى عندهما .

عبد الله الجندلي

وفي تلك المقبرة قبر[٤٨] الشيخ عبد الله الجندلي من ذرية الرفاعي ، والشيخ زين العابدين والشيخ محمد حُبَيْش — بصيغة التصغير — وهو مشهور بين أهل حمص أنه كان من أصحاب النوبة ، فزرنا هؤلاء الصالحين ، وقرأنا لهم الفاتحة ، ودعونا الله تعالى عندهم .

ابن صَنُّون

ودفن في هذه المقبرة السيد خالد بن محمد بن زين الدين الحمصي الخلوتي ، والمعروف بابن صَنُّون — بفتح الصاد المهملة ، وتشديد النون — الخلوتي طريقة . وكان صاحبنا ،

(٤٦) ق ، ن ، ح : (إلى الشام) .

(٤٧) ولا يزال اسمه هكذا إلى يومنا الحاضر .

(٤٨) اللفظة عن ق وحدها .

كان[٤٩] يتردد إلى دمشق الشام ، ونجتمع به ، وهو رجل من الأشراف الصالحين ، أهل الجذب والخير ، ولبعض أهل الشام اعتقاد فيه ومولده في سنة سبع وأربعين بعد الألف . وقد مات رحمه الله تعالى في سنة ثلاث ومئة وألف أواخر جمادى الأولى .

دير سمعان

ثم ذهبنا إلى دير سمعان ، نحن والإخوان .

قال في المصباح المنير : (قال الصاغاني : وقد سمّوا سِمعان مثل عمران ، والعامة تفتح السين ، ومنه دير سمعان)[٥٠] . انتهى .

وقال ياقوت في المشترك[٥١] : (دير سِمْعَان أربعة مواضع ، وسمعان هو شَمْعُون الصَّفا من الحواريين ، وله دِيَرَةٌ كثيرة ، والذي بلغنا منها هذه [٣٠/ب] أحدها دَيْرُ سمعان في غوطة دمشق ، وفيه دفن عمر بن عبد العزيز في الصحيح من الأخبار ، ولا يعرف الآن . ودير سمعان من نواحي انطاكية دير كبير كالمدينة فيما بلغني ... ودير سمعان قرب المعرة يقال فيه قبر عمر بن عبد العزيز ، والأول أصحّ ، ودير سمعان من نواحي حلب[٥٢] بين جبل عُلَيّم والجبل الأعلى) . انتهى .

وقال في القاموس[٥٣] (دير سمعان — بالكسر — موضع بحلب ، وموضع بحمص به دفن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه) . انتهى .

فعلى هذا يكون المذكور هنا من دير سمعان خمسة مواضع . ويكون الذي رجّحه صاحب المشترك أنّ عمر بن عبد العزيز مدفون في دير سمعان الذي في غوطة دمشق ، والذي رجّحه صاحب القاموس أن دير سمعان الذي دفن فيه عمر بن عبد العزيز هو الذي بحمص .

ويؤيّد الثاني ما قاله النووي رحمه الله تعالى في تهذيب الأسماء واللغات[٥٤] : (توفي عمر بن عبد العزيز بدير[٥٥] سمعان قرية قريبة من حمص ، وقبره هناك مشهور يزار ويتبرك به) .

---

(٤٩) ليست اللفظة في ق .
(٥٠) المصباح المنير (سمع) .
(٥١) انظر المشترك ١٨٩ .
(٥٢) ق : (موضع بالكسر أربع وموضع بحلب) .
(٥٣) ورد (دير سمعان) في القاموس مرتين : الأولى في مادة (دير) والثانية وهي المقصودة هنا في (سمع) وكذا في تاج العروس .
(٥٤) تهذيب الأسماء واللغات ١٩/١ .
(٥٥) ق : (في دير) .

والذي يرجّح الأول ما قاله البكري في معجم ما استعجم في دير سمعان[٥٦] : (قال أبو الفرج — يعني الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني[٥٧] — : هذا الدير بنواحي دمشق ، حواليه قصور مستنزهات وبساتين لبني أمية . وهناك قبر عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، ولبعض الشعراء فيه يرثيه[٥٨] : [من البسيط]

قد قُلْتُ إذْ أوْدعوك[٥٩] الترب وانْصَرَفُوا
لا يبعدنَّ قوام العَدْلِ والدِّينِ

قد غيَّبوا في ضريح التُرْبِ[٦٠] مُنْجَدِلاً
بدَيْرِ سمعانَ قسطاسَ الموازينِ

من لم يكنْ همُّهُ عين[٦١] يفجّرُها
ولا النَّخيلُ ولا ركضُ البراذينِ

وكان عمر رضي الله عنه اشترى موضع قبره بدير سمعان ، وكان مرض هناك) . انتهى .

وقال الهروي في الزيارات ، عند ذكر الزيارات بمدينة حلب وأعمالها[٦٢] : (دير نفير[٦٣] من بلد المعرة به قبر عمر بن عبد العزيز ، وقيل قبره بدير سمعان ، بل المشهور هذا) انتهى .

وأغرب البصروي في فضائل الشام حيث قال : (وقيل إنه دفن بباب[٦٤] الصغير ، وهي مقبرة بدمشق الشام ، وهناك ضريح مشهور أنّه قبره ، وقيل إنه توفي بدير سمعان) . انتهى كلامه . [٣١/أ] والعجب منه أنّه قدم الضعيف وأخر ما أجمع عليه الثقات من المؤرخين .

(٥٦) الخبر في معجم ما استعجم ٥٨٥/٢ دون نسبة إلى أبي الفرج .

(٥٧) لم أجد هذا الخبر فيما طبع من كتاب الأغاني لأبي الفرج .

(٥٨) الأبيات ، كما هنا ، ترتيباً وعدداً ، في معجم ما استعجم ٥٨٥/٢ ، وهي في الكامل للمبرد ٢٧٢/٢ وبالترتيب التالي : ٢ ، ٣ ، ١ .

(٥٩) في معجم ما استعجم : (قد قلت اذ ضمنوك) ورواية البيت في الكامل :
أقولُ لمّا أتاني ثَمَّ مَهْلَكُه — لا يبعدنَّ قوام الملك والدينِ

(٦٠) في معجم ما استعجم : (ضريح القبر) ، ورواية البيت في الكامل :
قَدْ غيَّبَ الدافنون اللحدَ إذ دفنوا — بدير سمعان قسطاس الموازين

(٦١) في معجم ما استعجم والكامل : (عيناً) .

(٦٢) زيارات الهروي ٧ .

(٦٣) في زيارات الهروي ومعجم البلدان (دير نَقِيرة) ، وفي مسالك العمري ٣٥١/١ — ٣٥٢ (دير المعرة) .

(٦٤) ق : (في باب) .

والراجح عندنا[٦٥] ما ذهب إليه النووي وصاحب القاموس من أنّ دير سمعان الذي دفن فيه عمر بن عبد العزيز هو الذي بحمص .

وقد ذهبنا إليه في مسافة نحو ميل عن بلدة حمص ، وأشرفنا عليه ، فوجدناه متهدم الجدران من الجهات الأربع ، في وطأة من الأرض ، ولم نجد هناك قبراً ولا شيئاً يدلّ على أنه كان هناك قبر معلوم بل قيل لنا هذا مكان دير سمعان ، وآثاره تدلّ عليه ، ولوامع الأنوار تشرق لديه . فوقفنا هناك ، وقرأنا الفاتحة إلى روح عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى ، ولذنا ببركات ذلك الحرز الحريز ، وهو مشهور عند أهل حمص أنه مدفون في ذلك الدير ، ومقصودنا تحصيل كمال البركة والخير .

أبيات للشريف الرضي في مدح عمر بن عبد العزيز

ولـقد وجدنا في ديوان شعر الشريف الأجل الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين ابن موسى بن محمد بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن زين العابدين بن علي الباقر بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم أجمعين أنه قال في عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه ، وقد أجرى ذكره ، وما تفرّد به عن أهل بيته من الصلاح والعدل وجميل السيرة ، وما كان منه من قطْعِه سبَّ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . ولما روي عن جعفر بن محمد أنه قال : كان العبد الصالح أبو حفص[٦٦] . يعني عمر ابن عبد العزيز يهدي إلينا الدراهم والدنانير في زقاق العسل ، خوفاً من أهل بيته ، ذلك قوله[٦٧] : [من الخفيف][٦٨]

يا بْنَ عبدِ العزيزِ لو بَكتِ العَيْـ ـنُ فتًـى مـن أميـةٍ لبكيتُكْ
غيـرَ أني أقـولُ إنك قـد طبْـ ـتَ وإنْ لم يطبْ ولم يزكُ بيتُكْ
أنتَ نزَّهْتَنـا عـن السبِّ والقـذْ فِ فلـو أمكـنَ الجزاءُ جزَيْتُكْ
وَلَـوَ انّـي رأيتُ قبركَ لاستحْـ ـيَيْتُ مـن أن أُرى ومـا حَيَّيتُكْ
وقليـلٌ أنْ لـو بـذلتُ دماء الـ ـبُدنِ ضرباً على الذُّرى وَسَقَيْتُكْ
ديـر سمعـان لا أغـبَّكَ[٦٩] غـادٍ خيرُ ميتٍ من آل مروانَ مَيْتُكْ[٧٠]

---

(٦٥) رحم الله النابلسي فقد رجح الرأي البعيد ، ولم يبين لنا سبب ترجيح هذا الرأي مع العلم أن دفنه قرب دمشق أقرب إلى واقع ما حدث .

(٦٦) ق (أبو جعفر) وهو تصحيف .

(٦٧) ق : (قول الرضي رضي الله تعالى عنه) .

(٦٨) الأبيات في ديوان الشريف الرضي ٢٥١/١ ، وهي دون الخامس والتاسع من فوات الوفيات ١٣٥/٣ .

(٦٩) ق : (لأغبك) .

أنت بالذكــر بين عينــي وقلبــي إن تدانيتُ منك أو إنْ نَأَيْـتُكْ[71]
إذا حَـــرَّكَ الحشا خاطـــرٌ مِنْـــ ـكَ تــوهمتُ أننــي قــد رأَيْــتُكْ
وعجــيبٌ أني قَلَــيْتُ بنــي مَــرْ وانَ طُــرّاً وأننــي مــا قليــتُكْ
قـرب العـدل منك لمّا نـأى الجو ربهم فاجتــــويتهم واجتبيـــــتُكْ
فَلَــوَ آنّــي ملــكتُ دفقــاً لمانــا بك مـن طـارق الـردى لفديـتُكْ[72]

ولقد[73] استوفينا الكلام في ذكر عمر بن عبد العزيز وترجمته في كتابنا (زهر الحديقة في رجال الطريقة)[74] وترجمته[75] مما أُفردت بالتآليف .

قبر وحشي الصحابي

ثم ذهبنا إلى زيارة وحشي الصحابي المشهور ، وثوبان مولى رسول الله ﷺ الصحابي المشهور أيضاً رضي الله عنهما .

فأتينا إلى جامع كبير فيه منبر ومنارة ، يسمّى جامع السّرّو في داخل مدينة حمص ، وهما في قبرين داخل ذلك الجامع المذكور ، أحدهما بجانب الآخر ، وعليهما قبة واحدة صغيرة .

فأما وحشي[76] فهو وحشي بن حرب مولى بني نوفل ، وهو قاتل حمزة عم النبي ﷺ ، وقصة قتله له ساقها البخاري في صحيحه مطوّلةً ، وفيها قصة إسلامه ، وأمر النبي ﷺ أن يغيّب وجهه عنه ، وكان قدومه مع وفد أهل الطائف ، وذكر في آخرها أنه شارك في قتل مسيلمة . وشهد وحشي اليرموك ، ثم سكن حمص ، ومات بها ، وعاش وحشي إلى خلافة عثمان رضي الله عنهما . كذا في كتاب الإصابة في ذكر الصحابة[77] للحافظ ابن حجر العسقلاني ، رحمه الله .

---

(٧٠) رواية البيت في الفوات :
ديـرَ سمعـان فـيك مـأوى أبي حَفْـ ـصٍ فـوِدّي لـو أننـي آويـتُكْ
(٧١) ح : (قد نأيتك) .
(٧٢) في الفوات : (لا فتد تيك) .
(٧٣) ن ح : (وقد) .
(٧٤) في الظاهرية نسخة منه برقم (٧١٩١) في ٨٦ ورقة .
(٧٥) في هامش ت (بلغ مقابلة) .
(٧٦) قتل وحشي سنة ٢٥ هـ . وانظر ترجمته في الاستيعاب ٤/١٥٦٤ ، والإصابة ٣/٦٣١ .
(٧٧) انظر الإصابة ٣/٦٣١ .

ثوبان مولى الرسول ﷺ

وأما ثوبان[78] رضي الله عنه فهو بفتح الثاء المثلثة ، وسكون الواو ، وفتح الباء الموحدة ، بعدها ألف ونون ، بضبط ابن ماكولا[79] ، وغيره .

وهو مولى رسول الله ﷺ ابن بُجْدُد — بموحدة مضمومة ، ثم جيم ساكنة ، ثم دال مهملة مكررة الأولى مضمومة — ويقال ابن جحدر الهاشمي ، ومن أهل السراة[80] : موضع بين مكة واليمن . وقيل إنه من حمير ، وقيل من الهان ، أصابه سباء ، فاشتراه رسول الله ﷺ ، فأعتقه ، ولم يزل معه في الحضر والسفر[81] ، فلما توفي رسول الله ﷺ خرج إلى الشام ، ثم نزل [٣٢/أ] حمص ، وابتنى فيها[82] داراً . وتوفي بها سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة أربع وخمسين ، كذا ذكره النووي ، رحمة الله تعالى في تهذيب الأسماء واللغات[83] .

فوقفنا عند قبريهما ، وقرأنا لهما الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بما تيسّر من الدعاء .

قبر مسعود المغربي

ثم ذهبنا إلى مسجد هناك لطيف ، فيه قبر ، وعليه قبة معقودة ، يقولون[84] إنه قبر الشيخ مسعود المغربي ، وهو رجل من الأولياء الصالحين ، فزرناه وقرأنا له الفاتحة .

جامع الشرفاء

ثم ذهبنا إلى جامع يسمّى سابقاً جامع الأكراد ، وهو الآن مشهور بين أهل حمص بجامع الشرفاء ، وفيه منبر ومنارة ، وفيه قبر يقولون إنه دفن فيه الشيخ عمرو وكان[85] من أهل الله تعالى ، فزرناه وتبركنا به ، وقرأنا له الفاتحة .

أبو موسى الأشعري

ثم ذهبنا فزرنا قبر أبي موسى الأشعري[86] الصحابي المشهور في مسجد صغير

---

(٧٨) توفي ثوبان سنة ٥٤ هـ . وانظر ترجمته في حلية الأولياء ١٨٠/١ والاستيعاب ٢١٨/١ ، والإصابة ٦٣١/٣ .

(٧٩) انظر الإكمال ٥٥٩/١ .

(٨٠) في الأصول : (الشراة) ، وهو تصحيف ، وانظر معجم البلدة (السراة) .

(٨١) ح : (في السفر والحضر) .

(٨٢) ق ، ح : (بها) .

(٨٣) تهذيب الأسماء واللغات ١٤١/١ .

(٨٤) ق : (فيقولون) .

(٨٥) في الأصول (عمر وكان) وانظر زيارات الشام لابن الحوراني ١٥١ .

هناك ، على حسب ما يقال إنه مدفون فيه ، فقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

واسمه عبد الله بن قيس . ولي زبيد وعدن للنبي ﷺ ، وولّي الكوفة والبصرة لعمر[87] رضي الله عنهما ، ولم يزل على البصرة إلى صدر خلافة عثمان[88] رضي الله عنه . وعاش إلى خلافة علي رضي الله عنه[89] ، ثم انقبض إلى مكة[90] ، ومات بها ، وقيل إنه مات بداره بالكوفة بجانب المسجد سنة اثنتين وأربعين ، وقيل سنة خمسين ، وقيل سنة اثنتين وخمسين . كذا ذكره ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب[91] .

فعلى هذا يكون قبره في مكة أو في الكوفة لا في حمص ، ويؤيّده ما قاله الصاغاني في كتابه در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة : (عبد الله بن قيس بن سليم ، أبو موسى الأشعري رضي الله عنه . توفي بمكة ، وقيل بالثويّة على ميلين من الكوفة .

وقال ابن الأثير في النهاية في حرف الثاء المثلثة : [92](الثُّوَيَّة — بضم الثاء ، وفتح الواو ، وتشديد الياء ، ويقال بفتح الثاء ، وكسر الواو — : موضع بالكوفة به قبر أبي موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة) .

قبر عكاشة بن محصن

ثم ذهبنا إلى مسجد صغير فيه محراب ، وعند حائطه الشمالي قبر عكاشة بن محصن [٣٢/ب] الصحابي رضي الله عنه ، على حسب ما يقال ، فزرناه وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى عنده بما تيسّر لنا من الدعاء .

وعُكاشة[93] — بضم العين المهملة على حسب ضبط الفارابي في ديوان الأدب ، وبتخفيف الكاف وتشديدها وجهان مشهوران ، ورواية الأكثرين بالتشديد كما ذكره النووي رحمه الله تعالى في تهذيب الأسماء واللغات وقد اقتصر الفارابي على تشديد الكاف .

(٨٦) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد وحلية الأولياء ١/٢٥٦ ، والاستيعاب ٣/٩٧٩ ، وغاية النهاية ١/٤٤٢ والإصابة ٢/٣٥٩ .

(٨٧) ق (لعمر بن الخطاب) .

(٨٨) ل : (عثمان بن عفان) .

(٨٩) ح (عنهما) .

(٩٠) ق : (مكة المشرفة) .

(٩١) الاستيعاب ٣/ ٩٨٠ — ٩٨١ بترتيب مغاير .

(٩٢) النهاية ١/٢٣١

(٩٣) توفي عكاشة سنة ٢١ هـ/٦٣٣ م وانظر في ترجمته : حلية الأولياء ٢/١٢ والاستيعاب ٣/١٠٨٠ والإصابة ٢/٤٩٤ .

وهو ابن محصن (٩٤)ــ بكسر الميم(٩٤) ـــ واستشهد في قتال المرتدين في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه كذا ذكره النووي في التهذيب . وقال الصاغاني في وفيات الصحابة : (عكاشة بن محصن الأسدي استشهد ببزاخة) .

وفي النهاية لابن الأثير : (بزاخة ـــ بضم الباء يعني الموحدة وتخفيف الزاي ـــ موضع(٩٥) كانت به وقعة للمسلمين في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه) . انتهى .

والظاهر أن الموضع المسمّى ببزاخة في أراضي اليمامة . واليمامة ـــ كما في القاموس ـــ (دون المدينة في وسط الشرق عن مكة على ست عشرة مرحلة من البصرة وعن الكوفة نحوها)(٩٦) . انتهى . وفي المصباح : (واليمامة بلدة من العوالي وهي من بلاد بني حنيفة ، وبها تنبّأ مسيلمة الكذاب ، وهي في(٩٧) بلاد البحرين) . فعلى هذا يكون قبر عكاشة حيث استشهد لا في حمص ولا في غيرها من البلاد .

قبر الشيخ معدان

ثم مررنا في الطريق على قبر الشيخ(٩٨) معدان في مكان له هناك . وهو رجل من أهل الصلاح والدين مشهور بين أهل حمص . وهو بفتح الميم وسكون العين المهملة بعدها دال مهملة على حسب ما هو المشهور بينهم . فقرأنا له الفاتحة .

قبر عبد الله بن مسعود

ثم مررنا على قبر هناك يقال إنه قبر عبد الله بن مسعود(٩٩) الصحابي رضي الله عنه فقرأنا له الفاتحة .

قال الصاغاني في وفيات الصحابة : (عبد الله(١٠٠) بن مسعود رضي الله عنه توفي بالمدينة(١٠١) ودفن في البقيع) .

(٩٤) (٩٤ ـــ ٩٤) ليس ما بين الرقمين في ح .
(٩٥) ق : (موقع) .
(٩٦) القاموس المحيط (يمم) وفيه وفي الأصول (ستة عشر مرحلة) .
(٩٧) ح (من بلاد) .
(٩٨) ليست (الشيخ) في ن ولا في ح .
(٩٩) توفي عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن سنة ٣٢ هـ/٦٥٣ م وانظر ترجمته في المحبر ١٦١ وحلية الأولياء ١٢٤/١ والاستيعاب ٩٨٧/٣ ، وغاية النهاية ٤٥٨/١ ، والاصابة ٣٦٨/٢ .
(١٠٠) ح (إن عبد الله)
(١٠١) ن : (في المدينة) .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات[١٠٢] : (نزل الكوفة في الجزيرة وتوفي بها وقيل عاد إلى المدينة ودفن في البقيع) .

[٣٣/أ] وعلى هذا فليس هو مدفون في حمص[١٠٣] ولا في غيرها ، وإنما هو مدفون في المدينة أو في الكوفة .

ثم عدنا إلى منزلنا ونحن في غاية النشأة والصفاء ، وكمال البشر بزيارة الصالحين وحفظ عهود الوفاء .

جامع خالد بن الوليد

ثم لما قربت صلاة الجمعة ذهبنا إلى خارج البلدة إلى الجامع الذي دفن فيه الصحابي الجليل سيدي خالد بن الوليد رضي الله عنه لأجل صلاة الجمعة فيه مع الإخوان ، فمررنا في الطريق على الوادي المسمى بالكثيب الأحمر عندهم الذي يقال إنه استشهد فيه ثلاث مئة رجل من أصحاب رسول الله ﷺ . فقرأنا لهم الفاتحة ودعونا الله تعالى هناك بما تيسر لنا من الدعاء . ثم دخلنا إلى جامع خالد بن الوليد رضي الله عنه وصلينا فيه صلاة الجمعة ثم زرنا ضريح خالد بن الوليد رضي الله عنه نحن وجماعة كثيرون ممن صلّى معنا في ذلك الجامع . ووقفنا حول قبره وقرأنا[١٠٤] الفاتحة ودعونا الله تعالى[١٠٥] لنا ولجميع إخواننا[١٠٩] المسلمين .

خالد بن الوليد رضي الله عنه

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : (هو أبو سليمان، وقيل هو أبو الوليد خالد بن الوليد[١١٠] بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي المخزومي سيف الله .أنّ أمه لبابة الصغرى بنت الحارث ، أخت ميمونة

(١٠٢) تهذيب الأسماء ٢٨٩/١ .

(١٠٣) ن وح : (بحمص) .

(١٠٤) ح : (وقرأنا له) .

(١٠٥) ح : (بما تيسر لنا ولجميع المسلمين) .

(١٠٦)

(١٠٧)

(١٠٨)

(١٠٩) ليست (إخواننا) في ح .

(١١٠) وفاته سنة ٢١ هـ/٦٤٢ م ، وانظر في ترجمته · الاستيعاب ٤٢٧/٢ وتهذيب ابن عساكر ٩٢/٥ — ١١٤ والإصابة ٤١٣/١ والأعلام ٣٤٢/٢ .

أم المؤمنين . أسلم خالد بعد الحديبية ، وشهد غزوة مؤتة . وسمّاه النبي ﷺ يومئذ سيف الله[111] . وشهد خيبر وفتح مكة وحنيناً . وكان من المشهورين بالشجاعة والشرف والرئاسة ثبت في صحيح البخاري عنه أنه قال : لقد اندق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية .

وقال الزبير بن بكار وغيره : (كان خالد هو المقدّم على خيول قريش في الجاهلية ، ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل ، فيكون في مقدمتها . وأمّره أبو بكر رضي الله عنه على قتال مسيلمة الكذاب والمرتدين باليمامة ، وكان له في قتالهم الأثر العظيم . وله الآثار العظيمة المشهورة [٣٣/ب] في قتال الروم بالشام والفرس بالعراق . وافتتح دمشق . وكان في قلنسوته شعر[112] من شعر رسول الله ﷺ يستنصر به وببركته فلا يزال منصوراً ، ولما حضرت خالداً الوفاة قال : لقد شهدت مئة زحف أو نحوها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية وها أنا أموت على فراشي فلا نامت أعين الجبناء ، ومالي من عمل أرجى من لا إله إلّا الله ، وأنا متترس بها . وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في سنة إحدى وعشرين ، وكانت وفاته في حمص ، وقبره مشهور[113] على نحو ميل من حمص . وقيل توفي بالمدينة . قاله أبو زرعة الدمشقي[114] عن دحيم والصحيح الأول . وحزن عليه عمر والمسلمون حزناً شديداً) . إلى هنا كلام النووي[115] رحمه الله تعالى .

وقال الهروي في كتاب الزيارات[116] له : (وقيل[117] إن خالداً مات بقرية على نحو ميل من حمص وقيل . وهذا الذي بحمص خالد بن يزيد الذي بنى القصر بحمص وآثار القصر غربي الطريق انتهى قلت : وكون قبره في حمص في مزاره المعروف به الآن مما لا ينبغي أن يشكّ فيه لأنّ تلك الحضرة عليها الجلالة والمهابة والوقار .

وكان بعض من معنا يحفظ شيئاً من قصيدتنا الدالية التي امتدحناه بها سابقاً ونحن في بلادنا دمشق الشام ، وكتبناها وأرسلناها إلى حمص فوضعت في الحائط عند قبره فقام وأنشد في تلك الحضرة ما كان يحفظه[118] من تلك الأبيات ، فصار من ذلك خشوع

---

(١١١) ح [سيف الله يومئذ) .

(١١٢) ق : (شعرات) .

(١١٣) ق (مشهور بها) .

(١١٤) تاريخ ابن زرعة الدمشقي ٥٩٤ .

(١١٥) تهذيب الأسماء واللغات ١٧٣/١ — ١٧٤ .

(١١٦) الإشارات إلى معرفة الزيارات ٨ .

(١١٧) ق (قيل) بدون الواو .

(١١٨) ح ن : يحفظ .

عظيم وحصلت للحاضرين أحوال سنية . والقصيدة المذكورة هي قولنا سابقا في مدح خالد بن الوليد رضي الله عنه : [من الخفيف]

إنّ حمصاً بخالـــدِ بـــنِ الوَليـــدِ
هِـــيَ حِصْنٌ لشَيْخهـــا والوَليـــدِ

قُـــرَشِيٌّ مـــن كَـعْبِ بـــن لُـــؤَيٍّ
نَسْلِ قَـــوْمٍ ذَوي مكـــارِمِ صيـــدِ

نَسْلُ مُخْـــزوم ابـــن يَقْظَـــةَ كانَتْ
أُمُّـــهُ مـــن ذَواتِ أَصْلٍ مجَيـــدِ

أُخْتُ مَيْمونَـــةَ الشَّريفَـــةِ قَـــدْرًا
زَوْجَـــةِ المُصْطَفَـــى الـــرَّسولِ الوَحيـــدِ

شاهِـــدٌ منـــه قَـــدْ تَلاهُ لَدَيْنـــا
نَسَبٌ مثْـــلُ عَقْـــدِ دُرٍّ نَضيـــدِ [٣٤/أ]

كانَ يَمْتَـــنُّ بالوَفـــا[119] يَـــوْمَ وَعْـــدٍ
وبُخْلـــفِ الوَعيـــدِ يَـــوْمَ الوَعيـــدِ

جَبَـــلٌ مـــن هُـــدًى تَشَعْشَعَ نـــوراً
فاهْتَـــدى مَـــنْ لـــه رَأْيٍ مـــن بَعيـــدِ

وَهْـوَ سَيْفُ اللّهِ الذي مـا انـتضاهُ الـ
ـلّـــهُ إلّا أزالَ رَأْسَ العَنيـــدِ

لـــقَبٌ خَصَّـــهُ الـــرَّسُولُ يَـــوْ
مَ غَـــزا مُؤْتَـــةً بُجهْـــدٍ جَهيـــدِ

كَـــمْ فَـــرَى مـــن جَماجِـــمٍ وَرِقـــابٍ
ذلِكَ اليَـــومْ فَهْـــوَ يَـــوْمُ الحَصيـــدِ

كانَ يُدْعَـــى فَيَسْتَجـــيبُ سَريعـــاً
لحُـــروبِ العِـــدا بِعَـــزْمٍ شَديـــدِ

فَكَـــأَنَّ الـــذي دَعـــاهُ إليها
قَـــدْ دَعـــاهُ لِقَصْعَـــةٍ[120] مـــن ثَريـــدِ

---

(١١٩) ق : (كان يمتن يوم بالوفاء يوم وعيد) وفي ن : (بالوفاة) وفي هامشها : (لعلها الوفاء) .

(١٢٠) مط (لقصة) وهو تصحيف .

أَسَداً كانَ مــن أُسودِ المَغــازي
كاسِراً كُــلَّ ضَيْغَــمٍ صِنْديــدِ
مــا تَلَــوّى في كَفّــهِ الرُّمْــحُ إلّا
عُوِّضَتْــهُ الــرُّؤوسُ جيــداً بجيــد
وعجــيبٌ سَيْــفٌ صال سَيْــفٌ
وهْــوَ في غِمْــدِهِ وفي التَّجرْيــد
صارمٌ كَيْفمــا تَوَجَّــهَ أفْــرى
مُطْلَــقُ الحَــدِّ في ذوي التَقْييــد
لابسٌ في الوَغــى ثيــابَ المَــوالي
لِقتــالِ المُجرَّديــن العبيــد
وهْــوَ في الجُــودِ والمكــارِمِ بَحْــرٌ
مــا عَلــى بَــرٍّ بِــرِّه مــنْ مزيــد
صَحِبَ المُصْطفــى النَّبــيَّ إلى أنْ
نــالَ في صِدْقِــهِ مقــامَ الشّهيــد
طالبــاً نصرَةً بِبِــيضٍ سُيــوفٍ
مــالها في الحُــروبِ مــن تسْويــد
وَحَمَــى دِينَــهُ المَتِيــنَ بِقَــرْمٍ
منــه يــوْمَ الهيــاجِ شَهْــمٍ جليــد
خــاضَ في اللّــهِ كُــلَّ غَمْــرةِ حَــرْبٍ
كَهْفُهــا(١٢٢) دُونَــهُ الــرَّدى بالوصيــدُ
وَجَلاهــا بِعَزْمِــهِ في وُجــوهٍ
مِــن صِحــابٍ تَفُــوقُ أوْجُــهَ غيــد
كانَ في الحَــرْبِ ذا افْتخــارٍ وعُــجْبٍ
قَصْدَ أمْــرٍ مــن الأُمــور رشيــد
حَيْثُ حِمْصٌ به تَفوحُ(١٢٣) كَمِسْكٍ(١٢٤)
فَتَفُــوهُ البِــلادُ بالتَّحميــد

(١٢١) ح (سيفاً) .
(١٢٢) مط (كفها) .

راحَ منها العـــاصي بِـــمَشْرب صِدْقٍ
سَيْـــرُهُ خـــالِصٌ مـــن التَّنكيـــدِ
ولَدَيْهـــا أبـــو الوليـــدِ مُقيـــمٌ
لِلَّـــذي يَشْتَكـــي ولِلْمُسْتَفيـــدِ
رابضٌ كَالْهِزَبْـــرِ بالقُـــرْبِ منها
خَـوْفَ ذي لِبْـدَةٍ مـن الغَـيِّ سيـدِ
دَرَكٌ في ضَمانِـــــه لِبَــــنيها
مـن عَـدُوٍّ عـاتٍ عَلَيْهـم مَريـدِ[125]
يـا سَقـى اللّـهُ عَهْـدَ خالِـدَ قِدْمـاً
كان رُكْـنَ الهُـدَى عَلَـى التَّخْليـدِ
غـــزواتٌ مَـــعَ الـــرَّسولِ أتاهـــا
باشْتِـــدادٍ يَـــوْمَ الجِـــلادِ حَميـــدِ
شَهِـــدَ الفَتْـــحَ فَتْـــحَ مَكَّـــةَ حَتَّـــى
فَـــازَ بـــالحظِّ والمَقـــامِ الفَريـــدِ
وَأتَـــى يَقْـــتضي جُمـــوعَ حُنَيْـــنٍ
فَرَمَـــى شَمْلَهُـــنَّ بالتَّبْديـــدِ
وَسَلُـــوا خَيْبَـــرَ الخَـــبيرةَ عَنْـــهُ
يَـــوْمَ مـــا عَـــنْ سِهامِـــهِ مِـــنْ مَحَيـــدِ
حَـــيْثُ وافى ذوي الضَّلالِ بِعَـــزْمٍ
في هَـوَى المُصْطَفـى قَـوِيٍّ عَتيـدِ[126]
قَـــوْمُ سُوءٍ أبَـــوْا هِدايَـــةَ حَـــقٍّ
فَأتَـــوْا بـــالضَّلالِ والتَّشْدِيـــدِ
أخَذَتْهُـــمْ سُيـــوفُ أحْمَـــد هلّا
نَظَـــروا كَـــمْ مُجَنْـــدَلٍ وَطَريـــدِ

---

(١٢٣) ح : (تفوح به كمسك فتفوء ...) .
(١٢٤) ق : (بمسك) .
(١٢٥) استدرك البيت في هامش ت .
(١٢٦) في ح : (عنيد) .

فاتهُمْ بالهُدى طَهارَةُ ماءٍ
فَكَفاهُمْ تَيَمُّمٌ بالصَّعيدِ

كانَ رُكْناً في الجاهِليّةِ صَلْداً
فَحماهُ الإسْلامِ بالتَّشْييدِ

مِئَة — قال — من حروبٍ دخلنا
بَيْنَ جمعٍ من الكُماةِ غديدِ

ثُمَّ مِنّي لَمْ يَبْقَ مَوْضِعُ شِبْرٍ
سالِماً من آثارِ ضَرْبِ الحَديدِ

وَعَلى مَفْرَشي أُمُوتُ فَلانا
مَتْ عُيونُ الجَبانِ والرِّعْديدِ

ثُمَّ من بَعْدِ ذاكَ مالي رَجاءٌ
غَيْرَ نُطْقي بكِلْمَةِ التَّوْحيدِ

كَمْ لَهُ في بني حَنيفَةَ قَتْلٌ
يَوْمَ حَرْبِ اليَمامَةِ العِبْديدِ

وَرَمى في الوَغى مُسَيْلَمَةَ الكَذْ
ابَ بالخِزْيِ والنَّكالِ المديدِ

وَعَلاهُ الهُمامُ بالسَّيْفِ حَتّى
كانَ يَوْماً كَأَنَّهُ يَوْمُ عِيدِ

بالوَحْشيّ الذي حازَ فِيهِ
ضَرْبَةً أوْرَثَتْهُ أنس(١٢٧) السَّعيدِ

وَبِدينِ الإلهِ طَهَّرَ منهم
عُصْبَةَ الشَّكِّ فيهِ والتَّرْديدِ

رِدَّةٌ أَشْبَهَتْ إقالَةَ بَيْعٍ
أَوْجَبَتْها السُّيوفُ بالتَّهْذيدِ

وَأبو بكرٍ الخَليفَةُ لَمّا
لَمَّ بالحَقِّ كُلَّ شَمْلٍ شَريدِ

وَغَدا كاشِفاً لِغُمَّةِ دِينٍ
طبقَ عَزْمِ المُبْدي لهُ بالمُعيدِ

رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ في كُــــلِّ وَقْتٍ
وَزَمـــانٍ على مَمــــرِّ الجديـــد
وَعَـــن الصَّحْبِ أَجْمَـــعين وآلٍ
هُـــمْ رجـــالُ الفَخـــارِ والتَّمْجِيــد
سَادَةُ النَّـــاسِ مـــا لَهـــمُ في المَعـــالي
مـــن مثيـــل أصحـــابِ رأيٍ سديـــد
حَفِظـــوا الدّيـــنَ ديـــنَ أحمدَ ممَّـــنْ
شَانَ بالـــذّبّ عنـــه والتّجْدِيـــدِ
قَـــدْ وَفَـــى يـــا أَبَـــا سُلَيْمـــانَ قَلْبـــي
لَكَ بالـــودِّ تـــاركُ التفنيـــدِ
كُـنْتُ مـــن قَبْـــلُ زُرْتُ قَبْـــرَكَ يَوْمـــاً
بضُلـــوعٍ وَهَتْ وقَـــلْبٍ عَميـــدِ
وَتَمَتَّـــعْتُ مـــن[128] جِمـــاكَ بقُـــرْبٍ
فمُـــرادي منّـــي كَحَبْـــلِ الوَريـــدِ
وَأنـــا اليَـــوْمَ في دمشقَ غَـــريبٌ
بيـــنَ قومـــي لأجـــلِ ألـــف فقيـــدِ
فَاشْتِيـــاقي الكَثيـــرُ أَوْجبَ عنـــدي
سَير مَدْحـــي إِلـــيكَ سَيْـــر البَريـــدِ
بَعُـــدتْ بَيْـــنَكَ الدّيـــارُ وبَيْنـــي
فَانْطـــوَى نَحْـــوكَ انْطـــواءَ البيـــدِ
بعُقـــودٍ مـــن النّظـــامِ تَسامَتْ
فائِقـــاتٍ عَلَـــى نِظـــامِ لَبيـــدِ
إنَّ عَبْـــد الغَنِـــيّ نابـــلُسِيٌّ
أَصْلُـــهُ قَـــدْ أَتَـــى بهـــذا القَصيـــدِ
يَرْتَجـــي مـــن إلهِهِ كُـــلَّ خَيْـــرٍ
[٣٥/أ] بـــحُصولِ القَبـــولِ والتَّأييـــدِ

---

(١٢٧) ح : (أمر) .

(١٢٨) ح (في) .

وَدَوام النّعيـــــــمِ في إنعـــــامِ
وَطريـــفِ مـــنَ المُنَـــى وتَليـــدِ
وَعَلى أَحْمَــــدَ النبــــيّ صَلاتي
وَسَلامـــي بغايـــةِ التّأْكِيـــدِ
مـــا تثـــنّتْ بَيْـــنَ الريـــاضِ غصونٌ
فوقهـــا الـــطير ضجٌ بالتغريـــدِ

قبر عبد الله بن عمر

ثم زرنا في ذلك المكان قبر عبد الله بن عمر الصحابي(١٢٩) رضي الله عنه على حسب ما يزعمه أهل حمص .

والمعتمد عليه ما قاله الصاغاني في درّ السحابة في وفيات الصحابة ، وعبارته : (عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . توفي بمكة ، ودفن بفخّ . وقيل بذي طوى) . انتهى .

وفي القاموس : (ذو طوى — مثلث الطاء ، يعني المهملة ، وينوّن — : موضع قرب(١٣٠)مكة) .

وقال في المصباح : (وذو طوى واد بقرب مكة على نحو فرسخ ، ويعرف في وقتنا بالزاهر في طريق التنعيم . ويجوز صرفه ومنعه ، وضم الطاء أشهر من كسرها ، فمن نوّن جعله اسماً للوادي ، ومن منعه جعله اسماً للبقعة مع العلمية أو منعه للعلمية مع تقدير العدل عن طاوٍ)(١٣١) . انتهى .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات(١٣٢) : (توفي ابن عمر رضي الله عنهما بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر ، وقيل : بستة أشهر . وقال يحيى بن بكير : توفي ابن عمر بمكة بعد الحج ، ودفن بالمحصّب ، وبعض الناس يقول بفخ ، وفخ بالخاء المعجمة موضع بقرب مكة) .

---

(١٢٩) انظر ترجمته في الاستيعاب ٩٥٠/٣ وتهذيب الأسماء واللغات ٢٧٨/١ — ٢٨١ ، والإصابة ٣٤٧/٢ .
(١٣٠) ق (بقرب) وهي تخالف ما في القاموس (طوي) .
(١٣١) المصباح المنير (طوي) .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : (مات عبد الله بن عمر بمكة ، وكان[133] رضي الله عنه[133] أوصى أن يدفن في الحل فلم يُقدر على ذلك من أجل الحجاج بن يوسف فدفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين . وكان الحجاج قد أمر رجلاً[134] فسمّ زجّ[135] رمح ، وزحمه في الطريق ، ووضع الزجّ في ظهر قدمه . وذلك أنّ الحجاج خطب يوماً وأخّر الصلاة ، فقال ابن عمر : إن الشمس لا تنتظرك . فقال الحجاج : لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك . قال[136] : إن تفعل فإنك سفيهٌ مسلطٌ ، وقيل إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج ، ولم يسمعه الحجاج وكان يتقدمه في المواقف [٣٥/ب] بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف عليها ، فكان ذلك يعزّ على الحجاج فأمر رجلاً معه حربة ، يقال إنها كانت مسمومة ، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأمرّ الحربة على قدمه وهو في غرز[137] راحلته فمرض منها أياماً ، فدخل عليه الحجاج يعوده ، فقال : من [فعل][138] بك يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : وما تصنع به ؟ قال :

قتلني الله إن لم أقتله .

قال : وما [139] أراك فاعلاً . أنت الذي أمرت بنخسي بالحربة فقال : لا تقل يا أبا عبد الرحمن . وورد عنه أنه قال للحجاج إذ قال له : من [فعل][138] بك ؟ قال : أنت أمرت بإدخال السلاح في الحرم . فلبث أياماً . وصلّى عليه الحجاج)[140] انتهى .

وذكر الهروي في الزيارات : (أن المدفون في حمص إنما هو عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يعني بصيغة التصغير لا عبد الله أخوه ، وقيل إن عبيد[141] الله قتل بصفين[142] ، والله أعلم . وعبد الله بن عمر قتله الحجاج بالمدينة ، وقيل مات بمكة ، ودفن في الحرم ، وقيل في مقبرة المهاجرين والله أعلم)[143] . انتهى .

---

(١٣٢) تهذيب الأسماء واللغات ٢٨١/١ .

(١٣٣ — ١٣٣) ليس ما بين الرقمين ق .

(١٣٤) ق (قد أمن برجل) .

(١٣٥) الزُّجّ : الحديدة في أسفل الرمح ونصل السهم « القاموس زج » .

(١٣٦) ح : (فقال) .

(١٣٧) الغرز : وهو ركاب من جلد توضع القدم فيه « القاموس غرز » .

(١٣٨) ليست لفظة (فعل) في الأصول وأثبتها عن الاستيعاب .

(١٣٩) ح : (وما) .

(١٤٠) الاستيعاب ٩٥٢/٣ — ٩٥٣

(١٤١) ن وح : (عبد الله) .

(١٤٢) في هامش ت : (ذكر قتله بصفين في مروج الذهب ، شمعة) .

(١٤٣) الإشارات ٨ — ٩ .

اليوم العاشر

١١٠٥/١/١٠ هـ = ١٦٩٣/١٠/١٠ م

ثم إننا عدنا إلى منزلنا[١] ونحن نتذاكر المسائل العلمية ، وننظر في معاني بعض آيات من القرآن وقع السؤال عن تفسيرها من ذوي الهمم العلية .

ثم بتنا في أتمّ الأحوال وتحقيق الآمال إلى أن أصبح صباح يوم السبت وهو اليوم العاشر من المحرم من هذا السفر الميمون ، والسعي المأمون .

زوّار من أهل حمص

فجاء إلى زيارتنا نقيب السادة الأشراف ، في تلك البلدة المباركة الأطراف ، وهو الحسيب النسيب الكامل السيد عبد الرزاق ، وحضر عندنا قاضيها وخطباؤها وعلماؤها وجلسوا حصّة من الزمان ، ونحن في المذاكرة معهم في أنواع المسائل العلمية ، وهم لنا في غاية الإذعان ، إلى أن قرب وقت الظهر ، وحان افتراض الصلاة بكمال الطُّهر ، فقمنا وأدّينا الصلاة في مكاننا ذلك مع الجماعة الذين وجدوا معنا هنالك[٢] .

بستان على شط نهر العاصي

وهممنا على الذهاب إلى شط نهر العاصي في بستان ثمة مشهور ، ونحن في [٣٦/أ] غاية الابتهاج والسرور ، وكان دعانا إليه مَنْ نحن في داره ومحله صاحب الأحوال المأنوسة فخر العلماء الكرام مولانا محمد أفندي المفتي بحمص المحروسة ، فذهبنا إليه ، وحللنا لديه ، فإذا هو بستان تركض النسائم الرطبة في ميدان مروجه ، وتعبق الأزاهير[٣] الغضة بين حدائقه النضرة فالداخل إليه مرغم في خروجه ، فأذكرنا عهد النيربين والربوة الشامية حتى أنشأنا هناك من النظام المستطاب هذه الأبيات الأدبية ، فقلنا في ذلك بمعونة القدير المالك[٤] : [من الوافر]

وَبُسْتـانٍ على العـاصي السَّعيـدِ ... بِحِمْصٍ مـا عَلَيْـهِ مـن مَزيـدِ
نَزَلْنـا تحت ظـلّ الـدَّوْحِ منـه ... فيـالك ثَـمَّ مـن ظـلّ مديـدِ

(١) ق : (منزلنا ذلك) ..
(٢) ح : (هناك) .
(٣) ن : (الأزاهر .
(٤) الأبيات في المسودة ل : ٦ .

تَظَـلُّ نَوافِـحُ النَّسمـاتِ تهدي ... إلَيْنـا فيه مـن طِـيبٍ حميـدِ(٥)
ولِلْعـاصي هُنـالِكَ بَسْطُ كَـفٍّ ... عَلَيْـهِ الموجُ كالـدُّرِ النَّضيـدِ
يَـروقُكَ فيـه كاللّبـن المُصَفَّـى ... زلُـلُ الماءِ في عَـزْمٍ شَديـدِ
أدامَ اللهُ دَوْلَـةَ مَـنْ دَعانـا ... إلَيْـه بِـنَشْأةِ العُمْـرِ السَّعيـدِ
إمامُ الـفَضْلِ مَحْمـودُ السَّجايـا ... كريمُ الأَصْلِ ذي الرَّأيِ السَّديدِ
محمـد الـذي حمصٌ تسامَتْ ... بـه بين المَـوالي والعَبيـد
حَمـاهُ اللهُ مـن كُـلِّ البَلايـا ... وكَرَّمَـهُ على أَمَـدِ الجديـدِ
وَساقَ إليـه رَوْنَـقَ كُـلِّ فَضْلٍ ... وبَهْجَـةَ كُـلِّ إنْعـامٍ جديـد

ولم نزل جالسين في ذلك المكان ، نحن ومن كان معنا من الأصحاب والإخوان ، إلى أن صلينا صلاة العصر نحن والجماعة ، وحصلنا على كمال الثواب إن شاء الله تعالى بإتمام الطاعة . ثم عدنا إلى منزلنا المعمور ، الذي هو بأنواع الخيرات(٦) إن شاء الله تعالى(٦) مغمور .

زاوية الشيخ جمال الدين

وقد كنا مررنا في الطريق ، على زاوية الشيخ جمال الدين أحد الصالحين من خير الفريق . فدخلنا(٧) إلى تلك الزاوية وفيها منبر الخطابة ، ومشهد الإنابة . ووقفنا بالقرب من قبر الشيخ جمال الدين المذكور ، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسّر لنا من الدعاء المأثور . وهو رجل من أولياء الله تعالى [٣٦/ب] ذكروا لنا عنه أنه شوهد حاضراً فتح جزيرة رُودُس مع السلطان سليمان خان ، عليه الرحمة والرضوان ، ومع ذلك أنه كان في حمص ولم يفارق أهلها ولا(٨) ساعة واحدة . وله كرامات كثيرة ، وخوارق شهيرة . ونقلوا لنا عن بهجته أنه كان يقول كما هو مذكور فيها : (من جاء إلى زاويتي ، وزارني فأنا ضامن له عند الله تعالى أن أشفع له يوم القيامة) . وزرنا عنده أولاده الكرام ، وأنجابه الأئمة العظام ، قدّس الله أرواحهم الطاهرة ، وأسرارهم الظاهرة .

---

(٥) في المسودة (جديد) .
(٦ — ٦) ما بين الرقمين ليس في ح .
(٧) ح : (في) .
(٨) ليست (ولا) في ق .

اليوم الحادي عشر

١١٠٥/١/١١ هـ = ١٦٩٣/١٠/١١

ثم لمّا أصبح الصباح ، وانكسفت[١] شمس المصباح . وكان ذلك اليوم يوم الأحد الحادي عشر من المحرم من هذا السفر ، عزمنا على الذهاب ، وركبنا خيولنا وسرنا على بركة الله تعالى الكريم الوهاب ، وخرجت الجماعة معنا للوداع ، وفارقناهم على أكمل ما تلذّ له الأعين وتتمتّع به الأسماع .

قبر بابا عمرو وترجمة عمرو بن عبسة

ومررنا في الطريق على مقام شريف ، فيه قبر منيف ، يقال له عند الناس قبر بابا عَمْرو ، ويزعمون أنه كان ساعي النبي ﷺ ، فذكر لنا بعض الناس أنّه قبر عمرو بن عنبسة الصحابي رضي الله عنه .

[٢]قلت : وليس في الصحابة من اسمه عمرو بن عنبسة[٢] بالنون قبل الباء الموحّدة[٣] . وإنما هو عمرو بن عبسة[٤] بالباء الموحدة بعد العين المهملة من غير نون .

قال النووي في تهذيب الأسماء[٥] (عمرو بن عَبَسة — بعين مهملة ثم باء موحدة مفتوحتين ثم سين مهملة على وزن عدسة ، وهذا بالضبط لا خلاف فيه بين أهل الحديث والأسماء والتواريخ والمؤتلف وغيرهم من أهل الفنون وبعضهم يزيد فيه نوناً وهذا غلط فاحش — أسلم قديماً ، وسكن حمص وتوفي بها) .

وذكر الصاغاني في وفيات الصحابة (أنه توفي بمصر) .

وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب عن عمرو بن عبسة أنه قال : (أُلقي في روعي أنّ عبادة الأوثان باطل[٦] ، فسمعني رجلٌ وأنا أتكلّم بذلك ، فقال : يا عمرو إن بمكة رجلاً[٧] يقول كما تقول قال : فأقبلت إلى مكة أول ما بعث النبي[٨] ﷺ وهو مستخفٍ

---

(١) ق ، ح (وانكشفت) .

(٢ — ٢) ليس ما بين الرقمين في ح .

(٣) ليست (الموحدة) في ح .

(٤) انظر ترجمته في الاستيعاب ١٩٩٢/٣ وتهذيب الأسماء واللغات ٣١/١ — ٣٢ والإصابة ٥/٣ .

(٥) ن : (واللغات) . وانظر تهذيب الأسماء ٣١/١ — ٣٢ .

(٦) ن و ح : (باطلة) .

(٧) ن : (إن رجلاً بمكة) .

فقيل لي إنك لا تقدر عليه إلا بالليل حتى يطوف ، فقمت[9] بين يدي الكعبة فما شعرت إلا بصوته يهلّل فقمت إليه فقلت : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا [٣٧/أ] نبيُّ الله . فقلت : وما نبيّ الله ؟ فقال : رسول الله . فقلت : وبمَ أرسلك الله ؟ قال : بأن تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتكسر الأوثان ، وتحقن الدماء . قلت : ومن معك على هذا ؟ قال : حرٌّ وعبدٌ ، يعني أبا بكر وبلال . فقلت : أبسط يدك أبايعك ، فبايعته على الإسلام . قال : فلقد[10] رأيتني وأنا رابع[11] الإسلام . قال : فقلت : أقيم معك يا رسول الله ؟ قال : لا ، ولكنَ إلحَقْ بقومك فإذا سمعت بأني قد خرجتُ فاتبعني . قال : فلحقت بقومي ، فمكثت وهناً[12] منتظراً خبره حتى أتت رفقة من يثرب ، فسألتهم عن الخبر . فقالوا : خرج محمد من مكة إلى المدينة)[13] . انتهى .

فدخلنا إلى ذلك المزار ، ووقفنا قبالة القبر وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسّر لنا[14] من الدعاء .

قرية الرستن

ثم لم نزل سائرين ، وقد تعين معنا جماعة من أتباع حاكم حمص في ذلك الوقت والحين إلى أن وصلنا إلى قرية الرستن — بفتح الراء وسكون السين المهملة بعدها تاء مثناة فوقيه مفتوحة ونون .

قال في القاموس : (رَسْتَن — كجعفر — بلدة بين حماة وحمص)[15] . انتهى .

وفي كتاب الزيارات للهروي قال : (الرستن : مدينة[16] قديمة بها آثار تدل على عظمها وأصحاب الرستن بها كانوا ، وقد ذكرت في الكتاب العزيز)[17] . انتهى .

(٨) ح : (النبي العربي) .
(٩) في الاستيعاب : (فنمت) .
(١٠) ح (فقد) .
(١١) الاستيعاب : (ربع) .
(١٢) ن ح : (فمكثت هنا) والاستيعاب : (دهراً) .
(١٣) الاستيعاب ١٩٩٢/٣ — ١١٩٣ .
(١٤) ليست (لنا) في ن وح .
(١٥) القاموس : (رسن) .
(١٦) ح (قرية) وهي تخالف رواية الهروي .
(١٧) الزيارات ٨ .

أبو يزيد قدس الله سره

فنزلنا بها في المزار المشهور أنّ فيه قبر الولي الكامل شيخنا الشيخ أبي يزيد البَسْطامي[١٨] قدس الله سره . وهو في مرتفع من الأرض[١٩] ، فيه جامع بمحراب ورواقات وعمارات للخدّام[٢٠] والمجاورين فيه . وفي خارجه بيوت لأهل تلك القرية ، وقد كانت مدينة فيما تقدم من الزمان كما يشير إلى ذلك ما تهدم فيها من البنيان ، وقبر الشيخ أبي يزيد قدس سره في قبة معقودة عليه وعلى قبره جلالة وهيبة يحققان حضوره هناك ويشيران إليه .

فدخلنا إلى زيارته ووقفنا عنده وقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسّر من الدعاء وصلينا الظهر هناك مع الجماعة وقد صنع الخدام لنا الضيافة على طريقة الفقراء .

والبَسْطامي بفتح الباء الموحّدة ، وقيل بكسرها ، نسبة إلى بلد بطريق نيسابور ذكره الأسيوطي [٣٧/ب] في لبّ اللباب[٢١] واسمه طَيْفور بن عيسى بن آدم بن علي أحد مشايخ الصوفية . وكان جدّه مجوسياً فأسلم . وكان لأبي يزيد أخوان صالحان عابدان وهو أجلّهم .

قال ابن خلكان[٢٢] : (وله مقامات ومجاهدات مشهورة ، وكرامات ظاهرة توفي سنة إحدى وستين ومئتين) .

وقد ذكر أبو نعيم ترجمته ، وذكر عنه كلمات حسان ، وأطال في ذلك ، قال : (إشاراته فائتة ، وعباراته عند عارفها كامنة) . انتهى .

وقد نظمنا في وقت زيارته هذه الأبيات وهي قولنا[٢٣] [من الكامل]

لأبي يَزيــدَ إمامِنــا في الرَّسْتَــنِ ... قَبــرٌ أتــاهُ يَــزورُه عَبْــدُ الغَنــي

مُتَــوَسِّلاً عنــد الإلــهِ بجاهِــهِ ... وكمالِ رفعــةِ شأنِــهِ في الأَشْؤُنِ

---

(١٨) سبق للنابلسي أن تحدث عنه .

(١٩) ن و ح : (وهو في مكان مرتفع عن الأرض) .

(٢٠) ن و ح : (للخدم) .

(٢١) لب اللباب ٣٧ .

(٢٢) وفيات الأعيان ٢/٥٣١ .

(٢٣) الأبيات في المسودة ل ٦ .

أَنْ يَمنــحَ المُسْتَنْجديـــن عنايـــةً مـــن فضلِــه وبما نُحــاول يَعْتَنـــي
وسقَــى الإلــهُ أبــا يزيــدَ وتربــةً ضَمَّتْهُ صَوْبَ نَوالِه العَذْبِ الهَني[٢٤]
وأدام ثَـــمَّ مرابعــــاً مَعْمــــورَةً بـالجودِ في حَرَمِ الكريم المُـحْسِنِ
لا زالَ سرُّ اللـــهِ منــتشراً بــــه ولوامعُ الأنــوارِ مــن قــلبٍ سنـي
طوالَ المَدَى ما هَبَّ ريحُ صباً وما نَفَحَتْ حَدائـق زنبق والسَّوْسَن[٢٥]

وعندنا في دمشق الشام في نواحي المرج القبلي قبرٌ على تلٍّ عالٍ في داخل بيت بالقرب من قرية تسمى قرحتا[٢٦] مشهور في تلك النواحي أن هذا القبر قبر أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه وله كرامات كثيرة بين أهل تلك القرى وقد ذهبنا إلى ذلك المقام وزرناه في اليوم الرابع[٢٧] من المحرم الحرام سنة اثنتين ومئة وألف مع جماعة كثيرين من الأصحاب وزمرة من الأحباب وقلنا في ذلك من النظام المستطاب [من الكامل]

لأبي يزيـــدَ الكامــــلِ البَسْطامــــي
أَسْنَــى مـــزارٍ في أجـــلِّ مقـــام
في أوجِ مَرْقَبــةٍ عَــلَت[٢٨] فكأنَّهــا
للعَيْـــنِ في الأفْــلاكِ بَــدْرُ تمــامِ
محروسةٌ تــلك الجهــات مــن العِــدا
بجلالـــهِ المشهـــودِ والإكـــرامِ
جَبَــلٌ تَشَعْشَعَ نــورُهُ بَيْـــنَ الـــوَرَى
فَسَمَتْ إليـــه خَواطـــرُ الأقْـــوامِ
وَزَهــا بأرْبــابِ القُلـــوبِ جَمالُـــه
ذاكَ المُنيـــرُ على مَـــدَى الأيّـــامِ
تَجد النسيـــمَ بـــه يجول مُهَيْمِنــاً
رَطْبَ الذُّيـــولِ مُبَلَّـــلَ الأكْمـــامِ
[٣٨/أ] يَــأتي بطـيب الــنَّشْرِ مـــن أرْجائــه
فيـــه الشّفـــا مـــن سائـــرِ الآلامِ

---

(٢٤) في المسودة (نواله المتهتن) .
(٢٥) ق : (أو سوسن) .
(٢٦) في معجم البلدان : قَرْحْتاء من قرى دمشق .
(٢٧) في ح : (اليوم الحادي عشر) .
(٢٨) ليست اللفظة في ق .

لَـوْ لَـمْ يكـنْ فيـه سِوَى طـيبِ الشّذا
ولطيـــفِ تَنْشيـــطٍ وهَضْمِ طعـــامِ
لَكَفَى وكَيْــفَ وفيــه أنــواعُ المُنــى
في قُــربِ حَضْرةِ شيخنــا المِقْــدامِ
شَيْــخُ الشُيــوخِ العــارفين بربِّهــم
أصْحــابِ رأسٍ في العلــوم وهــامِ[٢٩]
طَيْفُــور يــا شمسَ المعــارفِ والتّقــى
بالنُّــورِ مــنك مَحَــوْتَ كُــلَّ ظـلامِ
جْئنــاك مــن بُعْــدٍ نَــزُورُكَ قَصْدُنــا
مــنك التبــرُّكُ مَــعْ حُصولِ مَــرامِ
فَــعَسى مَعــاني اللّطــفِ تَشْمَلنــا بما
هُــوَ عــادةُ المَــوْلى الجَليــلِ السّامــي
وَمَتــى يَخــيبُ الــقَصْدُ في ذي رُتْبــةٍ
تَعْلــو عَــن الأفْكــارِ والأفْهــامِ
ذي رتبــةٍ كُــلُّ المَــراتِبِ دُونَهــا
مِيراثُ مُخْتــــارٍ أشَمَّ تِهامـــي
جمعَ الحقائـــقَ والطّرائـــقَ كُلَّهــا
وأفـــادَ كـــلَّ مُحَقّـــقٍ عَلّامِ
نــورٌ بــه اللهُ الكَريــمُ لَنــا حَبَــا
عَنّــا يُزيــلُ حَنــادِسَ الأوْهــام
وَقُلوبُنــــا مَسْرُورَةٌ بلقائِــــهِ
فَلِقــاؤُهُ فينــا كُــؤوسُ مــدامِ
نِلْنــا المُنــى بزيــارةٍ فُزْنــا بها
مَوْصُولـــةً بِلَطائِـــفِ الأنعـــامِ
وبدائـــعُ الألحانِ تعـــربُ بيننـــا
عـن كُـلّ مَغنّـى مطـرب الأنغـامِ[٣٠]

---

(٢٩) ق : (رهام) .

(٣٠) ق : (الأفهام) .

صَوْتٌ يحرّكُ في الغنـــاءِ شُجونَنـــا
وَيُهيــجُ منّـــا ساكــنَ التّهيـــامِ
فَسَقَـــى الإلـــهُ ثَـــرَى ضَريحٍ ضَمَّـــهُ
مــن رَحْمَــةِ الرَّحْمــنِ غَيْثـاً هامــي
وقبـــورَ أقـــوامٍ هُنـــالك حَوْلَـــهُ
مَحْفوفَـــةً مـــن نُـــوره بخيـــامِ
ورعــى المُهَيْمـنُ مـن إليـه بنـا أتى[31]
وَآثـــارَ مِنّـــا فيـــه فَـــرْطَ غـــرامِ
وَحَمـــاهُ مـــن رَيْبِ الزَّمـــانِ وصَرْفِـــه
وَأَدامَ رِفْعَـــــةَ قَـــــدْرِهِ[32] في الشّامِ
وَهُـوَ الخَليـلُ ابنُ الخَليــلِ ومَـنْ حَـوَى
لُطْـفِ الجنــابِ[33] وَصَوْلَــةَ الضِّرْغــامِ
أَبْقـــاهُ رَبُّ النّـــاسِ مَحْفوظـــاً على
طُـول المَــدَى مــن سائــرِ الأَسْقــامِ
مَـعَ صِنْـوِه المَحْفــوظِ إبــراهيمَ مَــنْ
قَــدْ سادَ كُــلَّ النّـــاسِ بالإقـــدامِ
وبعفَـــــةٍ ومَهابَـــــةٍ وشَهامَـــــةٍ
ولطيـــفِ أخـــلاقٍ وطـــيبِ كـــلامِ
وأمـــا جِـــدٌّ نمُرٌّ صَحبناهـــمْ إلى
ذاك المزارِ لهم كمالُ نامــــــــي
وَسَنـا المَحـــاسنِ لاحَ بابــنِ مَحَـــاسنٍ
مــن نَسْلِ بَحْــرٍ في المَكـــارمِ طامــي
حَفِـــظَ الإلَهُـــه جَنابَـــهُ وجَنابَهُـــمْ
مِــنْ كُــلِّ مـــا يَدْعـــو إلى الآثـــامِ
وَأَعَزَّهُـــمْ والمُسْلـــمين وكُـــلَّ مَـــنْ
أَضْحَـــى يَلُـــوذُ بهم مـــن الخُـــدّامِ

(٣١) ق : (أتى بنا) .
(٣٢) في ن : « رفعة قبره » .
(٣٣) في ن : « لطف الجنان » .

وَاللهَ نَسْأَلُـــــــهُ بحرمـــــــةِ أحمدٍ
فينــــا يُعَجِّـــــلُ نُصْرَةَ الإسلامِ
ويُديــمُ هٰــذا الدّيــنَ مَــنْصوراً على
أعدائِـــهِ في سائـــرِ الأحْكــــامِ
[٣٨/ب] مـا بـان ضَوْءُ الصُّبْـحِ مـن غَسَقِ الدُّجـى
وَشَدَتْ طُيـورُ الـرَّوْضِ بالتَّرنـامِ[٣٤]
والفَـيْضُ مِـنْ عَبْـدِ الغَنـيَّ أَتَـى بما
يُشجـي المَسامـعَ مِـنْ بَديـعِ نِظـامِ

الطريقة النقشبندية

وذكر الشيخ علي بن أبي بكر الهروي في كتاب الزيارات[٣٥] أن في مدينة بسطام قبر الشيخ أبي يزيد البسطامي وعنده قبر شيخ الشيوخ وهو شيخ أبي يزيد رضي الله عنه انتهى .

قلت وأبو يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه أحد مشايخ الطريقة النشقبندية[٣٦] أصحاب الهمم العلية والأخلاق المرضية والمكارم السنية والحضرات المحمديةوالوراثة الأحمدية .

وقد اتصل إلينا مدد هذه الطريقة والعهد الوثيق برضاع لبان هذه الحقيقة عن طريق الباطن ومن طريق الظاهر .

فأما[٣٦] طريق الباطن وهو طريق الروحانية فقد اتصل[٣٧] به عهدنا ومتابعتنا واقتداؤنا في[٣٨] واقعةٍ رأيناها ومطارحة روحانيةٍ وجدناها من روحانية الإمام الجليل والشيخ الكامل صاحب التكميل الخوجة[٣٩] علاء الدين عطار قدس الله روحه ونور ضريحه وهو أخذ عنه هذه الطريقة المحروسة والحقيقة المأنوسة عن الشيخ بهاء الدين نقشبند

(٣٤) البيت مستدرك في هامش ق ، وفي ح : (وشدت طيور الصبح) .
(٣٥) الإشارات إلى أماكن الزيارات ٩٩ .
(٣٦) أورد الغزي هذه الطريقة بسنديها في الورد الأنسي ٦٧ أ — ٧٠ أ .
(٣٧) ق : (فقد اتصل عهد نابه) . وليست به في ح ولا في مط .
(٣٨) في ح و ن « من » .
(٣٩) في ح : « الخواجة » .

رضي الله عنه الذي سُمّيت[٤٠] هذه الطريقة بالنقشبندية نسبة إليه ومعنى نقشبند ربط النقش باللغة الفارسية يعني إثبات نقش التوحيد في لوح القلب وتحقيق القلب به وإدامة استحضاره بحيث لا ينفك عنه .

والخوجة[٣٩] بهاء الدين أخذ عن المولى الهمام الكامل الإجلال المعروف بأمير كُلال بضم الكاف[٤٠] الفارسية .

وهو أخذ عن الشيخ محمد المعروف ببابـاي السّمـاسي بـكسر السين المهملـة[٤١] وتشديد الميم نسبة إلى قرية من قرى بخارى[٤٢] .

وهو أخذ عن الشيخ علي الراميتني بالراء بعدها ألف ثم بعد الميم المكسورة ياء مثناة تحتية فتاء مثناة فوقية فنون فياء النسبة إلى راميتن[٤٣] اسم قصبة كبيرة من ولاية بخارى .

وهو أخذ عن الشيخ محمود أنجير فغنوي [٣٩/أ] بالنون فالجيم فالياء التحتية فالراء فالفاء فالغين المعجمة فالنون نسبة إلى فغنى أنجير نسبة إلى قرية من ولاية بخارى .

وهو أخذ عن الشيخ الكامل عارف ريو كروي بالراء والياء التحتية بعدها واو ثم كاف فارسية مفتوحة ثم راء نسبة إلى ريوكر اسم قرية من قرى بخارى أيضاً .

وهو أخذ عن الشيخ عبد الخالق الغجدواني بالغين المعجمة نسبة إلى غُجْدُوان[٤٤] قرية من قرى بخارى .

وهو أخذ عن الخضر عليه السلام عن طريق الروحانية .

وعن الإمام يوسف الهَمَذاني طريق الجسمانية .

وهو أخذ عن الشيخ علي الفارمذي بالفاء والراء والميم نسبة إلى فارْمَـذ[٤٥] قريـة ببخارى .

---

(٤٠) في ن : « بضم الكلال » .

(٤١) ليست لفظة « المهملة » في ح .

(٤٢) بخاري إحدى مدن الصغد تبعد عن سمرقند سبعة وثلاثون فرسخاً . وكانت سمرقند مركز الصغد السياسي بينما كانت بخارى مركزه الديني والعلمي . وتقع اليوم في جمهورية اوزبكستان الروسية في الاتحاد السوفييتي على ملتقى الطرق بين روسيا وفارس والهند والصين . وانظر معجم البلدان ، وبلـدان الخلافـة الشرقيـة ٥٠٣ — ٥٠٤ .

(٤٣) في معجم البلدان والأنساب ٤٨/٦ : « رامِيثَن من قرى بخارى » .

(٤٤) انظر الأنساب ٤٠٦/ب ، ومعجم البلدان .

(٤٥) انظر الأنساب ٤١٦/ب ، ومعجم البلدان وفيهما أنها من قرى طوس .

وهو أخذ عن الشيخ أبي القاسم الكركاني بالكاف الفارسية والراء نسبة إلى كركان[٤٦] من ولاية بخارى .

وهو أخذ عن الشيخ الكامل أبي الحسن الخَرَّقاني[٤٧] بالخاء المعجمة والقاف نسبة إلى قرية ببخارى .

وأخذ أيضاً عن الشيخ الكامل أبي عثمان المغربي سعيد بن سلام[٤٨] فله طريقان :

فأما أبو الحسن الخرقاني فإنه أخذ عن شيخه الإمام الكامل أبي يزيد البسطامي المذكور في هذه الترجمة من طريق اللقاء الروحاني دون الجسماني ، فإن أبا يزيد مات قبل ولادة الخَرَّقاني بكثير .

وأبو يزيد أخذ عن الإمام جعفر الصادق ، رضي الله عنه ، من طريق اللقاء الروحاني لا الجسماني أيضاً .

والإمام جعفر الصادق أخذ عن الإمام القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وأخذ أيضاً عن الإمام محمد الباقر ، فله طريقان أيضاً :
أما طريق الإمام القاسم فإنه أخذ عن سلمان الفارسي ، رضي الله عنه .
وسلمان أخذ عن أبي بكر الصديق خليفة رسول الله رضي الله عنه وهو رأس سلسلة[٤٩] النقشبندية وبه تسمى هذه الطريقة بالبكرية لنسبتها[٥٠] إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه ، وهي طريقة السر الذي وقر في صدره ، رضي الله عنه ، بشهادة النبي ﷺ له بذلك في قوله[٥١] [٣٩/ب] عليه الصلاة والسلام : ﴿ لمْ يفضُلْكُم أبو بكر بكثرة صَوْمٍ ولا صَلَاةٍ ولكنّه بشيءٍ وَقَرَ في القلب ﴾ وفي رواية : لسرٍ وقر في صدره ، أي سكن فيه وثبت ، من الوقار وهو الحلم والرزانة . كذا في نهاية[٥٢] ابن الأثير .

وأبو بكر رضي الله عنه أخذ عن النبي ﷺ ،

(٤٦) في معجم البلدان والمشترك وضعاً ٣٧١ أنها إحدى عدة مدن واحدة في جرجان والأخرى بين طرشان وخراسان وثالثة بفارس ورابعة قرب قوميسين .
(٤٧) انظر معجم البلدان ، والمشترك وضعاً ١٥٤ ، والأنساب ٩٣/٥ .
(٤٨) في ن وح : « سعيد بن سلوم » .
(٤٩) ح : (المسلسلة) .
(٥٠) في ح : « بستها لأبي بكر » وفي ق : (أبي بكر الصديق) .
(٥١) في ح : « بقوله » .
(٥٢) انظر النهاية لابن الأثير ٢١٣/٥ .

والنبي ﷺ عليه وسلم عن[٥٣] جبريل ،
وجبريل عن الله تعالى .
وأما طريق الإمام محمد الباقر : فإنه أخذ عن الإمام زين العابدين[٥٤] علي بن الحسين ،
وهو أخذ عن أبيه الإمام الحسين رضي الله عنه ،
وهو أخذ عن أبيه الإمام ليث الله الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعن بقية الصحابة أجمعين ، ومنه تفرعت[٥٥] طرائق الصوفية كلها ، لأنه باب مدينة العلم كما يشير إليه حديث النبي ﷺ في قوله : أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها .
والإمام عليٌّ أخذ عن النبي ﷺ ،
عن جبريل ،
عن حضرة رب العزة جلّ جلاله وعظم نواله .
هذا طريق أبي الحسن الخرّقاني عن شيخه أبي يزيد البسطامي .
وأما طريقه عن أبي عثمان المغربي ، فإن أبا عثمان قَدّس الله سره أخذ عن أبي علي الحسين بن أحمد الكاتب ،
وهو أخذ عن أبي علي أحمد بن محمد الرُّود باري البغدادي ،
وهو أخذ عن الإمام أبي القاسم الجُنَيْد سيد الطائفة قدس الله سره ،
وهو أخذ عن الإمام سري الدين السقطي ،
وهو أخذ عن الإمام معروف الكرخي ،
وهو عن داود الطائي ،
وعن الإمام علي الرضى ، فله طريقان .
أما[٥٦] طريقه عن علي الرضى : فهو عن موسى الكاظم عن[٥٧] جعفر الصادق وقد تقدم سنده .
وأما طريق داود الطائي ، فهو عن حبيب العجمي ،
عن الحسن البصري

(٥٣) في ح : « أخذ عن جبريل » .
(٥٤) ح : (زين العابدين بن علي) وهي زيادة .
(٥٥) في ن : « تفرقت » .
(٥٦) ن : (وأما) .
(٥٧) ليست اللفظة في ن .

عن الإمام علي رضي الله عنه
عن النبي ﷺ ،
عن جبريل ،
عن حضرة رب العزة جل وعلا ، هذا ما وقع لنا من طريق الباطن .

وأما طريق الظاهر من حين(٥٩) الاجتماع الجسماني(٥٨) فقد أخذنا عن الشيخ الكامل(٦٠) أبي سعيد البلخي رحمه الله تعالى ،

وهو أخذ عن مير عابد الملقب بحافظ [٤٠/أ] خادم ،
وهو أخذ عن الشيخ محمود(٦١) خاوَنْد ،
وهو أخذ عن الشيخ هامش دهيدي ،
وهو أخذ عن حضرة مخدومي أعظم ،
وهو أخذ عن الشيخ محمد قاضي ،
وهو أخذ عن الشيخ عبيد الله أحرار ،
وهو أخذ عن الشيخ يعقوب الجرّخي(٦٢) ،
وهو أخذ عن الشيخ العارف الكامل بهاء الدين نقشبند قدس الله سره ، وقد تقدم سنده قريباً ، وإنما ذكرنا هذه السلسلة هنا على سبيل التفصيل لأجل حصول البركة في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق .

السويداء

ثم إن الجماعة الذين كان أرسلهم معنا حاكم حمص المذكور رجعوا من الرستن ، وقالوا : هذا حدُّنا فلا نتجاوز(٦٣) أرضنا ، وكان الطريق من الرستن إلى حماة مخوفاً ، والقُطّاع فيه من العربان وغيرهم [كانوا](٦٤) مئات وألوفاً ، فطلبنا جماعة من الرستن ليسيروا(٦٥) معنا في ذلك السبيل ، فلم يمكن ذلك ولا للواحد منهم ولا أن يكون لنا بمنزلة الدليل ، فطلبنا أن يدلّنا أحدٌ منهم على جهة الطريق ، فخرج واحدنا منهم وهبط

(٥٨) في ت : « الجثماني » .
(٥٩) ن ، ق ، ح : (حيث) .
(٦٠) ق : (الكامل العارف) .
(٦١) في الورد الأنسي : « محمد » .
(٦٢) في ن : « الجرخي » .
(٦٣) ن : « فلا نجاوز » .
(٦٤) ليست في الأصول وزيدت ليصح الاعراب ..
(٦٥) ح : (يسيروا) .

أمامنا في ذلك الوادي السحيق ، حتى وقف من الجهة الأخرى ، وقال : هذا محل المسير ، فسرنا فيه[٦٦] وجدنا بمعونة الله تعالى القدير ، حتى وصلنا إلى أراضي السويداء بضم السين وفتح الواو ، تصغير سوداء .

قال في المشترك لياقوت[٦٧] الحموي[٦٨] : (السويداء أربعة مواضع) . وذكر منها السويداء قرية من قرى حماة بينها وبين حمص . انتهى .

فرأينا جماعة قابلتنا من العرب معهم بعض أغنام يمرون في هاتيك البيداء حتى لا يفوت مثل الذي قال :

لـــــيس في السوْدا[٦٩] رجـــــال

ولابن حجه[٧٠] في سلوك هذه المحجة[٧١]

[من الخفيف]

في سويـدا مقيلـة الحبِّ نـادى   جَفْنُهُ حيـن صادَ قلبـيَ صيـدا
لا تقولوا مـا في السويـدا رجـالٌ   فأنـا اليـومَ مـن رجـال السويـدا

وفي المعنى للصلاح الصفدي : [من السريع]

المقلـــة السوداءُ أجفانُهـــا   تـرشقُ في وسط فـؤادي النبـالْ
وتقطـع الطـرق على سَلْـوَتي   حتـى حسبنـا في السويـدا رجـالْ

[٤٠/ب] ولابن الوردي ، وقد حوَّل المعنى : [من السريع]

مـن قـال بالمُـرْدِ[٧١] فإنّـي امـرؤٌ   إلى النسامَـيْلي ذوات الجمـال[٧٢]
مـا في سُوَيْـدا القَـلْبِ إلا النِّسا   ما حيلتـي مـا في السُّوَيْـدِ رجـالْ

ثم إنهم حين رأونا تخوّفوا منا ، فكمنوا في جهةٍ من الأرض ، ثم ظهروا ومرّوا بنا فسلموا علينا ، فرددنا عليهم ، ومعلومٌ أنّ ردَّ السلام فَرْضٌ .

(٦٦) في ن : (به) .
(٦٧) في ن ، ح : « ياقوت » .
(٦٨) انظر المشترك وضعاً ٣٦١ . وفي معجم البلدان أنها « السوداء » .
(٦٩) ق : (السويدا) .
(٧٠) هو أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي تقي الدين ابن حجة ؛ شاعر أديب معروف ولد سنة ٧٦٧ هـ وتوفي سنة ٨٣٧ هـ وانظر الضوء اللامع ٥٣/١١ ، والشذرات ٢١٩/٧ ، والأعلام ٤٣/١ .
(٧١) في ح : « قال » .
(٧٢) في ن : « ميلي ذوات الرحال » .

حماة

١ً ــ رسالة إلى نقيب الأشراف

و لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى القرب من حماة المحروسة ، ذات الربوع المأنوسة ، فنزلنا وصلّينا العصر مع جماعتنا الحاضرين ، وأرسلنا مكتوباً إلى عزيزنا مفخر الأكابر والأعيان المعتبرين : حضرة السيد ياسين[٧٣] أفندي نقيب السادة الأشراف ، في هاتيك الأطراف من ذرية الشيخ[٧٤] الجليل الكامل النبيل شيخنا وسيدنا الشيخ[٧٤] عبد القادر الكيلاني قدس الله تعالى روحه ، ونور ضريحه ، ليكون لنا منزل مشمول بأنظاره[٧٥] ، واقع تحت حيطة علمه الشريف واستخباره ، وكتبنا في صدر المكتوب هذه الأبيات : [من البسيط]

يا نونُ أنتَ ويايــاءٌ وياسيــنُ	يَدْعوكَ[٧٦] أهلُ حماةَ اليومَ ياسين
نشرتَ رايةَ فضلٍ في البلاد فلا	تُطوى وإنْ طُويتْ عنها الأحايينُ
فقدْ أعَدْتَ لنا ذكرَ الذينَ مَضَوْا	هُمُ الشيوخ لنا تلك الأساطينُ
جئنا إلى حبّكُمْ نرجو زيارتكم	تبركاً طبق ما أهدى لنا الدينُ
وإننا عصبةٌ بالصالحين سَمَتْ	لنا عزائم فالتصعيب[٧٧] تهوينُ
منا[٧٨] عليكم سلامُ الله ما نفحت	ريح الصبا فأراحتنا الرياحينُ
وما تألّقَ برقُ الأبرقين وقد	غنّى الحمامُ ومنها راق تلحينُ

٢ً ــ أشعاره في حماة

ثم لم نلبث حتى ورد علينا واردُ الكرام ، وزائد البهجة والسرور والإنعام ، فدخلنا إلى حماة المحمية ، وطابت نشأة هاتيك العشية ، ولله در المنازي ، صاحب هذه الأبيات التي هي لعقود الجواهر توازي ، وإن كان[٧٩] قالها في شأن وادينا الذي بدمشق الشام ،

(٧٣) ياسين بن عبد الرزاق بن شرف الدين بن أحمد بن علي بن أحمد الكيلاني الحموي القادري الشافعي . كان والده شيخ الطريقة القادرية وعنه أخذ النابلسي الطريقة القادرية . وتولى ابنه ياسين مشيخة الطريقة القادرية والسجادة الكيلانية بعد وفاة أبيه ، ولا تعرف سنة وفاته . ويبدو من مما قاله البديري الحلاق أن ابنة الشيخ ياسين كانت زوجة لسليمان باشا والي دمشق ، وأنها نكبت حين نكب زوجها سنة ١١٥٧ هـ . وانظر سلك الدرر ٢٣٨/٤ وحوادث دمشق اليومية ٥٩ .

(٧٤ ــ ٧٤) ما بين الرقمين مستدرك في هامش ق .

(٧٥) ق : (ليكون لنا نزل مشمول بانتظاره) .

(٧٦) في ح تحتمل القراءة بالوجهين تدعوك ويدعوك ، وفي ن : (تدعوك) .

(٧٧) في ن وح : (فالتعصيب) . (٧٨) في ح ، ن : (منّي) . (٧٩) ليست اللفظة في ن .

فإن الحديث شجون[٨٠] والمثل ضرب من الكلام[٨١] : [من الوافر]

وقانـا لفحـةَ الـرمضاءِ وادٍ سقاهُ مضاعفُ الغيثِ العميمِ
نزلنـا دوحَـه فحنـا علينـا حُنُوَّ المرضعاتِ على الفَطيمِ
وأرشفنـا على ظمـأٍ زلالاً ألـذَّ مـن المدامـةِ للنّديـمِ
[٤١/أ] يصدّ الشمسَ أنّـى واجهتنـا فيحـجبها ويـأذن للنسيـمِ
تـروع حصاهُ حالية العـذارى فتلمس جـانب العقـد النظيمِ

حتى مررنا على ذلك الجسر العالي ، وشهدنا كوكب ذلك المجد المتلالي ، فأنشدنا مواليا لنا كنا نظمناه سابقاً في نظير هذا المكان ، على مقتضى[٨٢] ما تقدم من الزمان ، وذلك قولنا : [مواليا]

الجسر عـالي وتحتـو الماء يدّفـق والطير غنّى وكفّ الغصن قد صفّق
لما نسيم الصبـا بين الربـا خفّـق سوق التهاني بضاعات الأسى نفّق

حتى تلقانا صديقنا حضرة ياسين أفندي المذكور بصدره الرحيب الواسع ، ووجهه المضيء اللامع ، فأنزلنا في ذلك القصر اللطيف ، وأجلسنا في ذلك المكان المنيـف ، وشبابيك القصر مطلة على نهر العاصي المطيع ، لأحكام المسرة ودواعي الخليع ، كما قال الحاجري : وإنه بهذا المعنى حريٌّ : [من الخفيف]

لدواعـي الهوى وحكـم الخلاعَـهْ ألـف سمعٍ لا للوقـار وطاعَـهْ

ثم أننا قلنا في ذلك الحين ، هذين البيتين اللذين معناهما ليس على الغيب بضنين : [من الطويل]

ألا أيها الساري[٨٣] بعـزمٍ وهمّـةٍ لنحو حماة سرت في غاية الأجـرِ
فليست حماةٌ في الورى غير جنـةٍ ألم تنظرِ الأنهارَ مـن تحتها تجري

وتذكرنا قول ابن حجة في صدر قصيدته التي أُرسل بها من طرابلس إلى شيخه شيخ الإسلام علاء الدين بن القضامي يتشوق فيها إلى حماة ، وهي قوله : [من الطويل]

(٨٠) انظر أمثال الضبي ٤٧ ، وجهرة الأمثال ٣٧٧/١ ، والفاخر ٩٧ ، وفضل المقال ٦٧ ، وأمثال الميداني ١٩٧/١ ، وكتاب معجم الأمثال العربية لمحقق هذا الكتاب ٤٤١/٢ .

(٨١) في ح بعدها (فقال شعر) .

(٨٢) في ح : « تقضي » .

(٨٣) في ح : « الساعي » .

بـــــوادي حماةِ الشام مـــــن أيمن الشطّ
وحـــقّك تطـــوى شقـــة الهم بالـــبسطِ
بـــلاد إذا مـــا ذقتُ كوثـــرَ مائِهـــا
أهيـــمُ كأنـــيّ قـــد ثملتُ باسفنـــطِ
ومَـــنْ يجتهدْ في أنّ في الأرض بقعـــةً
تُشاكلهـــا قـــل أنتَ مُـــجتهدٌ مُخطـــي
وطيـــوب[٨٤] حديثـــي ماؤهـــا وهواؤهـــا
فـإنَّ أحـاديثَ الصحيـحين مـا تُخطـي
بمعصمها إن دار يلـــــوي سوارَهـــــا
فمـا الشامُ بالخلخـالِ أو مصر بالقـرطِ
تنظّـــم بـــالشطين دُرّ ثمارهـــا
عقـــوداً لها العـــاصي رأينـــاه كالسّمـــط
وترخـــي علينـــا للـــغصون ذوائبـــاً
يسّرحهـا كـفُّ الـنسيم بـلا مشطِ[٨٥]
ومـــذ مـــدَّ ذاك النهر ساقـــاً مُدَمْلَجـــاً
وراح بنـــقشي النـــبتِ يمشي على بُسط
لوينـــا خلاخيـــل النّـــواعير فَالْتَـــوَتْ
وأبـــدتْ لنـــا دوراً علىٰ ساقـــه السبـــط
[٤١/ب] سقـــى سفحهـــا إن قـــلّ دمعـــي سحابـــة
مطنبـــة بالدّمـــع منهلـــة النقـــطِ
ويـــا أسطـــرَ النمل التـــي قـــد تسلسلت
بصَفْـــحتها لا زلت واضحـــــة الخطّ
ولا زال ذاك الخط بالطـــلِّ مُعْجَمـــاً
ومـــن شكـــل أنـــواع الأزاهير في ضبـــط
لـــويتُ عنـــاني في هواهـــا عـــن اللّـــوى
وهـــمْت بها لا بـــالمحصَّب والسّقـــطِ

(٨٤) في ق و ح (وصوب). وفي ن (وصوت) .

(٨٥) جاء البيت الثالث عشر بعد هذا البيت في ق فكتب الناسخ في الهامش (مكرر) .

ولـــذّ عنـــاقُ الفقـــرِ لي بفنائهـــا

وفي غيرهـــا لم أرضَ بـــالملك والرهـــطِ

منـــازلُ أحبـــابي ومنـــبتُ شيعتـــي

وأوطـانُ أوطـاري بها ورضى سخطـي

نعـــمتُ بها دهـــراً ولكـــن سُلِبْتُـــه

برغمـي وهـذا الدهـر يسلب مـا يُعطـي

ومـــذ شطّ عنـــي شكلُهـــا وتباعـــدتْ

جـرى مـد معـي نهراً على ذلك الشطّ

وقد جاء شرطُ البَـيْتِ أني أغـيب عـن

حماهـا لقـد أدمـى فـؤاديَ بـالشرطِ

وحـطَّ علـيَّ الدهـرُ عمـداً وشالنـي

إلى غيرهـــا صبراً على الشيـــل والحطِ

وسبحـــة جمع الشمـــلِ كانت لنـــا بها

منظمـــة لكـــن قضى اللـــه بالفـــرَطَ

أمثّـــل شوقـــاً شكلهـــا في ضمائـــري

فتتبـــع عينـــي ذلك الشكـــلَ بالنقـــط

وقـــد صار يمشي الهمُّ نحوي بسرعـــةٍ

فيـــا لَيْتَـــهُ لـــو كان في مَشْيِـــه يُبْطـــي

وأصبـــحَ نظمـــي راجعـــاً بي إلى ورا

كأنـــيَ في الديـــوان أكـــتبُ بالقبطـــي

إلى آخر قصيدته الموجودة في ديوانه المشهور .

اليوم الثاني عشر

١٢/١/١١٠٥ هـ ١٢/١٠/١٦٩٣ م

وبتنا تلك الليلة في أكمل المسرات والهنا ، ونيل المقصود وحصول المنى[1] ، إلى أن أصبح الصباح ، ونادى المؤذن حي على الفلاح ، وهو صباح يوم الاثنين الثاني عشر من المحرم ونفح روض الأنس ونشر الإقبال قد انتشر ، وقد جلسنا في ذلك القصر السامي ، وتأملنا ذلك الرونق التام النامي ، وسمعنا أصوات النواعير الموضوعة على نهر العاصي ، فأطربنا ذلك الصوت المطرب لكل داني وقاصي ، فقلنا في ذلك من النظام على حسب ما اقتضاه المقام : | من البسيط |

حماةُ تلك التي ما مثلُها بلدٌ ... لكلّ دانٍ إلى الأهلين أو قاصي
ترقّ قلباً لأحوال الغريب بها ... حتى نواعيرها تبكي على العاصي

فأسمعناهما للسيد الحسيب النسيب ياسين أفندي المذكور ، فحصل له كمال المؤانسة بذلك وغاية السرور ، حتى أنشدنا في حفظه هذين البيتين وذكر لنا أنه أنشدهما السلطان | ٤٢/أ | المرحوم سليمان خان من[2] آل عثمان ، أيد الله تعالى دولتهم على مدى الأزمان ، وذلك لما قدم إلى حماة المحروسة ، وزار حضرة جدهم الكبير صاحب الأسرار المأنوسة ، وهما قوله ، ولا قطع بأنهما من إنشائه أو إنشاده[2] ، أو مما تمثّل بها في سعادة إسعاده : | من الكامل |

شهبُ السماء بنوركم أقمارُ ... مذ نلتم شرفاً وزاد وقارُ
وزهتْ حماةُ بكم ومنكم أصبحتْ ... جناتُ عدنٍ تحتها الأنهارُ

٣ – زوّار

ثم جاء[3] إلى عندنا[4] لأجل الزيارة والاجتماع أكابر تلك البلدة وعلماؤها ، حضر في مجلسنا طلبتها وأشرافها وعظماؤها ، وكان منهم فخر الأشراف الكرام ، وعمدة[5]

---

(١) في هامش ت (بلغ مقابلة) .
(٢) ليست « من » في ن .
(٢) س : (وإنشاده) .
(٣) ن : « جاءت » .
(٤) ح : « لعندنا » .
(٥) ق : (عمدة) بدون الواو .

الفضلاء العظام ، حضرة الشيخ علي[٦] من ذرية الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ، وهو الآن شيخ السجادة ، على طريقة القادرية الأئمة السادة ، ومعه ولده السعيد ونجله الوحيد . وحضر عندنا أيضاً أولاد عمه السعداء ، وذريتهم وأقاربهم أهل الشرف المحمدي والشرف القادري بإجادة[٧] النّداء وإجابة النّداء ، فحصل لنا بهم التبرك التام ، والتشرف العام ، في ذلك العام ، ومنهم فخر الأعيان والأشراف ، وبركة هاتيك الجهات والأطراف ، الحسيب النسيب السيد أحمد من ذرية الشيخ علوان بن عطية ، قدس الله سره العزيز بأسراره القدسية ، وغيرهم أيضاً من الأكابر[٨] والأعيان ، حفظ الله تعالى بهم البلاد ، ونفع العباد[٩] ، في جميع الأزمان .

٤ — ضريح الشيخ عبد الرزاق

ثم ذهبنا إلى زيارة ضريح شيخنا ، ومذكّر عهدنا ، حضرة الشيخ الكامل العالم العامل السيد عبد الرزاق من ذرية الشيخ الجليل الرباني ، الشيخ عبد القادر الكيلاني ، فإننا اجتمعنا به رحمه الله تعالى وهو حي في سنة خمس وسبعين بعد الألف في حماة[١٠] في ذهابنا إلى الروم ذلك العام ، وحصل لنا من معاهدته الشريفة كمال النفع التام ، كان رحمه الله تعالى صاحب هيبة وجلال ، ومؤانسة ، وكمال يلبس الملابس [٤٢/ب] الفاخرة ، والغالب عليه الجذبة الإلهية وعمل أهل الآخرة ، وقد أتى بعد ذلك بسنين إلى بلادنا دمشق الشام ، قاصداً الحج إلى بيت الله الحرام ، فاجتمعنا به أيضاً وحصل به كمال المؤانسة ، على حسب ما كان عندنا له[١١] من المجانسة ، وكان أول كلام له معنا قوله : « الحب لا يكون إلا لله » وكلمات أخرى تؤذن بعلوّ مقامه ، وكمال عنايته بالطريق وزيادة

٥ — الطريقة القادرية وأخذه عنها

وأما بيان الطريقة القادرية التي اتصلت بنا منه ، رحمه الله تعالى ، فإنّا تلقّيْنا ذلك

---

(٦) هو السيد علي بن يحيى بن أحمد بن علي بن أحمد بن قاسم الكيلاني القادري الحموي ، ولد بحماة سنة ١٠٤٠ وقرأ العلوم والآداب والحديث والقرآن على مشايخ بلده . وحج وهو صغير في سنة ١٠٥٢ هـ وتولى نقابة الاشراف بحماة وحمص سنة ١٠٧٠ هـ إلى أن توفي ابن عمه الشيخ إبراهيم سنة ١٠٨٢ فجلس على السجادة القادرية في البلاد الشامية وقدم دمشق سنة ١٠٩٠ هـ في طريقه إلى الحج فاستقبله الوزير عثمان باشا والقاضي مصطفى الأنطاكي . وله ديوان شعر أورد المرادي نتفاً منه وتوفي سنة ١١١٣ هـ وانظر سلك الدرر ٢٤٦/٣ — ٢٥٧ ، وذيل نفحة الريحانة ٢٤٦ .

(٧) ن و ح : « بإيجادة » .

(٨) ق : « من الأكابر أيضاً » .

(٩) ليست « نفع العباد » في ن .

(١٠) ذكر الغزي في الورد الأنسي ٧٠ أ و ب هذا الاجتماع نقلاً عن هذه الرحلة أثناء حديثه عن عبد الرزاق الكيلاني .

(١١) ح : (لنا عنده) .

العهد الوثيق ، وخرقة العلم الإلهي والتحقيق ؛ عن شيخنا المذكور رحمه الله تعالى .

وهو تلقّى ذلك عن والده وشيخه السيد شرف الدين .

والسيد شرف الدين تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد أحمد .

والسيد أحمد تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد « علي » .

والسيد علي تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد أحمد .

والسيد أحمد تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد[١٢] قاسم .

والسيد قاسم تلقّى ذلك عن والده وشيخه السيد[١٢] يحيى .

والسيد يحيى تلقّى ذلك عن والده وشيخه السيد حسين .

والسيد حسين تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد علاء الدين علي[١٣] .

والسيد علاء الدين علي[١٣] تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد شرف الدين يحيى الملقب بسيف الدين ، وهو أول الأجداد الذين جاؤوا إلى حماة من بغداد ، وذلك في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، واستوطن حماة ، وكانت وفاته ببغداد .

والسيد[١٤] شرف الدين يحيى المذكور تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد شهاب الدين أحمد .

والسيد شهاب الدين أحمد تلقى ذلك عن والده وشيخه السيد شمس الدين محمد

والسيد شمس الدين محمد تلقّى ذلك عن والده وشيخه السيد عبد الرزاق أبي بكر .

والسيد عبد الرزاق[١٢] أبو بكر[١٢] تلقى ذلك عن والده وشيخه الباز الأشهب ، والطراز المذهب ؛ القطب الرباني ، والفرد الصمداني ، والنور الرحماني ؛ السيد محيي الدين أبي صالح عبد القادر الكيلاني [٤٣/أ] رضي الله عنه المشهور هذا الطريق به .

قال شيخنا العلامة المحقق الشيخ علي الشبّر امَـلّسي[١٥] المصري في حواشيه على

(١٢ — ١٢) ليس ما بين الرقمين في ق .

(١٣) ليست اللفظة في ح .

(١٤) في كل الأصول عدا ق : (والشهير بشرف الدين) .

(١٥) هو علي بن علي ، أبو الضياء ، نور الدين ، الشبر املسي الشافعي القاهري ، ولد سنة ٩٩٧ أو ٩٩٨ وتوفي سنة ١٠٨٧ هـ . وله عدة مؤلفات أشهرها حاشيته على المواهب اللدنية في خمس مجلدات ضخام . والشبراملسي نسبة إلى شبْراملسى : وهي مؤلفة من كلمتي الأولى شبرا — على وزن سَكْرى — ومَلّس : بفتح الميم وكسر اللام المشددة بالسين المهملة . قرية بمصر . قال الزركلي رحمه الله : وأهلها ينطقونها اليوم بضمّ الشين وكسر الميم . انظر خلاصة الأثر ١٧٤/٣ — ١٧٧ ، والأعلام ١٢٩/٥ — ١٣٠ ، ومعجم المؤلفين ١٥٣/٧ — ١٥٤ .

المواهب اللدنية للشهاب القسطلاني ما نصه :

عبد القادر الكيلاني — بكسر الكاف ويقال بالجيم المكسورة أيضاً . قال في الأنساب الجيلي والجيلاني بالكسر إلى جيل ويقال لها كيل وجيلان وكيلان بلاد متفرقة وراء طبرستان . انتهى .

والسيد عبد القادر تلقى ذلك عن الشيخ الصالح أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي البغدادي ، وهو تلقى ذلك عن شيخ الإسلام أبي الحسن علي بن محمد الهكاري ، وهو تلقى ذلك عن الشيخ أبي الفرج الطرسوسي ، وهو تلقى ذلك عن أبي الفضل عبد الرحمن ابن عبد العزيز التميمي ، وهو تلقى ذلك عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبي بكر دلف بن جحدر الشبلي ، وهو تلقى ذلك عن سيد الطائفة أبي القاسم الجُنَيْد البغدادي ، وهو تلقى ذلك عن سَرِيّ الدين السَّقَطي ، وهو عن معروف الكرخي ، وهو عن داود الطائي ، وهو عن حبيب العجمي ، وهو عن الحسن البصري ، وهو عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو عن النبي ﷺ ، وهو عن أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وهو عمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وكان شيخنا المرحوم الشيخ عبد الرزاق المذكور رضي الله عنه بعد أخذنا عنه ذلك العهد والمصافحة والإجازة في طريق القادرية ، ونحن في ذلك المجلس نزع في الحال عمامته الخضراء الكبيرة عن رأسه ، وأمر نقيبه أن يفتق تاجه القادري ، ويخيطه في عمامتنا ، ففعل كذلك[١٦] ، وتعجب الحاضرون منه ، وعلموا أنه كان بإلهام من الله تعالى ، وإشارة جليلة واضحة .

وللسادة القادرية هناك زاوية كبيرة معمورة بالأدعية والأذكار ، وكال الأناشيد في بَثّ[١٧] المواجيد ، وحسن الأسرار مطلة على نهر العاصي آخذة[١٨] بمجاميع القلوب وأطراف النواصي ، لكل من شاهدها من الداني [٤٣/ب] والقاصي .

ثم عدنا إلى مجلسنا الأول في القصر الذي عليه في أنواع الكمالات المعول .

٦ — الشيخ داود

وبينما نحن جالسون على المآكل إذ دخل علينا في وقت الظهر رجل مجذوب من المجاذيب الكبار ، أهل الغيبة والأخذ والزج في الأنوار ، اسمه الشيخ داود ، وهو من أهل حماة ،

(١٦) ح : (ذلك) .

(١٧) ت ، ح : (بحث) وفي ن : (بحر) .

(١٨) ح ، ن : (أخذت) .

يحبه الناس ، ويعتقدون فيه الخير ، وكان من جملة قوله لنا بعدما جلس معنا : ما رأيت مجذوباً قط وليس في الدنيا مجذوب أصلاً ، فكأنه يشير إلى كمال جذبته وتمكنه في مقام غيبته . فإن الغائب لا يُرى غائباً ، وأن لأهل الجَذَبات الإلهية مناهلاً ومشارباً[18] .

٧ ـ أشعار في حماة والناعورة

وقلنا في هذا اليوم في مدح حماة المحفوظة ، ذات البهجة الملحوظة : [من الزجر]

إنَّ حماةَ بلـــدة[19] شَريفـــة ... ريـحُ الصَّبـا طــابَ بها مَهَبُّـــهُ
مَنْ جاءَها صادفَ فيها ما اشْتَهَى ... وإنّمـــا حَماتُـــهُ تُحِبُّـــهُ

ولابن حجة الحموي قوله[20] : [مجزوء من الخفيف]

في حماةٍ تكـــــدرتْ ... مُـــذْ تـــزوَّجْتُ عيشَتـــي
فأنـــا اليـــوم هـــاربٌ ... مـــن حَمـــاتي وزَوْجَتـــي

وقلنا في معنى ذلك . بعون القدير المالك[20] : [الرجز]

باللـــهِ أهـــلَ حماة عاملـــوا ... باللُّطفِ قد طابَتْ بكم حياتُنا
فـــإن بَيْننـــا غـــدَتْ وبَيْنَكُـــمْ ... نسبـــةُ أصل تَقْـــتَضيها ذاتُنـــا
منارةُ الأمـوي عـروس[21] عندنا ... تُجْلَـى لنـا وعنـدكم حماتُنـــا

ولابن حجة في مثل ذلك أيضاً[22] : [من الكامل][20]

واللهِ إنَّ حماةَ شامـــةُ شامِكُـــمْ ... وعَروسُهـــا بمحـــاسنٍ مُتَزايـــدَهْ
ودمشقُكـم بعذارِها الثلجيِّ قـد ... وَلَّتْ شبيبتُهـــا وأمْسَتْ بـــارِدَهْ

وللقاضي فتح الله بن الشهيد[23] : [من الكامل]

قـــاسوا حماةَ بجلِّـــقٍ فأجبتُهُـــمْ ... هـٰذا قيـاسٌ باطـلٌ وحياتِكُـــمْ
فعروسُ جامعِ جلِّقٍ ما مثلُهـــا ... شَتَّـانَ بيـنَ عروسِنـا وحماتِكُـــمْ

(١٨) ح : (مناهل ومشارب) .

(١٩) ح : (بهجة) والرواية الثانية في الهامش .

(٢٠) لم ترد هذه الأبيات في المسودة ل ٧ (٢١) ق ، ح : (عروساً) (٢٢) عن ق وحدها .

(٢٣) هو محمد بن إبراهيم بن محمد النابلسي الأصل الدمشقي الشافعي الرئيس فتح الدين ، أبو الفتح ابن الشهيد . ولد سنة ٧٢٨ واشتغل فحصّل فنوناً من العلم وبرع في الأدب وكان أوحد عصره في النظم والنثر ، وكتب في ديوان الإنشاء وتقلبت به الأحوال إلى أن صار صاحب الديوان بدمشق وولي مشيخة الشيوخ بها ثم جرت

ولنا في مثل ذلك قولنا[20] : [من الكامل]

لحماة فخرٌ في دمشقَ بذكرها ... في نسبةٍ أضحى لها قدرٌ منيفْ

[٤٤/أ] فإذا أرادَ المرءُ يذكرُ مشمشاً ... فيها يقول بأنَّهُ الحَمْوي اللَّطيفْ

ويناسبه قول[24] ابن حجّة الحموي[25] : [من الرمل]

قالَ سلطاني حماةٌ عندما ... أجْلسوه مُذْ أتاهم في الصُّدورِ

مشمشُ الشّامِ يُقوّي قَلْبَهُ ... يومَ نقعٍ فهو قد أضْحى وزيري

وما أحسن قوله القاضي علاء الدين بن غانم في مدح حماة المحروسة : [من السريع]

حماةُ في بهجتِها جَنَّةٌ ... وهيَ من الغَمّ لنا جُنَّهْ

[26]إن تيْأَسُوا من رَحْمَةِ اللهِ قد ... أبصرْتُمُ العاصيَ في الجَنَّهْ

والعاصي هو اسم النهر الذي تقدم ذكره .

قال في القاموس : (والعاصي نهرُ حماةَ واسمُه الميماسُ والمقلوبُ ، لُقِّبَ به لِعصيانه فإنه لا يسقي إلا بالنواعير[27] بخلاف غالب الأنهر) .

وفي هذا المعنى قلنا من النظام على حسب الحال والمقام[25] : [من البسيط]

يا حُسنَ نهر به تَزْهو حماةُ وقد ... جرَى به الماءُ في لينٍ وتَحْديرِ

والناسُ يَدْعونَه العاصي هناك وقد ... أطاعَ قهراً على حُكْمِ المقاديرِ

عصى فلم يَسْقِ أرضاً من حدائِقِهم ... إلا بحيلةِ وسواسِ النواعيرِ

وقلنا كذلك بعون القدير المالك[25] : [من البسيط]

عاصي حماةَ وهو النهرُ الذي عَذُبَتْ ... مياهُهُ قد عصى في حكم تقديرِ

شرابهُ لم تَدُرْ أيدي السقاةِ به ... إلا على حُسْنِ أصواتِ النواعيرِ

ولنا في هذا المعنى[25] : [من المنسرح]

لله نهرٌ به حماةٌ زهت ... فلذَّةُ العيشِ حسنُ واديها

حماتُهُ لم تزلْ مُطيعتَهُ ... بشرْبها منه وهو عاصيها

ولبعضهم وأجاد[25] : [من الطويل]

له محنة اختفى بسببها مدة نظم فيها السورة في بضع عشرة ألف بيت . وتوفي سنة ٧٩٣ مقتولاً بسيف السلطان وانظر الدرر الكامنة ٢٩٦/٣ — ٢٩٧ ، والأعلام ١٩٠/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢١٨/٨ .

(٢٤) ق : (الشيخ تقي الدين) .

نــواعير في وادي حماة إذا بــكت ... تهيّجُ منّـي بالبُكـا مَدْمَعـاً قـاصِي
وإنـيّ على نـفسي لأجـدرُ بالبُكـا ... إذا كانتِ الأخشابُ تبكي على العاصي

وعلى ذكر النواعير يحسن إيراد هذا الاكتفاء الذي وقع لنا في قولنا[٢٥] : [مجزوء الخفيف]

النَّواعيـــرُ هَيَّـــجَتْ ... يَوْمَ بانوا بنـا الجَـوَىٰ
فاعْجَبُـوا مـــن مُتَيَّـــمٍ ... قلبُـهُ هـامَ بالنَّـوَىٰ[٢٨]

وهو أحسن من ـول بعضهم : [هزج]

نَواعيـرٌ نَـعَتْ لـي ... رَشا للقـلبِ راعـــي
فَهــامَ القــلبُ منّــي ... على حُسنِ النَّواعـــي

ويناسبه قول الشيخ تقيّ الدين بن حجّة : [من السريع]

[٤٤/ب]مَـــرجُ حماة بنَواعيـــرِهِ ... زادَ على المِقْيـاسِ في رَوْضَتِـهْ
واغْتــاظَ غــورُ دمشقٍ لـذا ... فقـلتُ لا أُفكّـر في غَيْظَتِـهْ

وله أيضاً . [من الطويل]

وناعــورةٍ قــد سلسلت دورانها ... وَأَهْدَتْ لنا روضاً بها نَفْخَةُ الصُّورِ
إذا ما سَقَتْ دَوْحـاً تحرّكَ عودهـا ... لنـا وتَغَنّـى في البَسيـطِ على الـدّورِ

ولابن نباتة في وصف ناعوة : [من الطويل]

وناعـــورةٍ شَبَّهْتُهـــا إذْ رَأَيْتُهـــا ... ومـا زالَ فكـري بالغـرائبِ يَسْمَـحُ
بطائـــرةٍ مخضرَّةٍ كـــلُّ ريشةٍ ... لها تَحْتَهـا عَيْـنٌ مـن الدَّمْـعِ تَسْفَـحُ

وله أيضاً : [من المتقارب]

وَناعــورة قَسَّمَتْ[٢٩] حُسْنَهـــا ... عَلَــى واصِفٍ وَعَلَــى سَامِــعِ

(٢٥) لم ترد الأبيات التالية في المسودة .
(٢٦) ق وهامش المسودة ل ٧ : (ولا تيأسوا) .
(٢٧) إلى هنا ما ورد في القاموس (العصا) .
(٢٨) في هامش ت ، ح : (عبر) إشارة إلى الاكتفاء في كلمة (النوى) من (النواعير) .
(٢٩) ق : (وقد قسمت) ولا يستوي بها الوزن .

وَقَدْ[٣٠] ضاعَ نَشْرُ الرُّبا فَاغْتَدَتْ ... تَدورُ وتَبْكي على الضّائعِ

ومثله لابن لؤلؤ الذهبي[٣١] : [مجزوء الرجز][٣٢]

حاكورةٌ دولابُها ... إلى الغُصونِ قَدْ شَكا
من حيث[٣٣] ضاعَ زَهْرُها ... دارَ عليهِ وَبَكى

ولابن نباتة أيضاً : [من الكامل]

ناعورةٌ قالَتْ لنا بأَنِينها ... قَوْلاً ولا تُدْري الجوابَ وَلا تَعي
كَمْ فيَّ مِنْ عَجَبٍ لِمسمعِ أَنَّني ... أَبَداً أسيرُ ولا أفارقُ مَوْضعي
لا رأسَ في جسدي وقَلْبي ظاهرٌ ... للنّاظرينَ وأَعْيُني في أضْلُعي

وله كذلك[٣٤] : [من السريع]

اعْجَبْ لها ناعورة قلبُها ... للماءِ مَنْشا العيشِ والعُشْبِ
تعبانةُ الجسمِ ولكِنَّها ... كما تَرى طيِّبةَ القَلْبِ

ولابن خطيب الأندلسي في مثل ذلك : [من السريع]

ناعورةٌ تُحْسَبُ من صَوْتِها ... مُتَيَّماً يَشْكو إلى زائرِ
كأنَّما كِيزانُها عُصْبَةٌ ... رُمُوا بصَرْفِ الزَّمَنِ القاهرِ
قد مُنِعوا أن يَلْتَقوا فاغْتَدَوْا ... أَوَّلُهُم يَبْكي على الآخِرِ

وللشيخ[٣٥] برهان الدين القيراطي[٣٦] : [من الطويل]

وناعورةٍ قد ضاعفَتْ بنواحها ... نواحي وأَجْرَتْ مُقْلَتاي دُموعُها

(٣٠) ق : (فقد) .

(٣١) يوسف بن لؤلؤ الذهبي الأديب بدر الدين الدمشقي الشاعر ، ولد سنة ٦٠٧ هـ وتوفي سنة ٦٨٠هـ وله مقطعات شعرية قال عنها ابن شاكر الكتبي : (وله نظم يروق الأسماع ويعقد على فضله الإجماع) . وانظر : فوات الوفيات ٣٦٨/٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٥١/٧ ، ومرآة الجنان ٩٣/٤ ، والشذرات ٣٦٩/٥ ، والأعلام ٣٢٥/٩ .

(٣٢) البيتان في فوات الوفيات ٣٧٨/٤ .

(٣٣) في الأصول (من حين) وما هنا عن الفوات .

(٣٤) في ح : (وله أيضاً) وفي ق (وله أيضاً كذلك) . .

(٣٥) ق : (وقال الشيخ) .

(٣٦) هو إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادي بن هلال القيراطي الشيخ برهان الدين ، ولد في الديار المصرية سنة ٧٢٦ . ومهر في الأدب ، وقال الشعر ففاق أهل زمانه وسلك طريق جمال الدين ابن نباتة وتلمذ له وراسله ، له ديوان شعر اسمه مطلع النيرين وغيره توفي سنة ٧٨١ هـ وانظر الدرر الكامنة ٣١/١ ، والشذرات ٢٦٩/٦ .

وقد ضَعُفَتْ ممّا تَئِنُّ وقَدَ غَدَتْ　　من السُّقْمِ والشّكوى تُعَدُّ ضُلوعُها

وللأمير مجير الدين بن التميم : [من السريع]

بَدَتْ لنا العُذْرَ ناعورةٌ　　أدمُعُها في غايةِ السَّكْبِ
تقولُ لمّا ضاعَ قلبي وقدْ　　ضَعُفْتُ بالنَّوْحِ وبالنَّدْبِ
[٤٥/أ] صَيَّرْتُ جسمي كلَّهُ أعْيُناً　　تدورُ في الماءِ على قلبي

وله أيضاً : [من الكامل]

ناعورةٌ مذ ضاع منها قلبُها　　دارتْ عليه بأنّةٍ وبكاءِ
وَتَعَلَّلَتْ بلقائِه فلأَجْلِ ذا　　جعلتْ تدورُ عيونُها في الماءِ

وله أيضاً : [من الطويل]

وناعورةٍ قالَت وَقَدْ ضاعَ قَلْبُها　　وأَضْلُعُها كادَتْ تُعَدُّ مِنَ السَّقْمِ
أَدُورُ على قَلْبي لأنّي فَقَدْتُهُ　　وَأَمّا دُموعي فهي تَجْرِي على جسمي

ولبعضهم في مثل ذلك : [من المجتث]

وَذاتِ شَجْوٍ أسالَتْ　　مَدامِعاً لم تَصُنْها
تَبْكي بفَرْطِ دُموعٍ　　ويَضْحَكُ الرَّوْضُ منها

ولبعضهم(٣٧) على لسان الناعورة : [من الطويل]

لَقَدْ كُنْتُ غُصناً في الرِّياض مُنَعَّماً　　أَميسُ ونصبي في أمانٍ من الخَفْضِ
فَصَيَّرني صَرْفُ الزَّماني كما تَرَى　　فبَعْضي كما لاقيت يبكي على بعضِ

(٣٨ ولابن حجة محاجياً في نواعير(٣٩) : [من مجزوء الرجز]

حماةُ إنْ جُزْتَ بها　　أَنِخْ هُناكَ الرّاحِلَهْ
وَقُلْ لَهُمْ مُحاجِياً　　ما مِثْلُ رامٍ(٤٠) قافِلَهْ ٣٨)

ولبعضهم(٣٧) : [من الكامل]

أبدى لنا الدُّولابُ قَوْلاً مُعْجِباً　　لمّا رَآنا قادِمينَ إليْهِ
إنّي من العَجَبِ العُجاب كما تَرى　　قَلْبي مَعي وَأنا أدورُ عَلَيْهِ

(٣٧) ق : (ولبعضهم أيضاً) .
(٣٨ — ٣٨) جاء ما بين الرقمين في ق بعد البيتين النونيين .
(٣٩) ق : (نواعير حماة) .
(٤٠) ح : (رامة قافلة) .

ولآخر : [من الهزج]

وُدولابٍ إذا نــــاحَ يَزيــــدُ الصَّبَّ أَشْجانــــا
سَقَــى الــغُصنَ وَغَنّــاهُ فــلا يــبرَحُ سَكْرانــا

ومثله ما أنشدنا إياه صديقنا الفاضل الكامل الشيخ أحمد بن[41] الأكرمي[42] رحمه الله تعالى خادم الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس الله سره لبعضهم قوله في دولاب : [من الطويل]

وحامِلَــةٍ للمــاءِ مَحْمولَــةٍ بــه
كما كانَ حُكْمُ الروحِ للجسمِ حامِلا
تَميــلُ بــه طــوراً وطــوراً تُميلُــهُ
فأَعْــجِبْ بمَيّــالٍ بها عــادَ مائِــلا
وَقَدْ قسمت شطرين بالفرض[43] مثلما
تــقسم وقت وهــو مــا زال سائــلا
إذا مــا امتــلا شطــرٌ تَصَعَّــدَ عاليــاً
ومَهْمــا خــلا شَطْــرٌ تَحَــدَّرَ سافــلا
[٤٥/ب] كما كان حكم الــروحِ للــجسم حامــلاً
فلمــا خــلا منها هـــوى متثاقــلا

ومثله قول الشيخ إبراهيم الأكرمي الصالحي[44] رحمه الله تعالى[45] : [من الوافر]

(٤١) ليست اللفظة في ق .

(٤٢) هو أحمد بن يحيى بن محمد المعروف بالأكرمي الحنفي الصالحي الدمشقي ، خادم مقام الشيخ محيي الدين ابن العربي . كان شاعراً أديباً ، أورد له المحبي والمرادي نتفاً منه وتوفي سنة أربع ومئة وألف . وانظر نفحة الريحانة ٤٢٥/١ — ٤٢٨ ، وسلك الدرر ٢١٤/١ — ٢١٦ .

(٤٣) ق : (بالعرض) .

(٤٤) هو إبراهيم بن محمد الدمشقي الصالحي المعروف بالأكرمي الأديب الشاعر . وكان هو وأباؤه خدام باب الشيخ الاكبر أخذ الأدب عن أبي المعالي الطالوي ، وعبد الحق الحجازي . وله ديوان شعر اسمه (مقام إبراهيم) . قال المحبي : (وفيما أعتقده أنه أحسن شعراء هذا التاريخ لطول باعه في فنون الشعر بأجمعها ، وحسن انسجام كلماته ورونقها ، وهذا ما ظهر لي بحسب رأيي السقيم ، وأرجو أن يوافقني عليه من عرف مقام إبراهيم) . توفي سنة ١٠٤٧ ودفن بسفح جبل قاسيون . وانظر خلاصة الأثر ٣٩/١ — ٤٢ ، ونفحة الريحانة ٤٠/١ — ٥٩ .

(٤٥) الأبيات في نفحة الريحانة ٥٩/١ .

وَدُولابٍ يَئِــــرُّ أنيـــنَ صَبٍّ   كئيبٍ نـازحِ الأهــلين مُضْنـى
تَذَكَّر عَهْـدهُ بالـرَّوْضِ غُصْنـاً   وَمِحْنَـةَ قَطْعِـه فبكـى وأنَّـا
ومـا تَـدْري[46] أتَرْديـدٌ لمغنـىً   شجاهُ أم حنينُ جوًى لمغْنـى[47]

٨ً ــ زاوية القادرية

ثم أننا ذهبنا في وقت العصر إلى زاوية المشايخ السادة القادرية ، وحضرنا الذّكر معهم في تلك العشية ، وصار لنا حال وزيادة اعتقاد وإذعان ، وحصلت البركة لجميع الإخوان .

٩ً ــ الحَمَّام

ثم ذهبنا بعد العشاء الأخيرة إلى الحمَّام ، الذي بقرب الجسر مع بعض مَنْ حضرنا في ذلك المقام،وتنعَّمنا بأنواع الإنعام ، و لم نَخلُ من طرائف التلاحين وظرائف الأنغام .

ثم عدنا إلى المنزل وبتنا على أكمل حال يقصر عن وصفه المقال ، ونحن في ذلك القطر الذي هو نزهة الداني والقاصي ، المطل على نهر العاصي .

اليوم الثالث عشر

١١٠٥/١/١٣ هـ = ١٦٩٣/١٠/١٣ م

١٠ً ـ أشعار

فلما أصبحنا في اليوم الثالث عشر من المحرم ، وهو يوم الثلاثاء قلنا من النظام في رونق هذا المقام : [من البسيط]

بِتْنا على النَّهْـرِ في قَصْرِ الـمَسَرّاتِ ... وللنَّواعيـــرِ أنّـــاتٌ برنّـــاتِ

فوقَ المُطِيع لنا العاصي الذي انبسَطَتْ ... مياهُـــهُ باضْطرابـــاتٍ ومَوْجـــاتِ

سَقَـى حماةَ وَحَيّـا اللهُ جيرَتَهـا[1] ... مِـن بَلْـدَةٍ أشْبَـهَتْ رَوْضَاتِ جَنّاتِ

والجسر بالقُـرْبِ مِنّا كالصِّراطِ بَـدَا ... وَنَحْـنُ في غُرْفَـةٍ ذاتِ ارْتِفاعـاتِ

في حيّ ساداتِنا الأشرافِ من رُفِعَتْ ... لهم مزايـا العُـلا فَـوْقَ السَّمـواتِ

بنـي المفضَّلِ عَبْـدِ القـادرُ اشْتُهِـرَتْ ... صفاتُهُـــم في النَّدايَيْـــنَ البَرِيّـــاتِ

لا سيَّما الشَّهْمُ ياسيـنُ الهمـامُ وَمَـنْ ... لَـــهُ مزِيَّـــةُ فَضْلٍ في المزيّـــاتِ

ثم عزمنا على المسير عن ذلك الجناب الوسيع الرحاب وودعنا الإخوان والأصدقاء والأحباب ، فخرجنا من المدينة على ذات غفله .

١١ً ـ رأس الحسين

وقد زرنا في الطريق مكاناً ، عليه قبةٌ لطيفةٌ في أرض هناك سهلة ، يقال إنّ تحت تلك القبة رأسَ الحسن والحسين ، وهو أمر لا يخلو من مين ولا مين[2] . فزرنا ذلك المكان [٤٦/أ] وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

وعندنا في دمشق الشام مزارٌ داخلَ باب الفراديس ، يقال له مشهد الحسين ، ويسمى مسجد الرأس ، وهو معروف الآن ، وهو مشهد حافل ، عليه جلالة وهيبة ، وله وقف على مصالحه ، وهذا المشهد يقصده الناس للزيارة والدعاء والتبرك والتماس الحوائج ، وهو في غاية القبول كذا ذكره ابن الحوراني في الزيارات[3] .

(١) رواية الشطر في ق مختلة الوزن وهي :
سقـــى الله حماة وحيّـــا الله جيراتها

(٢) كذا في الأصول ، وليست (ولامين) الثانية في ق .

(٣) انظر الإشارات إلى أماكن الزيارات ٢٥ .

وفي مصر أيضاً مشهد يسمى مشهد الحسين ، سنذكره إن شاء الله في محله .
ولعل هذه المشاهد أماكن وضعوا فيها رأس الحسين حين جاؤوا به من بلاد العراق من كربلاء ولا يُدرى رأسه في أي مكان دفن .

وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات[٤]: (أن الحسين رضي الله عنه قتل يوم الجمعة ، وقيل يوم السبت ، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين ، بكربلاء من أرض العراق ، وقبره مشهور يزار ، ويتبرك به) . انتهى .

١٢ً ـــ قبر الشيخ محمد السرجاوي

ثم زرنا في حماة بالقرب من ذلك قبر الشيخ محمد السرجاوي نسبة إلى سَرْجَة[٥] ـــ بفتح السين وسكون الراء ـــ قرية من قرى معرة النعمان ، وعليه قبة صغيرة فوقفنا هناك وقرأنا له الفاتحة .

وقد خرج معنا للوداع جماعة منهم جناب أخينا الفاضل الكامل والعالم العامل السيد عبد الرحيم من ذرية العارف بالله تعالى صاحب التصانيف المشهورة الشيخ علوان الحموي قدس الله سره وأدام في حضرات القرب[٦] مقره .

أشعار في الحجاب

وأخبرنا أن جده الشيخ علوان المذكور ، رحمه الله تعالى ، أراد في مرة أن يدخل على بعض قضاة العساكر المارّين عليه بحماة المحروسة ، فعارضه بعض الخدّام ، ومنعه من الوصول إلى ذلك المقام لحكمة كانت من حضرة الملك العلام . فكتب رقعة وأرسلها إلى قاضي العسكر المذكور وفي الرقعة هذان البيتان لاقتضاء بعض الأمور وهما : [من الطويل][٧]

أَتَيْتُكُمْ أَرْجو التَّشَرُّفَ لا القِرَى ... فَعارَضَني في بابكُمْ أَحْمَقٌ صَعْبُ
ومُذْ كُنْتُم كَهْفاً إلى كُلِّ طالبٍ ... فلا عَجَبٌ إنْ كانَ في بابكم كَلْبُ

وهذا المعنى أحسن من البيت المشهور في قول الشاعر[٧] :

[٤٦/ب] وَمَـنْ يَرْبِـطِ الكَـلْبَ العَقُـورَ ببابِـهِ
فـإنَّ الأذى في النّـاسِ مـن رابـط الكـلبِ

---

(٤) انظر تهذيب الأسماء واللغات ١٦٣/١ .
(٥) في معجم البلدان : (وسرجة أيضاً ـــ قرية من قرى حلب ، ويقال لها : سرجة بني عُلَيْم) .
(٦) ق : (المقربين) ، وفي الهامش (أي القرب) .
(٧) ليس هذا الشعر في المسوّدة .

ومن هذا القبيل قولُ بعضهم[7] : [من الكامل]

اللهُ يَعْلَـمُ أنَّنـي لَكَ شاكـرٌ والحُرُّ للفِعْلِ الجَميلِ شَكُورُ
لٰكنْ رأيتُ ببـابِ دارِكَ جَفْوةً فيها لصَفْوِ صَنيعـةٍ تَكْديـرُ
ما بالُ دارِكَ حينَ تَدْخُلُ جَنَّة وببـابِ دارِكَ مُنْكَـرٌ ونَكيـرُ

وقال[8] الآخر[9] : [السريع][7]

كَمْ مِنْ فَتًى تُحْمَدُ أخلاقُهُ وَتَسْكُنُ الأَحْـرارُ في ذِمَّتِهْ
قَدْ كَثَّرَ الحُجّابَ أَعْداءَهُ وَأَحْقَدُوا[10] النّاسَ عَلَى نِعْمَتِهْ

متابعة السير

ثم سرنا على بركة الله تعالى إلى أن دخلنا ذلك الطريق ، وفي الأرض في الحصى والأحجار وَعْر ، وفي السماء من حر الشمس وَغْر[11] ؛ فتذكرنا ما كنا فيه من جنة حمى حَماه[12] ، فكان تَنّور الجو وقيد الهجيرة حُماه ، ولكن ذلك الطريق عون الله تعالى حماه ، فلا يخاف سالكه على أهل ولا زوجة ولا حماة : [من البسيط]

يا جَنَّةً فارَقَتْها النَّفسُ مُكْرَهةً لَولا التَّأسّي بدارِ الخُلْد مُتُّ أَسَى

وقلنا عند ذلك ، ونحن سالكون هاتيك المسالك : (من الطويل]

صُعودٌ إلى الجوزاءِ من غَيْرِ سُلَّمٍ وَراءَ هُبوطٍ يوهِنُ العَظْمَ والجِلْدا

قلعة مصياف[13]

حتى وصلنا وقت غروب الشمس إلى قلعة مصياف بالصاد المهملة ، وفي آخرها فاء ، وبعضهم يقول مصياط فيجعل الفاء طاء مهملة .

قال في القاموس : أرضٌ مِصْيافٌ ، مستأخِرةُ النَّبات[14] . وأرضٌ مِصْيافٌ كثر

(8) ح : (وقول) .
(9) بعدها في ق : (وأجاد) .
(10) في ح : (وأحدقوا) .
(11) وَغَرَت الهاجرة تَغِر — كوعد — وَغْراً : رَمِضَتْ واشتدَّ حَرُّها .
(12) السجعة الأولى : حَماة اسم المدينة ، وحُماة الثانية ج حُمَّة وهي الإبرة يضرب بها الزنبور أو الحية ونحو ذلك أو يلدغ بها ، والثالثة حَمَاه : مَنَعَه ، والرابعة حَماة : لُم الزوجة .
(13) في معجم البلدان : مصياب حصن حصين بالساحل الشامي قرب طرابلس ، وبعضهم يقول (مصياف) قلت : ولعل لفظة مصياب مصحفة عن مصيات وهي الرواية الثانية عند النابلسي .

بها[١٥] مطر الصيف . انتهى . وذكر لنا بعض أهل حماة أنَّ هـذه القلعة سميت قلعة مصياف لأن أهل حماة كانوا يذهبون إليها في زمان الصيف لرطوبتها ، واعتدال هوائها ، بسبب ارتفاعها وعلوها .

وأما بالطاء فقال في القاموس[١٦] . الصَّوطُ : صوت من ماء وهو ما ضاقت منقعه وقد امتد . والصِّياط بالكسر اللَّغَطُ العالي . انتهى .

فكأنها سُمّيت بذلك لامتداد ما ضاق من مناقع مائها ، ونزوله تلك الأودية ، أو لكثرة لغط أهلها . والله أعلم بحقيقة الحال . وفي ذلك نقول على البديهية في وقت الوصول[١٧] : [من الرمل]

[٤٧/أ] إنَّ مِصْياطَ بلادٌ دَرْبُها ... كُلّهُ وَعْرٌ فَلا يُحْتَمَلُ
قَلْعَةٌ من حَوْلها أَوْدِيَةٌ ... باطِلٌ في السَّيْر فيها البطلُ
كُلَّما قُلْنا قَطَعْنا جَبَلاً ... بَعْدَهُ للعَيْن يَبْدو جبَلُ
تارةً تَبْدُو وَتَخْفى تاره ... فَكَأَنَّا[١٨] من فقيه جيَلُ

فصعدنا في تلك القلعة . وسورها منقلع[١٩] بالتهدم أيَّما قلعة . وبتنا في برجها ذلك العالي ، وفيه بعض التماسك . ولكن نهاره المظلم كليل من بعض الليالي . ثم قلنا فيه بلسانه وفيه : [من الطويل]

أتَيْنا إلى المصياف والوغر زائدٌ ... من الحَرِّ والوَغْر الذي أتعبَ المَتْنا
وَلَمْ نَدْرِ هَلْ في بُرْجِ قَلْعَتِها نُرَى[٢٠] ... أمِ القَبْرِ بِتْنا حَيْثُ من تعب مُتْنا

وهي بلاد قديمة البناء ، متكسرة الأناء ؛ وكان بانيها فيما وصل إلينا رجل من العلماء العاملين ، يقال له الشيخ محمد أبو الفتوح ، واسمه مكتوب على كل باب من أبوابها ، وقد كانت عمارة سورها وقلعتها في سنة ست وأربعين وخمس مائة ، ولها ثلاثة أبواب مفتوحات وباب مسدود وفيها جوامع خربة . ومآذن كثيرة . وغالب بيوتها خراب . وقد جعلت بساتين وصحراوات ، وكان أميرها يقال له المقدم سليمان ، فاجتمعنا به في حماة المحروسة ، وجئنا صحبته إلى إلى هذه القلعة ، مع جملة من الناس . حتى بتنا هناك في أرغد عيش وأكمل سرور .

---

(١٤) بعدها في القاموس (الصيف) : (وناقة مِصياف ومُصيف ومُصيفة معها ولدها) .

(١٥) ق : (فيها) .

(١٦) انظر القاموس (فصل الصاد من باب الطاء : الصوط) .

(١٧) لم يرد من هذه الأبيات في المسودة غير البيت الأول والثالث فقط .

(١٨) ح : (فكأنْ) .

(١٩) ق : (منقطع) .

(٢٠) في المسودة : (ترى) .

اليوم الرابع عشر

١١٠٥/١/١٤ هـ = ١٦٩٣/١٠/١٤ م

ثُمَّ لما أصبحنا في يوم الأربعاء ، وهو اليوم الرابع عشر من المحرم من هذا السفر .

بلاد القدموس

ذهبنا على بركة الله تعالى إلى جهة بلاد القدموس ، وقد ذهب معنا جماعة من أهل مصياف ، فمشينا في وعر أكثر من الأول ، ووغر شديد هو أعرض وأطول ؛ حتى قلنا في النظام في ذلك المقام : [مجزوء الرمل]

إنَّ دَرْبَ القدمـــوسِ　　مُتْعِبٌ كُـلَّ النُّفـوسِ
كم صَعَدْنـا في صُخـورٍ　　بأيـــــادٍ ورُؤوس
وهَبَطْنـــا كُـــلَّ وادٍ　　ثـمَّ في هَـمٍّ وبُـوسٍ[1]
بَيْـنَ أشْجـارٍ قِيـامٍ　　حَوْلَ أحْجارٍ جُلـوسِ
وَجَميـعُ الـدَّرْبِ مُعْـوَ　　جٌ[2] كأدْيـانِ المجوسِ
فيـه ضيـقٌ والْتفـافٌ　　لـيسَ يَنْجـابُ بقـوسِ

[٤٧/ب] حتى وصلنا بمعونة الله تعالى وعظيم لطفه قبيل العصر إلى بلدة القدموس وهي على ما هو المشهور بين الناس بفتح القاف ، والدال المهملة ، وضم الميم ، وفي آخرها سين مهملة ، وبعضهم يسكن الدال .

وفي القاموس[3] : القُدْمُوس — كعصفور — القديمُ ، والملك الضخم ، والعظيم من الإبل ، والجمع القَدامِيس . والقُدْمُوسَةُ من الصخور والنساء : الضخمةُ العظيمةُ . انتهى .

فلعلها سميت بذلك لقدمها ، أو لأنَّ بانيها كان ملكاً ضخماً عظيماً ، أو لما فيها وفي طرقها من الصخور العظام ، والله أعلم بحقيقة الحال ، فنزلنا فيها عند فخر الأمراء الكرام المقدم شاهين ، وهو أخو المقدم سليمان المتقدم ذكره في مصياط ، وهما من بني تَنُوخ حيّ من اليمن ولا تشدد النون . كذا ذكره الجوهري في الصحاح[4] والناس الآن يشدّدون غلطاً منهم .

(١) لم يرد هذا البيت في المسوّدة .
(٢) في المسودة : (وعر) .
(٣) انظر القاموس : (القدموس) .

والقدموس الآن بلدة غالبها خراب ، ولها قلعة عظيمة ، بعمارة متينة ، وقد تهدَّم بعضها . وأهلها كأهل مصياف المتقدم ذكرها وأهل المرقب بعدها اشتهر عنهم أنهم إسماعيلية ، أهل بدعة وضلال . وفي خارج القلعة جامعٌ واسعٌ عظيمٌ فيه محراب ومنبر ومنارة يقول مؤذنها : الله أكبر . فذهبنا وصلينا العصر هناك بالجماعة .

قبر شيث نبي الله ﷺ

ثم عند خروجنا من الجامع المذكور أُخبرنا أن هناك قبرَ شيث نبيّ الله ﷺ على رأس جبل عالٍ ، فرأيناه من بعد ، وقرأنا له الفاتحة وذُكر لنا أنّ المرضى ، وأهل العاهات يذهبون إلى مزاره للتبرك به ، فيحصل لهم الشفاء والعافية ، وذُكر لنا أيضاً أن أسداً يأتيه في كل سنةٍ مرةً ويزوره .

والظاهر المشهور أن قبر شيث عليه السلام بالقرب من بلدة بعلبك ، وقد زرناه هناك وتبركنا به ، وتكلمنا عليه في رحلتنا الصغرى[5] إلى بعلبك والبقاع العزيز .

ثم عدنا إلى مكاننا ومنزلنا ذلك ، فأُكرمنا غاية الإكرام المقدم شاهين المذكور ، وقلنا في ذكر[6] أوصافه من النظام : [من الخفيف]

[٤٨/أ] سُدْتُمُ الناسَ ياكرام[7] تنوخ ... بالنَّدا والحِجا وفَرْطِ الرُّسوخِ
وَنَما فَرْعُكُمْ وفي القدموسِ الأصلُ زاكٍ بِصَبيةٍ وشيوخِ
قَدْ نَعِمْنا لَدَى حِماكُمْ نَهاراً ... مَعَ لَيْلٍ من ضيده مَسْلوخِ
وشَهِدْنا الأميرَ شاهينَ بحراً ... في النَّدى لا تَخَيُّلِ اليافوخِ
لابِساً ثوبَ هَيْبةٍ ووقارٍ ... فهو يُغْنيه عن لباسِ الجوخِ
ولَه هِمَّةٌ لِبَذْلِ نَوالٍ ... وطعامٍ لضَيْفِهِ مَطْبوخِ
وسُلَيْمانُ ذو الكمالِ أخوه ... سار في رُقْعَةِ النَّدى كالرُّخوخِ
حَفِظَ اللّهُ مِنْهُما كُلَّ شَهْمٍ ... نافخٍ روحَ مجده منفوخِ
وأدامَ العُلا وكُلَّ فَخارٍ ... لكما إذ هما أصولُ الفروخِ
أمَدَ الدَّهْرِ ما استقرَّ غريبٌ ... آمِناً في حمى رجالِ[8] تنوخِ

(٤) انظر الصحاح (نوخ) وقال صاحب القاموس (وغلط الجوهري فذكره في نوخ) وانظر القاموس والتاج (تنخ) .

(٥) انظر حلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز :

(٦) ليست اللفظة في ح .

(٧) في المسودة : (يا بني تنوخ) .

(٨) في المسوّدة : (بني تنوخ) .

اليوم الخامس عشر

١١٠٥/١/١٥ = ١٦٩٣/١٠/١٥ م

قلعة المَرْقَب[1]

ثُمّ أصبحنا في يوم الخميس الخامس عشر من المحرم من هذا السفر ، سرنا على بركة تعالى إلى جهة قلعة المرقب ، وسلكنا في ذلك الطريق الوعر الصعب ؛ وكان معنا يدلّنا على الطريق ، من أهل ذلك الفريق ؛ وقد قلنا في ذلك : [من السريع]

مِصْياطُ والقدموسُ والمرقبُ ... ثلاثةٌ ما مثلُها مُتْعِبُ

طَريقُها وَعْرٌ وأشجارُها ... ملتفَّةٌ كأنَّها اللَّولبُ

يكادُ مَنْ يسلكُها أنَّهُ ... في ذلك المَسْلَكِ لا يَذْهَبُ

ثم بينما نحن سائرون في ذلك الطريق ، مع مَنْ كان مَعَنا من صديق ورفيق؛ إذ عرضت شأةُ الغرام ونفحة الوجد والهيام إلى الجهات الحجازية ، وطيب هاتيك النفحات[2] ـسية ؛ فقلنا من النظام في ذلك المقام مضمناً للبيت الأخير ، على حسب التيسير في يير[3] : [من البسيط]

سِرْنا إلى أحمدَ المختارِ من بلدٍ ... نَؤُمُّ أُخرى بسيرٍ غيرِ معتادِ

قَصْداً لطولِ طَريقِ الخيرِ في شرفٍ ... لَدَى المنازلِ من غَوْرٍ وأنجادِ

فإنّه بانةُ الجزعِ التي نَبَتَتْ ... في ساحةِ الصِّدْقِ في أحشاءِ عبادِ

وإنّنا قد قَصَدْناهُ على جَزَعٍ ... والقَلْبُ منا إلى لقيانِهِ[4] صادي[5]

يُصْغي لرنّاتِ سِرِّ الصالحينَ به ... ونَقْتَفي قولَ من وافى بإنشادِ

(يا بانةَ الجزعِ لولا رَنَّةُ الحادي ... لَمَا تَنَقَّلْتُ من وادٍ إلى وادِ)

---

(1) الضبط عن معجم البلدان (المرقب) .

(2) بعدها في ق : (الإلهية) .

(3) بعدها في ق : (في ذلك) .

(4) في كل الأصول عدا ق : (لقيايه) وفي ق : (لقائه) . والرواية الأولى لا تستقيم لغة، والثانية لا تستقيم عروضياً . انظر القاموس المحيط (لقي) .

(5) لم يرد هذا البيت في المسوّدة .

(6) انظر حلة الذهب الابرز .

ولنا تذييل على هذا البيت الأخير ذكرناه في الرحلة البقاعية[٦] الصغرى[٧] المتقدم ذكرها[٨] .

مقام الشيخ صبيح الحبشي

ثم لم نزل سائرين إلى أن مررنا على [٤٨/ب] قبةٍ صغيرةٍ ، دُفن فيها الشيخ صُبَيْح الحبشي — بضم الصاد المهملة مُصَغَراً ، وبعضهم يَفْتَحها مشتق[٩] من الصباحة .

قال العارف بالله تعالى الشيخ علي سبط العارف بربه الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض ، قدس الله سره ، في ديباجة ديوان الشيخ عمر الذي جمعه من قصائده عند ذكره نسبة المحبة التي جعلت سلمان الفارسي وصهيباً الرومي رضي الله عنهما من أهل البيت .

قلت : رأيت في المنام كأني في الحضرة الشريفة المحمدية ، وكان عند رسول الله ﷺ جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء ، وكان الشريف شمس الدين محمد الأيكي نقيب الأشراف ، وقاضي العساكر المنصورة ، قدس الله روحه ، مع الجماعة في الحضرة الشريفة ، ولم أعرف أحداً منهم بصورته سواه ، وكان النبي ﷺ أمر بإثبات نسبة الشيخ صبيح الحبشي إليه .

ورأيت رجلاً معه المكتوب الذي يشهد فيه بالنسبة وهو يدور على الجماعة الحاضرين ، يأخذ خطوطهم فيه فلما وصل إليَّ ناولني المكتوب ، وقال لي : اكتب فقلت له : أنا ما رأيت الشيخ صبيح ، ولا عاصرته ، ولا أعرف نسبته ، وإنما رأيت أولاده . وهم أصحابي ، فصرخ عليّ صرخة عظيمة وجدت لها رعباً عظيماً وقال لي[١٠] : اكتب كما

---

(٧) ح : (الصغيرة) .

(٨) في حلة الذهب الإبريز ٧١ قال النابلس : فقلنا في ذلك التذييل على طريقة البديهة وهو ألطف ما قيل :

يا بانة الجزع لولا رنة الحادي	لما تنقّلت من وادٍ إلى وادي
فأرسلي نفحة لي مع نسيم صبا	يبثها بين نادينا بترداد
لله آية أخبار أتت سحراً	عن بانه الجزع من قلعات أجياد
روت حديثاً فأروت مغرماً دنفاً	فؤاده نحو سكان الحمى صادي
ما أومض البرق الأسحّ مدمعه	كوابل غدق من فيضه غادي
ولا سرت نسمةٌ إلا استقرّ به	شوقٌ عليه إلى ذاك الحمى بادي
هو الذي عبثت أيدي الغرام به	ولم تساعده سعداه بإسعاد

(٩) ح : (مشتقة) .

(١٠) ليست اللفظة في ح .

أمر رسول الله ﷺ أن يكتب ، فقلت : وكيف أمر سيدنا رسول الله ﷺ أن يكتب ؟ فقال : اكتب : أشهد أن النبي ﷺ متصل النسب بالشيخ صبيح . فكتب كما أمر رسول الله ﷺ أن يكتب انتهى .

فوقفنا عند قبره . وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى إلى أن وصلنا إلى قلعة المرقب قبيل العصر .

فصعدنا إليها ، فإذا هي قلعة من أعظم القلاع ، مرتفعة في الهواء غاية الارتفاع ، وفيها جامع كبير ؛ إلى كمال زخرفةٍ في زمان شبابه يشير ، والقلعة على خمس طبقات ، كل طبقة منها مشتملة على طبقات متعددة .

قال في المصباح المنير :[11] (رقبته رقوباً من باب قعد حفظته ، فأنا رقيب .. والمرقب — وزان جعفر — المكان [٤٩/أ] المشرف يقف عليه الرقيب وتزاد الهاء فيقال مرقبة . انتهى .

فبتنا في تلك القلعة . ونحن في غاية الصفاء والسرور ، وكان نزولنا عند المُقَدَّم مصطفى محافظ تلك القلعة وأمير ذلك السور .

(١١) انظر المصباح المنير (رقب) فثمة خلاف في الرواية وزيادة عنها .

اليوم السادس عشر

١٦/١/١١٠٥ هـ = ١٦/١٠/١٦٩٣ م

فلما أصبحنا في يوم الجمعة وهو اليوم السادس عشر من المحرم من هذا السفر . قلنا من النظام . في ذلك المقام : [مجزوء الرمل]

قَلْعَــةُ المرقبِ طـــالتْ بارتفــــــاعٍ في الهواءِ
إنَّمـــا الأبـــراجُ منها مثـلُ أبـراجِ السمــاءِ

ثم إننا قمنا ودرنا في أماكن هذه القلعة ، ذات الحصون المتينة والمنيعة ؛ فإذا هي قلعة كبيرة[1] واسعة جداً ، حتى إننا رأينا هناك رجلاً كبيراً في السن ، أخبرنا أن عمره نحو ثمانين سنة ، وذكر لنا أنَّه لم يستوفِ جميعَ أماكنها ، بل بقي عليه أماكن كثيرة لم يعرفها ، وهو طول عمره ساكنٌ هناك ، وقد جُلْنا في بعض جوانبها ، وصعدنا إلى بعض أبراجها ، ومكثنا ذلك اليوم عند المقدم حسين ، وكان قد[2] دعانا إلى داره في القلعة المذكورة ، فجعل لنا ضيافة عظيمة . وبتنا[3] هناك .

(١) ح : (قلعة متينة كبيرة)
(٢) ليست اللفظة في ق .
(٣) ليست اللفظة في ح .

اليوم السابع عشر

١١٠٥/١/١٧ هـ = ١٦٩٣/١٠/١٧ م

فلما أصبحنا في يوم السبت السابع عشر من المحرم فسمعنا هدير البحر وتلاطم أمواجه ، وشهدنا من بعد كمال اضطرابه وارتجاجه ، فقلنا في ذلك ، استغطاماً لهيبة القدير المالك : [من المجتث]

كالقِدرِ تَغْلي[1] مياه الـ   ـبحرِ الطويلِ العريضِ
كأنّـه نظـم مَـنْ لا   يجيـدُ نَظـمْ القـريضِ

رجال الغيب

ثم ودّعنا الجماعة، وخرجنا سائرين في تلك الساعة ، حتى مررنا في الطريق على قبة في رأس جبل عال . وذكروا لنا أن ذلك المكان مكان رجال الغيب ، وهم أربعون رجلاً ، ولعلهم الأبدال ، الذين وردت فيهم الأخبار ، وأنهم في بلاد الشام ، وقد اجتمعوا هناك مرة فبُنيتْ القبة في ذلك المكان . فوقفنا وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

قبر الشيخ مرجي

ثم مررنا على قبر الشيخ مَرْجي — بفتح الميم وسكون الراء بعدها جيم مكسورة وعليه قبة صغيرة فقرأنا له الفاتحة .

بلدة جبلة

ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى بلدة جبلة المحروسة ذات الربوع المأنوسة

تحديد جبلة

قال [٤٩/ب] في القاموس[2] : « جَبَلَة محركة . موضع بنجد . وقرية بتهامة وبلاد[3] بساحل بحر الشام ، وقرية بالبحرين وموضع بالحجاز ، ومنه جبلة جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان » . انتهى ملخصاً .

(١) في ت ، ح ، ن والمسوّدة ل ٩ : (تغلو) وهي لا تستقيم لغة . وفي ق (تعلو) . وهي لا تستقيم معنى . وانظر القاموس (غلى) .

(٢) انظر القاموس : « جبل » .

(٣) في ح و ن : « وبلد » .

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٤] في ابتداء تاريخه عند ذكر اشتقاق دمشق وأماكن من نواحيها : « وجبلة من الجبل وكل شيء اجتمع وعظم فهو جبل » . انتهى .

وهي بلدة صغيرة على ساحل البحر ليس لها سور ولا قلعة .

جامع إبراهيم بن الأدهم

فلما دخلنا إليها نزلنا في جامع حضرة السلطان إبراهيم بن الأدهم[٥] وجامعه من أعظم الجوامع ، وبروق أنواره فيه لوامع . وله منبر ومنارة ، وهناك[٦] جماعة على طريقته الأدهمية يقتفون آثاره[٧] ، ويشهدون أسراره وأنواره . فدخلنا إلى زيارته وفتح لنا باب حضرته ، فصلّينا هناك ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

مدح إبراهيم بن الأدهم

وقلنا من النظام ، في ذلك المقام : [من الكامل]

سُلْطانَ إبراهيمَ يا بْنَ الأُدْهَمِ ... أنتَ الّذي لك كلُّ فضلٍ ينْتمي

جئْناكَ نَسْعَى من جبالٍ شمَّخٍ ... وبُطونِ أوديةٍ بناهي ترتمي

نعلو ونسفلُ بين وعرِ مسالكٍ ... كم أرجفت ببعادها قلب الكمي

مستشوِّقين إلى زيارتك التي ... هي للمريضِ من الهوى كالمَرْهَمِ

يا خَيْرَ مَنْ سَلَكَ الطَّريقَ إلى حمى ... سرّ العيان بعزمه المتقدّمِ

يا فيضَ بحر الأكرمين ومَنْ به ... كم سيل جود في الوجود عرمرم

يا نورَ كلّ الزاهدين ومَنْ سرى ... بشهوده في ليل غيبٍ مظلم

أنت الذي سعدتْ بزورتك الورى ... وعفا المهيمنُ عن ذنوب المجرمِ

ومَنْ احتمى بك لا يُضامُ وكيف لا ... وهو الذي يحمي الأكارمَ يحتمي

أبداً عليك تحية موصولة ... بسلام صبٌّ في المحبّة مغرمِ

ما هَيَّجتْ عبدَ الغنيّ حمامةٌ ... غنّتْ على تلك الربى بترنّمِ

ترجمة إبراهيم بن الأدهم

وذكر ابن الأثير في كتابه (المختار في مناقب الأخبار) وهو في ثلاث[٧] مجلدات

(٤) انظر تاريخ دمشق ٢٠/١ ومختصره لابن منظور ٤٩/١ .

(٥) في هامش المسودة الأيمن ل ٩ (ترجمته مكتوبة في الآخر فتكتب هنا) . وفي الهامش الأيسر : (ذكر ترجمته في أول الرسالة الشيخ القشيري ، وذكر القاضي زكريا في شرحها قال :) وبنقل النص الذي سيرد بعد ذلك عن وفاته (٦) في ن : « وله جماعة » (٧) في ن و ح : « أثره » في ح و ن : « ثلاثة مجلدات »

كبار ما ملخصّه : « أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور من كورة بلخ[٨] . سيّد أهل التصوّف وزاهدهم وكبير أهل الطريق وعابدهم . صحب سفيان الثوري ، والفضيل ابن عياض وغيرهما من الأئمة والعلماء ، وأسند [٥٠/أ] أحاديث كثيرة عن جماعة كثيرين من التابعين وتابعي التابعين » .

وذكر الحافظ الذهبي في (التذهيب مختصر التهذيب) قال : « إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد العجلي وقيل التيمي أبو إسحاق البلخي أحد الزهّاد الأعلام نزيل الشام . قال ابن معين : هو من العرب من بني عجل . وقال ابن قتيبة : هو تميمي كان بالكوفة . وقال الفضل الشيباني : حج أدهم بأم إبراهيم فولدت إبراهيم بمكة فجعلت تطوف به الخلق[٩] في المسجد الحرام تقول ادعوا لابني أن يجعله الله رجلاً صالحاً . وقال النسّائي : ثقة مامون ، احد الزهاد . وقال القُشَيْري : كان من أبناء الملوك فخرج مُتَصيداً ، وأثار أرنباً وهو في طلبه ، فهتف به هاتف : ألهذا خُلقتَ أم بهذا أُمرت ؟ . ثم هتف به من قربوس[١٠] سرجه : والله ما لهذا خلقت ، فنزل عن دابته وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبّته الصوف فلبسها وأعطاه فرسه وما معه . ودخل البادية ، ثم دخل مكة » . انتهى .

قال ابن الأثير في كتابه المذكور ناقلاً[١١] عن إبراهيم بشار[١٢] قال : قلت . يا أبا إسحاق كيف كان أول أمرك ؟ قال كان أبي من أهل بلخ ، وكان من المياسير والأشراف ، فخرجت إلى الصيد راكباً فرسي ، وكلبي معي ، فبينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب فحركت فرسي ، فسمعت نداء من ورائي : ما لهذا خلقتَ ، ولا بذا أمرتَ . فنظرتُ يمنةً ويسرةً ، فلم أر أحداً ، فقلت : لعنَ اللهُ إبليسَ ، ثم سمعت نداءً من قربوس سرجي : يا إبراهيم ، ما لهذا خلقتَ ، ولا بذا أمرتَ ، فقلت : نُبِّهتُ نُبِّهتُ ، جاءني نذير من رب العالمين ، والله لا عصيتُ اللهَ بعد يومي هذا ، ما عصمني ربي . فرجعت إلى أهلي ، وجئت إلى راعٍ من رعاة أبي ، فأخذتُ منه جبةً وكساءً ، وألقيت ثيابي ، ثم سرتُ حتى وصلتُ إلى العراق ، فعملت بها أياماً فلم يصفُ لي فيها شيءٌ من الحلال ، فسألت بعضُ المشايخ عن الحلال . فقالوا إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام ، فسرت إلى بلاد

(٨) بلخ : وهي قصبة خراسان. وتقع اليوم ضمن حدود أفغانستان، وانظر معجم البلدان ، وبلدان الخلافة الشرقية ٤٦٢ — ٤٦٥ .

(٩) في ح : « الحلق » .

(١٠) قَرَبوس كحلزون وهو حنو السَّرج وهما قربوسان وهما متقدّم السرج ومُؤَخّره ويقال لهما حنواه وهما من السرج بمنزلة الشَّرْخَيْن من الرَّحْل . القاموس والتاج « قربس » .

(١١) في ن ح : « نقلاً » .

(١٢) كذا في كل الأصول .

الشام ، إلى مدينة يقال لها المنصورة ، وهي المَصِّيصَة[١٣] ، فعملتُ بها أياماً ، فلم يصفُ لي شيء من الحلال ، فسألتُ بعض المشايخ[١٤] . فقال : إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس . فتوجهت إلى طرسوس ، فعملت بها أياماً ، أُنظر البساتين ، وأحصد الحصاد .

وقال ضمرة : كنا مع إبراهيم بصور في بيته ، وكان يحصد ، وكان سليمان جالساً على الباب ، عليه جبة صوف . فقال له إبراهيم : يا سليمان ادخل لا يمرّ بك إنسان فيظنّ أنك سائل فيعطيك شيئاً .

وقال عدي الصياد من أهل جبلة : سمعت يزيد بن قيس يحلف بالله أنه كان ينظر إلى إبراهيم بن أدهم وهو على شط البحر في وقت الإفطار فيرى مائدة توضع بين يديه ، لا يدري من وضعها . ثم يراه يقوم ، فينصرف حتى يدخل جبلة وما معه شيء .

وقال أحمد بن عبد الله صاحب إبراهيم بن أدهم : كان إبراهيم من أبناء ملوك خراسان ، فبينما هو ذات يوم مشرف من قصره ، إذ نظر إلى رجل بيده رغيفٌ يأكله ، فاعتبر ، وجعل ينظر إليه حتى أكل الرغيف ، ثم شرب ماءً ، ثم نام ، فألْهم الله عز وجلّ إبراهيم الفكر فيه . فوكل به بعض غلمانه وقال له : إذا قام هذا من نومه فآتني به . فلما قام الرجل من نومه قال له الغلام صاحب هذا القصر يريد أن يكلمك ، فدخل إليه مع الغلام ، فلما نظر إليه إبراهيم ، قال له : أيها الرجل أكلتَ الرغيفَ ، وأنت جائع ؟! قال : نعم . قال : فشبعت ؟ قال : نعم . قال إبراهيم : وشربت الماء ورويت[١٥] ؟ فقال : نعم . قال ونمت طيباً بلا شغل ولا هم[١٦] ؟ قال : نعم . قال إبراهيم[١٧] : فقلت في نفسي ، فما أصنع أنا بالدنيا ، والنفس تقنع بما رأيتُ . فخرج إبراهيم سائحاً إلى الله تعالى على وجهه .

وذكر القاضي زكريا في شرحه على الرسالة القشيرية قال :
ومات إبراهيم بالشام بالجزيرة في الغزو وحمل إلى صُوْر — بضم المهملة وإسكان الواو — : وهي مدينة بساحل الشام ، أو ببلاد الروم ، وعلى ساحل البحر ، فدفن بها

---

(١٣) المَصِّيصة : مدينة كبيرة بالثغر الشامي بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرطوس . وانظر معجم البلدان والمشترك وضعاً ٣٩٨ .

(١٤) بعدها في ق (عن الحلال فقالو لي) .

(١٥) ق : (فرويت) .

(١٦) ح : (وقال نعم قال نمت طيباً بلا هم ولا شغل) .

سنة إحدى وستين ومئة . انتهى .

وقال الذهبي في التذهيب[18] : وعن البخاري : أنه مات إبراهيم بن أدهم سنة إحدى وستين ومئة ، ودفن بحصن ببلاد الروم .

وعن أبي[19] عبد الله الجوزجاني . رفيق إبراهيم بن أدهم [٥١/أ] قال غزا إبراهيم البحر ، فقدم أصحابنا ، فأخبروني أنه اختلف في الليلة الذي توفي فيها[20] إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة ، كل مرة يُجَدِّد الوضوءَ للصلاة ، فلما أَحَسَّ بالموت قال :

أَوْتِروا إلي قوسي ، وقبضَ على قوسِه ، فقَبَضَ اللهُ روحه ، والقوسُ في يده ، فدفنّاه في بعض جزائر البحر ، في بلاد الروم . انتهى .

وقال القلقشندي في صبح الأعشى في كتابه الإنشا :

مدينة جبلة بها[21] قبر إبراهيم بن أدهم ، رضي الله عنه ، على ساحل البحر . انتهى .

بلدة جبلة

وبلدة جبلة[22] منابت التتن الطيب ، ومنها ينقل إلى سائر البلدان ، ولقد اقتضى الحال هناك استعمالُه حيث بردت علينا الطبيعة من مشقة السفر ، وهاجت علينا بأبخرتها العينان ، وفي ذلك نقول ، حيث لم تغننا عنه سائر البقول[23] : [من الخفيف]

قِيلَ لي كنتَ قبلَ هذا الأوانِ	قَهْوَةَ البُنّ تَحْتَسي في الأوانِ
مَالَكَ الآنَ قد أضفتَ إليها	وهي بنتُ الحلال شُرْبَ الدخانِ
قُلْتُ كانَتْ لَدَيَّ قهوةُ بُنٍّ	بكْرُ أصْلِ عَريقةُ الإحسانِ
فَأَتَا الدُّخانُ يَخْطِبُها مِنْ	بَرْدِ طَبْعي وهاجتِ العينانِ
وَيَدٌ أَدْهَمِيَّةٌ لي أشارَتْ	من هنا عند حضرةِ السُّلطانِ

(١٧) ليست اللفظة في ح .

(١٨) ح ن : (التهذيب) والكتاب اسمه (التذهيب مختصر التهذيب) وقد تقدم ذكره .

(١٩) ليست اللفظة في ن ، ح .

(٢٠) في ح (بها) وفي ق (فيها خرج إلى) .

(٢١) ح ن (فيها) .

(٢٢) ح : (فيها منابت) .

(٢٣) لم ترد هذه الأبيات في المسودة ولا التي تليها حتى بيتي اللاذقية اللاميين .

ثم زَوَّجْتُهـا بغليـونٍ تبـغٍ وَزَفَفْناهُمـا على النّدمـانِ
وإذا الكُفْـؤُ جـاءَ يخطِبُ منـا كانَ حَتْمـاً تَزْويجُـه في العَيـانِ
نبتُ مـاءٍ هاتيك وهـو ابنُ نـارٍ ضَمَّ غليونَـهُ إلى الفنجـانِ
وهـي سوداءٌ وهـو أسودُ هـذا مُقْتضى الاسْتـواءِ في الألـوانِ
فَاحْضَروا يا شهودُ وقت زفافٍ[٢٤] لتَفُـوزوا بكـوكبِ الاقتـرانِ

ولنا كلام في إباحة التتن ، وأبحاث لطيفة ذكرناها في كتابنا نهاية المراد ، شرح هدية ابن العماد ، وأبحاث أخرى غيرها أيضاً فيه ذكرناها في كتابنا الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية ، وكلام آخر ذكرناه في شرحنا على المقدمة السنوسية وعملنا كتاباً مستقلاً في إباحته سميناه الصلح بين الإخوان في إباحة الدخان ، قلنا[٢٥] فيه من الأشعار الرائعة في الفصل الأخير منه ، ما يحرك نشأة اللبيب ، ويثير بهجة الأريب .

ولنا أيضاً في [٥١/ب] ديوان الغزل زيادة على ذلك .

وأما أحسن قول العلامة شهاب الدين الخفاجي المصري صاحب الرسالة المشهورة في إباحة الدخان حيث قال في ديوانه المشهور : [من الخفيف]

ما شَرِبْتُ الدُّخانَ مُذْ سِرْتُ عنكم لِتَلَّـهِ بـهِ عـن الأحـزانِ
أحْرَقَتني الأشجـانُ فالقـلبُ مني صار بالوجـدِ مخزنَ النـيرانِ
فـخشيتُ الأنفـاسَ تَـفْضَحُ حـالي فلهٰـذا سَتَرْتُـه بالدُّخـانِ

وللخفاجي أيضاً في ديوانه : [من الوافر]

فَدَيْـتُكَ جُـدْ بـإذنٍ للنُّدامـى ليأتـوا بالدخـانِ بـلا تَـوَاني
تُريـدُ مُهَذَّبـاً لا عـيبَ فيـه وهـلْ عُودٌ يفـوحُ بـلا دخـانِ

وله أيضاً في مثل ذلك : [من الوافر]

إذا شرب الدخـان فـلا تلمنـا[٢٦] وجُدْ بالعفـوِ يـا رَوْضَ الأمـاني
تُريـدُ . . . مُهَذَّبـاً من غير ذنبٍ وهـل عُقـدٌ يفـوح بـلا دخـانِ

وعارضه بعضهم فقال : [من الوافر]

(٢٤) ن ، ح : (زمان) .
(٢٥) ق ، ح : (لنا) . (٢٦) ح : (فلا تلمني) .

إذا شرُبَ الدخانُ فلا تَلُمْني عَلى لَوْمي لأبناءِ الزَّمانِ
أريدُ مُهَذَّباً من غَيْرِ ذنبٍ كريحِ المسك فاحَ بلا دخانِ

وقريب من الأول للشيخ شمس الدين محمد الصالحي[27] : [من الخفيف]

ما شَرِبتُ الدخانَ إلا لتجري دَمْعَتي مُطْمئنَّةً من عيوني
أوْليدو دخانُ قلبِ حزينٍ خَوفَ واشٍ من باطن الغليونِ

ومنه قول صلاح الدين الكوراني الحلبي[28] : [من الطويل][29]

يلومونَ في شرب الدخانِ أَحِبَّتي أخي لا تلمني فيه فالأمر أحوجا[30]
ألا أن صل[31] الغم في غارِ صَدْرِنا عَصانا فدخَّنّا عليه ليخرجا

وقول الشيخ إبراهيم الأكرمي الصالحي[32] رحمه الله[33] : [من الرمل]

مُنْذُ[34] أخْمَدْتُ بهَجْرِ نَفسي وَنَفى عظم بكائي أدْمُعي
فَشَرِبْتُ التَّبغَ كي يُسْعِدني نَفَسُ النّارِ وَدَمْعُ الشَّمَعِ

الشَّمَعُ هنا — بفتح الميم — قال في القاموس[35] : الشّمَع — مُحرَّكةً وتسكين الميم — مُوَلَّدٌ . وفي المصباح المنير[36] : قال ثعلب بفتح الميم ، وإن شئت أسكنته . وعن الفَرّاء الفتح كلام العرب والمولّدون يسكنونها .

(٢٧) هو محمد بن نجم الدين بن محمد الملقب شمس الدين المعروف بالصالحي الهلالي الدمشقي الأديب الكاتب المنشيء الشاعر . ولد بدمشق ٩٥٦ هـ . له ديوان شعر سماه (صدح الحمام في مدح خير الأنام) وتوفي سنة ١٠١٢ وانظر ترجمته في خلاصة الأثر ٢٣٩/٤ - ٢٤٨ ، ونفحة الريحانة ٢٧/١ — ٤١ .

(٢٨) هو صلاح الدين المعروف بالكوراني الحلبي مولداً وتربة : شيخ الأدب . كان رئيس الكتاب بمحكمة قاضي قضاة حلب . له شعر مطبوع ونظم مصنوع مع مشاركة في فنون عديدة . وله مراسلات شعرية مع حسن البوريني . توفي سنة ١٠٤٩ وانظر : تراجم الأعيان ٢٤٣/٢ — ٢٥٣ ، وريحانة الألبا ٢٨١/١ — ٢٨٣ ، وخلاصة الأثر ٢٥٢/٢ — ٢٥٦ .

(٢٩) البيتان في خلاصة الأثر ٢٥٥/٢ .

(٣٠) رواية البيت في الخلاصة :

لقد عنَّفونا بالدخان وشربه فقلت دعوا التعنيف فالأمر أحوجا

(٣١) ح : (أصل) وهو معنى مقبول ، ولكن الصل أجود . قال المحبي : (الصِّلّ الحية السوداء ، ومن شأنها أنها إذا عصيت في وكرها دخّن عليها لتخرج) .

(٣٢) تقدمت ترجمته فيما مر من صفحات .

(٣٣) ح : (تعالى) .

(٣٤) ن ، ح : (ومذ) .

(٣٥) انظر القاموس المحيط (الشمع) .

(٣٦) انظر المصباح المنير (شمع) وما هنا مختصر عما هناك .

اليوم الثامن عشر
١١٠٥/١/١٨ هـ = ١٦٩٣/١٠/١٨ م

اللاذقية

ثم بتنا هناك تلك الليلة في أكمل سرور وأتم بهجة[١] وحضور إلى أن أصبحنا ، وكان ذلك اليوم يوم الأحد الثامن عشر [٥٢/أ] من المحرم من هذا السفر فسرنا بجانب[٢] البحر على طريق بلدة[٣] اللاذقية ، وقلنا في ذلك المسير بمقتضى تلك القضية : [من الطويل]

سَرَيْنـــا لِنَحْـــوِ اللَّاذقيَّـــةُ بُكْـــرَةً
على الشطِّ نَـمْشي بالهُوَينـا كما النَّمْـلِ
وَخافَتْ مـن الأَمواجِ في البحـرِ خَيْلُنـا
فَخَعلَتْ[٤] لِتَدْري ما سَتَلْقى عَلَى الرَّمْلِ

وكنا نمرُّ على ساحل البحر المالح ، ونرى الزَّنبقَ البحريَّ وهو عابق النشر فائح ، وقلنا في تشبيه ذاك[٥] ، مما تُنظم لآلئه في هذه الأسلاك : [من الطويل]

بَدا الزَّنبقُ البحريُّ يَزْهـو بعرفِـه ... على المسكِ مع ذاك الصَّبا المُتَردِّدِ
لِدِينا تبرٍ حـطّ في كـفّ فضةٍ ... لـه مُدّ فينا ساعِدٌ مـن زَبَرْجَدِ

وقد أنشدنا صاحبنا الفاضل الكامل الأديب الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الجينيني[٦]

---

(١) في ح : (في أتم سرور وأكمل بهجة وحضور) .
(٢) ن ح : (في جانب) .
(٣) ليست اللفظة في ح .
(٤) ح : (فخاضت) ن (فخضت) وما هنا كما في المسوّدة
(٥) ح : (ذلك) ق : (ذلك مما تنتظم) .
(٦) هو إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الجينيني الحنفي نزيل دمشق . ولد في حدود الأربعين بعد الألف وقرأ القرآن وبعض مقدمات العلوم ثم رحل إلى الرملة وانتمى فيها إلى خير الدين المفتي الحنفي وعليه تفقه وبه انتفع ولازمه ملازمة الظل للشبح . ولما مات شيخه عاد إلى دمشق واستوطنها وتوفي بها سنة ثمان ومئة وألف . وكان صاحباً للمحبي وقد ذكره في نفحته ٢/٢٥٦ و ٢٦٣ وانظر سلك الدرر ١/٦ — ٨ ، والورد الأنسي ل ٦٧ .

الأصل الدمشقي الموطن عن العالم العلامة الشيخ خير الدين الرملي(7) رحمه الله أنه أنشده من لفظه لنفسه هذين البيتين في الزنبق البحري وهما قوله(8) : [من الطويل](9)

وَزَنْبَقَةٍ قد أَشْبَهَتْ كأسَ فِضَّةٍ ... برأسِ قضيبٍ من زُمُرُّدَةٍ عَجَبْ
سُداسِيٌّ شكلٍ كلُّ زاويةٍ به ... على رأسِها الأعلى هلالٌ من الذَّهَبْ

قبر أمير الجماعة

ثم لم نزل سائرين حتى وصلنا إلى بلاد اللاذقية ، فنزلنا لأجل الراحة في خارج البلد عند مقبرة هناك بجانب بناءٍ على الطريق . فمر علينا رجلٌ فسألناه عن ذلك المكان ، فقال لنا : صاحب هذا القبر يُقال له (أمير الجماعة) فقلنا في ذلك بحسب الاستطاعة(10) : [من الخفيف]

مُذْ وَصَلْنا اللاذقيةَ ظُهراً ... وَحَطَطْنا قَبْلَ الدُّخولِ بساعَةْ
ونزلنا في تربةٍ ومقامٍ ... عند قبرٍ له هناك إشاعَةْ
وسألنا ماذا المقامُ فقالوا : ... قَدْ نَزَلْتُمْ على (أمير الجماعَةْ)

ثم دخلنا إلى بلدة اللاذقية وكان في وقت أذان الظهر .

تحديد بلدة اللاذقية

قال في القاموس(11) : (اللَّاذِقِيَّةُ : بلدةٌ من عمل حلب الآن) . انتهى .

وهي الآن مستقلّةٌ ، لها حاكمٌ مستقلٌّ من أهلها ، وقاضٍ يأتيها من بلاد الروم ، وهي على ساحل البحر المالح وماؤها الحلو مستخرج من الآبار ، وعمارتها كلها من الأحجار وأغرب [52/ب] ما رأينا فيها أنهم يبنون الجدارَ في عرض حجرٍ واحدٍ ويستقيمُ البنيان بذلك .

(7) هو خير الدين بن أحمد بن علي بن زين الدين بن عبد الوهاب الأيوبي العُلَيْمي الفاروقي الرَّمْلي . ولد سنة 993 بالرملة كان فقيهاً لغوياً مفسراً نحوياً أديباً شاعراً له عدة مؤلفات ومنها ديوان شعر مرتب على حروف المعجم ، رآه المحبي وانتخب منه بعض مستحسنات من أشعاره ومن ذلك قوله في الزنبق في سواحل البحر الشامي ، وهيئة نواره الأبيض قطعة واحدة وليس متفرقاً كهيئة الزنبق المتعارف ؛ توفي سنة 1081 وانظر خلاصة الأثر 2/134 — 139 .

(8) ليست اللفظة في ح .

(9) البيتان في خلاصة الأثر 2/134 ، ونفحة الريحانة 2/260 .

(10) البيتان 2 ، 3 وحدهما في المسودة (ل 9) .

(11) القاموس المحيط (لذق) .

حاكمها : قبلان آغا ابن المطرجي

فنزلنا فيها في جامع الأمشاطي ، وصلينا به الظهر مع الجماعة فأرسل إلينا حاكمُها يومئذ فخر الأمراء المعتبرين قبلان آغا المعروف بابن المطرجي ، سَلَّمَهُ الله تعالى مع كتخداه[١٢] وجماعة أخرى يدعوننا إلى النزول عنده .

مقام ابن هانىء

وذكروا لنا أن أهل البلاد وحضرة الحاكم المذكور والقاضي وبقية الأعيان ذاهبون في ذلك الوقت إلى زيارة الشيخ الولي المشهور عندهم بابن هانىء في ضيافة ختان يصنع هناك ، وذلك في خارج البلد ، مقدار ساعتين وخيّرنا[١٣] بين تأخر الحاكم المذكور معنا لإنزالنا عنده ، وبين أن تذهب لزيارة الولي المذكور ، ونحضر ذلك الختان مع أهل البلاد ، فاخترنا الذهاب معه لأن قصدنا زيارة الأولياء على كل حال ، فوضعنا أسبابنا وأمتعتنا في دار الحاكم المذكور . وذهبنا نحن وجماعتنا معهم ، إلى أن وصلنا إلى ذلك المزار المبارك على شط البحر ، فوجدنا الخيام منصوبة هناك ، والناس قد انتشروا في ذلك المكان على طبقاتهم .

حتى نزلنا في خيمة حضرة الحاكم المذكور ، قرب ذلك المزار ، وضُرِبت لجماعتنا خيمةٌ مستقلة قريباً[١٤] من خيمة الحاكم ، فذهبنا إلى زيارة ابن هانىء وقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى ، واسمه مسعود وعليه عمارة وقبة وبجانبه جامع كبير .

ثم بتنا تلك الليلة شبيهةً بليالي وادي منى ، من حصول كمال الفرح والسرور والهنا ، واستبشرنا بتيسير الحج في هذا العام المبارك على أتم ما يكون من الصفاء والسهولة والفرح ، إنه سبحانه بالإجابة جدير وقادر على تيسير العسير .

مباحثات علمية ومطارحات أدبية

واجتمعنا هناك بالعالم الهمام الشيخ محمد المصري الأصل مفتي الحنفية يومئذ بديار جبلة واللاذقية ، وجرت بيننا وبينه مباحثات علمية ، ومطارحات أدبية .

واجتمعنا هناك أيضاً بالشيخ المعمر الصالح الحسيب السيد عبد العزيز العباسي شيخ الخلوتية هناك ، وهو رجل من الصالحين [٥٣/أ] عمره نحو مئة وخمس عشرة سنة ، وغيرهم أيضاً من الأكابر والأعيان .

---

(١٢) الكخيا أو الكتخدا هو وكيل الباشا أو نائبه . حوادث دمشق اليومية ٢٦ الحاشية ٣ .

(١٣) ق (وخَيَّر) .

(١٤) ح ، ن (قريبة) .

اليوم التاسع عشر

١١٠٥/١/١٩ هـ = ١٦٩٣/١٠/١٩ م

ثم أصبحنا صباح يوم الاثنين وهو اليوم التاسع عشر من المحرم من هذا السفر ، مكثنا في ذلك المقام ، تحت الخيام ، إلى أن صلينا صلاة الظهر مع الجماعة والإمام ، بعد أن مُدَّتْ المائدة العظيمة ، وبُسطت السفرة الواسعة الجسيمة ؛ مشتملة على أنواع المآكل والمربايات النفيسة ، عرضها نحو الخمسة أذرع ، وطولها نحو عشرين ذراعاً أو أكثر . ولم[1] نجد في عمرنا مائدة مثلها ولا قدرها ، بحيث أنّا وجماعتنا لم نقدر على ضبط ما فيها من الألوان ، وهي تحت خيمة واسعة كبيرة طويلة ، مرتفعة الأطناب ، فكنا نحن وجماعتنا أول من دُعي إليها ، فجلسنا في ناحية منها وأكلنا[2] مما كان بالقرب منا ، ولم نعلم بقية الألوان من أنواع المطعومات ، وهي مائدة الختان المذكور ، ثم قمنا من ذلك المكان ، وشربنا القهوة مع الإخوان ، ونحن في أكمل سرور ، وأتم حبور ، حتى قام حاكم تلك البلاد ، وعاد إلى جهة اللاذقية بأنواع الأجناد ، وتذكرنا في ذلك قول أبي الطيب المتنبي[3] : [من الكامل]

وَخفيف[4] أَجْنحةِ الملائِكِ[5] حَوْلَهُ   وعيــونُ أَهْــلِ اللاذقيَّــةِ صورُ

جبل صهيون

فمررنا في الطريق على جبل صهيون[6] . قال في القاموس[7] : وصِهْيَوْن — كبِرْذَوْن — ببيت المقدس أو موضع به[8] أو الروم . انتهى .

ولعل هذا الجبل سمي باسم الروم الذين كانوا ينزلونه في الزمان السابق .

نبي الله يونس بن متى

ويقال إن يونس بن متى عليه الصلاة والسلام مدفون في رأس هذا الجبل ، وذكروا

---

(١) ليست اللفظة في ق .
(٢) ح ، ق : (فأكلنا) .
(٣) بعده في ح : (حيث قال شعر) .
(٤) ن ، ح ، ق : (وخفيف) .
(٥) ق : (الملائكة) ولا يستقيم بها الوزن .
(٦) ن ، ح : (صهيون كبرذون) .
(٧) انظر القاموس (صهو) .
(٨) ليست به في كل الأصول ، واستدركتها عن القاموس .

لنا أن جبلاً آخر في مقابله دفن فيه والده ووالدته[٩] متى على الخلاف في ذلك ، وقد زرنا قبر يونس بن متى في بلاد الخليل عليه السلام في قرية حلحول وأخبرونا هناك أيضاً أن والدته متى أو والده مدفون هناك في قرية يقال لها بيت أمر . وقد اشتهر قبر يونس عليه السلام[١٠] في بلاد الموصل كما ذكرنا ذلك في الرحلة القدسية[١١] مفصلاً .

وأخبرنا الشيخ البركة المعمر عبد العزيز الخلوتي المتقدم ذكره أنه بلغه عن العالم العامل، والعارف الكامل الشيخ [٥٣/ب] أحمد القصيري رحمه الله تعالى ، أنه لما زار نبي الله يونس عليه السلام في جبل صهيون رأى في منامه رجلاً يقول له : هذا نبيُّ الله يونس يعني عن المدفون في جبل صهيون ، فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

قبر الشيخ أبي بكر البطرني

ثم مررنا بجانب البحر على قبر الشيخ أبي بكر البَطْرَني رحمه الله تعالى — بفتح الباء الموحدة ، بعدها طاء مهملة مفتوحة ثم راء ساكنة ، ثم نون مكسورة ، ثم ياء[١٢] مثناة تحتية — وعليه عمارةٌ مبنية ، وعلى قبره هيبة وجلالة ووقار . فدخلنا إلى زيارته، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى وهو رجل من الأولياء[١٣] الصالحين مشهور بين أهل تلك البلاد وله أخبار وكرامات عند البحريّين ، وأصحاب المراكب ، ومواقع عجيبة .

مقام تاج من ذرية أحمد القصيري

وبجانبه مقام آخر يقال إنه دُفن فيه الشيخ تاج من ذرية الولي الصالح المشهور الشيخ أحمد القُصيري المتقدم ذكره قريباً ، والشيخ تاج المذكور ، ذكر لنا أنه جدُّ حاكم اللاذقية قبلان آغا المذكور سلّمه الله تعالى ، فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

عودة إلى جامع الأمشاطي

ثم عدنا إلى مكاننا في جامع الأمشاطي ، ونحن في كمال السرور والصفاء ، وتمام البشر والوفاء .

فدعانا تلك الليلة إلى داره مفخر الأكارم حضرة قبلان آغا المذكور سلّمه الله تعالى ، وعمل لنا ضيافة عظيمة ، ووليمة جسيمة .

(٩) ق : (أو والدته) .

(١٠) ق : (عليه الصلاة والسلام) .

(١١) انظر رحلتي إلى القدس ٥٣ .

(١٢) ح : (فياء) .

(١٣) ح : (أولياء الله) .

اليوم العشرون

١١٠٥/١/٢٠ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٠ م

فلما أصبح[١] صباح يوم الثلاثاء ، وهو اليوم العشرون من المحرم دعانا إلى داره مفخر العلماء الأعلام الشيخ محمد المصري الأصل المفتي يومئذ ببلاد جبلة واللاذقية المتقدم ذكره .

فذهبنا إلى داره وجلسنا عنده ، نتذاكر معه المسائل العلمية ، والفوائد الفقهية ، والحقائق الربانية ، والمعارف الإلهية ، ثم جاء إلى عندنا ونحن هناك الشيخ الإمام الكامل محيي الدين ابن الشيخ تاج العارفين اللاذقاني ، وأطلعنا على إجازته في طريق القادرية وطلب[٢] منا الكتابة عليها فكتبنا[٣] عليها في[٤] الحال قولنا : [الكامل]

وَلَقَدْ تَشَرَّفْنا بِحُسْنِ إجازةٍ ... للقادريَّة في طريقِ اللهِ

[٥٤/أ] موصولة بأئمةٍ وجهابذٍ ... من كلِّ شهمٍ كاملٍ أوّاهِ[٥]

فأدامَ ربّي من أجازَ على الهدى ... مُتَمتِّعاً في عزِّهِ والجاهِ

وحبا المُجازَ بكلِّ ما هو طالبٌ ... وَوَقاه من وسواسِ لهوِ اللاهي

ما لاحَ برقُ الأبرقين وما بدا ... من حجبه وجهُ الحبيبِ الباهي

قبر أبي الدرداء الصحابي

ثم بعد أن[٦] أدينا صلاة الظهر مع الجماعة ، ذهبنا إلى زيارة قبر[٧] أبي الدرداء الصحابي رضي الله عنه ، على ما هو المشهور هناك ، وقد بُنيت عليه قبةٌ صغيرةٌ . فدخلنا إلى قبره ، وزرناه ، وقرأنا الفاتحة[٨] ، ودعونا الله تعالى .

(١) ح : (اصبحنا) .

(٢) ق : (وطلبنا) .

(٣) ق : (فكتبنا له) .

(٤) ح : (بالحال) .

(٥) في المسودة (ل ١٠) (من كل وجه كل كامل أواه) .

(٦) ح : (ذلك) .

(٧) ليست اللفظة في ق .

(٨) ق : (وقرأنا له الفاتحة) .

وقيل إن أبا الدرداء دُفن في قرية سوم من أعمال بني كنانة ، وقبره هناك مشهور غاية الشهرة .

وقيل إن أبا الدرداء مدفون في بلدة عين تاب عن شمال حلب بمرحلتين .

والمعروف على ما ذكره النووي[9] وغيره[10] أن قبر أبي الدرداء في دمشق الشام بباب الصغير كما قدمنا ذلك .

إجازة في العلوم والحديث

وكان معنا في وقت زيارتنا لقبر أبي الدرداء رضي الله عنه في اللاذقية رجل من أهل تلك البلاد من الأفاضل . اسمه الشيخ أحمد بن الشيخ محمد صَبيح ، بصيغة التكبير لا التصغير ، وهو الخطيب بجامع الأمشاطي ، فطلب منا الإجازة في الحديث والعلوم وفي تصانيفنا فأجزناه ، هو ومن حضر من الجماعة ، وكتبنا له ولهم إجازة طويلة في أنواع العلوم .

قبر السيدة تاجة

ثم ذهبنا من هناك ، فمررنا في الطريق على قبر متهدم عليه بعض[10] عمارة ، يقال إنه دُفن فيه السيدة تاجة ، من الصالحات القانتات ، فزرناها وقرأنا لها الفاتحة . وذكر لنا بعض من كان معنا من أهل تلك البلاد أن رجلاً من أهل الجذب[11] والصلاح كان حاله الاصطلام ، فرآها عياناً ، وصار له ببركتها الرسوخ في المقام ، وأنه أخبر بذلك عن نفسه بعد صحوه من ذلك الحال والاصطلام .

والدة إبراهيم بن أدهم

ثم ذهبنا إلى زيارة والدة السيد إبراهيم بن أدهم ، قدس الله سرّهما ، على ما هو المشهور عند أهل تلك البلاد . فدخلنا إلى مزارها بين البساتين ، وعند رجليها شجرة ميس[12] كبيرة ، وقبالتها محراب كبير عال ، وليس عليها عمارة أصلاً .

وقد ذكر لنا بعض الناس أنهم عمروا عليها مراراً[13] عمارات ، فلم تقبل العمارة ،

(٩) تهذيب الأسماء واللغات ٢٩٩/١ .

(١٠) ليست اللفظة في ق .

(١١) ن ، ح : (الحديث) وهو تصحيف .

(١٢) المَيْسُ : شجر عظام . (القاموس : ميس) .

(١٣) ق : (مزاراً) .

فكأنها زهدت في الدنيا بعد موتها .

وولدها إبراهيم زهد في الدنيا حال حياته ، كما يحكى نظير ذلك من زهد الشيخ صدر الدين[14] القونوي[15] قدس سره بعد وفاته ، وزهد المنلا[16] جلال الدين الرومي[17] ، قدس سره في حال حياته ، فإن وجاهة الشيخ صدر الدين القونوي[15] كانت في الحياة ، وإخمال ذكره بعد الوفاة ، والمنلا جلال الدين على العكس من ذلك .

ووجدنا عند قبر والدة السلطان إبراهيم رجلاً يخدمه[18] من الدراويش الصالحين الفقراء اسمه الدرويش محمد ، وهو رجل من الكبار المعمرين المجاورين في ذلك المكان ، وعليه أثر الهيبة والصلاح والخشية والنجاح . فجلسنا عنده وتكلمنا معه وحصلنا على بركته .

قبر الشيخ سعيد

ثم مررنا بجانب البحر ، وزرنا الشيخ سعيد المشهور هناك بالولاية والصلاح ، وعليه قبة صغيرة ، فوقفنا وقرأنا الفاتحة له[19] ، ودعونا الله تعالى . ثم ذهبنا إلى جهة مرسى المراكب ونزلنا إلى مركب هناك كبير في البحر وتفرجنا فيه نحن والجماعة الذين كانوا معنا .

تربة الغرباء والمجذوبين

ثم خرجنا وزرنا تربة هناك مشهورة بتربة الغرباء والمجذوبين ، فقرأنا لهم الفاتحة ، ودعونا الله لنا ولجميع المسلمين .

---

(١٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي صدر الدين ؛ من كبار تلامذة الشيخ محيي الدين بن العربي فقد تزوج ابن العربي أمه ورباه . له عدة مؤلفات ، أكثرها في التصوف توفي سنة ٦٧٢ وقيل ٦٧٣ ، وانظر في ترجمته الوافي ٢/٢٠٠ ، وطبقات السبكي ٥/١٩ ، وجامع كرامات الأولياء ١/١٣٣ ، والأعلام ٦/٢٥٤ ، ومعجم المؤلفين ٩/٤٣ .

(١٥ — ١٥) ليس ما بين الرقمين في ق ، ن .

(١٦) ق : (الملا) .

(١٧) جلال الدين الرومي هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرومي جلال الدين . ولد في بلخ سنة ٦٠٤ وهو عند الفرس صاحب (المثنوي) المشهور بالفارسية ، وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى مولانا جلال الدين وتوفي بقونية في تركيا سنة ٦٧٢ وانظر : الجواهر المضيئة ٢/١٢٣ ، وكشف الظنون ١٥٨٧ ، والأعلام ٧/٢٥٨ — ٧/٢٥٨ — ٢٦٩ .

(١٨) ق : (يخدمها) ن : (يخدم) .

(١٩) ق : (له الفاتحة) .

إجازة للشيخ محمد المفتي

ثم عدنا إلى المنزل فطلب منا العالم الهمام الشيخ محمد المفتي يومئذ باللاذقية المتقدم ذكره أن نكتب له إجازة(٢٠) في أنواع العلوم وفي الحديث وجميع ما لنا من الأسانيد وفي سائر مصنفاتنا وتآليفنا من شرح ومتن ونظم ونثر . فكتبنا له ذلك على حسب الوقت والتيسير ثم بتنا في مكاننا الأول ، الذي كان عليه في الاجتماع المعول ، إلى أن دخل ثلث الليل الأخير .

معاودة السفر

فعزمنا على السفر وشددنا الهمة في المسير ، وسرنا على بركة الله تعالى العلي الكبير ؛ وعملنا هذين البيتين بمعونة الرب القدير ، مضمناً للمثل الشهير(٢١) : [من الرجز]

واظِبْ على الخيـــرِ وكُـــنْ مُجْتهِـــدا
في طاعـــةِ اللهِ وَدَعْ عـــنك المِـــرا
[٥٥/أ] واعمـــلْ بدنيـــاكَ لأُخـــرْاكَ وقُـــلْ
عنـدَ الصَّبـاحِ يحمـدُ القـومُ السُّرى(٢٢)

---

(٢٠) صورة هذه الإجازة بخط النابلسي في المسودة ل ١١ و ١٢ .

(٢١) البيتان في المسودة ل (١٣) .

(٢٢) المثل في الفاخر ١٥٨ ، وفصل المقال ٢٥٤ ، ٣٣٤ ، ومجمع الأمثال ٣/٢ — ٥ ، وجمهرة الأمثال ٦٤/٢ ، والمستقصى للزمخشري ١٦٨/٢ ، وتمثال الأمثال ٤٧٣/٢ ، ومعجم الأمثال العربية للمحقق ٥١٣/٢ — ٥١٤ .

اليوم الحادي والعشرون

٢١/١/١١٠٥ هـ = ٢١/١٠/١٦٩٣ م

ولم نزل سائرين إلى أن طلع الفجر ، ووجبتْ الصلاة وثبت الأجر ، وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم .

إبراهيم بن أدهم في جبلة

ثم[1] وصلنا إلى حضرة السلطان إبراهيم بن أدهم في بلدة جبلة المحروسة[2] ، وعدنا إليه ثانياً ، والعود أحمد[3] ، لحصول كمال البركات والهناء المجدد . فرزنا ثانية[4] وصلينا هناك الظهر والعصر مع الجماعة .

مزار عبد الله المغاوري

ثم ذهبنا في تلك الساعة فزرنا الشيخ الكامل عبد الله المغاوري على حسب ما هو المشهور في تلك البلاد . وهو[5] مزار على شط البحر ، وعليه قبة صغيرة ، فدخلنا إلى مزاره والتمسنا بركته[6] ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى وسنذكر في القسم الثاني إن شاء تعالى من هذه الرحلة عند زيارتنا في مصر في مقبرة القرافة مغارة الشيخ عبد الله المغاوري قدس الله سره ، وأنه مدفون هناك .

فتوى في الطلاق

وقد عرض علينا ونحن في مزار السلطان إبراهيم بن الأدهم ، قدس الله سره ، رجلٌ من الناس فتوى صورتها « ما قولكم رضي الله عنكم في رجل قال لزوجته : أنت طالق ثلاثاً ما فيها إن شاء الله ؟ فهل يقع عليه الطلاق[7] أم لا[7] ؟ أفتونا مأجورين .

والجواب : لا يقع على المذكور[8] من طلاقه شيء[9] ، فإنّه علق الطلاق بمشيئة الله

---

(١) ق : (حتى) .

(٢) ق : (المذكورة المحروسة) .

(٣) المثل في جمهرة الأمثال للعسكري ٤١/٢ ، وفي فصل المقال ٢٥٢ ، وفي مجمع الأمثال ٣٤/٢ — ٣٥ ، ومعجم الأمثال العربية للمؤلف ٢٣٦/٣ وفيه ذكر لمصادر أخرى للمثل .

(٤) ل : (فزرناه ثانياً) .

(٥) ق : (وهو في مزار) .

(٦) ق : (البركة) .

(٧ — ٧) ليس ما بين الرقمين في ن .

(٨) ق : (على الرجل المذكور) .

(٩) ح : (شيء من طلاقه) .

تعالى ، والحالة هذه . كتبه الفقير مصطفى المفتي بدركوش) . انتهى .

فأخبرتُ الرجلَ أنَّ هذه الفتوى غير صحيحة ، وأنها خطأ . وأن الطلاق واقع حيث كان الاستثناء منفياً لا مثبتاً ، وقد وجد الفاصل بين الطلاق والإنشاء بقوله (ما فيها) وقد شرطوا لصحة الاستثناء حتى يبطل به الكلام السابق أن يكون متصلاً .

قال في تنوير الأبصار : إذا[10] قال لها : أنت طالق إن شاء الله متصلاً مسموعاً لا يقع . وفي شرح الدرر : أنت[11] طالق ثلاثاً وثلاثاً[12] إن شاء الله . . وأنت حر وحر إن شاء الله تعالى[13] طلقت [٥٥/ب] المرأة ثلاثاً ، وعتق العبد . ثم علله بأن اللفظ الثالث لغوٌ ، إذ لا يفيد فوق ما يفيده الأول ، ولا وجه لكونه تأكيداً للفصل[14] بالواو ، فيمنع المعطوف عن[15] اتصال الشرط به فيقع . انتهى . وها هنا قوله ما فيها نفي للإنشاء ، فضلاً عن كونه فاصلاً بين الطلاق والإنشاء .

مغارة إبراهيم بن أدهم

ثم ذهبنا إلى مغارة السلطان إبراهيم بن الأدهم الذي كان يتعبد اللة فيها على شط البحر المالح ، فدخلنا إليها ، فإذا هي مغارة لطيفة عليها هيبة ووقار ، وفيها شكل الخلوات الصغار ، ولها طاقة مطلة على البحر ، وهي المغارة التي اجتمع فيها مع أمه ، وكانت له قصة الإبرة التي ألقاها في البحر ، وتبرك[16] بها السمك ، والقصة مشهورة على ألسنة الناس .

قبر الشيخ إبراهيم الحطاب

ثم ذهبنا فزرنا قبر الشيخ إبراهيم الحطاب ، وقرأنا له الفاتحة ، وهو رجل من الصالحين ، في مكان عليه ، قبة صغيرة ، وعنده في خارج مزاره شجرة سدر تحمل النبق . وقد ذكروا لنا أن أصلها كان عكازاً لإبراهيم بن أدهم[17] ، فغرزها في هذا المكان ، فخرجت منه هذه الشجرة ، وهي من العجائب .

ثم عدنا إلى مكاننا من جامع السلطان إبراهيم وبتنا في أتم السرور إلى أن أصبح الصباح .

---

(١٠) ليست اللفظة في ق ، ن .
(١١) ق : (قال أنت طالق) .
(١٢) ليست اللفظة في غير ق ، ولا يستقيم المعنى بدونها .
(١٣) ليست اللفظة في ت .
(١٤) في ن ، ح (للفاصل) .
(١٥) ق : (عند) ولا يستقيم بها المعنى (١٦) ت ، ق : (وتبركت) (١٧) ق : (الأدهم) .

اليوم الثاني والعشرون

١١٠٥/١/٢٢ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٢ م

وكان ذلك اليوم يوم الخميس الثاني والعشرين[1] من المحرم من هذا السفر المبارك .

قرية المرقب

فسرنا على بركة الله تعالى إلى أن وصلنا إلى قرية المرقب ونزلنا فيها ، ولم نزل في القلعة ، وكان فيها فرح العرس قائماً ، وطير السرور حائماً .

اليوم الثالث والعشرون

١١٠٥/١/٢٣ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٣ م

فبتنا فيها تلك الليلة ، وقد دعينا إلى تلك الضيافة وحصلت كمال النشأة واللطافة إلى أن أصبح صباح يوم الجمعة المبارك . وهو اليوم الثالث والعشرون من المحرم .

طرطوس

فسرنا بمعونة الله تعالى إلى جهة طرطوس ، بطائين مهملتين بينهما راء ساكنة ثم واو وسين مهملة .

نهر الحسيني وشعر فيه

فمررنا في الطريق على نهر واسع كبير ، يقال له : نهر الحسيني بالقرب من طرطوس ، فجلسنا حصة من الزمان ، مع الإخوان .

ونظمنا في ذلك الوقت من الأبيات الحسان قولنا[1] : [من الطويل]

[٥٦/أ] سَقَى اللهُ مِن طرطوسَ أرضاً أريضةً
بها الماءُ عذبٌ والنسيمُ صحيحُ

---

(١) ح ، ن : (والعشرون) (١) ليست اللفظة في ح .

بنهر الحسيني قد[٢] تسمّى وإنّهُ
مِن الحُسْنِ مشتقّ وذاكَ صريحُ
وأشجارَه ذاتُ الظلالِ لمن[٣] بها
نَفَيّاً تنفي كدَّة وتُريحُ
وما كنتُ أدري قبلَ منعش ريحها
بأنّ من الروحِ اللطيفةِ ريح[٤]
مروج تروق العينَ خضرةُ نَبْتِها
وينعمُ قلبٌ للمشوقِ جريحُ
فيالَكَ روضاً[٥] ما استَطَعْنا فراقَهُ
على مِثْلِه قلبُ المُحبّ شحيحُ
سقاهُ وحيّاهُ المُهَيمنُ من رُباً
تروقُ وسوحٌ بالنسائم فيحُ

ثم ركبنا وسرنا ، فمررنا في الطريق على ضُفَّةٍ مرتفعة ، عليها قبر ، والله أعلم أنه قبر رجل من أولياء الله تعالى . فقرأنا له الفاتحة .

ثم سرنا هناك[٦] إلى أن أشرفنا على طرطوس فمررنا على المقبرة التي هناك فقرأنا الفاتحة لمن دُفن فيها .

قبة محمد العدوي

ورأينا هناك قبة مستقلة . وقد أخبرنا بعض من حضر أنه دفن فيها الشيخ محمد العدوي من ذرية الشيخ عدي بن مسافر[٧] رضي الله عنه فقرأنا له الفاتحة .

(٢) ليست قد في ن ح .
(٣) ح : (فمن) .
(٤) جاء هذا البيت في هامش المسودة ل ١٣ .
(٥) كذا رواية الأصول والقافية في المسودة ضبطها النابلسي في غير هذا البيت بالضم ، فكلمة (ريح) على هذا مضمومة، رغم أنها اسم أن .
(٥) في الأصول جميعاً والمسودة ل ١٣ : (روض) .
(٦) ليست اللفظة في ق .
(٧) هو عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان شرف الدين أبو الفضائل الشامي الهكاري الذي تنسب إليه الطائفة العدوية ، ولد سنة ٤٦٧ هـ في إحدى قرى بعلبك وقوف في زاوية في جبل الهكارية في الموصل سنة ٥٥٨ هـ وانظر وفيات الأعيان ٢٥٤/٣ — ٢٥٥ ، والعبر للذهبي ١٦٣/٤ ، والشذرات ١٧٩/٤ والأعلام ١١/٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٧٥/٥ .

قلعة طرطوس

ثم دخلنا إلى قلعة طرطوس ، وهي الآن غالبها خراب ، وجدرانها متهدمة على ساحل البحر المالح ، وهي غير بلاد طرسوس التي هي بسين مهملة موضع الطاء الثانية .

قال في المصباح[8] : (طرسوس فَعَلول — بفتح الفاء والعين — مدينة على ساحل البحر كانت ثغراً من ناحية بلاد الروم قريباً من طرف الشام . [وهي بالإقليم المسمى في وقتنا سيس ، وينسب إليها بعض أصحابنا . وفي البارع][9] وقال الأصمعي طُرْسُوس وزان عُصْفور وامتنع من فتح الطاء والراء والأول[10] اختيار الجمهور)[11] . واسمها قبل الإسلام دقسوس . وهي مدينة أصحاب الكهف ثم تلعبت بها الألسنة ، حتى قيل طرسوس ، وكانت متنزهاً للرشيد ، وجدد بها آثار حسنة . انتهى .

فنزلنا في جامعها الكبير ، وأهل هذه البلدة كأهل قارة موصوفون بالبخل الكثير ، وقلنا في ذلك حيث لم نجد فيها شيئاً[12] ولا خبز الشعير : [مجزوء الرمل]

إنَّ طـــــرسوسَ كقَـــــارَهْ   مـــا بها غَيْـــرُ الحجـــارَهْ
إن تَـــرُمْ فيْهـــا ولومـــا   ءً تَجِـــدْ فيـــه التِّجـــارَهْ

[٥٦/ب] وكنا نحن والدواب التي معنا نبات طياً إلى يوم النشر ، لولا ما كان معنا من الزاد ، مما فضل علينا من فضل الله وزاد .

ثم قمنا من طرسوس ولم نبت فيها لمرارة طعم فيها ، وتذكرنا قول بَشّار بن برد وعملنا به : [من الطويل]

إذا أنكَرَتْنـــي بَلْـــدَةٌ أو نكرتُهـــا   خَـرجَتُ مـع البـازي علـيَّ سواد

---

(٨) المصباح المنير (طرس) .
(٩) ما بين الحاصرتين مستدرك عن المصباح المنير .
(١٠) ح ، ن : (فالأول) .
(١١) إلى هنا ينتهي ما في المصباح المنير المطبوع ببولاق ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ .
(١٢) ق : (شيئاً يباع) .

اليوم الرابع والعشرون

٢٤/١/١١٠٥ هـ = ٢٤/١٠/١٦٩٣ م

جون طرابلس

حتى أصبحنا في يوم السبت وهو اليوم الرابع والعشرون من المحرم من هذا السفر الميمون[١] . فإذا نحن في أرض الجُون — بضم الجيم — على ما هو المشهور ، ويقال له جون طرابلس ، وهو جمع جَون بالفتح .

قال الفارابي في ديوان الأدب ، في باب فُعْل بضم الفاء وتسكين العين . الجُون جمع جَون ، بالفتح : وهو الأسود ، وهو الأبيض أيضاً .

وفي المصباح[٢] : الجَوْنُ : يطلق بالاشتراك على الأبيض والأسود ، وقال بعض الفقهاء : ويطلق أيضاً على الضوءِ والظلمة بطريقة الاستعارة . انتهى .

قلت وهذه الأرض الواسعة التي هي بالقرب من طرابلس ، لعلها إنما سميت بهذا الاسم ، لاشتمالها على أراضٍ بيضٍ وسودٍ ، والجون للأسود والأبيض ، فسميت باسم الجمع .

ووجدنا هناك جماعات من العرب نازلين في بيوت من[٣] الشعر ، حتى سألهم بعض جماعتنا عن جون طرابلس ما هو فقالوا : هو هذه الأراضي التي نحن فيها تسمى بالجون .

قبة شهيد البحر

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى مكان فيه قبة يقال إنه دفن فيها شهيد البحر ، وهو رجل من الأولياء المشهورين في ذلك المكان . وحول قبته أشجار[٤] وبساتين وبعض بيوت . ووجدنا هناك بعض أناس ساكنين فسألناهم عن شيء يباع عندهم ، فلم نجد ولا علف الدواب[٥] .

فنزلنا هناك للراحة والزيارة ، وقرأنا الفاتحة لشهيد البحر ، ودعونا الله تعالى .

(١) ن : (المبارك الميمون) .

(٢) انظر المصباح المنير (جون) .

(٣) ليست اللفظة في ح .

(٤) ق : (أحجار) .

(٥) ق : (للدواب) .

في الطريق إلى طرابلس

ثم ركبنا وسرنا قاصدين الوصول إلى طرابلس المحروسة ، وكان الوقت قبل العصر ، ثم لم نزل سائرين حتى قابلنا في الطريق رجل على فرس ، فسألناه عن طرابلس ، كم بيننا وبينها ، فقال : إنكم تدخلونها[٦] في نصف الليل ، والمسافة بعيدة ولكن [٥٧/أ] اذهبوا في هذه الليلة إلى قرية المنية ، فإنكم تزرون نبيَّ الله يوشع ، عليه السلام ، فإذا أصبح الصباح تذهبون إلى طرابلس بالخير والسلامة ، فطلبنا الدلالة منه على طريق القرية المذكورة فرجع معنا ، حتى أشار لنا إلى طريق القرية .

قرية المنية

ثم لم نزل سائرين حتى وصلنا إلى قرية المنية المذكورة عند غروب الشمس .

قال ياقوت الحموي في المشترك[٧] : المنية بضم الميم وسكون النون ، وياء مفتوحة وهاء[٨] : اثنان وأربعون[٩] موضعاً ، وجميعها بمصر غير واحدة ثم انه ذكرها جميعها في مصر إلا واحدة ، وهي منية عجب بالتحريك وهي في الأندلس . ووجدنا على هامش كتاب المشترك المذكور بخط بعض العلماء زيادة مواضع سبعة تسمى بالمنية ، منها واحدة في مصر ، والستة في بلاد المغرب ، وكلهم لم يذكروا منية طبرية التي بالقرب من بيت المقدس وبها يتم الخمسون . ولم يذكر أحد أيضاً[١٠] هذه المنية ، منية طرابلس ، وبها يصير المجموع واحداً وخمسين موضعاً والله أعلم .

فدخلنا إلى قرية كبيرة واسعة ، ذات بساتين ومياه جارية ، وفيها محلتان ، محلة سفلى ، ومحلة عليا ، في ذيل جبل هناك . وهذه القرية جميعها جاريةٌ في وقف السادة المصريين المشهورِ عندهنا في الشام وواقفه هو الملك قايتباي[١١] ، رحمه الله تعالى .

مزار نبي الله يوشع عليه السلام

فسألنا عن مزار نبي الله يوشع ، عليه السلام ، فأخبرونا أنه في المحلة العليا ، فصعدنا إلى أن دخلنا إلى مزاره ، فوجدنا الباب مفتوحاً ، وهناك خدام له ساكنون عنده ،

---

(٦) ح : (تدخلون) .
(٧) المشترك ٤٠٥ .
(٨) الزيادة عن المشترك .
(٩) في المشترك (ثلاثة وأربعون) .
(١٠) ق : (ولم يذكروا أيضاً) .
(١١) ح : (قاة يباي) .

فاستقبلونا ، وأنزلونا عندهم بالقرب من ذلك المزار في قصر هناك له شبابيك مطلة على تلك البساتين . فدخلنا إلى عند[١٢] قبر يوشع عليه السلام ، فإذا هو في داخل مغارة هناك ، في ذيل ذلك الجبل ، وأوقدت هناك القناديل والشموع ، فوجدنا ذلك القبر طوله نحو العشرة أذرع ، وارتفاعه نحو الذراعين ، وداخله فارغ ، وله طاقات حوله ، وعلى القبر أنبوب من حجر ، ذكروا لنا أنّه إذا قلّت المياهُ في هذه القرية يجري منه الماء [٥٧/ب] ، بقدرة الله تعالى .

ورأينا في القبر حجراً مكتوباً عليه : هذا قبر العبد الفقير الشيخ يوشع ، عمّره السلطانُ الملك المقتفي الصالحي بطرابلس في سنة أربع وثمانين وست مئة .

فتعجبنا من هذه الكتابة ، وقلنا : كيف اشتهر عند أهل تلك القرية وغيرهم بأنه قبر يوشع النبي[١٣] . وقد كتب عليه ما يفهم أنه رجل من الأولياء والمشايخ[١٤] الصالحين .

حتى رأينا الشيخ الإمام علي بن أبي بكر الهروي رحمه الله تعالى ذكر في كتابه الزيارات :

أن في مدينة المعرة من أعمال حماة قبلي البلد في جانب سورها قبر يوشع بن نون ، فتى موسى . والصحيح أن يوشع بأرض نابلس ورأيناه ذكر بعد ذلك . أن في قرية عورتا في طريق القدس من نابلس مغارة فيها قبر يوشع بن نون . انتهى[١٥] .

وذكر القاضي مجير الدين الحنبلي في كتابه أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل[١٦] في ترجمة يوشع ، قال : لما توفي موسى عليه السلام ، قام بعد وفاته بتدبير بني اسرائيل يوشع ، وهو من ذرية يوسف بن يعقوب عليهم السلام . وبعثه الله نبياً ، وأمره بقتل الجبابرة ، فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا ، وأحاط بها ستة أشهر ، فلما كان السابع نفخوا في[١٧] القرون وضج الشعب ضجة واحدة ، فسقط السور ، فدخلوا ، وقاتلوهم ، وهجموا على الجبابرة ، فهزموهم ، وقتلوهم ، وكان يوم الجمعة فبقيت منهم بقية ، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت ، فقال : اللهم ارْدُدِ الشمسَ عليَّ[١٨] ، وسأل الشمس أن تقف ، والقمر أن يقيم حتى ينتقم الله من أعدائه قبل

(١٢) ليست اللفظة في ق .
(١٣) ن ، ح : (نبي الله عليه السلام) .
(١٤) ق : (المشايخ) بدون الواو .
(١٥) ليست اللفظة في ح .
(١٦) انظر الأنس الجليل ٩٤/١ — ٩٥ .
(١٧) ليست اللفظة في ق .
(١٨) ح : (عليّ الشمس) .

دخول السبت . فوقفت الشمس ، وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين . وملك يوشع الشام وفرق عماله ، واستمر يدبر بني اسرائيل ثماني وعشرين سنة ، ثم توفي يوشع في [ودفن][19] في كفل[20] حارس من أعمال نابلس ، وله من العمر مئة وعشر سنين[21] . وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى ، وقيل إنه مدفون في المعرة انتهى .

وقيل إن يوشع دفن في قرية الصَّلت من أعمال البلقاء ، وله قبر عظيم هناك ، عليه [٥٨/أ] الهيبة والوقار في طول عشرة أذرع ، وله هناك غاية الشهرة .

قلت : ولم أجد أحداً ذكر أن يوشع نبي الله هو المدفون في هذه القرية ، التي هي المنية ، غير[22] ما اشتهر على الألسنة من أن المدفون في هذه القرية هو نبي الله يوشع عليه السلام ، والله أعلم بحقيقة الحال . ولكن هناك ما يقتضي كونه هو قبر يوشع النبي عليه السلام ، مما اشتمل عليه من المهابة والجلالة ، وعظم قبره ، وقرائن أخرى تشير إلى ذلك . وأما ما ذكرناه من تلك الكتابة على القبر فلعلها من جاهل بالألقاب اللائقة بالأنبياء عليهم السلام[23] على أنه لا يعلم قبر نبي من الأنبياء ، عليهم السلام[23] ، على القطع والتعيين ، إلا قبر نبينا محمد ﷺ ، فإنه في المدينة[24] المنورة .

شعر فيه

وعلى حسب ذلك نقول ومن الله القبول ، وقد نظمناه[25] حين الزيارة ، نحبُّ الاستنارة : [من السريع]

أيــا نبــيَّ اللهِ يــا يــوشعُ ... يا مَنْ غدا في قومه يَشْفَعُ
ويــا بــنَ نــونٍ مــن هــو الكليــمُ مــوسى ... قــدرُهُ الأرْفَــعُ
بقريــةٍ قــد سُمــيّتْ منيــةً ... لأنّهــا مُنيــةُ مَــنْ يَــخْشَعُ
مــن القُــرى التــي تسامتْ إلى ... طَرَابُلُــوس الشّامِ تستتبــعُ
بتنــا بها فــوقَ رواقٍ بَــدَتْ ... أنــوارُهُ في قطــرهِ تَلْمــعُ
في كــلِّ خيــرٍ وسرورٍ وفي ... عــزٍّ وإقبــالٍ لنــا يَجْمــعُ
وفي حضورٌ بالنبــيِّ الــذي ... قُلوبُنــا في سرِّه تَرْتَــعُ

(١٩) الزيادة عن الأنس الجليل .
(٢٠) الأنس الجليل وق (كفر حارث) وفي الحضرة الأنسية ١١ (كفر حارس) ولم يذكرها ياقوت .
(٢١) ق : (مئة سنة وعشرين سنة) .
(٢٢) في ن : (بغير) .
(٢٣ — ٢٣) ليس ما بين الرقمين في ق .
(٢٤) ن : (بالمدنية) .
(٢٥) الأبيات في هامش المسودة : ل ١٤ .

نَستقبِلُ الخَبْرَ وعنا الأسى بجاهِه بَيْنَ الورى نَدْفَعُ
صَلَّى عليه اللهُ والأنبيا وَكُلُّ مَنْ أرسلَه المُبْدِعُ
خصوصاً المَبْعوثُ طَهَ الذي طاب به المَنْظَرُ والمَسْمَعُ
نَبِيُّنا والآل مع صَحْبِهِ ما غَرَّدَتْ صادحةٌ تَسْجَعُ

واتَّفقَ أنَّ دخولنا إلى هذه القرية كان قبيلَ غروب الشمس ، فدعونا الله تعالى أن يمسك لنا الشمس حتى نصلي العصر ، فكان كذلك ببركة يوشع ، عليه السلام ، الذي رُدَّت له الشمس ، وكنا قبل ذلك عازمين على الوصول[26] إلى طرابلس ، والمسافة بعيدة ، حتى أغاثنا الله تعالى بذلك الرجل [٥٨/ب] فذكر لنا البيات في هذه القرية ، وزيارة يوشع النبي عليه[27] السلام وكان ذلك على حين غفلة .

وأشرنا في هذه الأبيات إلى ما ذكرنا مع التضمين اللطيف ، حيث قلنا : [من الطويل]

سَقى الجَبَلَ العالي وسلسال مائه وأشجارَهُ من نسمةِ الريح تركع
به قريةٌ أضحتْ طرابُلُسَ بها تَزيدُ افتخاراً في البلاد وترفعُ
وقبر ابنِ نونٍ يوشعِ المرسلِ الذي إليه بنو يعقوبَ في اللهِ تَخْضَعُ
أتَيْنا إليه والركابُ عَشيَّةً أضرَّ بها السيرُ الذي هو مُسْرِعُ
(فوالله ما أدري أأحْلامُ نائمٍ أَلَمَّتْ بنا أَمْ كانَ في الركب يوشعُ)

وهذا البيت الأخير من شعر أبي تمام وهو من شواهد التلخيص .

وقولنا[28] : (سقى الجبل العالي) تقديره : سقى الله الجبل العالي . وهذا الفاعل كثيراً ما يحذف للعلم به ، كقول الشاعر . وهو من شواهد التلخيص علم المعاني في الاستخدام[29] :

وسَقَى الغَضا والسّاكنيه وإنْ هُمُ شَبُّوهُ بينَ جَوانحي وضُلُوعي

وتقديره : وسقى الله الغضا بالغين المعجمة ، والضاد المعجمة[30] : اسم (شجر ، وخشبه من أصلب الخشب ، ولهذا يكون في فحمه صلابة) كذا في المصباح المنير[31] .

(٢٦) ق : (على الدخول) .
(٢٧) ق : (على نبينا وعليه السلام) .
(٢٨) ن : (وقوله) .
(٢٩) البيت في ديوان البحتري ـــ ت حسن كامل الصيرفي ٢٤٦/١ وشرح الكافية ٢٩٧ .
(٣٠) ليست اللفظة في ح ولا في ن .

وهذا البيت الأخير من شعر أبي تمام ، وهو من شواهد التلخيص في نوع التلميح في فن[32] البديع ، وقبل ذلك قوله : [من الطويل]

لحقنا بأُخراهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الهَوَى ... قُلوباً عَهِدْنا طيرها وهي وُقَّعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنا الشَّمْسُ والليلُ راغمٌ ... بشمسٍ لهم من جانبِ الخِدْرِ تَطلعُ
نَضَا ضَوْؤُها صبغَ الدُّجُنَّةِ وانطوى ... لبَهْجَتِها ثوبُ السماءِ المُجَزَّعُ
فواللهِ ما أدري أَأَحلامُ نائمٍ ... أَلمَّت بنا أم كانَ في الرَّكْبِ يوشَعُ

قال المولى عصام في كتابه الأطول شرح التلخيص : الضمير في (أخراهم) للأحبة المرتحلين ، أي لحقنا بمن تأخر منهم .

و(حوم الهوى) : أي طار الهوى .

(قلوباً عهدنا) أي عرفنا طيرَها ، وهي وُقَّع ، جمع واقع : أي ساكنة غير طائرة . يعني وجدناهم حين لحقنا بهم تدور قلوبهم حول الهوى ولا تسكن على خلاف ما عهدناهم ، فردت علينا الشمس حال كون الليل راغماً مظلماً ، كأنه من ظلمته مختلط بالرغام والغبار ، أو حال كونه ذليلاً مشرفاً على الزوال [٥٩/أ] من ظهور الشمس .

والباء في قوله (بشمس لهم) للتجريد ، أي : رُدَّت الشمسُ بشمسٍ لهم ، أي شمسهم ، بحيث تجرد منه شمسٌ رُدَّتْ علينا من جانب الخدر ، من وراء الستر تطلع ، والخدر كالستر والستر[33] يُمدّ في ناحية البيت للجارية ، وكل ما واراك من بيتٍ[34] ونحوه .

نضا أي أذهب ضوءها صبغ الدجنة : أي الظلمة من وجه السماء وأزالها ، يقال : نضا الخضاب : ذهب لونه ، وكأنه عدّاه بالباء ، وجعل صبغ الدجنة منصوباً بنزع الخافض .

والمجزع : اسم مفعول من الإفعال والتفعيل : كل ما فيه سواد وبياض ، يريد سواد الظلمة ، وبياض الكواكب وصف لحوقه بالأجنة المرتحلين وطلوع شمس وجه الحبيب

---

(٣١) انظر المصباح المنير (غضى) .
(٣٢) ليست اللفظة في ق .
(٣٣) في كل الأصول عدا ق (ستر) .
(٣٤) ق : (وكل ما وراك ونحوه) .
(٣٥) في ق : (وإشارة) .

من جانب الخدر في ظلمة الليل ، ثم استعظم ذلك واستغربه وتجاهل تحيراً وتدلها[٣٦] . وقال :

هذا[٣٧] حلم أراه في النوم ، أم كان في الركب يوشع النبي عليه السلام . أشار[٣٨] إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام ، واستيقافه الشمس ، أي طلبه وقوف الشمس ، فإنه روي أنه قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فردّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم . انتهى .

ثم إن عند[٣٧] قبر يوشع النبي عليه السلام الذي زرناه في قرية المنية المذكورة قبراً[٣٩] آخر يقال إنه قبر عبده بلال ، فزرناه وقرأنا له الفاتحة في ذلك المشهد ، ودعونا الله تعالى لنا ولإخواننا المسلمين .

(٣٦) ن ، ح : (تولّهاً) .
(٣٧) ليست اللفظة في ق .
(٣٨) في ق : (وإشارة) .
(٣٩) في كل الأصول (قبر) وهو خطأ .

اليوم الخامس والعشرون

١١٠٥/١/٢٥ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٥ م

ثم بتنا في ذلك المكان على أتم الصفاء والسرور إلى أن طلع الصباح ، وكان ذلك اليوم يوم الأحد الخامس والعشرين من المحرم من هذا السفر المبارك إن شاء الله تعالى .

فركبنا وسرنا إلى جهة طرابلس المحروسة ، ذات الربوع المأنوسة .

بركة البداوي

فمررنا في الطريق على مكان يسمى بركة البداوي — بالباء الموحدة ، والدال المهملة المشددة ، بعدها ألف والواو وياء النسبة ، وهي بركة[1] كبيرة ، فيها أسماك كثيرة . وقد أخبرنا أن سمكها لا يصاد . وكل من صاده ، وأكل منه يمرض وذلك ببركة الشيخ البداوي المدفون هناك على حافة البركة في مزار له ، وعليه قبة [٥٩/ب] عظيمة ، وشبابيك مطلة على تلك البركة .

وقلنا من النظام في وصف ذلك المكان والمقام[2] : [مجزوء الرجز]

وَبِرْكَــةُ البَّــداوي ... بمائِهــا تُــداوي

يَسْبَــحُ فيها سَمَكٌ ... يَصْلُــحُ للتَّــداوي

وَهْــوَ كثيــرٌ فيها ... لِسِرِّهــا السَّمــاوي

مَــوْلاهُ قَــدْ حَمــاهُ ... بِغُرِ شيخٍ ثــاوي[3]

هُنــاكَ في جامِعِــهِ ... مقامُــهُ الــعلّاوي

فــإنَّ مَــن يَصيــدُهُ ... يمرضُ وهــو الغــاوي

وجُــرِّبَتْ مــراراً ... جميعُ ذي الدعــاوي

بها طَرابُلُــوسُ[4] ... لِجَنَّــةٍ تساوي

علي باشا والي طرابلس

ثم إننا وجدنا قبالة تلك البركة جبلاً مرتفعاً عن الطريق ، وعليه خيامُ الوزير المكرّم ،

(١) ق : (بركة ماء) .

(٢) الأبيات في المسودة ل ١٩ .

(٣) في مسوّدة المؤلف ١٩٣ : (بسرّ شيخ حاوي) .

(٤) ح : (كذا بها طرابلس) .

والمشير المفخم ، حضرة علي باشا بلّغهُ الله من الخيرات ما شاء ، وهو يومئذ والي طرابلس المحروسة ، (٥)وقد خرج من طرابلس(٥) ، وهو يريد قتال الطائفة الحمّادية ، الروافض العنادية ، فصارت جماعته وجنوده تنظر إلينا ، لما مررنا من ذلك المكان ، فتوجهنا إلى الاجتماع بحضرة ذلك الوزير ، قبل الدخول إلى طرابلس المحروسة .

ودخلنا عليه ، فوجدناه في صيوانه العظيم ، خلف تلك الستائر المحفوفة بالإجلال والتكريم . وقد قام فتلقانا بالقبول والإقبال ، والاحترام والإجلال(٦) ، وجلسنا عنده حصةً من الزمان ، نتحدث بكمال المحبة والإذعان .

ووجدنا عنده رجلاً من الأروام المجاذيب ، اسمه إبراهيم آغا ، فجرت بيننا وبينه(٧) مكالمات إلاهية ، وإشارات ربانية ؛ ثم أنه بشّرنا بالحج الشريف قبل أن نتكلم نحن بذلك . ثم إننا ذكرنا لحضرة الوزير المكرم أن مرادنا الحج في هذا العام ، فتعجب من مكاشفة ذلك المجذوب لنا بالقصد والمرام .

ثم سألنا عن محل نزولنا في طرابلس المحروسة ، فقلنا له نحن إلى الآن ما دخلنا إلى(٨) طرابلس ، وليس لنا فيها منزل معين ، فأمر بإنزالنا في السرايا ، نحن وجماعتنا في أي مكان شئنا منها ، فأشار ذلك المجذوب إلى مكان فيها مرتفع له شبابيك مطلة يُرى منها البحر وغيره . فاستحسن ذلك حضرة الوزير ، وأمر أن يذهب معنا جماعة إلى السرايا في داخل المدينة .

الشيخ عمر

فركبنا وتوجهنا مع الإخوان ، حتى مررنا في الطريق على مكان ؛ ذكروا لنا أنه دفن فيه [٦٠/أ] من أهل الصلاح والجذب رجل اسمه الشيخ عمر ، وله كرامات وخوارق وعادات مشهورة عندهم منها أن رجلاً كان له ولدٌ ، ذهب إلى الحجّ ، فجاء الخبر إلى والده أن ابنه توفي في طريق الحج ، فحصل عنده حزنٌ كثيرٌ ، بحيث أنه كاد أن يذهب عقله من شدة الحزن . فجاء إليه هذا المجذوب ، وقال له : ولدُك طيبٌ بالصحة والعافية ، وهذا الخبر ليس له أصلٌ ، فلم يصدّقه في ذلك ، وأعرض عنه . فقال له المجذوب تعال ، وجذبه جذبة ، فرأى نفسه بين الحجاج ، فرأى الرجلُ ولدَه هناك بالسلامة ، ثم عاد في لمحة إلى بلده ، فزرنا ذلك القبر ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

(٥ — ٥) ليس ما بين الرقمين في ن ، ح .

(٦) في ح : (بالقبول والإكرام والإقبال والاحترام) .

(٧) ح : (بينه وبيننا) .

(٨) ليست اللفظة في ق .

طرابلس

ثم سرنا إلى أن دخلنا إلى مدينة طرابلس المحروسة .

قال في القاموس[٩] : (طَرابُلُسُ بفتح الطاء ، وضم الباء ، واللام : بلادٌ[١٠] بالشام ، وبلاد[١٠] بالغرب ، أو الشامية أطْرابُلُس بالهمز ، أو رومية معناها ثلاث مدن) . انتهى .

يعني أي هي كلمة رومية وليست بعربية .

وقال ياقوت الحموي ، في المشترك[١١] : (أَطْرابُلُس موضعان : [بفتح الهمزة][١٢] الأولُ المدينةُ المشهورةُ على ساحل بحر الشام ، بينَ عكا وأنطاكية ، ينسب[١٣] إليها قوم من أهل العلم . الثاني اطرابلس مدينة في أول أرض أفريقية . [في آخر حدود برقة مشهورة][١٢] ينسب[١٣] إليها آخرون . وقد فرَّقَ بعضُهم بينهما ، فجعلوا التي بالشام بالهمزة [في أوله] . والتي بالغرب[١٤] بغير همزة ، إلا أنَّ المتنبي خالف هذا فقال يذكر الشامية : [من البسيط]

وقَصَّرَتْ كلُّ مصرٍ عَنْ طرابُلُسٍ[١٥]

وقيل : معنى طرابلس بالرومية : ثلاث مدن . انتهى .

في ضيافة الوزير

وقد كان[١٦] مفتي الحنفية بطرابلس الشيخ الإمام ، والحبر الهمام ؛ الحسيب النسيب السيد هبة الله أفندي ، لما بلغه وصولنا أرسل إلينا جماعة ليُنْزِلَنا عنده ، فأخبرناهم أن حضرة الوزير المذكور ، أمر بنزولنا عنده في السرايا ، واعتذرنا إليهم في ذلك .

---

(٩) انظر القاموس المحيط (في ذيل مادة طرس) .

(١٠) كذا في الأصول ، وفي القاموس (د) وهي اختصار لكلمة (بلد) لا (بلاد) .
قال في شرح المقدمة ص ٢٠ :

وما فيه من مرموز حرف فخمسة ... فميم لمعروف ، وعين لموضع
وجيم لجمع ثم هاء لقرية ... وللبلد الدال التي أهملت فع

(١١) انظر المشترك ٢٥ .

(١٢) الزيادة عن المشترك .

(١٣) في المشترك : (نسب) .

(١٤) ت ق : (بالمغرب) ورجحت الرواية الثانية لأنها تشبه رواية المشترك .

(١٥) هذا الشطر هو عجز بيت من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن خراسان الطرابلسي . وأما صدره فهو :
أكارمٌ حسدَ الأرض السماء بهم
وانظر معجم البلدان (طرابلس) .

(١٦) ن : (وكان) .

ثم دخلنا المدينة فنزلنا في سرايا[17] الوزير المذكور ، وصعدنا إلى ذلك القصر الذي أشار إليه ذلك المجذوب ، فوجدناه أحسن مكان في السرايا ، فجلسنا هناك نحن ومن معنا من الاخوان ، وعيّن لنا حضرة[18] الوزير جميعَ ما نحتاج إليه مدةَ إقامتنا عنده .

زوّار

ثم [٦٠/ب] ورد علينا جماعات لأجل الزيارة من أهل تلك[19] البلاد ، منهم الشيخ الفاضل أحمد بن الشيخ خير الدين[20] إمام السرايا ، فأنشدنا هذه الأبيات في مدح مدينة طرابلس الشام لبعضهم[21] : [من الكامل]

الشَّامُ في كـلِّ البَسيطـةِ عَيْنُهــا ... لٰكــنْ طرابُــلُسٌ هــيَ الإنْسانُ
لَمْ يَجْمعوا ما قَدْ حواهُ ثَغْرُها ... ولِرَطبٍ[22] لُؤْلُؤ ثَلْجها لَمَعانُ
فَالمَرْجُ والبَحْرُ الشَّهيرُ وَرَمْلُها ... فَيْــروزَجٌ وَزَبَرْجَــدٌ مرجــانُ

وأنشدنا أيضاً لبعضهم : [من الوافر]

طَرابُــلُسُ الشّآمِ دَنَــوْتُ منها ... رَأَيْتُ بها مَقَــامَ الآ منينــا
وَقَدْ صِيغَتْ مَحَاسِنُها فجاءَتْ ... على التَّحريـرِ كاملـةً[23] يمينا

قبر الشيخ محمد العجمي

ثم لما حان وقتُ الظهر ، ذهبنا وصلّينا في الجامع الكبير ، وحصلنا في ذلك على الأجر الكثير .

ثم زرنا قبر الشيخ محمد العجمي وقرأنا له الفاتحة .

زاوية المقاربة

وذهبنا إلى زاوية المغاربة ، فزرنا بها قبر الشيخ عبد الواحد المغربي ، وقرأنا له الفاتحة .

---

(١٧) ح ، ن : (سراية) . (١٨) ليست اللفظة في ق . (١٩) ليست اللفظة في ق .

(٢٠) في هامش المسوّدة ل ١٤ . ما يلي : (وكان الشيخ أحمد المذكور في كل صباح يأتينا بالتين اللطيف ، وعلى ذكره تين مالقة من بلاد الأندلس الذي يضرب المثل به ، ويجلب حتى للهند والصين ، وقيل إنه ليس في الدنيا مثله ، وفيه يقول أبو الحجاج يوسف بن الشيخ العلوي المالقي :

مالقــة حيّيــت يــا تــينها ... الفــلك مــن أجــلك يأتــينها
نها طبيبــي عنــه في علتــي ... مــا لطبيبــي عــن حيــاتي نها

وذيّل عليه الإمام الخطيب أبو محمد عبد الوهاب المنشيء بقوله :

وحمص لا تــنس لها تــينها ... واذكــر مــع الــتين زياتــينها

والمراد حمص الأندلس . كذا في نفخ الطيب للمقري) .

(٢١) بعدها في ح : (فقال) . (٢٢) ح : (وكرطب) . (٢٣) في المسوّدة : ل ١٤ : (كامنة) .

اليوم السادس والعشرون

١١٠٥/١/٢٦ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٦ م

زوار

ثم عدنا إلى المنزل فبتنا فيه في أتمّ سرورٍ ،وأكمل حبور ، حتى أصبح الصباح ، وصرح الليل بسره وباح ، وكان ذلك اليوم يوم الاثنين السادس والعشرين(١) من المحرم من هذا السفر على التعيين . فجلسنا في مكاننا المذكور ، على وجه الظهور ؛ فكان للناس علينا ورود وصدور ، من عامة الناس والصدور ؛

منهم السيد الحسيب النسيب صاحب المحامد والفضائل والمكارم العالم العلامة ، الجهبذ الفهامة ، السيد هبة الله أفندي مفتي السادة الحنفية يومئذ بالديار الطرابلسية ، فكان أول ما أنشدنا من لفظه هذا البيت(٢) مخاطباً لنا به ولعله تمثل به(٣) : [من الكامل]

سَبَقُـوكَ تَـارِيخاً وَأَنْتَ سَبَقْتَهُـمْ　　فَضلاً فَأَنْتَ السَّابِـقُ المَسْبُـوقُ

وكان والده المرحوم الشيخ الإمام ، المحقق الهمام ، الحسيب النسيب السيد علي أفندي البصير(٤) مفتياً بالديار الطرابلسية أيضاً ، وقد أدركناه بالسنّ ولم نجتمع به . وله نظمُ الدرر والغرر في فقه الحنفية للمنلا خسرو بألفي بيت من بحر الرجز ، وله تصانيف أخرى رحمه الله تعالى .

ومنهم الكامل الإمام والمحقق الهمام ، الشيخ عبد الجليل الحنفي المدرس المعروف بابن [٦١/أ] الصياد .

ومنهم الفاضل الكامل الهمام الشيخ احمد مفتي السادة الشافعية ، في تلك الديار الطرابلسية .

ومنهم الشيخ الصالح ، والكامل الناجح ، الشيخ إبراهيم شيخ الخلوتية ، وغيرهم من العلماء والأفاضل والأعيان . وجرى بيننا وبينهم مسائل علمية ، ولطائف

(١) ح : (والعشرون) .
(٢) ح : (هذه الأبيات) .
(٣) ح : (فقال) .
(٤) هو علي البصير الحنفي الحموي مفتي طرابلس الشام . ولد بحماة ، وقرأ بها ، ثم رحل إلى طرابلس ، وعمره أربعون سنة ، وتوطنها ، وولي الأفتاء بها مدة حياته . وله مؤلفات كثيرة في الفقه وغيره ، منها شرح الملتقى سماه قلائد الأنحر ونظم الغرر في ألفي بيت ، ونظم العوامل الجرجانية وغيره . توفي سنة ١٠٩٠ في طرابلس وانظر خلاصة الأثر ٢٠١/٣ — ٢٠٢

أدبية ، وأبحاث فقهية ، إلى أن طال بنا ذلك المقام ، وورد علينا الخاص منهم والعام .

قبرا الأحمدين

ثم بعد صلاة الظهر ذهبنا إلى زيارة قَبْرِيْ الأحمدين العربي[٥] والرومي ، فإن كل واحد منهم اسمُه[٦] أحمد .

أما الأول فإنه كان أولاً عندنا في دمشق الشام ، وجلس في الجامع الأموي سنين عديدة . وصدرت فيه أحوال عجيبة ، وقد أدركناه ، وكان من أهل الجذب والصلاح ، ثم ذهب إلى طرابلس ، وكان أهل طرابلس يروون له كرامات كثيرة إلى أن مات بها .

وأما الثاني فإنه كان من المجاذيب الصالحين ، وكان من الأروام ، وله وقائع كثيرة عند أهل تلك البلاد شهيرة .

وقد دفنا في مسجد هناك لطيف ، ولهما خادم ، كان هو السبب في عمارة ذلك المكان ، وهو رجل من الصالحين ، وقد اجتمعنا به ، وفرح بنا كثيراً .

مسجد مطل على نهر الغضبان

ثم ذهبنا إلى مسجد هناك لطيف البناء ، ظريف الفناءِ ، فيه رواق مطلّ على نهر جارٍ فيه ماء سلسال ، عذب رائق زلال ، يسمى بنهر[٧] الغضبان ، وهو تارة ناقص وتارة ملآن . وذلك المسجد مكتنف بجسرين عاليين مبنيين بالحجارة يدخل الداخل من كل جسر منهما في باب من أبواب المدينة إلى جهة ذات عمارة ، فقلنا في ذلك بلطيف الإشارة وظريف العبارة : [من الخفيف]

كنتُ بينَ الجسرَيْنِ من فوق نهرٍ ... ماؤه العَـذْبُ كَـمْ لـه ظَمْـآنُ

في رواقٍ بمسجدٍ نَحْنُ نرضى[٨] ... أنْ نَـراهُ وَنَهْـره الغَضْبـانُ

(٦) في ت وحدها « يسمى » .

(٧) في الأصول عدا ت : « نهر » .

(٨) في ن ح : « نحن فرطى » .

اليوم السابع والعشرين

١١٠٥/١/٢٧ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٧ م

ثم عدنا إلى المنزل ، ونحن في أكمل الصفاء وعن الكدر بِمَعْزل ؛ إلى أن أسفر وجه ذلك الصباح ، وخَفَقَتْ نسائمه الرطيبة[1] بغير جناح ؛ وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم من سفرنا هذا المؤذن إن شاء الله تعالى [٦١/أ] بالفتح المبين ، فأرسل يدعونا إلى منزله مفخر الأكارم والأشراف ، وعمدة آل عبد مناف ؛ المولى الفاضل والمحقق الكامل السيد هبة الله المتقدم ذكره ، فأرسلنا إليه على الارتجال ، مع ذلك المرسال ، هذه القصيدة ، التي هي في بابها فريدة ، وهي قولنا : [من الوافر]

سَلِيلَ الأَكْرمِينَ أُولي المَعالي ... وَمَنْ فَخَرَتْ بِهِ أَهْلُ الكمالِ
طَلَعْتَ لنا بأُفْقِ المَجْدِ بَدْراً ... تُضيءُ فما لِضَوْئِكَ[2] من زَوَالِ
وَأَنْتَ البَحْرُ في عِلْمٍ وَفَضْلٍ ... وَفي شَرَفٍ مِنَ الأَجْدادِ عالِ
وَوالِدكَ الَّذي بَهَرَ البَرايا ... بِنَظْمٍ مِثْلِ أَسْلاكِ الَّلآلي
وَفِقْهُ أَبي حَنيفَةَ عَنْه يُرْوَى ... بأَخْبارٍ مُسَلْسَلَةٍ طِوالِ
وَأَنْتَ لَهُ هُوَ الهِبَةُ الَّتي لا ... تُرَدُّ لأَنَّها بالانْتِقالِ
أَثابَكَ رَبُّكَ المَوْلى ثَواباً ... لَهُ مِنْ فَضْلِه أَمَدَ اللَّيالي
فَدُمْ وَاسْلَمْ لَنا في كُلِّ عِزٍّ ... وَإِقْبالٍ نَراهُ عَلَى التَّوالي
وَأَبْقاكَ الإِلَهُ لِنَجْلٍ سَعْدٍ ... وَأَبْقاهُ لَدَيْكَ بخَيْرِ حالِ
مَدَى الأَيّامِ ما غَنّى هَزارٌ ... وَمالَ الغُصْنُ من ريحِ الشَّمالِ
وَما اشْتاقَ المُحِبُّ إلى حَبيبٍ ... فَصادَفَهُ بأَنْواعِ الوِصالِ

المينا

ثم إننا في ذلك الصباح الذي أسفَرْ ، لَبِسْنا من الهمّةِ إلى التَّنَزُّهِ درعاً ومِغْفَر ؛ وذهبنا نحن وجماعتنا وبعض أهالي البلدة إلى جهة المينا بجانب البحر المالح ، لأجل التَّنَزُّهِ والتَّفَرُّجِ وقضاءِ[3] بعضِ المصالح ؛ ورأينا تلك الأبراجَ العاليةَ التي على ذلك البحرِ الأنضر ، ونزلنا في ذلك المَرْجِ الأخضر ؛ وقلنا في ذلك ، بحسب ما هنالك[4] : [من السريع]

(١) في الأصول عدا ت : (الرطبة) .
(٢) رواية المسوّدة ل : (١٥) (فما لنورك) .
(٣) ن : (لأجل التفرّج والتنزه لقضاء) .
(٤) الشعر في مسوّدة المؤلف ل ١٥ .

المَرْجَـةُ الـخَضْراءُ يـا حُسْنَهـا ... في بَلْـدَةٍ تُدعـى بأَطْرابُـلُسْ
فُـزْتُ بها لَـوْ شاعَ لي نِسْبَـةٌ ... لَهـا وَلٰكِـنْ نِسبتـي نابُـلُسْ
وَأَهْلُهـا وَسْطَ بساتِـينها ... بَلابِـلٌ في قَـفَصِ الآبُـلُسْ[٥]

وقلنا أيضاء كذلك : [من الطويل]

هِيَ الشّامُ قطْرٌ قَدَّسَ اللهُ أَرْضَها ... وَقَـدْ زادَ فيها اللهُ أَنْـواعَ إِنْعـامِ
طَرابُـلُسٌ منها بـحُسْنِ إضافَـةٍ ... إليها كَما قالوا طَرابُـلُسُ الشّامِ

جبل لبنان

(مزار الأربعين)

ووجدنا هناك على يسارنا جبلاً ، ذكروا لنا أن اسمه جبل [٦٢/أ] لبنان ، وأن فيه مزاراً لأربعين من رجال الغيب .

قبر مريم بنت عمران

وفيه قبر مريم[٤] بنت عمران[٤] عليها السلام . وذلك نظير ما ذكرناه في الرحلة الصغرى في جبل لبنان الذي في بلاد البقاع ، وأن فيه قبر مريم عليها السلام ، فقرأنا الفاتحة ، وأهديناها إلى من دُفن في هذا الجبل المبارك المذكور .

تربة الغرباء

ثم بعد ذلك توجهنا إلى جهة زاوية المولوية ، وهي قريبة من البلاد . فمررنا في الطريق على تربة الغرباء ، وقد دفن فيها العالم العلامة الشيخ محمد المشهور بابن عبد الحق ، فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى .

مزار الشيخ عز الدين

ثم مررنا في السوق على مزار ، دفن فيه رجل من الصالحين ، يقال له الشيخ عز الدين ، فقرأنا له الفاتحة .

(٥) لعلها محرّفة عن (الآبنوس) وهو الخشب الثمين . انظر التاج فيما استدركه على مادة (بنس) .
(٤ — ٤) ليس ما بين الرقمين في ق .

تكيّة المولوية

حتى وصلنا إلى تكية المولوية ، وأقبلنا على ذلك الوادي السعيد والمروج الندية ، فإذا هو جنة للأبصار ، ونزهة للنظار ، فجلسنا في مقعد عالي ، يطلع من كلِّ زهرةٍ في سمائه كوكبٌ متلالي ؛ وفي ذلك المقعد[٥] بركة من الماء لطيفة ، وحوله الأشجار وعرائش الأعناب[٦] به مطيفة ؛ يجري إليها الماءُ في نهرٍ هناك عالٍ في[٧] ذيل[٨] ذلك الجبل يمرّ في الجهة العالية من تلك التكية ، وفي أسفل الوادي خمسة أنهار جارية بين البساتين كسبائك الفضة النقية .

وكم في تلك التكية من مقعدٍ لطيفِ البناء ، واسعِ الفِناء ؛ نزهة للخواطر ، ملاعب للنسمات العواطر ؛ وفي ذلك الوادي طواحينُ على تلك الأنهار دائِرَهْ ، كانَّ قلوبَها نقطٌ وهي عليه دائِرَهْ ؛ حتى استقر بنا مجلس الإيناس ، واطمأنت خواطرنا بمسامرة الجلّاس ؛ وقُدِّمَتْ لنا الضيافة ، وحصلنا على كمال المسرة واللطافة ، وقلنا في وصف ذلك المكان ، بعون الملك المنّان[٩] : [من الطويل]

مَكانٌ لطيفٌ للدَّراويشِ يَحْتَوي	عَلَى نُزَهٍ شَتَّى ومَنْهَلِهِ الرَّوِيّ
أَتَيْنـا إِلَيْـهِ في الصَبـاحِ تَبَرُّكـاً	بِمَنْظَرِهِ الأَبْهَى وساعِدِنا القَـوِيّ
يَمُرُّ النَّسيمُ الرَّطْبُ بَيْنَ غُصونِهِ	فَتَحْنو عَلَيْهُ كُـلَّ وَقْـتٍ وَتَلْتَـوي
سَقَى اللهُ مِنْهُ جَنَّـةً ذاتَ بَهْجَـةٍ	إِلَيْها صِراطٌ فَوْقَ مَرْجَتِها سَوِيّ
[٦٢/ب] أَلَـمْ تَنْظُرِ الأَنْهار من تَحْتِها جَرَتْ	وَأَطْيارُها غَنَّتْ لُحوناً بـلا رَوِيّ
طرابُلُسُ الشّامِ ازْدَهَتْ وَتَفاخَرَتْ	بِتِلْكَ فَيـا طُوبَـى لمن ثم يَنْـزَوي
وَيشْهَدُ نُور الصّالحيـنَ بها ومَـنْ	مناهِلِهـا تـلك الشَّهِيَّـةِ يَرْتَـوي
وَكَيْفَ وَأَنْوارُ المَشايخِ أَشْرَقَتْ	بها وَتَـلا التّالـون أسرار مَثْـنَوَي

وقلنا كذلك في وصف ذلك[١١] المكان : [مجزوء الرمل]

إن في أَطْرابُلُـــــــوسَ	كَـمْ أُمـورٍ مُسْتَجـادَهْ

---

(٥) ن : (مقصد) .
(٦) ق : (وحول الأشجار عرائش الأعناب) .
(٧) ن : (على ذيل) .
(٨) ليست اللفظة في ق .
(٩) الأبيات في مسوّدة المؤلف ل ١٦ .
(١٠) في ن ، ق : (وقلت) وما هنا يوافق ما في مسودة المؤلف ل ١٦ .
(١١) ليست اللفظة في ت .

لم تكن[١٢] في الشّامِ منها بَحرُها بـابُ السَّعـادَهْ
وَبَساتِيـــنٍ قريبـــا تٍ لمن يَبْغِـي الرِّفـادَهْ
وَعُيـونٍ مِـن ميـاهٍ تَمْنَـعُ الطَّـرْفَ رُقـادَهْ
وَزُهـورٍ أَيْنَمــا وَ لَّـيْتَ صادَفْتَ قِـلادَهْ
وَبُيوتٍ كُلها مِـن حَجَـرٍ ذاتِ صَلادَهْ
قيـل عنها : هـي شامٌ قُـلْتُ : شامٌ وَزِيـادَهْ

ثم لما دخل وقت الزوال ، ودنا أوان العشي والآصال ؛ ولله در القائل حيث قال[١٣] : [من الكامل]

وَالرِّيحُ تَلْعَبُ بالغُصونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الأَصيـلِ على لُجَيْـنِ الماءِ

كتب هبة الله المفتي

أجبنا دعوة أخينا الكامل الهمام الحسيب النسيب السيد هبة الله أفندي المتقدم ذكره ، والفائح في طي هذه الأوراق نشره ؛ فدخلنا من باب داره المحفوفة بالأنوار الإلهية باب السلام ، فحيّانا بأنواع التحيات[١٤] والسلام ؛ وجلسنا منه في قصر الرضا المطل على نهر الغضبان ، ونحن في كمال السرور والمؤانسة مع الأحباب والإخوان ، وطالعنا في جملة من كتبه اللطيفة ، ومجاميعه الشريفة :

١ — كطبقات الإمام الشعراني ، المشتملة على لطائف المعاني .
٢ — وكتاب الرياض النضرة في فضائل العشرة للمحب الطبري ، الذي هو بالاحتفال به حري .
٣ — وشرح البردة للشيخ الإمام العلامة محمد بن الشيخ رضي الدين بن يوسف بن أبي اللطف المقدسي فإنه شرح كبير عظيم ، يشتمل على الحقائق الإلهية ، والعلوم الأدبية ، والرقائق الغزلية ، وغير ذلك من أنواع العلوم الشرعية .
٤ — وشرح رسالة الإمام القشيري لشيخ الإسلام [٦٣/أ] العلامة القاضي زكريا رحمه الله تعالى .

وحضر هناك عندنا جماعة من الفضلاء الكرام النبلاء . وجرى بيننا وبينهم أبحاث علمية ، ومسائل فقهية ، واصطلاحات حديثية ، ومطارحات أدبية ، ومساجلات

(١٢) في كل الأصول عدا ق : (لم يكن) وما هنا يوافق ما في مسوّدة المؤلف ل : ١٦ .
(١٣) لم يرد في المسودة .
(١٤) في ح : (التحية) .

شعرية ، وكان مما أنشدنا السيد هبة الله أفندي المذكور من لفظه للمرحوم العالم العلامة السيد أحمد الحموي المصري صاحب الحاشية على الأشباه والنظائر هذه الأبيات.

وهي قوله من الغزل[14] اللطيف : [من الكامل]

وحياة وَجْنَتكَ الّتي هي جَنَّتي[15]
وَرْدٌ ونسرين ذكيٌّ[15] المَنْبتِ
وحواجب هدبٍ[16] الجفون[16] نبالها
تُصْمي[17] النُّفوسَ وَقَدْ أصابَتْ مُهْجتي
وَسَوالِف نفسي العزيزةِ بِعْتُها
في حُبّها طَوْعاً لداعي الفِتْنَةِ
وَدَقيق[18] خصْرٍ دَقَّ حَتّى ما يرى
كَدَقيقِ فِكْرٍ في مَعانٍ دَقَّتِ[19]
لأحافِظَنَّ على ودادك يا مُنَى
نفسي التي ذَلَّتْ لِعِزَّتِكِ الّتي
حَتّى أُوَسَّد في التُّرابِ من الضَّنا
وَتَبُوء عُذّالي بصِدْقِ مَوَدَّتي

وأنشدنا أيضاً من لفظه للسيد أحمد[20] الحموي المذكور نظماً للمرّاتِ التي شُقَّ فيها صدرُ النبي ﷺ : [من الطويل]

أَيا طَالباً نَظْمَ الفَرائِدِ في عقدْ ... مَواطِن فيها شقَّ صَدْرُ الذي رشَدْ
لَقَدْ شُقَّ صَدْرُ النَّبيِّ مُحمَّدِ ... مِراراً لِتَشْريفِ وَذا غايةُ المَجْدِ
فَأُولى لَهُ التَّشْريفُ فيها مؤثِّلٌ ... لِتَطْهيرِهِ من مُضْغَةٍ في بني سَعْدِ

(14) ق : (في الغزل) .
(15) ق ، ت ، ن : (جَنَّتا) وآثرت رواية ح لأنها توافق رواية مسودة المؤلف ل ١٦ .
(15) ت ، ن : (زكي) وما هنا يوافق ما في المسودة ل ١٦ .
(16) ق : (ذيل) .
(16) ق والمسودة (العيون) .
(17) ق : (تعمي) .
(18) ن ، ح : (ورقيق) .
(19) ح : (ورقت) .
(20) ليست اللفظة في ق .

وَثانِيــةٌ كانَتْ لَــهُ وهــو يافِــعٌ	وَثالِثَــةٌ للمَبْـعَثِ الطَّـيِّبِ النَّـدِّ
ورابعــةٌ عنــد العُــروجِ لربِّــهِ	وذا باتّفاقٍ من ذوي الحَلِّ والعَقْدِ[٢١]
وَخـامسةٌ فيها خـلافٌ تركتُهـا	لِفقْدانِ تَصْحيحٍ عندَ ذي النَّقدِ[٢٢]

قصة عجيبة

ثم أطلعنا هبة الله أفندي المذكور ـ حفظه الله تعالى ـ على قصة عجيبة صدرت لوالده المرحوم العالم العلامة البحر الفهامة الشيخ علي المفتي رحمه الله تعالى . صورتها هذه .

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى ربه القوي الغني ، علي بن عثمان الضرير الحنفي الحموي : كنت في ليلة جمعة ، وهي أول جمعة من شهر رمضان ، سنة اثنتين وستين وألف ، ضَيِّق الصدر ـ عظيم الكرب ، فقلت[٢٣] في نفسي : أما[٢٤] تمدح[٢٥] حضرة الصديق رضي الله تعالى[٢٦] عنه بأبيات[٢٧] ، وتطلب منه [٦٣/ب] الجائزة ، وهي تفريج كربك ، وشرح صدرك ، ثم شرعت في الأبيات ونظمت اثني عشر بيتاً ، وأنا واضع رأسي على الوسادة . ثم غلبني النوم ، فنمت ، وإذا بموكبٍ عظيم ، وبينهم رجلٌ مهابٌ ، عليه ثيابٌ خضر ، والجميع حوله ، فأقبل عليَّ واحدٌ منهم ، وقال لي : هذا أبو بكر الصديق ، رضي الله تعالى عنه . فنهضتُ وقبَّلتُ قدميه ، فقال[٢٨] : مرحباً بك اقرأ القصيدة ، ونُعطيك الجائزة . فقلت[٢٩] : ما أتْمَمتُها يا صِدّيق رسول الله ﷺ ـ فقال : نحن نُتمُّها لك ، فقرأتُها نحو أربعين بيتاً ، ولما فرغت . قال لي[٣٠] : اجعلها ورداً بعد العشاء ، ولك جميع ما سألتَ فيها . ثم انتبهتُ وأنا أحفظُ الذي نظمته ـ والذي أُلْهِمْتُه من حضرة الصّديق ، رضي الله تعالى عنه ـ وسمَّيْتُها مدحَ الصَّديق . لحضرة الصِّدِّيق[٣١] ـ وهي هذه : [من الطويل]

(٢١) في المسوّدة ل ١٦ (وذا باتفاق فاستمع يا أخا الرشد) .
(٢٢) ت ، ح (ذي نقد) ، وفي ن (ذي فقد) . وما هنا يوافق ما في المسودة .
(٢٣) في ت ، والمسودة : (وقلت) .
(٢٤) ق : (ما) .
(٢٥) ق ، ن ، ح : (تمتدح) وما هنا يطابق ما في المسودة ل ١٦ .
(٢٦) ليست اللفظة في ح .
(٢٧) ن : (بيبان) .
(٢٨) بعدها في المسودة ل ١٧ (هولي) .
(٢٩) ن : (قلت) .
(٣٠) ليست (لي) في ق ، ن .
(٣١) بعدها في ح : (رضي الله تعالى عنه وأرضاه) .

فَـــرِضْوانكَ اللّهُـــمّ يـــا عالـــمَ السرِّ
مَـعَ العِّـز والإكــرام أرواحُـــه تَسْري

إلى حَضْرةِ الصّدّيـــقِ والصّادقِ الـــذي
لَقَـــدْ فـــازَ قَبْـــلاً بالإجابـــةِ للأمـــرِ

وَمَـــنْ جَـــاء في التّنْزيـــلِ اثبـــاتُ صُحْبَـــةٍ
لـــه كَيْـــفَ لا وهـــو الإمـــامُ أبـــو بكـــرِ

وَمَنْ جاءَ في آي الكتاب الذي أتى[٣٢]
فَأَعْظِـمْ بذكـرٍ ذكـرُهُ جـاءَ في الذّكـرِ

وَمَنْ جاءَهُ جبريـلُ مـن عنـد رَبّـهِ[٣٣]
يُخبّـــرُ عنـــه أنّـــه صاحبُ القَـــدْرِ

وَمَـــنْ أنْفَـــقَ الأمْـــوالَ في حُبّ أحمدٍ
وَكانَ سَخـــاهُ فائـــقَ السُّحبِ والبَحْـــرِ

تَصَدَّقَ بالأمْـــوالِ حَتّـــى ثيابـــه
وَفي حُبّ طَهَ ثَوْبـهُ[٣٤] صَارَ مـن شَعْـر

وَجـاءَ أمِيـنُ الوَحْـي يَسْألُـه الـرِّضا
عَـنِ الله في حـالٍ أصابَ مـن الفقْـرِ

فَسالَتْ دُمـوعٌ منـه عنـد سُؤالِـه
وَقـالَ رضائي عـن إلٰهـي وَذا فَخْـري

وَمَـنْ كانَ يَـوْمَ الغـار خِلّاً مُـؤانِساً[٣٥]
فأعْظِـمْ بـه مـن مُـؤْنِسٍ مُشَدد الأزرِ

وَلَـوْ جائَبِـيٌّ بَعْـد سَيّـد هـاشِمٍ
لكـانَ هُـو الصّديـقُ حَقـاً بـلا نُكْـرِ

فَيـا سَيِّـدي الصِّدِّيـق عَبدُكُـمُ الـذي
تَسَمّـى عَليـاً نَجْـل عُثمان ذو كَسْرِ

(٣٢) في المسودة ١٧٧ (ومن جاء في آي الكتاب الذي جاء ذكره) .
(٣٣) في المسودة : (ومن جاء جبرائيل من عند ربه) .
(٣٤) ن : (لوبه) .
(٣٥) ق ، ن ، ح : (ومؤنساً) .

ضَعيفٌ نَحيفٌ عاجزٌ وَمُقصرٌ[٣٦]
كَثيرُ ذُنوبٍ مُثْقَلاتٍ على ظَهْري

فَكُنْ لي شَفيعاً يا إمامي وَعُمْدَتي
لِيَطْرَحَ عَنّي ما عَلَيَّ من الوزرِ

بحبِّكَ لِلْهادي وَحُبّي لذاتِكَ الـ
ـمُشَرَّفَةِ العُظْمى وأَوْصافك الغُرِّ

تَشَفَّع لِضَعْفيَ بالتَّقْوَى وَحالَتي
بإصْلاحِها حَقاً وبالشَّرحِ لِلصَّدْرِ[٣٧]

وَكُنْ لي وَأَهْلي ثُمَّ جَمْعِ عَشيرتي
وَجُمْلَةِ أَحْبابي مُعيناً مَدَى الدَّهْرِ

وَحَقِّقْ رَجائي عاجلاً وحوائجي
وَأَبِدْ عَدُوّي في هَلاكٍ وفي خُسْرِ

[٦٤/أ] فَما أَحَدٌ بَعْدَ النبيِّ مُحَمَّدٍ
يُضاهيكَ يا صِدّيقُ يا صاحِبَ السِّرِ

وَما وَطِيءَ الغَبْراءَ بَعْدَ نَبِيِّنا
بِخَيرٍ مِنَ الفاروقِ إلا أبو بَكْرِ

فَيا عُمَرَ الفاروقَ يا مَنْ صِفاتُهُ
تَجلُّ عن الإحْصاءِ في الضَّبْطِ وَالحَصْرِ

حَوَيْتَ من الأَسْرارِ كُلَّ كرامَةٍ
وَخَصَّكَ رَبُّ العَرْشِ بالفَتْحِ والنَّصْرِ

فَعَنْكَ مَعَ الصِّدّيقِ رضوانُ رَبِّنا
وَدَأْبِي التَّرضّي وَهُو شُغْلِيَ مَدَى عُمري

فَحُبُّكُما فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلمٍ
وَمَنْ شَكَّ في هذا فَقَدْ باءَ بالكُفْرِ

وَمَنْ كانَ قِيراطٌ[٣٨] من البُغضِ عندَهُ
يُحوَّلُ خِنْزيراً إذا صارَ في القَبْرِ

---

(٣٦) ن : (ويقصر) .

(٣٧) آخر بيت في المسوّدة .

(٣٨) ن ، ق : (قيراطاً) .

ويُبْعَثُ خنزيراً ويُخَلَّدَ في لَظًى
ويُمْسَخُ في الدنيا بِهِ وبذي الهِرِّ

وَقَدْ جاءَ في الأَخْبارِ مَسْخُ روافضٍ
خنازيرَ آوَوا للجبالِ وللقَفْرِ

وقد جاءَ حَرْقُ البَعْضِ[39] فَوْقَ نُعوشِهِم
يَصيحونَ مَوْتى بالنَّكالِ وبالحرِ

فيا راحمُ امْنحْني وَجَمِّعْ أحبتي
وَأَهْلي رضاءً مِنكَ يسعد في الحشرِ

ويُنْقِذنا مِن حَرِّ نارٍ تَسَعَّرَتْ
ويُسكِننا الفِردوسَ في أَرْفَعِ القَصْرِ

وَيا ربِّ عامِلْني بلُطْفِكَ كي أرى
جَميعَ مُرادي قَدْ أتاني[40] بلا عُسْرِ

بجاهِ أبي بكرِ الذي مُذْ طَلَبْتُهُ
وَجَدْتُ مَرامي جاء في السِّرِّ والجَهْرِ

وبالعِزِّ للفاروقِ يا راحِمُ استَجِبْ
دُعائي وَنَجِّزْ ما دَعَوْتُك في شِعْري

ولا زالَ رضوانُ المُهَيْمِنِ مُسبلاً
على حَضْرَةِ الشَّيْخَيْنِ والسَّادةِ العَشْرِ

وجُمْلَةِ أَصْحابِ النَّبيِّ بجاهِهِم
أَمِتْنا عَلَى التَّوْحيدِ للبَعْثِ والنَّشْرِ

وَأَزْكى صَلاةِ اللهِ ثُمَّ سلامُهُ
على المُصْطَفى النّاهي عن الشِّرْكِ بالزَّجْرِ

كذاكَ على آلِ النبيِّ وصَحْبِهِ
وأتْباعِهِم ما كُرِّرَتْ سورةُ الفَجْرِ

ثم انقضى ذلك المجلس بالأنس التام ، وختمناه بالسلام .

---

(٣٩) ت : (حرقا لبعض) .

(٤٠) ن : (أتا لي) .

اليوم الثامن والعشرون

١١٠٥/١/٢٨ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٨ م

(١) ذهبنا إلى منزلنا ، وبتنا تلك الليلة في أتم السرور ، وأكمل الحبور(١) ؛ حتى أصبح الصباح ، ونادي منادي الفلاح ؛ وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الثامن والعشرين ، من المحرم من هذا السفر المبارك الأمين .

فذهبنا إلى الحمّام النُّوري . وحصل لنا فيه زائد الصفاء ، وأتم الكمال والوفاء .

درس حديث في الجامع الكبير

ثم ذهبنا إلى الجامع الكبير ، رغبة في حصول الأجر الكثير ، فطلب منا الجماعةُ الحاضرون من طلبة العلم أن نقرأ لهم في ذلك الجامع شيئاً من أنواع الحديث النبوي ، وكان مع بعض جماعتنا كتابنا الذي سميناه (كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين) ، فقُرِىء علينا حصةٌ | ٦٤/أ | من أحاديثه ، وتكلمنا على ذلك بحسب الوقت ، وقد حضرنا جماعاتٌ كثيرون من أهل الفضل وغيرهم .

دعوة إلى منزل الشيخ أحمد المفتي

ثم عقيبَ ذلك دعانا إلى داره صديقُنا الفاضل ، جامع الفضائل ، الشيخ أحمد مفتي السادة الشافعية ، في هاتيك البلاد الطرابلسية؛ فذهبنا إلى داره ، بقصد التبرك بمزاره ؛ وقد تلقانا بأنواع الترحيب والقبول ، وقدم لنا من المآكل والمشارب ما هو زائد على المأمول .

اليوم التاسع والعشرون

١١٠٥/١/٢٩ هـ = ١٦٩٣/١٠/٢٩ م

ثم عدنا إلى منزلنا المأنوس في غاية الصفاء ، ونهاية المسرَّة والوفاء ؛ حتى أصبحنا في يوم الخميس التاسع والعشرين من المحرم من سفرنا هذا الذي هو لأجل زيارة الصالحين .

دعوة إلى منزل عبد الله ابن الصياد

فدعانا إلى داره ومنزله ، ومقر سكونه ومعزله ، فخر الأماجد والأعيان ، وخلاصة

(١ — ١) ليس ما بين الرقمين في ق .

أكارم أهل الزمان ؛ عبد الله أفندي النائب عن قاضي القضاة في بلدة[1] طرابلس المحروسة ، وهو من أعيان أكابر تلك البلاد ، وشهرته بينهم بابن الصياد ؛ فذهبنا نحن وجماعتنا إلى داره المعمورة ، وفزنا بمجالسة أخيه الفاضل الكامل ، والعالم العامل ؛ الشيخ عبد الجليل صاحب الذات التي هي بكل خير مغمورة ، وحضر عندنا هناك جماعة من العلماء الأفاضل ، وجرت بيننا وبينهم أبحاث علمية ولطائف المسائل ، ومكثنا عنده إلى وقت الظهر .

ثم عدنا إلى منزلنا وقد حصلنا على أتم الأنس والسرور ، وأكمل الصفاء والحبور ، حتى كان وقت العشاء فدخلنا في السرايا إلى مكان لطيف ، ومقعد منيف ، مطل على تلك النواحي والأطراف ، ومحفوف بأنواع المهابة والألطاف ؛ وكان معداً[2] لجلوس حضرة الباشا المكرَّم ، والوزير المعظم ؛ علي باشا سلَّمه الله تعالى ، فقلنا في ذلك ، متعرضين للإشارة إلى ما هنالك : [من الخفيف]

مجلسٌ لِلّقـــا والايتـــلافِ ... قَدْ عَلَا مُشْرفاً على الأَطرافِ

تحت عـزٍّ مُعَلَّـقٍ بالثُّريّـا ... حَمَلَتْـهُ العُـلا على الأَكْتـافِ

وَعَلَيـهِ غِمامَـةُ[3] مـن وَقـارٍ ... قَدْ أَظَلَّتْهُ من هَجيرٍ يُوافي

كَعْبَـةُ الـحُسْنِ كما أتاهُ نسيـمٌ ... لاثِماً رُكْنَ عزّه في الطّوافِ[4]

نَزَلَتْـهُ الأَشْرافُ مـن آل عُثْما ... نِ فطـابَتْ منـازِلُ الأَشْرافِ

[٦٥/أ] إنْ تَقُلْ[5] إنَّهُ السَّمـاءُ ارْتِفاعاً ... لم يَكُـنْ مـا تَقولُـهُ[6] بالمُنـافي

كَيْفَ وَهْوَ الّذي سَمَا بعَليّ الـ ... قَـدْرِ والاسْمُ كامـلُ الأَوصافِ

الوَزيـرُ الـذي بـه اللهُ أَخْفَـى ... مِلَّـةَ المارقيـنَ أَهْـلَ الخِـلافِ

وَمَحـا عُصْبَـةَ الضَّلالِ بسيـفٍ ... منه صَلتٍ من أَقْطعِ الأَسيافِ

وَأَعـزُّ الديـنَ الحَنيفـيَّ لَمّـا ... نَصَرَ الحَـقَّ في أولي الانصافِ

رافِعـاً قَـدْرَ أهـلِ سُنَّـة طَـهَ ... سَيّدِ الرُّسْلِ وَابْنِ عَبْدِ منـافِ

قاطِعـاً كُـلَّ مُبْـغضٍ لأبي بَكْـرٍ رفيـقِ النّبـيّ خير مُصافي

---

(١) ن : (بلد) .

(٢) ن ح : (مكان معد) .

(٣) ن ح : (عمامة) وما هنا يوافق ما في المسودة ل ١٨ .

(٤) ن ح : (الطوف) وما هنا يوافق ما في المسودة ل ١٨ .

(٥) ن ح : (إن نقل) وما هنا يوافق ما في المسودة ل ١٨ .

(٦) ن ح : (وما تقوله) وما هنا يوافق ما في المسودة ل ١٨ .

ومُـذِ لأَ أَئِمَـةَ الـرَّفْضِ منهم ... عُصبة الغيّ فرْقَة الإرجـافِ
زادَهُ اللهُ هَيْبَـــةً واحْتشامــــاً ... وارْتِقــاءً بفَــرْطِ مَجْــدٍ وافي
وَحَمَـاهُ مَوْلاهُ مِـنْ كُـلِّ شَرٍّ ... وَحَبـاهُ الثَّـوابَ بالأَضعـافِ
مـا دَعَـا للإلـهِ داعٍ فَلَـبَّتْ ... دَعْوَةَ الحقِّ منه أهـلُ العَفافِ
إنَّ هــذا دُعــاءُ عَبْــدٍ غَنِــيٍّ ... كُـلَّ وَقْتٍ لـه بـغير تَنــافي

اليوم الثلاثون

١١٠٥/٢/١ هـ = ١٦٩٣/١٠/٣٠ م

ثم بتنا تلك الليلة في أكمل إيناس ، إلى أن أخمد الفجرُ أنفاسَ النبراس ، وطلع[١] فجر ذلك اليوم ، وانتبهت عين الجماعة من النوم ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ، وهو يوم الثلاثين[٢] غرة صفر المبارك ، وقد رأينا تلك الليلة هلاله ، وانقضى شهر المحرم وجاءنا صفر الخير يجرّ أذياله .

الياسمين والشاب الظريف

فجلسنا في منزلنا المعلوم ، فحضر عندنا جماعة[٣] من أهل الخصوص والعموم حتى جيء إلينا في ذلك الصباح بياسمين أصفر ، وياسمين أحمر ، وياسمين بعض ورقه أحمر والبعض أصفر ، وهو في عِرْقٍ واحدٍ ، وله رائحةٌ زكيةٌ ، ونفحة مسكية ؛ وهذا النوع من الزهر يسمى في بلادنا (بالشاب الظريف) ولنا في ذلك قولنا ارتجالاً ، وببهجة ما رأيناه احتفالاً[٤] : [مجزوء الرجز]

وياسَميـــنٍ أَصْفَـــرٍ[٥] ... يَزْهـو كَلَـوْنِ الـذَّهَبِ
وَأَحْمَـــرٍ مُتَّقِـــدٍ ... كالنّـارِ ذاتِ اللَّـهَبِ
وآخــرٍ قــالَ لــذا ... وذا مِـنَ اللَّـونِ هَبـي
يا حُسْنَهـا مِن زَهَـرا[٦] ... تٍ في اللِّباسِ المُـذهبِ

(١) ق : (ومطلع) .
(٢) ح : (اليوم الثلاثون) .
(٣) ق : (جماعات) .
(٤) لم يرد هذا الشعر في المسودة .
(٥) ن : (أخضر) .
(٦) ح : (يا حسنها من زهرة) ولا يستوي الوزن بها .

مُسْتَوْقِفَاتٌ مَنْ رأى عَنْ حُسْنِها لم يَذْهَبِ
يقولُ من يَشُمُّها[7] شَمُّ الزُّهورِ مَذْهَبي

زوار

ثم حضر عندنا نقيبُ السادة الأشراف ، وأكابر هاتيك البلدة وعلماؤها من أهل الشهامة العفاف . ومنهم الشيخ [٦٥/ب] الصالح والكامل الناجح . الشيخ رجب الخطيب والإمام بقلعة طرابلس المحروسة . ذات الربوع المأنوسة .

حتى صلينا صلاة[8] الجمعة في الجامع الكبير ، وأجبنا دعوة أخينا الفاضل الكامل صاحب القدر الخطير ، والفضل الجزيل ، الشيخ عبد الجليل ؛ الذي تقدم ذكره ، وفاح في طي هذه الأوراق نشره ، فذهبنا إلى داره مع من عندنا من الإخوان ، وحضر هناك جماعة من أعيان الأفاضل وأفاضل الأعيان ، وتذاكرنا أطراف المسائل ، وتجاذبنا أذيال الفضائل ، حتى انقضى ذلك المجلس الأنيس ، وارتوت غلة الجليس .

اليوم الحادي والثلاثون

١١٠٥/٢/٢ هـ = ١٦٩٣/١٠/٣١ م

فعدنا إلى منزلنا وبتنا فيه في أكمل عافية ، وأتم بهجة وافية ؛ إلى أن أصبح الصباح ، ونفقت في سوق المسرَّةِ تجارةَ المودةِ بالرباح ، وكان ذلك اليوم يوم السبت الحادي والثلاثين[1] ، وهو[2] الثاني من صفر .

قلعة تلك البلاد

فذهبنا إلى قلعة تلك البلاد ، مع جماعة من الإخوان الأكارم الأمجاد ، ورأينا على حاجب وجه ذلك الباب ، هذين البيتين . فتفاءلنا بحصول الهناء[3] حيث دخلنا على قوم

(٧) ح : (من شيمها) .
(٨) ليست اللفظة في ق .

(١) في الأصول جميعاً : (الحادي والثلاثون) .
(٢) ح : (وهو اليوم الثاني) .
(٣) ن ، ح : (المنى) .

ذوي ألباب ؛ وهما قول بعضهم[٤] : [من الكامل]

يـا قَلْعَـةً حـازَتْ لأَعْلَـى مَنْظَـرٍ   مـا في البـلادِ جَميعهـا لَكِ ثانِيَـهْ
مَنْ حَلَّ فيكِ جـاءَهُ كُـلُّ الهَنـا   فـاللهُ يُعْطـي سَاكِنـيك العافِيَـهْ

ثم دخلنا إلى داخل[٥] القلعة ، وقد أقلعنا عن المساءة والهموم أكمل قلعة ؛ وتفرجنا على الحمام الذي هناك وهو حمامٌ لطيف ، عذبُ الماء نقيٌّ نظيف ؛ ودخلنا إلى ذلك الجامع ، الذي هو لأنواع المحاسن جامع .

التكية المولوية والخضر

ثم خرجنا فقصدنا جهة التكية المولوية .
ومررنا على تلك المرجة الخضراء البهية .
وزرنا مقام الخضر .
ثم عطفنا على الروضة الغَنّاء ذات الغصن النضر .

وادي الزهور

وجلسنا في وادي الزهور ، وانتظم شملنا على جانب ذلك النهر بنفحات الأقاح والمنثور ؛ ولله دَرُّ القائل ، فيمن هو تحت تلك الظلال قائل[٦] : [مخلع البسيط]

سَقْيـاً لها مِـنْ بِطـاحِ نَخـزٍّ   وَدَوْحِ زَهْـرٍ بها مُطِـلِّ
إذْ لا تَـرى غَيْـر وَجْـهِ شمسٍ   أَظَـلَّ فيـه عـذارٌ ظِـلِّ

[٦٦/أ]

دعوة وشعر

وكان دعانا إلى ذلك المكان صديقُنا الكامل في المكارم الوافية والامتنان صاحب الأخلاق الجميلة ، والأوصاف الجليلة ، حضرة الحاج نور الدين بشه فحصل لنا ذلك اليوم أتم سرور ، وأكمل حبور ؛ فانطلق بلبل القريحة ، يتغنّى بهذه الأبيات الفصيحة ، وهي قولنا : [من الرجز]

ومرجـةٍ تجري بها الأنهـارُ   كَأَنَّهـا الرَّبْـوةُ والمنشارُ

(٤) البيتان في مسوّدة المؤلف ل ١٨ .
(٥) ح : (دار) .
(٦) البيتان في هامش المسودة ل ١٨ .

طَلَّتْ عليها قَلْعَةٌ عَظيمةٌ   حِصارُها ليسَ لَهُ الْحِصارُ

والجَبَلانِ اكْتَنَفاها وَهُما   تكادُ منها تُضِي الأَحجارُ

والماءُ عَذْبٌ رائقٌ مُسلسَلٌ   بَيْنَ الرُّبا لأَنَّه هَدّارُ[7]

بها النَّسيمُ لا يزالُ سارياً   تَميلُ من خمرتهِ الأَشْجارُ

كأَنَّنا في ربوةِ الشّامِ بها   وَبَيْنَنا كأْسُ الهنا يُدارُ

وادي الزُّهورِ حَبَّذا يومٌ به   قد أَشْرَقَتْ ما بَيْننا الأَنْوارُ

كَيْفَ ونُورُ الّدينِ كانَ داعِياً   بنا إليه فانْقَضَتْ أَوْطارُ

فَتًى به لَقَدْ نعمنا وارْتَوَتْ   قُلوبُنا والرِّفقةُ الأَخْيارُ

طَرابُلُوسٌ أَشْرَقَتْ رُبوعُها   وبعلاهُ ارتَفَعَ المَنارُ

وَنحنُ في كُلٍّ[8] سرورٍ وافرٍ   كادَ يلي نَهارَنا نَهارُ

والمولويّةُ التي زهَتْ فلا   يُشْبِهُها بَيْتٌ ولا ديارُ

حَيْثُ مقامُ الخضرِ الذي اعتلت   قُبَّتُه وحَوْلَه اخْضِرارُ

وللبَساتينِ هُناكَ رَوْنَقٌ   حارَتْ بها القُلوبُ والأَبصارُ

وخَمْسَةُ الأَنْهارِ مثلُ خَمْسةِ الـ   ـأَصابعِ الّتي بها يُشارُ[9]

وحاصِلُ الأَمْرِ بأَنَّ جَنَّةَ الدْ   دُنيا هُناكَ لَوْ تَدومُ الدّارُ

وقلنا[10] أيضاً كذلك ، مما تقرُّ به عين المسالك : [من الطويل]

صَفاءٌ وماءٌ ثم لطفٌ مع الهَوَى   ونورٌ ونارٌ ثم روحٌ لها جسمُ

رياضٌ أَنيقاتٌ وَأَنْواعُ خُضْرَةٍ   طَرابُلُسُ منها يروقُ لها الاسْمُ

أَتَيْنا إِلَيْها والنَّسيمُ كَأَنَّهُ   عَليلٌ ولكِنْ منه يَشْفَى لنا الهَمُّ

وصحبٌ كرامٌ كلُّ شَهْمٍ مُهَذَّبٍ   له في العُلا سَهْم لحاسِدِهِ سَهمُ

سَقَى اللهُ ذاكَ اليومَ من يومِ لَذَّةٍ   تقرُّ به عينٌ ويَنْطَرِبُ الفَهْمُ

القناطر

ثم ذهبنا إلى القناطر التي هناك ، وهي بعيدة عن البلد[11] مقدار نصف ساعة

(٧) في مسوّدة المؤلف ل ١٨ : (لأنه الهدّار) .

(٨) رواية المسوّدة : (ونحن في أيّ سرور) .

(٩) هذا البيت جاء بعد الذي يليه في المسودة ل ١٩ وقبلهما إشارتا تبديل (م) .

(١٠) في ق : (وقلت) وما هنا يوافق ما في المسودة ل ١٩ .

(١١) ق : (البلاد) .

بحساب أهل الأفلاك ؛ فرأيناها[١٢] قناطر[١٣] [٦٦/ب] عظيمة عالية ، وهي بين تلك الرياضة ذات القطوف الدانية ؛ متصلة من الجبل إلى الجبل ؛ يجري منها الماء[١٤] الواصل إلى بلاد طرابلس الشامية من الجبل ، وهي نحو سبع قناطر ، يمشي عليها بعض الناس فتسر الناظر والحاضر ؛ وقد أنشدنا في ذلك العهد ، ما يذاق منه طعم السكر والشهد[١٥] : [من الطويل]

سَقَى اللهُ عهداً بالقناطرِ وافيا ... طَرابلس أَهْدَتْ به[١٤] الودَّ صافيا

فَيا حَبَّذا ماءٌ جَرَى فوقَها وَقَدْ ... حَكَى دُرَراً مَنْثُورَةً ولآليا

بمَرْجٍ زَهَتْ منهُ الجوانِبُ أَخْضَرٍ ... وَنَهْرٍ كَسَيْفٍ صارَ بالنَّبْتِ حاليا

جَلَسْنا كَما شاءَ الإِلَهُ بمَجْلِسٍ ... هُناكَ عن الأكدارِ قَدْ كان خاليا

وَهَبَّتْ نُسَيْماتٌ عَلَيْنا عَشيَّةً ... فأَنْعَشَتِ الأَرْوَاحَ تُهْدي الغَوالِيا

فلِلّهِ ذاكَ العَهْدِ ما كانَ في الرُّبا ... أَلَذَّ وأَهْنَى منه لَوْ كانَ باقِيا

قَطَفْنا[١٦] به زَهْرَ المُنى من غُصونِهِ ... ولا تَقْطفُ الأذواقُ إلا الأمانِيا

وقد قال الإمام الهمام[١٧] الحسن البُوريني[١٨] ، رحمه الله تعالى ، في رحلته الطرابلسية[١٩] :

(تأملت في المدينة المذكورةَ فرأيتُها واقعة[٢٠] في سفحِ جبلٍ من جانب القلعةِ ، لكنَّها مُمْتَدَّةٌ من وسط الجبلِ إلى التلِّ الأحمر الذي هو آخر المدينة ، وأول المرج الأخضر ، والقلعةُ مرتفعةٌ فوق المدينةِ تُشرِفُ عليها ، وتنظر إليها ؛ وهناك مياهٌ مقبلةٌ على قناطر[٢١] من أماكنِ بعيدة مرتفعة وهي قناطر[٢١] بناها البرنس ؛ وهو ملكٌ من ملوكِ النصارى ، كان ملكاً في ولاية طرابلس ، فجلب إليها الماء على القناطر العظيمة ، وهي عاليةٌ ، فلذلك

(١٢) ح : (فرأينا هناك) .

(١٣) ق : (قناطر) .

(١٤) ليست اللفظة في ق .

(١٥) الأبياتُ في هامش المسوّدة ل ١٩ .

(١٦) ن : (قطعنا) .

(١٧) بعدها في ن : (الشيخ) .

(١٨) تقدمت ترجمته في هذا الجزء .

(١٩) في مقدمة تراجم الأعيان أن البوريني رحل ثلاث رحلات :
الأولى سنة ١٠٠٨ إلى طرابلس .
والثانية سنة ١٠١٧ إلى حلب بتوجيه من أهل دمشق في رسالة لمراد باشا الوزير .
والثالثة سنة ١٠٢٠ إلى الحجاز حيث تولّى قضاء الركب الشامي .

(٢٠) جاء هذا النص في هامش مسودة المؤلف ل ١٩

(٢١) ح : (القناطر) .

تجد غالبَ أبنية طرابلس مشتملةً على الماء ، ولو كانت عالية . رأيتُ في طبقتين[٢٢] سُلَّمَيْن عاليين ، وفوقهما الماء الجاري). انتهى كلامه .

شعرٌ ومديح

ثم عدنا إلى تكية المولوية لدعوة بعض الإخوان ، من ذوي المهابة ورفعة الشأن ؛ فجلسنا هناك على أتم وفاء ، وأكمل سرور وصفاء ؛ إلى أن صلينا هناك صلاة العصر ، وهبت نسمات القبول والنصر ؛ وقد وجدنا هناك رجلاً من الأفاضل اسمه الشيخ مصطفى ، وقد أظهر لنا كمال المودة والصفاء ؛ وامتدحنا بهذه القصيدة ، وقد عرض علينا أبياتها الفريدة ؛ وهي قوله : [من البسيط]

[٦٧/أ] ما حُسْنَ جيدِ غَزالٍ زانَه الحورُ ... وَمَبْسَمٍ من شَنَيبٍ حَشْوُهُ دُرَرُ
أَوْ رَوْضَة دُبِّجَتْ فيها أزاهِرُها ... والماءُ يُغْنيكَ عَمّا يسْمَعُ الوَتَرُ
كَمثلِ بَدْرٍ تَرقّى في سَماءِ عُلاً ... من نورِ بَهْجَتِه الأَقْمارُ تَسْتَتِرُ
حازَ المقامَ بأقوالٍ مُسَدَّدَةٍ ... في العلمِ والحلمِ بحرٌ لَيْسَ يَنْحَصِرُ
مَوْلَى تَسامَى على النّسرين مَوْرِدُهُ ... وَفَضْلُهُ شائِعٌ في الخلقِ مُشْتَهَرُ
سَقْياً لأرضِ دِمَشْق الشام[٢٣] أن لها ... بينَ البلادِ مقاماً دامَ يفتخرُ
قَدْ أَنْتَجَتْ فاضِلاً حازَ السُّها كَرَمًا ... من قوفِهِ رايةُ الأنساب تُشْتَهَرُ[٢٤]
عَبْدَ الغَنيّ وَمنْ حازَ الفخارَ وَمَنْ ... سَما مقاماً شَريفاً دُونَهُ الزّهَرُ
إليه شدُّوا رحالَ النِوقِ واجْتَهدوا ... فَلَا إلى غَيْرِه[٢٥] يَحْلُو لكم سَفَرُ
يا مَنْ بنائِلِه عَمَّ الوَرَى كَرَماً ... وَحارَ في وَصْفِه الأَوْهامُ والفِكَرُ
خُذْ هٰذِه بنْت أفكاري إلَيْكَ أَتَتْ ... تَرْجُو القَبُولَ لها كفواً وتَعْتَذِرُ
كَفَتْ حَياء لديكم وَجْهَهَا وَغَدَتْ ... إلَيْكُمُ[٢٦] دُوْنَ خَلْقِ الله تَسْتَتِرُ
ثُمَّ الصَّلاةُ عَلَى المُخْتارِ سَيِّدِنا ... خَيرِ البَرِيّة[٢٧] مَنْ سَادَتْ به مُضَرُ

---

(٢٢) كذا في كل الأصول ، وفي مسوّدة المؤلف (طبقة) .
(٢٣) ليست اللفظة في ق .
(٢٤) ن ، ح وهامش ت : (تنتشر) وهي رواية مقبولة .
(٢٥) ن ق (فلا لغيره) ، ح (فلا لغيرهم) وكلاهما تصحيف .
(٢٦) في ح : (لديك) .
(٢٧) ليست اللفظة في ق .

ولدا الملك الظاهر

ثم عدنا إلى مكاننا في تلك البلاد ، ومررنا في الطريق على مدرسة بناها بعض المتقدمين من الأمجاد ؛ وقد دُفن فيها ولدان للملك الظاهر : أحدُهما سلامش[٢٨] والآخر سعيد عليهما رحمة المبدي المعيد ؛ فقرأنا لهما الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

اليوم الثاني والثلاثون

١١٠٥/٢/٣ هـ = ١٦٩٣/١١/١ م

وبتنا في تلك الليلة في أتم سرور ، تحت لواء تلك السعادة المنشور ، إلى أن أصبح الصباح ، وطار طائر الدجا من غير جناح ؛ وكان ذلك اليوم يوم الأحد الثاني والثلاثين ، وهو[١] الثالث من صفر . فذهبنا إلى وداع حضرة الوزير المكرم ، جناب علي باشا[٢] ، رحمه الله تعالى[٢] ، فوصلنا إلى بركة البداوي ، المتقدم ذكرها ، واجتمعنا به هناك على حالة يطيب نشرها ، ثم جئنا إلى المنزل وعزمنا على المسير من طرابلس المحروسة فودعنا الجماعة والأصحاب والإخوان والأحباب وفارقنا مجالسهم المأنوسة .

دعاء ووداع

وحين مررنا في السوق وجدنا في دكان هناك الرجل الصالح الشيخ عبد القدوس المصري الأصل ، فسلمنا عليه ، وزرناه وسألنا منه الدعاء فقرأ لنا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾[٣]، وهو رجل من الصالحين، اتخذ له دكاناً في [٦٧/ب] السوق لا يبيع فيها شيئاً من الأشياء ، غير أنه جالس فيها للذكر والعبادة

---

(٢٨) هو سلامش بن بيبرس سيف الدين الملقب بالملك العادل ابن الملك الظاهر توفي سنة ٦٩٠ هـ ، ويقال إنه توفي في القسطنطينية فحملته أمه ودفنته في قرافة القاهرة . انظر السلوك للمقريزي ٧٧٦/١ والنجوم للزاهر ٢٨٦/٧ والأعلام ١٦١/٣ — ١٦٢ .

(١) ق : (وهو اليوم) .

(٢ — ٢) ليس ما بين الرقمين في ح .

(٣) سورة القصص ٨٥/٢٨ .

واجتماع الإخوان به والمحبين والمعتقدين له ، فإذا دخل المساء قفل دكانه وذهب إلى حجرته في الجامع وقفل عليه بابها من الداخل[٤] ، فلا يراه أحدٌ إلى اليوم الثاني .

قبر الشيخ فضل الله

ثم ذهبنا في الطريق ، وقد ذهب[٥] معنا لوداعنا من أهل البلاد كل رفيق رقيق[٦] ، حتى مررنا على قبر الشيخ فضل الله من أولياء الله تعالى فزرناه ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بما تيسر لنا من الأدعية الصالحة .

القلمون

ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى القَلَمون — بفتح القاف ، وفتح[٦] اللام ، وبعضهم يسكنها — فنزلنا هناك ، نحن وجميع الإخوان ، وبتنا معهم على أشرف حالة من السرور والأمان .

---

(٤) ح : (داخل) .

(٥) هنا تنتهي النسخة ح وهذه آخر لفظة فيها

(٦) ليست اللفظة في ن .

اليوم الثالث والثلاثون

١١٠٥/٢/٤ هـ = ١٦٩٣/١١/٢ م

ثم أصبحنا في اليوم الثالث والثلاثين ، وهو يوم الاثنين الرابع من صفر ، ودعنا الإخوان من أهل البلاد ، إخوان المروءة والوداد ؛ وكان الوزير المكرم علي باشا ، رحمه الله تعالى ، أرسل معنا جماعة يوصلونا إلى قلعة جبيل لمحاربته في تلك الأيام لطائفة الحمادية الروافض .

البترون

فسرنا إلى أن وصلنا في[1] وقت الظهر إلى[2] البترون بلدة على الساحل كان فيها قلعة ، وهي الآن خراب متهدمة البيوت والجدران ، فصلّينا الظهر هناك وأكلنا ما تيسر لنا من الزاد ، على حسب تقدير الكريم الجواد .

قلعة جبيل

ثم ركبنا وسرنا إلى أن وصلنا إلى قلعة جُبَيْل — بالجيم المضمومة ، وفتح الباء الموحدة ، على صيغة التصغير — : وهي بلاد صغيرةٌ ذاتُ قلعةٍ على ساحل البحر .

قال ياقوت في كتابه المشترك[3] : (جبيل بالتصغير ستة مواضع) ذكرها وذكر منها : (جبيل بلد من سواحل دمشق شرقي بيروت) . انتهى .

---

(١) ليست اللفظة في ق ن .

(٢) ليست اللفظة في ق .

(٣) انظر المشترك ٩٧ .

اليوم الرابع والثلاثون
١١٠٥/٢/٥ هـ = ١٦٩٣/١١/٣ م

فبتنا تلك الليلة هناك عند باب القلعة في مقعد لطيف ، ومجلس منيف ؛ حتى أسفرَ صباحُ يوم الثلاثاء ، وهو اليوم الرابع والثلاثون خامسُ صفرٍ ، فركبنا وسرنا على بركة الله تعالى إلى جهة بيروت المحروسة .

نهر الكلب

فمررنا في الطريق على نهر يُسمّى نهر الكلب ، بين جبلين ، كل منهما مرتفع سحيق ، وهو نهر عظيم ، وماؤه حلوٌ[1] زلالٌ شفاءٌ للسقيم ، يصب في البحر المالح ، فيقابل بوجهه البشوش ذلك الوجه الكالح[2] ، وعليه جسر متين ، بقناطر من الحجارة اللطيفة التكوين ، وإنما سُمّي بنهر الكلب لأن الفرنج في الزمان الأول صوروا هناك صورة كلب كبير من الحجر ، وجعلوا فيه رصداً : إذا جاء العدو ينبح عليه ، فيسمعون ذلك النباح ، فيتأهبون لحرب العدو في أنواع[3] السلاح ؛ فجاء بعض الناس فكسره وألقاه في ذلك النهر ، فسمي بذلك نهر الكلب .

قال ياقوت الحموي في المشترك[4] : (نهر الكلب — بسكون اللام ، كذا ضبطه الحازمي : بَيْنَ بَيْروتَ وصَيْداءمن سواحل الشام) . انتهى .

فنزلنا بالقرب[5] من ذلك النهر قُبَيْلَ وقتِ الظهر بحيثُ ننظر إلى دخول ذلك النهر في البحر .

مقام الخضر عليه السلام

ثم ركبنا وصعدنا من تلك العقبة الصعبة الكؤود ، وبذلنا في التوقي من السقوط غاية المجهود ، إلى أن زرنا مقام الخضر عليه السلام بالقرب من ذلك المكان .

(١) ليست اللفظة في ق .

(٢) ق : (المالح) وهي سبقة قلم .

(٣) ق ، ن : (بأنواع) .

(٤) انظر المشترك ٣٧٥ ، ٤٢٧ والنص الوارد هنا في ٤٢٧ .

(٥) ق : (في القرب) .

قبر أم حرام

ومررنا على قبر أم حرام ، وهي مدفونة في مقبرة بيروت ، وقيل هي مدفونة بجزيرة قبرص والله أعلم .

وهي أم حرام بنت ملحان الأنصارية الصحابية ، خالة أنس بن مالك ، ويقال لها الغُمَيْصاء[٦] وقيل الرُّمَيْصاء . واسم مِلْحان : مالك بن خالد بن زيد[٧] بن حَرَام بن جُندَب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النجار . وحديثها في الصحيحين وأبي داود والنسائي وابن ماجة . فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى وقرأنا لها[٨] الفاتحة .

بيروت

ثم دخلنا إلى بيروت المحروسة ، ذات الربوع المأنوسة ؛ وحصل لنا غاية الإكرام والسرور التام .

قال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٩] : (بَيْرُوتُ — فَيْعُولُ من البَرْتِ وهو الرجل الدَّليل) . انتهى .

وفي القاموس[١٠] : (البُرْتُ — بالضم السُّكر الطَّبَرْزَذُ) . (والرجلُ الدَّليـلُ[١١] الماهرُ . (وبيروتُ بلادُ[١١] الشام) . انتهى .

وكان نزولنا في بيروت عند الصديق الصادق ، والرفيق المصادق ، عين الأعيان ، في تلك البلاد وخلاصة أبناء الزمان ، الحاج مصطفى المشهور بابن القصار ، نشر الله تعالى ذكره الجميل في جميع الأعصار ، وهو رجل من أهل المروءات والكمالات ، فأكرمنا غاية الإكرام وعاملنا بألطف المعونات .

(٦) ل : (القُميصاء) وهو تصحيف . وانظر الإصابة ٣٠٨/٤ و٣٧٣ .

(٧) في جمهرة أنساب العرب ٣٥١ (دينار) وانظر الجمع بين رجال الصحيحين ٦١٠/٢ .

(٨) ليت اللفظة في ن .

(٩) انظر تاريخ دمشق ٢٠/١ وانظر مختصره لابن منظور ٤٩/١ .

(١٠) انظر القاموس (برت) .

(١١) في الأصول جميعاً (الذليل) وهو تصحيف .

(١١) كذا في الأصول . وفي القاموس : (وبيروت د بالشام) ود تعني بلد لا بلاد . انظر مقدمة نصر الهوريني في شرح ديباجة القاموس ص ٢٠ .

اليوم الخامس والثلاثون

١١٠٥/٢/٦ هـ = ١٦٩٣/١١/٤ م

وبتنا عنده تلك الليلة في أتم حضور ، وأكمل حبور ؛ إلى أن أصبح الصباح [٦٨/ب] وكان ذلك اليوم يومَ الأربعاء الخامسَ والثلاثين ، سادسَ صفر .

مطارحات أدبية

فاجتمعنا بالحسيب\النسيب صديقنا السيد أحمد المشهور نسبه ببيت عز الدين[1] أعزه الله تعالى بعز الدين ، وقد كان قدم علينا إلى دمشق الشام ، فيما مضى من الأيام ، في سنة ألف وثلاث وتسعين ، وكان يحضر دروسنا ويلازم عندنا في ذلك الحين ، وهو رجل من الأفاضل الكرام ، ذوي الصلاح والكمال ؛ والخير التام فجلس عندنا حصة من الزمان ، وأنشدنا من لفظه لنفسه هذين البيتين تاريخ وفاة المرحوم الولي الصالح ، والنبيل الفالح ، الشهير عيسى الصالحي الكناني[2] شيخ الخلوتية بدمشق الشام ، عليه رحمةُ الملك العلّام ؛ وهما قوله : [من الرمل]

حَسْبُنــــا اللهُ تعــــالى وَكَفــــى ... من هُمومٍ أَعْقَبَتْ هَماً[3] وبُؤْساً

قَــدْ أُصِبْنــا يــا لَعَمْــري حَسْبَمــا ... جاءَ في تأريخه (بالشيخ عيسى)[4]

والسيد أحمد المذكور له قراءة على والدنا المرحوم العلامة إسماعيل أفندي[5] ابن النابلسي ، المتقدم ذكره وترجمته في هذا الكتاب[6] ، وأجازه وكتب له على نسبه الشريف . وكان مولده في سنة اثنتين وعشرين بعد الألف ، فيكون بلغ من العمر ثلاثاً وثمانين سنة ، وأنشدنا من لفظه لنفسه قوله[7] : [من المتقارب][8]

---

(١) ترجم له المرادي في سلك الدرر ١٣٢/١ — ١٣٣ ناقلاً ما قاله النابلسي هنا حرفياً، ولم يذكر سنة وفاته. وكذلك فعل كمال الدين الغزي في الورد الأنسي ل ٩٧ ولكنه اختصر ما ورد في هذه الرحلة .

(٢) هو عيس بن محمود بن محمد بن محمد بن كنان الحنبلي الصالحي الدمشقي الخلوتي . ولد سنة ١٠٤٢ ، ومات سنة ١٠٩٣ بالصالحية بدمشق . أخذ الطريق عن محمد بن محمود العباسي وسافر إلى مصر عدة مرات يأخذ عن مشايخها وظل بها إلى سنة ١٠٥٥ حيث عاد إلى بلده وانظر خلاصة الأثر ٢٤٣/٣ — ٢٤٤ .

(٣) في مسوّدة المؤلف ل ٢٠ : (غما وبوسا) وما هنا يوافق ما في سلك الدرر ١٣٢/١ .

(٤) حسابه على الشكل التالي: الشيخ عيسى ٩٤٣ + ١٥ = ١٠٩٣

(٥) ليست اللفظة في ق .

(٦) انظر ص ٤٩ من هذا الجزء .

(٧) ن : (وهو قوله) .

(٨) الأبيات في المسوّدة ل ٢٠ ، وسلك الدرر ١٣٣/١ ، والورد الأنسي ل ٩٧ .

ثَمانــونَ عامــاً فمــا فَوْقَهــا مَضَتْ يــا لَعَمْــري بــلا فائِــدَةْ
تَــقَضَّتْ وَلَــمْ أَكُ أَشْعُــرْ بها كَأَنــي بها ساعَــةً واحِــدَةْ
أَيا ضَيْعَةَ العُمْر حَيْثُ انْقَضَى بِــآراء ساجِةٍ فــاسِدَةْ
فَيالَيْتَ مــا اهْتَــمّ بي والــدي[9] وَيالَيْتَهــا حــارتِ الوالــدَةْ

وأنشدنا أيضاً من لفظه لنفسه قوله[10] من الدوبيت[11] :

صَبْـري وَتَجَلُّـدي باسْماعِيــلا والقــلبُ مُتَيَّــمٌ بإسْماعيــلا
لـو قيـل تَسَلَّ عَنْهمـا يـا هٰـذا قالت عيناي لا[12] وأسماعي : لا

وهو من قول بلديّنا الشيخ أحمد العناياتي[13] النابلسي الشاعر المشهور في ديوانه المأثور من الدوبيت[14] أيضاً[15] :

صبري عــدم في حبِّ اسماعيــلا لا تَحْسبــه في حبّ إسماعيــلا
كم قـلت لَـهُ بمن تَسَمَّــيْتَ بــهِ أنْعــم بنَعَــمْ فــزادَ أسماعــي لا

ولقد كان بين السيد أحمد المذكور وبيننا مؤانسات أدبية ، [٦٩/أ] ومطارحات شعرية ، في أيام اجتماعه بنا ، وتردده إلينا ؛ مع[16] كمال محاضرته وقد جمع لطفاً وليناً ، وفيه نباهة اعتقادية ، وطرف جذبة إلاهية . وقد أخبرني مرة أنه رأى في الواقعة المنامية ، منشداً ينشده هذا البيت بهذه الطريقة المرضية[17] : [من الدوبيت]

الكُــلُّ إشارةٌ وَأَنْتَ المَعْنــى يــا مَــنْ هُــوَ لا إلــه إلا اللهُ

وكان إذ ذاك يحضر مجلسنا بالبيت ، في وروده بلادنا دمشق الشام ، وقد سمع مرة منا هذين البيتين من نظم[18] بعض أهل العرفان أنشدناهما[19] بالمناسبة في الدرس وهما

(٩) في المسوّدة : (فيا ليت والدي ما اهتمّ بي) ولا يستوي بها الوزن .
(١٠) البيتان في المسوّدة ل ٢٠ ، وسلك الدرر ١٣٣/١ .
(١١) وزن الدوبيت (فعلن متفاعلن فعولن فعلن) .
(١٢) ليست اللفظة في ت ولا في ن ولا يستقيم الوزن بدونها .
(١٣) تقدمت ترجمته في هذا الجزء .
(١٤) البيتان في مسوّدة المؤلف ل ٢٠ ، وسلك الدرر ١٣٣/١ .
(١٥) ليست اللفظة في ت .
(١٦) ن : (في) .
(١٧) ليس الشعر في المسوّدة . (١٨) ليست اللفظة في ق . (١٩) في ق ، ن : (هما) .

من الدوبيت[17] :

مـا آدمُ في الـوَرَى ومـا إبلـيسُ ... مـا عَرْش سُلَيْمـان ومـا بلقـيسُ
الكـــلُّ إشارةٌ وأنتَ المَعْنــــى ... يـا من هُوَ للقلـوب مِغْناطـيسُ

موشح للنابلسي

ثم طلب منا أن ننظم له موشحاً تكون لازمته البيت الأول لتنشده الفقراء على ذكر الله تعالى كما هو طريقتهم ، فأجبناه إلى ذلك فقلنا :

إن المولى في كل حـال معنـا ... لـولاه لما نلنـا الهدى لـولاه
ما الروح[21] وما الجسم الذي في المعنى ... ما النفس وما الأشكال والأشباه
ما القرب وما أهل المقام الأسنى ... ما البعد ومن بالجهل فيه تاهـوا
الكـــل إشارة وأنت المعنـــى ... يـا مـن هـو لا إلـه إلا اللـه

دور[22]

قَلْبي يـا ربّ جـاء بالتَّوْحيـدِ ... يَرْجو منك القبـولَ للأعمـالِ
والنطق على التّسبيحِ والتحميدِ ... قد واظب في البكـور والآصال
فاغفـر وارحـم آباءنـا والأبنـا ... منـا تدعـو القلـوب والأفـواه
الكـــلّ إشارة وأنت المعنـــى ... يـا مـن هـو لا إلـه إلا هـو

دور

نـور الأسماء لاح في الأكـوان ... فانظـره بـه تـراه لا بالنفـيس
واترك عنك الوقوف مع ذا الفاني ... كم تصبح باللهـو بـه كم تمسي
العمر مضى وما ملكت الأدنى ... من زادك[23] ما السوى وما معناه
الكـــل إشارة وأنت المعنـــى ... يـا مـن هـو لا إلـه إلا اللـه

---

(٢٠) ليس الموشح في المسودة .
(٢١) ن : (بالروح) .
(٢٢) ليست لفظة (دور) في ق في كل القصيدة .
(٢٣) في ن ، ق (من ذاك) .

دور

[٦٩/ب] لله على طـول المدى ألطـاف ... في الخلق بها قد حارت الأفكار
والفضل لـه والجود والإسعاف ... يدري هذا من عنده استبصار
فاقنـع باللـه إنـه قـد أغنـى ... عـن ذاك وذا ودع لما تهواه
الكـل إشارة[٢٤] وأنت المعنـى ... يـا مـن هـو لا إلـه إلا الله

دور

رحمن العـرض قـد تجلى فينـا ... بالصنـع وبـالإيجاد والاعـدام
والغفلـة عنـه كم أزالت دينا[٢٥] ... حتى أغوت[٢٦] من كثرة الآثام
والفائـز كل مـن تـراه يفنـى[٢٧] ... لايـقصد دنيـاه ولا أخـراه
الكـل إشارة[٢٤] وأنت المعنـى ... يـا مـن هـو لا إلـه إلا الله

دور

الحق هـو الباطـن وهـو الظاهـر ... فأعرض عمن بسواه تخفّى فيه
في الكون لقد بدا سناه الباهر[٢٨] ... كم يخفى سوى عن الذي يخفيه
والليـل مـع النهار عنـه أثنـى ... والأرض مع السمـاء والأمـواه
الكـل إشارة وأنت المعنـى ... يـا مـن هـو لا إلـه إلا الله

دور

صل يـا ربنـا على المختـار ... ذي المجد وذي الفخر وذي العلياء
والآل مـع الصحابـة الأخيـار ... أهـل التقـوى كـواكب الهيجـاء
مع تابعيهم مـا قـال لما أكنـى ... يومـاً عبـد الغنـي عـن مـولاه
الكـل إشارة وأنت المعنـى ... يـا مـن هـو لا إلا الله

مدح بيروت للنابلسي

ولقد أنشأنا في هذه اليوم قولنا من النظام في مدح تلك البلاد وما في محاسنها من

(٢٤) ت : (إشارات) .
(٢٥) ن : (ليناً) .
(٢٦) ن ، ق : (لغوت) .
(٢٧) ن ، ق : (يغني) .
(٢٨) ن ، ق : (باهر) .

الانتظام[٢٩] : [من الكامل][٣٠]

بيروتُ قد حُرستْ بعين عنايةٍ ... من ربّهـا في حسنها المعـروفِ
بلـدٌ أميـنٌ لا يُشانُ برَيْبَـةٍ ... ركنُ العَفافِ وملجأُ المَلْهوفِ
وبها البساتيـنُ التـي أشجارُهـا ... ركعت مع النسماتِ ذات صفوفِ
بالطّيبِ تنفحُ كلّما هبَّ الصّبا ... حسن لأبْصارٍ وطيب أُنـوفِ
والمَـوْزُ كالقَـوْمِ الدُّعاةِ لربّهـم ... مدّتْ أصابعَ مَدْحِها الموصوفِ[٣١]
خَضْراءُ مَلْساءُ الذراعِ لطيفةٌ ... في ساقِها خرجت عن المألـوفِ
ولها ثمارٌ قـد تـدلّتْ حلـوةٌ ... في وسط أغلفةٍ أتت بصنـوفِ
فكـأنهن أصابـعٌ مضمومـةٌ ... زادتْ على خمسٍ بغير كُفـوفِ
[٧٠/أ]هُوَ ظاهِر[٣٢] في كلّ فَصْلٍ دائماً ... يا حسنَ رونقِ قطفِه المقطوفِ
فـاقَ الثمارَ جميعَهـا بلطافـةٍ ... ودوام عَهْـدٍ ليس بـالمأسوف

وقلت كذلك بمعونة[٣٣] القدير المالك[٣٤] : [من السريع]

كَأنّمـا بَيْـروتُ في حُسْنها ... وَقَـدْ بَـدَتْ كاملةً في النُّعـوتْ
منظومة قَـدْ شاقَنـي بَحْرهَـا الـ ... ـمَديـدُ والأبيـاتُ منها البيـوتْ

واجتمعنا أيضاً بالحسيب النسيب السيد حسين نقيب الأشراف بالبلدة المذكورة . وبالفاضل الكامل ، والعالم العامل ؛ الشيخ زين الدين مفتي الشافعية بتلك الديار .

---

(٢٩) ن : (النظام) .
(٣٠) الأبيات في المسوّدة ل ٢٠ و ٢١ .
(٣١) في المسوّدة : (فتحت كفوف ثنائها الموصوف) .
(٣٢) في المسوّدة : (هو مثمر) .
(٣٣) في ت : (وقلنا كذلك بعون القدير المالك) .
(٣٤) البيتان في المسوّدة ل ٢١ .

اليوم السادس والثلاثون

١١٠٥/٢/٧ هـ = ١٦٩٣/١١/٥ م

ثم بتنا تلك الليلة حتى ظهر صبح يوم الخميس بإشارات التنزيه لله تعالى والتقديس ، وهو[1] اليوم السادس والثلاثون ، سابعُ صفر .

دعوة وشعر

فدعانا حضرة النقيب المذكور إلى داره ، وصنع لنا الضيافة اللائقة بحسن كماله ولطافة جواره[2] ؛ واجتمعنا ذلك اليوم أيضاً بالسيد أحمد المتقدم ذكره فأنشدنا من لفظه لنفسه قوله[3] : [من الوافر]

أرى هٰذا الوجودَ خيالَ ظلٍّ ... مُحرِّكُهُ هُوَ الربُّ الغفورُ
فصندوقُ اليمين بطون حَوّا ... وصندوقُ الشمال هو القبورُ

وأنشدنا أيضاً من لفظه لنفسه[4] : [مجزوء الرمل]

ما خيالُ الظلِّ إلّا ... عبرة لمن اعْتَبَرْ
فاعتبْر قولي أيا هذا ... تجده مُعْتَبَرْ
وَكَذا الدُّنْيا شُخوصٌ ... تَتَراءى للنَّظَرْ
ثَمّ تَمْضي وَتُوَلّي ... مثل لَمْحٍ بالبَصَرْ

وهو من قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه من البيتين المشهورين[5] : [من الطويل]

رَأَيْتُ خيالَ الظلِّ أكبر عبرةٍ ... لِمَنْ كانَ في علمِ الحقيقة راقي
شخوصٌ وأشباح تمرُّ وتَنْقَضي ... وتَفْنَى جَميعاً والمحرِّكُ باقي

ولنا سابقاً تخميس لهذين البيتين وهو قولنا [من الطويل]

---

(١) ليست اللفظة في ن .

(٢) ت : (حواره) .

(٣) البيتان في المسوّدة في حاشية اللوحة ٢٠ ، وفي سلك الدرر ١٣٣/١ .

(٤) الأبيات في المسوّدة ل ٢١ ، وسلك الدرر ١٣٣/١ .

(٥) البيتان في سلك الدرر ١٣٣/١ .

أنـــا الهيكـــلُ الـــدّاني لمظهـــر قُـــدْرةٍ
ومـن شاخصي قـد حزتُ أكمـل صورة
ولما تأمَّـــــلْتُ الوجـــــودَ بفكـــــرةٍ
رَأَيْتُ خيـــالَ الظـــلِّ أكبـــرَ عبرةٍ
لمن هـــو في علـــمِ الحقيقـــةِ راقي
[٧٠/ب] على كـلِّ شيءٍ سيفُ عَزْمي قـد انْقَضي
وفي ليـلِ غَيْبـــي صبـــحُ معرفتـــي يضي
وكـلّ الـوَرَى مـن بعـد ذا البيت ارتضى
شخـــوصٌ وأشبـــاحٌ تمرُّ وتَنْـــقضي
وتَفْنَـــى جميعـــاً والمُحَـــرّكُ بـــاقي

ولنا أيضاً تشطيرهما وهو قولنا : [من الطويل]

رَأَيْتُ خيالَ الظـلِّ أكبـــرَ عبرةٍ   يلوحُ بها مَعْنَى الكمالِ لأحداقي
وفي كلِّ مَوْجودٍ على الحقِّ آيَةٌ   لمَنْ هُوَ في عِلْمِ الحقيقةِ راقي
شخوصٌ وأشباحٌ تمرُّ وتَنْقَضي   وَلَيْسَ لها مما قَضَى اللهُ من واقِ
لها حركاتٌ ثم يَبْدو سكونها[٦]   وتَفْنَى جميعاً والمُحَـرّك بـاقي

قبرة جبارة

ثم ذهبنا إلى ساحل البحر ، فزرنا هناك تلك المقبرة مع السيد أحمد المذكور ، وفيها قبر الشيخ جبارة من أولاد الشيخ حسن الراعي المشهور قبره عندنا في دمشق الشام[٧] بقرية قطنا .

مدرسة الأوزاعي

ورأينا مدرسة[٨] الشيخ عبد الرحمن الأوزاعي الذي تأتي ترجمته قريباً عند ذكر زيارة قبره رضي الله تعالى عنه ، وكان مقام السيد أحمد المذكور في تلك المدرسة ، وأخبرنا أنَّ عليها في الزمان السابق أوقافاً كثيرة ولكنها ضبطت الآن لجهد السلطنة في جملة أموال الساحل الشامي . ورأينا هناك الحمام الذي مات فيه الأوزاعي رضي الله تعالى عنه كما سنذكره وهو الآن خراب وقد[٨] تهدم بعضه .

(٦) ق : (سكوتها) .
(٧) ليست اللفظة في ن .
(٨ — ٨) ليس ما بين الرقمين في ق .

مسألة رفع اليدين في الدعاء

وأخبرنا بعض الناس هناك أن رجلاً من المنتسبين إلى التصوف ، ولم نجتمع به ينهى أهل تلك البلاد عن رفع اليدين حالة الدعاء والابتهال إلى الله تعالى بعد الصلوات وغيرها ، وسألونا عن ذلك وهل له أصل في أحاديث رسول الله ﷺ وفي كلام الفقهاء أم لا ؟

فأجبناهم بأن الناهي عن ذلك مبتدع في الدين ، وخارج عن طريق العلماء العاملين ؛ ولذلك[9] أصل في السنة وفي كلام الفقهاء .

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رجل أعرابي من أهل البدو إلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال : يا رسول هلك العيالُ ، هلك الناس ، فرفع النبي ﷺ يديه يدعو [٧١/أ] ، ورفع الناس أيديهم مع النبي ﷺ يدعون الحديث مذكور في الاستسقاء .

وفي رواية أخرى رواها البخاري عن أنس عن النبي ﷺ أنه رفع يديه حتى نرى بياض إبطيه .

وفي رواية أخرى . رواها البخاري أيضاً عن أنس بن مالك . قال : كان[10] النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء وأنه كان يرفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه .

وفي البخاري روايات أخرى في رفع اليدين في الاستسقاء .

ومعنى قول أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه . يعني مثل هذا الرفع المخصوص في الاستسقاء فإنه كان يرفع يديه فيه[11] حتى يُرى بياضُ إبطيه ، وليس المراد مطلق رفع اليدين[12] في الدعاء[12] كما هو الظاهر من هذه الأحاديث ، والأحاديث الأخرى التي سنذكرها .

منها ما رواه مسلم عن أنس مالك أيضاً[13] ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطيه .

وروى مسلم أيضاً عن أنس أن النبي ﷺ كان لا يرفع يديه في شيء من دعائه

---

(٩) ق : (ولذا) .

(١٠) ليست اللفظة في ن .

(١١) ليست اللفظة في ق .

(١٢ — ١٢) ليس ما بينها في ن .

(١٣) ليست اللفظة في ق ، ن .

إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه .

وروى مسلم أيضاً عن أنس[١٤] أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفيه إلى السماء .

فيحتمل أن هذه الكيفية هي التي أخبر أنس أنه ما كان يرفع يديه[١٢] بها إلا في الاستسقاء ، لا مطلق رفع اليدين في مطلق الدعاء ، بدليل ما روى البخاري في الدعوات في باب رفع الأيدي في الدعاء .

قال ابن عمر : رفع النبي ﷺ يديه وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد .

وروى الترمذي في سننه في باب ما جاء في رفع الأيدي عند الدعاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لم[١٥] يحطهما حتى يمسح بهما وجهه .

وروى ابن ماجة في سننه ، في باب رفع اليدين في الدعاء ، عن سلمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال[١٢] إن ربكم حَيِيّ كريمٌ يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه فيردّها صفراً[١٦] أوقال خائبتين .

وروى [٧١/ب] ابن ماجة أيضاً ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ إذا دعوت اللهَ فادْعُ ببطونِ كَفَّيْكَ ولا تَدْعُ بظهورهما ، فإذا فرغتَ فامسح بهما وجهك .

وهذا الحديث[١٧] يؤيد ما ذكرناه في تخصيص قول أنس في الاستسقاء بالدعاء بظهور الكفين . والأحاديث الواردة في رفع اليدين في الاستسقاء وغيره كثيرة لا حاجة إلى استيفائها هنا بعد ثبوت المطلوب .

ويشير إلى حديث ابن ماجة الأول قول الجلال السيوطي رحمه الله تعالى على لسان القمقم الذي يستعمل فيه ماء الورد[١٨] : [من الطويل]

إذا كنتُ مع ضعفي وقلّةِ حيلتي ... أجودُ بموجودي لباسطِ كَفِّهِ

(١٤) ن : (بن مالك) .

(١٥) في ن (لن) وليست اللفظة في ق .

(١٦) في ق : (صفراء) .

(١٧) ليست اللفظة في ق .

(١٨) البيتان في مسودة المؤلف ل ٢١ .

فَمـا بالُكُـمْ بـالله ربي فانْبسطـوا   أكفَّ الرَّجا فالجُود من بَعْضِ لُطْفِهِ[١٩]

وروى أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ لا تستروا الجدار[٢٠] . ومن نظر في كتاب أخيه بغير اذنه فإنما ينظر في النار . سلوا الله عز وجل ببطون أكفّكم ولا تسألوه بظهورها ، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم .

وفيه إشارة إلى أن السؤال بظهورها مخصوص بالاستسقاء كما ذكرنا .

ومثله ما رواه أبو داود أيضاً في سننه عن مالك بن يسار السكوني[٢١] ثم العوفي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا سألتم الله فاسألوه[٢٢] ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها .

وأخرج أبو داود أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ يدعو[٢٣] هكذا بباطن كفيه . وظاهرهما وهو محمول على دعاء الاستسقاء .

وروى أبو داود أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : المسألة أن ترفع يديك حذاء[٢٤] منكبيك ، أو نحوهما ، والاستغفار أن تشير باصبع واحدة ، والابتهال أن تمد يديك جميعاً . وفي رواية : والابتهال هكذا ورفع يديه وجعل ظهورهما ما يلي وجهه .

وأخرج أبو داود أيضاً عن السائب بن يزيد عن أبيه أن[٢٥] النبي ﷺ كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه .

وذكر الشيخ عبد الرؤوف المنادي في شرحه الكبير على الجامع الصغير للأسيوطي [٧٢/أ] أن من عادة من طلب شيئاً من غنيٍّ أن يمدَّ بطنَ كفّه إليه ليضع النائل فيها . ولأن أصل مشروعية الدعاء إظهار الانكسار بين يدي الجبار ، والثناء عليه بمحامده ، والاعتراف بغاية الذلة والمسكنة ، وذلك ابتهال قوليّ . ولا بد في كمال إظهار الانكسار والإفتقار من ضم الابتهال الفعليّ إليه ، وذلك بمدّ بطن الكف على سبيل الضراعة إليه

---

(١٩) ن : (أكفّ الرجا موجود من بعد لطفه) .

(٢٠) ق : (الجدر) .

(٢١) ن : (الكوني ثم العوفي) وهو تصحيف وهو مالك بن يسار السَّكوني ثم العوفي بطن من السكون . روى عنه أبو بحريّة السَّكوني ، وكل الذين ترجموا له أوردوا له رواية هذا الحديث وفي صحتة شك . انظر الجرح والتديل ٢١٧/٨ وأسد الغابة ٥٧/٥ ، والإصابة ٣٥٩/٣ .

(٢٢) ق : (فسلوه) ويجوز الوجهان .

(٢٣) ليست اللفظة في ن .

(٢٤) ق : (حذو) .

(٢٥) ن ، ق : (عن) .

ليصير كالسائل المتكفف لأن يملأ كفه بما يسد حاجته وذكر في قوله ﷺ : وامسحوا بها وجوهكم ، أي في غير القنوت ، فلايمسح وجهه فيه ، لأنه لم يثبت فيه خبر ولا أثر ولا قياس . وأما الصدر فلا يندب مسحه قطعاً بل نص جمعٌ على كراهته ، وفيه رد على العز بن عبد السلام[٢٦] في قوله لا يمسح وجهه إلا جاهل انتهى .

وذكر والدي المرحوم في شرحه على شرح الدرر من مسائل شتى ، في آخر الكراهة والاستحسان ، قال : مسح اليدين على الوجه عقب الدعاء سنة ، وقيل ليس بشيء ، والأول أصح . والأفضل[٢٧] أن يبسط كفَّيْه ، ويكون بينهما فُرْجَةٌ ، وإن قَلَّتْ ، ولا يضع إحدى يديه على الأخرى ، وإن كان وقت عذرٍ أو بردٍ فأشار بالمسبحة قام مقام بسطة[٢٨] كفيه . انتهى .

مطر وشعر

وكان في هذا اليوم المذكور ، وكذلك في اليوم الذي قبله مطرٌ شديدٌ مهمور ، فأنشدنا السيد أحمد المشار إليه من نظمه لنفسه تأريخ قدومنا إلى بيروت المحروسة[٢٩] وإقبالنا عليه وذلك قوله[٣٠] : [مجزوء الكامل]

[٣١]قــد شرُّفَتْ بيروتُ بالـــ ... ـمَوْلَــى الأَجَــلِّ المُعْتَبَـــرْ
مُــنْ حَــلَّ مِــنْ بَرَكَاتِـه ... فيها أُغِثْنــا بالمطـــرْ[٣٢]
هُــوَ قُــدوتي ذُخْـري مَــلا ... ذي عُمْــدتي دُونَ الــبَشَرْ
هُــوَ سَيِّــدي عَبْــدُ الغَنــيّ ... النابــلسي حــاز الفخــر[٣٣]

(٢٦) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن ، عز الدين السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الإجتهاد . ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي ٦٦٠ ، عرف بجرأته حتى على الملوك . وله عدة مؤلفات وانظر في ترجمته : الذيل على الروضتين ٢١٦ ، والعبر ٢٦٠/٥ وفوات الوفيات ٣٥٠/٢ — ٣٥٢ ، والنجوم الزاهرة ٣٠٨/٧ وشذرات الذهب ٣٠١/٥ والأعلام ١٤٤/٤ — ١٤٥ ، ومعجم المؤلفين ٢٤٩/٥ .

(٢٧) ن : (والأصل) .

(٢٨) ن : (بسط) .

(٢٩) ق : (المحروسة المأنوسة) .

(٣٠) الأبيات في المسودة ل ٢١ .

(٣١) ليست اللفظة في المسودة .

(٣٢) المسوّدة : (منذ حل بها ببركة أغثنا بالمطر) .

(٣٣) الشطر في وزنه شيء ، ورواية المسودة :

سيدي عبد الغني النابلسي من حاز الفخر

قَــدْ فــاقَ أَهْــلَ زمانِــه بعُلــــومٍ شتّـــى وَاشتهر
كَم قَــدْ[٣٤] حَــوَى فَضْلاً خَفِيــاً فيــه إن[٣٥] أُرّخْ ظَهَــرْ[٣٦]

دعوة حسين النقيب

ثم ذهبنا إلى دعوة السيد حسين النقيب سلمه الله تعالى وهو نقيب الأشراف بالبلد المذكور فحصل لنا بذلك غاية السرور .

---

(٣٤) ليست اللفظة في ق .

(٣٥) في المسودة :

كم هــوى مــن فضل خــاف عندمـــا أُرخ ظهــــر

(٣٦) حسابها في الجمل : ظ : ٩٠٠ + هـ : ٥ + ر :٢٠٠ = ١١٠٥ هـ .

اليوم السابع والثلاثون

٨/٢/١١٠٥ هـ = ٦/١١/١٦٩٣ م

ثم أتينا إلى منزلنا ، وبتنا فيه إلى الصباح ، ونحن نتقلب[١] [٧٢/ب] في أنواع الصفا والانشراح ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة السابع والثلاثين وهو الثامن من صفر .

إجازة شعرية

فأتى إلينا السيد أحمد المتقدم ذكره ، بإجازته من مشايخه في طريق القادرية ، وعليها خطوط العلماء والصالحين ، من أهل الكمال والعلم والدين ، وطلب منا الكتابة على ذلك ، فكتبنا قولنا[٢] : [من الطويل]

لَقَدْ شَرَّفَ اللهُ الذي أَنْزَلَ الأَسْما ... وَمَنْ لَمْ يَزَلْ بَيْنَ الوَرَى قدره الأَسْمى

وَجادَ بإِنْعامٍ عَلَى عَبْدِهِ الّذي ... بِنُورِ هُدَى الأَشْياخِ قَدْ زادَهُ عِلْما

إجازة حقٍ في طَريقٍ مُسَدَّدٍ ... لِسرِّ عُلومِ القادريَّةِ قَدْ عَمَّا

وَأَحْمدُ فيها أَحْمدُ السِّيرةِ اهْتَدَى ... إلى اللهِ حَتّى زادَهُ رَبُّهُ حِلْما

فَلا زالَ مَحْفُوظاً على كُلِّ حالةٍ ... مدى الدَّهْرِ ما أَفْنَى اللقا الهمَّ والغَمّا

وَما كَرَّمَ الرَّحْمنُ عَبْدَ الغَنِيِّ إِذْ ... رَأَى حُسْنَ أَسْرارِ الإِجازَةِ قَد تَمّا

وَما هَيْنَمَتْ في الرَّوْضِ أَرْواحُ نَسْمَةٍ ... فأَسْكَرَتِ المُشتاقَ من طِيبِها شَمّا

نسبة وشعر

وأطلعَنا على نسبه الكريم ، نسبِ الشرفِ له عن آبائه وأجداده ، وذلك من جهة الأمّ فرأيناه[٣] نسباً عجيباً ، عليه خطوط العلماء والصالحين والأشراف المعتبرين .

ورأينا عليه بخط المرحوم الوالد الشيخ إسماعيل النابلسي المتقدم ذكره وترجمته وذلك ما نصه[٤] :

---

(١) ن : (نتقلب) .

(٢) الأبيات في المسوّدة ل ٢١ .

(٣) ق : (فرأينا نسباً) .

(٤) الرسالة في مسوّدة المؤلف ل ٢٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ذكر النسفيُّ في المدارك تفسير القرآن[٥] العزيز ، في سورة الأنعام عند قوله تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[٦] (وذِكْرُ عيسى[٧] عليه[٨] السلام[٨] معهم دليلٌ على أنَّ النَّسَبَ يَثْبُتُ من قِبَلِ الأُمّ أيضاً ، لأنه جعله من ذريّةِ نوحٍ عليه السلام ، وهو لا يَتّصل به إلا بالأُمّ . وبذا أُجيب الحجاجُ حين أنكر أن يكون[٩] بنو فاطمة[٨] رضي الله عنها[٨] أولاد النبيّ ﷺ[١٠]) . انتهى . وفي البيضاوي[١١] ، ومثله في تفسير المرحوم أبي السعود المفتي وهو ابن مريم .

وفي ذكر دليل على أن الذريةَ تتناول أولادَ البنت[١٢] . وأجاب المرحوم شيخ الإسلام أبو السعود حين سُئل عن ثبوت النسب من جهة الأم صحيح أم لا بقوله : نعم ثبوت النسب من جهة الأم[١٣] بأنه صحيح ، معتدٌّ به ، واجب قبوله شرعاً وعرفاً ، فإن ثَبَتَ شرفُ امرأةٍ كان أولادها [٧٣/أ] لبطنها ، ذكوراً وإناثاً ، شرفاء مع قطع النظر عن آبائهم ، حتى ولو[١٤] كانوا أرقّاء ، لا يضرهم ذلك ، ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهتها ، ويميزون على غيرهم ممن لا شرفَ له بوضع العلامة[١٥] خوفاً من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامة . فمن كانت أمُّه شريفةً يثبتُ الشرف له ولأولاده ونسله وعقبه ، وانتظم في سلك الأشراف والأدلةُ في ذلك كثيرةٌ ، يضيق عنها المقام ، وتنبغي الإشارةُ إلى بعضها ، وهو[١٦] أن جميع الأشراف الموجودين الآن في مشارق الأرض ومغاربها إنما يثبت لهم الشرف من فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، أم السيدين الجليلين ، الحسن والحسين ، ابني الإمام علي رضي الله عنهم ، وإلا لكان أولاده من غيرها كمحمد

---

(٥) تفسير النسفي ٢١/٢ .

(٦) سورة الأنعام ٨٥/٦ .

(٧) ليست اللفظة في ن .

(٨ — ٨) ليس ما بينهما في تفسير النسفي .

(٩) في الأصول جميعاً والمسوّدة : (تكون) وما هنا عن النسفي .

(١٠) في النسفي : (عليه السلام) .

(١١) انظر تفسير البيضاوي ١٣٩/١ .

(١٢) بعدها في المسودة (انتهى) .

(١٣) ليست اللفظة في ت .

(١٤) ق ، ن : (لو) بدون الواو . وانظر المسودة .

(١٥) ق : (العمامة) .

(١٦) ق : (وهي) .

ابن الحنفية شرفاء ، وليس كذلك ، حتى إن بعض علمائنا جعل ذلك قياساً منطقياً مركباً من صغرى وكبرى من عشرة أوجه ، فأما كبراه فلم تحتج إلى بيان ، وتحرير كون مقدمتي القياس يقينية أن الولد بضعة من أمه ، يثبت له ما يثبت لها ، وكذا[17] حكمنا بشرف الحسنين رضي الله عنهما . وقد أفردت المسألة بالتأليف ، وحظيت بالتصنيف ، وفي هذا القدر كفاية ، والله ولي الهداية[18]) . انتهى .

فكتبنا نحن أيضاً على ذلك النسب بعد الطلب هذه الأبيات[19] : [من الخفيف]

نَسَبٌ أَشْرَقَتْ بِهِ الأَنْسابُ ... شَرَّفَ كُلَّهُ وَقَدْرٌ مُهابُ
تَتَسامَى بِهِ جُدودٌ عِظامٌ ... هُمْ لِبَيْتِ الكَمالِ والعِزِّ بابُ
واتِّصالٌ بِهِ بِغَيْرِ انْفِصالٍ ... وَهْوَ حَقٌّ جَميعُهُ وَصَوابُ
وَمَعالي للهاشِمِيَّةِ تُعْزَى ... نِسبَةٌ حَشْوُ أَهْلِها آدابُ
وَبِها أَحْمَدُ الذي جاءَهُ مِنْ ... أَحْمَدِ المُصْطَفى النَّبِيِّ اقْتِرابُ
رَوْنَقُ العِزِّ والكَمالاتِ يَحوي ... ودُعاءٌ يَكونُ مِنْهُ مُجابُ
قَدْ رَآهُ عَبْدُ الغَنِي فَقَرَّتْ ... عَيْنُهُ حَيْثُ كانَ مِنْهُ الخِطابُ
لَمْ يَزَلْ أَهْلُهُ الكِرامُ قِياماً ... بِالكَمالاتِ ما اسْتَهَلَّ سَحابُ
وَجَميعُ الأَنامِ تَقْبِسُ مِنْهُمْ ... نُورَ سِرٍّ حارَتْ بِهِ الأَلْبابُ
ما تَغَنَّتْ عَلى الغُصونِ حَمامٌ ... وَشَجانا بِنَوْحِهِ الدُّولابُ[20]

[٧٣/ب]

نصائح شعرية

وقد طلب منا في هذا اليوم عمر بن محمد[21] سعادة أن نكتب له شيئاً من النصائح الإلهية ، فكتبنا له قولنا من النظام ، على حسب المقام[22] : [من الرمل]

كُنْ عَلَى الصِّدْقِ مُقيماً والأَدَبْ ... والزَمِ العِلْمَ بِفَهْمٍ وَطَلَبْ

(١٧) ن : (وكذلك) .

(١٨) بعدها في المسودة : (حرّره اسماعيل النابلسي الحنفي) .

(١٩) الأبيات في المسودة وقبلها : (بسم الله والحمد لله) .

(٢٠) بعده في المسودة ل ٢٢ : (ووقفنا في هذا اليوم على كتاب عن بعض الأصحاب سماه : الدر الثمين المنظوم فيما ورد في مصر وأعمالها بالخصوص والعموم ، تأليف الشيخ علي بن داود الخطيب الجوهري الحنفي ، وهو كتاب مختصر لطيف نحو الخمس كراريس) .

(٢١) ليست اللفظة في ق .

(٢٢) الأبيات في المسودة ل ٢٣ .

واتَّقِ اللهَ بقلبٍ خاشعٍ	واجْتَنبْ ظُلْمَةَ أنْواعِ السَّبَبْ
وَانْظُرِ النُّورَ الّذي في طَيِّهِ	حَيْثُ أدْنَى بالأقاصي وَاقْتَرَب
وَتَوَكَّلْ في المَهَمّاتِ عَلى	خالِقِ الخَلْقِ تَنَلْ أعْلَى الرُّتَبْ
وَتَوَسَّلْ كُلَّ وَقْتٍ في الذي	أنْتَ راجيهِ بِهِ تَلْقَى الأرَبْ
ثُمَّ لا تَنْسَى هُنا عَبْدَ الغَنيْ	مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ فاللهُ يَهَبْ
وَصَلاةُ اللهِ رَبّي لَمْ تَزَلْ	مَعْ سَلامٍ لنبيٍّ مُنْتَخَبْ
وَكَذاكَ الآلِ مَعْ أصْحابِهِ	عُصْبَةِ الحَقِّ ومَنْجاةِ الكُرَبْ
وَشُيوخِ الصِّدْقِ أربابِ الحجا	من بِهِم تُجْلَى عن الناسِ النُّوَبْ
أمَدَ الأزْمانِ ما غَرَّدَ في	دَوْحِهِ الطائِرُ فاهْتاجَ الطَّرَبْ[٢٣]

---

(٢٣) في هامش ت : « بلغ مقابلة » .

اليوم الثامن والثلاثون

١١٠٥/٢/٩ هـ = ١٦٩٣/١١/٧ م

ثم بتنا تلك الليلة في أتم سرور فلما أصبحنا في يوم السبت الثامن والثلاثين ، وهو التاسع من صفر ، دعانا بعض الأصدقاء إلى داره المحروسة ، فَتَمَلَّيْنا بطَلْعَتِه المأنوسة .

مقام المجذوب

ثم عزمنا على المسير[1] إلى زيارة الولي الكبير ، والعالم الشهير ، الشيخ أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي ، رحمه الله تعالى . فسرنا ومررنا في الطريق على قبة صغيرة يقال لها : مقام المجذوب فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

قبة شيخ الظهرة

ولم نزل سائرين إلى أن مررنا على قبة في رأس جبل عال يقال لها شيخ[2] الظهرة دفن فيها رجل من أهل النوبة ، أرباب الكمال والأوبه ، فقرأنا الفاتحة .

مزار الشيخ الأوزاعي

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى مزار الشيخ الأوزاعي ، فدخلنا إليه فإذا هو على شكل الصور ، وقد عمرّته امرأةٌ من بيت سيفا وفي داخل المزار مكان عليه قبة ، وفيه محراب ، وعليه الهيبة والوقار والجلالة . وعلى الجانب الأيسر من المحراب طاقة صغيرة ، تدلّ على قبر الشيخ ، وهو مدفون تحت الحائط القبلي ، وقبره ظاهر إلى الخارج ، يشبه قبر كعب الأحبار الذي زرناه في حمص المحروسة[3] ، فقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

وقد وقفنا في بيروت على كتابٍ مستقلٍّ في ترجمته مُسمًّى بكتاب محاسن [٧٤/أ] المساعي في ترجمة أبي عمرو الأوزاعي[4] ، قال فيه[5] :

(هو أبو عمر وعبد الرحمن[6] بن عمرو وبن يُحْمِد — بضم الياء المثناة تحت ،

---

(١) ق : (السير) .

(٢) ن : (الشيخ) وفوق السطر في ق لفظة (قبة) .

(٣) انظر اليوم الثامن من هذا الجزء .

(٤) نشر هذا الكتاب الأمير شكيب أرسلان وطبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

(٥) محاسن المساعي ٤٦ — ٧٠ بتصرّف حذفاً وتغييراً .

(٦) ترجمته في طبقات خليفة ٨٠٨/٢ — ٨٠٩ ، وتاريخه ٦٦٦/٢ ، والتاريخ الكبير ٣٢٦/٥ ، والمعارف ٢١٧ ، وتاريخ أبي زرعة (في مواضع كثيرة ، انظر الفهرس) : والجرح والتعديل ٢٦٦/٥— ٢٦٧ ، وتاريخ أسماء الثقات ١٤٩ ، وحلية الأولياء ١٣٥/٦ ، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٧٦ ، والفهرست ٢٢٧ ، وصفة

وسكون الحاء المهملة ، وكسر الميم[٧] الأوزاعي الدمشقي وكان[٨] اسمه عبد العزيز فسمى نفسه عبد الرحمن والأوزاع بطن من حِمْيَر من ذي الكلاع ، [٩]وقال بعضهم[٩] الأوزاع قرية خارج باب الفراديس من قرى الشام وقد اتصل بها العمران ، فجُهلت وهي في دمشق فيما يُرى الآن هي العقيبة الكبرى[١٠] .

[١١]وأصله من سبي الهند[١١] ، فنزل الأوزاع ، فغلب عليه النسبة إليها[١٢] .

وقال ابن جوصا : إنما قيل له الأوزاعي لأنه من أوزاع القبائل . ولد في بعلبك سنة ثمانٍ وثمانين . ونشأ في البقاع يتيماً فقيراً في حجر أمه وكانت[١٣] تنتقل به من بلد إلى بلد ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقلَ منه ولا أورع ولا أعلمَ ولا أنصحَ ولا أوقرَ ولا أحلمَ ولا أكثر صمتاً منه ، ما سمعت منه[١٤] كلمة قط إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها .

كان[١٥] فوق الربعة خفيف اللحية يخضب بالحناء وكان به سمرة .

وقد سمع الحديث من يحيى بن كثير ، وانقطع إليه ، فأرشده إلى الرحلة إلى البصرة ، فسمع من الحسن وابن سيرين ، وساد أهل دمشق في زمانه وكذلك سائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام . وقد أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم .

وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين كمالك بن أنس ، والثوري والزهري ، وهذا من رواية الأكابر من الأصاغر ، فإن الزهري من التابعين والأوزاعي ليس كذلك .

الصفوة ٢٢٨/٤ ، والأنساب للسمعاني ٥٣ ، وتاريخ دمشق ٣٤/١٠ أ — ٥٣ ب ، ومعجم البلدان (الأوزاع) ، وتهذيب الأسماء واللغات ٢٩٨/١ — ٣٠٠ ، ووفيات الأعيان ١٢٧/٣ — ١٢٨ ، والمختصر في أخبار البشر ٧/٣ ، والعبر ٢٢٧/١ ، وتذكرة الحفاظ ١٧٨/١ ، وسير أعلام النبلاء ١٠٧/٧ — ١٣٤ ، ومرآة الجنان ، والبداية والنهاية ١١٥/١٠ — ١٢٠ ، وتهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ ، والشذرات ٢٤١/١ — ٢٤٢ ، والأعلام ٩٤/٤ ، ومعجم المؤلفين ١٦٣/٥ .

(٧) بعده في المطبوع والمسودة (كذا قيّده ابن خطيب الدهشة وغيره) .

(٨) في المطبوع والمسودة : (وقال ابو زرعة الدمشقي : وكان) .

(٩ — ٩) مكانهما في المطبوع في المسودة : (قاله محمد بن سعد) .

(١٠) بعدها في المطبوع و المسودة : (والله أعلم) .

(١١ — ١١) لم يرد ما بين الرقمين في المطبوع .

(١٢) كذا في الأصول جميعاً . وفي المسودة : (السند) .

(١٣) ق : (وكانت أمه) .

(١٤) ق : (منه قط كلمة) .

(١٥) الصفات البدنية جاءت في حاشية المطبوع رقم ١ .

روى له أصحاب الكتب الستة أصول الإسلام ، أجمع المسلمون على عدالته ، وإمامته وجلالته ، وعلو مرتبته ، وكمال فضيلته ، وزهده وورعه وعبادته ، وقيامه في الحق وكثرة صدقه[16] وفقهه وفصاحته ، واتباعه للسنة ومجانبته للبدعة ، واعترفوا بعلو مرتبته وارتفاع شأنه[17] .

وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مئتي سنة[18] .

وقد حج الأوزاعي مرة ، فدخل مكة ، وسفيان الثوري آخذ بزمام جمله ، ومالك ابن أنس يسوق به ، والثوري [74/ب] يقول : أفسحوا للشيخ ، حتى أجلسوه عند الكعبة ، وجلسوا[19] بين يديه يأخذون عنه .

أفتى[20] الأوزاعي في سبعين ألف مسألة بحدثنا وأخبرنا .

كان[21] يبكي كل ليلة حتى يبل الحصير من بكائه .

نزل الأوزاعي بيروت مرابطاً بأهله وأولاده . قال الأوزاعي : وأعجبني ببيروت أني مررت بقبورها فإذا امرأة سوداء في القبور ، فقلت لها : أين العمار ؟ فقالت : إن أردت العمار فهي هذه ، وأشارت إلى القبور . وإن كنت تريد الخراب فأمامك . وأشارت إلى البلد فعزمت على الإقامة فيها .

وقال أبو مسهر[24] : بلغنا أن سبب موت الأوزاعي أنه دخل الحمام وفيه كانون ، فيه نار وفحم ، فأغلقت امرأته أو غيرها عليه باب الحمام ، فلما هاج الفحم صغرت نفسه ، وعالج الباب ليفتحه فامتنع عليه . فوجد ميتاً موسَّداً واضعاً يده اليمنى تحت خده ، وهو مستقبل القبلة[22] ، ثم إنَّهُ[23] لما فُتح باب الحمام حضر الناس لأجل غسله وتكفينه . فوجدوه مُغسَّلاً مُكَفَّناً ، غسَّلته الملائكة وكفَّنته . ثم إن الناس حملوه إلى

---

(16) في المطبوع 62 : (صدقته).

(17) في المطبوع 62 : (واعترافهم بارتفاع مرتبته وعلو شأنه) .

(18) في المطبوع 62 : (مئتي سنه وعشرين سنه) وفي المسودة (من مئتين وعشرين سنة) .

(19) في المطبوع 62 ، والمسودة ل 24 (حتى أجلساه عند الكعبة وجلسا بين يديه يأخذان عنه) .

(20) الخبر في المطبوع ص 66 .

(21) الخبر في المطبوع ص 70 .

(22) بعدها في المسودة (رحمه الله تعالى) .

(23) ليست اللفظة في ن .

الخارج ، ووضعوه في النعش وأرادوا حمله ، فطار بين السماء والأرض فاستمر الناس يَغْدُون خلفه ، حتى وصلوا إلى محلّ قبره المشهور في هذا اليوم ، فوجدوا النعش فارغاً ما فيه أحد ، وقبره مردود عليه التراب .. وقد دفنته الملائكة الكرام . فبكت المسلمون في ذلك اليوم بكاءً شديداً لما رأوا من كرامته .

ودفن خارج بيروت على شاطىء البحر ، في الصنوبر بأرض قرية يقال لها حنتوس بالحاء والنون ، والتاء بعدها واو وسين مهملة ، وهو مدفون في قبلة[٢٥] حائط مسجدها . وأسلم في يوم موته من اليهود والنصارى نحو[٢٦] من ثلاثين ألفاً .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير: لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً . قال العباس ابن الوليد البيروتي : توفي[٢٧] الأوزاعي يوم الأحد أول النهار لليلتين من صفر سنة سبع وخمسين ومئة ، هذا الذي عليه الجمهور ، وهو الصحيح[٢٨] . ولم يبلغ من العمر سبعين سنة ، وقال غيره جاوز السبعين . والأصح أن عمره سبع وستون سنة . لأن مولده في سنة ثمان وثمانين على الأصح .

النابلسي يمدح الأوزاعي

ثم إننا نظمنا في ذلك المقام [٧٥/أ] أثناء الزيارة مدحاً لجناب هذا الإمام الهمام ، شيخ المسلمين والإسلام ؛ وعلى الله القبول ، ببركة الرسول[٢٩] : [من الخفيف]

اتْحفَتْنا زيارَةُ الأَوْزاعي ... عندَ بَيْروت بالضّيا والشعاعِ

إذْ قَصَدْنا لها عَشيَّةَ يَوْمٍ ... كان فيه بمن أحب اجتماعي

حَضرةٌ تملأُ القلوبُ سُروراً ... وابتهاجاً بأمر ربٍّ مطاع[٣٠]

حضرةٌ نورُها يزيد فيُهدي ... في الدّياجي بسرعة الالتماع[٣١]

حضرةٌ يدركُ المُنَى مَنْ أتاها ... حيث منها دعا إلى الله داعي

شطٌّ بَحْرٍ عليه للعلم بَحْرٌ ... طافحٌ بالكمالِ والانتفاعِ

(٢٤) الخبر في المطبوع ١٥٩ — ١٦٣ .

(٢٥) ن : (بقبلة) .

(٢٦) في المسودة والأصول (نحواً) وما هنا يتطلبه النحو) .

(٢٧) بعده في ق (الإمام) .

(٢٨) بعده في المسودة (إن شاء الله تعالى) .

(٢٩) الأبيات في المسودة ل ٢٥ .

(٣٠) جاء هذا البيت في ق بعد الذي يليه .

(٣١) ن : (بسرعة الاجتماع) .

كانَ للهِ عَابــــداً بـــــاجتهادٍ تابعـــــاً للكتـــــابِ والإجماعِ
يـا أبـا عمـرو الـذي عَمَّرتَنـا زورةٌ منـه عنـد خير البقـاعِ
يـا أبـا عمـرو الرَّفيـع مَقامـاً طـالما كـنتَ راغبـاً في اتّضاعِ
يـا أبـا عمـرو العـظيم المزايـا عند ربِّ الوَرَى الكريمِ المساعي
قـد أتَيْنـا إلـيكَ والجسمُ واهٍ نَشْتكي ما أهمَّ والقلبُ واعـي
نَترَجّـى بكَ القبـولَ عسانـا نُدرِكُ القَصْدَ منك بـالإسراعِ
وَنَحـوزُ الـذي نُؤمّـلُ فَضْلاً وحصولُ الشِّفا مـن الأَوْجـاعِ
زادَكَ اللهُ هَيْبَـــةً ووقـــاراً وَرَعَـى اللهُ منكَ تُرْبَـةَ راعـي
يحفـظ العَهْـدَ والمواثيـقَ فينـا باعُـه بالعطـاء أطـولُ بـاعِ
وَعَلَـيكَ الـرِّضا مـن الله يتلـو رَحْمَـةَ لا تـزالُ ذات اتّساعِ
ما تَغَنَّى عبدُ الغَنيِّ بمَدْحٍ[٣٢] في معالـيك رائـق الاختـراع
وسَرَت نَسْمَـةٌ بأطـيب ريـحٍ وَهَفَـا نـورٌ بـارقٍ لمّـاعِ

وقلنا أيضاً كذلك في ذلك المقام من لطيف النظام[٣٣] : [من الكامل]

كُنّا بـبيروتِ الأنـيسةِ في الهنـا بالأكرمينَ وَمُذْ دعانـا الدّاعـي
نِلْنـا المَقَاصِدَ والمُنَى وَتوَزَّعَتْ عَنّـا الهمـومُ بـزَورةِ الأَوْزاعـي

إجازة وشعر

وحضر عندنا في ذلك المزار المبارك رجل من فقراء السادة الرفاعية وأخرج لنا إجازة في طريقة ذلك عن مشايخه . وطلب منا الكتابة عليها فكتبنا بحسب البديهة قولنا من الدوبيت :

قَـدْ شَرَّفَنـا الإلــهُ بالتّوفيـقِ حَتّـى نِلْنـا الكَمـالَ في التّحقيـقِ
مـن لَثْـمِ إجازةٍ بها قَدْ أضحـى مَنْ جاءَ بها في ذروة[٣٤] التصديق

---

(٣٢) في الأصول جميعاً (بمديح) ولا يستوي بها الوزن ، وما هنا عن المسودة ل ٢٥ .
(٣٣) البيتان في مسوّدة المؤلف ل ٢٥ .
(٣٤) ق : (زورة) .

اليوم التاسع والثلاثون

١١٠٥/٢/١٠ هـ = ١٦٩٣/١١/٨ م

ثم بتنا هناك تلك الليلة في أتم سرور . وأعم[١] حبور إلى [٧٥/ب] أن أصبح الصباح . ونادى مؤذن الفلاح ، وكان ذلك اليوم يوم الأحد التاسع والثلاثين وهو العاشر من صفر[٢] .

جبل ابن معن

فسرنا إلى جهة الجبل المعروف بجبل ابن معن وكان سبب ذلك لأن هناك في قرية معروفة بدير القمر صديقنا المُكَرم ، الموصوف بمحاسن الشيم ؛ إبراهيم[٣] ، وأخاه مفخر الأعيان خليل آغا من أعيان القول[٤] الشامي ، وأرباب القدر السامي ؛ لما صار عليهما من طائفة الينكجرية[٥] ما صار من الفتن والمحن الكبار . وكان بيننا وبينهما في دمشق مودة أكيدة . ومحبة شديدة . فقصدنا زيارتهما . وتلافي خاطرهما .

قرية عيناب

فلم نزل سائرين[٦] إلى أن[٦] مررنا على قرية عيناب بالعين المهملة والياء المثناة التحتية والألف والباء الموحدة ، فنزلنا هناك حصةً من الزمان ، نحن والاخوان ؛ وأكلنا ما تيسر من الزاد ، وقد كفى الله مولانا وزاد .

(١) ن : (وأتم) .

(٢) ق . (صفر الخير) .

(٣) ق : (إبراهيم آغا) .

(٤) القول أصلها (القبيقول) وهي محرفة عن التركية (قبو قولي) ومعناها عبيد الباب ويقصد به جند السلطان أو حرسه . حوادث دمشق اليومية ٥ هـ ٢ .

(٥) الينكجرية هي الانكشارية محرفة عن اللفظة التركية (أوجاق اليرلية) ومعناه: الجند المحلية . انظر حوادث دمشق اليومية ، هـ ٢ والفهرس وقد حدث في هذا القرن نزاع بين القبيقول والانكشارية أي بين الجنود المحلية وجنود الدولة .

(٦ — ٦) مكانهما في ق : (حتى) .

نهر القاضي

ثم سرنا بين تلك الجبال الشامخات . والتلال العاليات ، والأودية والمنحدرات ؛ إلى أن وصلنا إلى النهر المسمى بنهر القاضي ، وعليه جسر[٧] عظيم فنسينا عنده ذلك التعب الماضي ؛ ونزلنا وصلينا الظهر هناك بالجماعة ، وأحيينا تلك الأماكن الميتة بفقد الطاعة .

قرية دير القمر

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية دير القمر التي هي منزل الأمير أحمد المعروف بابن معن ، فخرج إلى لقائنا[٨] صديقنا حضرة إبراهيم آغا المذكور سلمه الله تعالى ، ومن معه من الجماعة ؛ فحصل لنا ولمن معنا كمال السرور بلقائه تلك الساعة . ونزلنا معه هناك في جامع غريب ، فيه محراب ومنبر بلا إمام ولا خطيب ؛ ولا عجب في سياحتنا هذه من مرورنا بالبلاد الظلمانية ، ورؤيتنا لوجوه من فيها من المخالفين للملة الإسلامية ؛ فإن النبي ﷺ ليلة إسرائه مرَّ على نار[٩] جهنم ، ورأى جماعات من أهلها كما ورد في الخبر الصحيح المسلم ؛ واشتملت سياحته على عالم الظلمة والنور ، وكمل له التجلي الإلهي في مراتب البطون والظهور ، حتى ورد أنه عليه السلام[١٠] صلى ببيت لحم عند إتيانه لبيت المقدس ، والبلاد يومئذ جميع أهلها كافرون . وظاهرها[١١] بظاهر ضلالهم [٧٦/أ] متنجس ؛ وهذا من ضرورة الاجتماع في عالم الملك الأدنى ، وإن حصل من الملكوت الأعلى ، على قاب قوسين أو أدنى .

شعر في دير القمر

ولنا في قرية دير القمر ، من النظام حينئذ بحسب واردٍ قد أمر[١٢] : [مجزوء الرجز]

مـا مِثْـلُ دَيْـرِ القَمَـرِ	إلا سَمـــاءِ القمـــرِ
كَـمْ مُرْتَقَـىً مرتفـع	ومَهْبِـطٍ منحــدرِ
بَيْـنَ جبـالٍ شامخا	تٍ من صخورِ الحجرِ

(٧) ل : (وله جسر) .
(٨) ق : (للقائنا) .
(٩) ليست اللفظة في ن .
(١٠) في ل : (عليه الصلاة والسلام) .
(١١) ن : (وظاهرهما) .
(١٢) الأبيات في المسوّدة ل ٢٥ .

في طـــرقٍ مُنْدَوْبـــا ، تِ كـــقِسيِّ الوَتَـــرِ
إذا قَطَعْنـــا جَبَـــلاً فَغيْـــرُه في الأثَـــرِ
وَإنْ هَبَطْنـــا وَادِيـــاً كانَ سِواهُ بـــالحَرِي
فمـــن يَـــرُمْ بالـــطيرا نِ قطعَـــهُ لَـــمْ يَطِـــرِ
جِئْنـــاهُ مِـــنْ بَيْـــروت نَبْتَغـــي لقـــاءَ مَـــعْشَرِ
مَـــعْشَرَ إخـــوانٍ لنـــا أولى ودادٍ أفخـــرِ
صَديُقنـــا الهُمـــامُ إبْراهيـــمُ صَدْرُ الأصدرِ
نَسْلُ الكرامِ(١٣) مَنْ غَدا مما يَشينُـــه بَـــري
وصنْـــوُهُ الخَليـــلُ ذُو القَـــدْرِ الجليـــلِ الأكْبَـــرِ(١٤)
أبْقاهُمَـــا إلهُنـــا في طيبِ عيشٍ عطـرِ
ما ضَحِكَ الرُّوضُ ومـا بـكتْ عُيـونُ المَطَـرِ

(١٣) ن : (نسل كرام) .
(١٤) بعده في المسوّدة :

وكُلُّهُـــمْ في مَلْجَـــإ ومَـــوْرِدٍ ومَصْدرِ
وهـــو الأميـــرُ أحمدٌ لـيثُ الكتيبـــة الجري
كهـف الرعايـة الـذي يـردُ كُـلَّ مفتـري
أبقـــا لـــه الهنـــا طـيب حـديث عطـرِ
بين الأنـــام شائعـــاً عنـــه ليـــوم المحشر

اليوم الأربعون

١١٠٥/٢/١١ هـ = ١٦٩٣/١١/٩ م

ثم لما أصبحنا في يوم الاثنين وهو اليوم الأربعون ، الحادي عشر من صفر .

أخبرنا[١] بعض الناس أنّ الشيخ الإمام العارف بالله تعالى علي بن ميمون[٢] مدفون في قرية يقال لها مَجدل مَعُوش[٣] بفتح الميم وضم العين المهملة بعدها واو وشين معجمة من جرد بلاد الجبل .

وأن الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ[٤] محمد بن عراق [٥] مدفون[٦] في قرية دير دُوْرِين — بضم الدال المهملة ، وسكون الواو[٤] ، وكسر[٤] الراء ، والياء المثناة التحتية الساكنة والنون ، من أعمال الشوف .

ولم يتسير لنا الذهاب إلى زيارتهما فقرأنا لهما الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

---

(١) في ت ، ن : (أخبر) وُرجحت رواية ق لأنها تطابق ما في المسودة ل ٢٦ .

(٢) هو علي بن ميمون بن أبي بكر بن يوسف الهاشمي أبو الحسن نور الدين الفاسي الحسيني المالكي المشهور بابن ميمون . ولد سنة ٨٥٤ هـ في فاس ، قاضٍ اهتم بغزو الأعداء والمرابطة في السواحل ، ورحل إلى المشرق ، فتوفي بدمشق سنة ٩١٧ وانظر الشقائق العثمانية ٢١٢ ودرر الحبب ج ٢/ق ٩٥١/٢ — ٩٦٠ ، والكواكب السائرة ٢٧١/١ — ٢٧٨ ، وجامع كرامات الأولياء ١٨٨/٢ — ١٩٠ والأعلام ١٨٠/٥ .

(٣) في درر الحبب أنها قرية من قرى دمشق وفي هامشه : (قرية من معاملة بيروت — قديماً — وتتبع اليوم مديريه شميا من محافظة الشوف بلبنان . انظر الكواكب السائرة ٢٧٧/١ ، وقاموس لبنان ٢٣٥) .

(٤ — ٤) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٥) هو محمد بن علي بن عبد الرحمن أبو علي شمس الدين بن عِرّاق الدمشقي . ولد سنة ٨٧٨ في دمشق ، وسكن بيروت ، وتصوف وحج فجاور بالحرمين ، وتوفي بمكة سنة ٩٣٣ هـ وله عدة مؤلفات . وانظر في ترجمته في الشقائق النعمانية ٢١٢ — ٢١٣ ودرر الحبب ١٠٠٦/٢ — ١٠٠٩ (أثناء ترجمة ابنه علي) والكواكب السائرة ٦٠/١ — ٦٨ ، والشذرات ١٩٦/٨ — ١٩٩ ، وجامع كرامات الأولياء ١٨٠/١ ، والأعلام ١٨٢/٧ ، ومعجم المؤلفين ٢١/١١ - ٢٢ .

(٦) هذا الخبر مبني على مجهول ، لم يتأكد النابلسي منه ولا ذهب لزيارته ، لأن أكثر الذين ترجموا لابن عراق أجمعوا على أنه دفن في أحد الحرمين الشريفين .

اليوم الحادي والأربعون

١١٠٥/٢/١٢ هـ = ١٦٩٣/١١/١٠ م

وبتنا تلك الليلة التي هي نهار عند أهل تلك البلاد ، ونهارهم هو الليل من كمال المخالفة ، واشتداد السواد ؛ فلما أصبحنا يوم الثلاثاء[١] وهو اليوم الحادي والأربعون الثاني عشر من صفر .

قبة عثمان الكردي

عزمنا على السير ، منطلقين من قفص الظلمة إلى فضاء[٢] الضياء انطلاق الطير ؛ فمررنا[٣] في ذلك الطريق الوعر المسالك ، وقطعناه بمعونة القدير المالك ، فرأينا قبةً بيضاء عظيمة ، يقال إنه دفن فيها الشيخ عثمان الكردي من عباد الله الصالحين . فزرناه وقرأنا له الفاتحة .

قبة يمون بن يعقوب

ثم سرنا حتى أشرفنا على قبة أخرى بيضاء ذات أنوار ، وعليها هيبة وجلالة [٧٦/ب] ووقار ؛ فذكروا لنا أنه دفن فيها سيدي يمون بن يعقوب نبي الله عليهما السلام . فقرأنا الفاتحة له[٤] ، ودعونا الله تعالى بما دعونا به .

قرية إشحيم

ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى قرية إشحيم — بكسر الهمزة في أوله ، وبعضهم يحذفها ، ثم شين معجمة ، وحاء مهملة ، بعدها ياء مثناة تحتية وميم : وهي من قرى صيْدا المحروسة .

---

(١) ق : (من يوم) .
(٢) ق : (قضاء) .
(٣) ن : (فزرنا) .
(٤) ليست اللفظة في ق .

اليوم الثاني والأربعون

١١٠٥/٢/١٣ هـ = ١٦٩٣/١١/١١ م

نبي الله روبين

فنزلنا هناك ، وبتنا تلك الليلة في أتم سرور ، وأكمل حبور ؛ ثم لما أصبحنا في اليوم الثاني والأربعين ، يوم الأربعاء الثالث عشر من صفر زرنا في تلك القرية نبي الله روبين على ما يقال وهو من أولاد يعقوب عليه السلام . فقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى عنده .

قبر الشيخ أرسلان

ثم سرنا فمررنا[1] على صفة صغيرة في جانب الطريق بها قبر يقال له قبر الشيخ أرسلان ، رجل من الأولياء الصالحين ، رحمه الله تعالى . وهو غير[1] الشيخ أرسلان الدمشقي المتقدم ذكره . فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى[2] .

نهر وسبعة أعين

ثم مررنا على نهر عظيم يصب في البحر . وعليه جسر معقود . كالعقد في النحر . ثم أقبلنا على السبعة أعين[3] ، وذلك المرج الأخضر ، ونزلنا ساعة فطاب لنا المجلس هناك والمحضر ، وقلنا في ذلك الروض الأنضر : [الهزج]

نزلنا من[4] حمى صيدا ... بماءٍ طَيِّبِ النَّبْعَهْ
فكانت أَعْيُنِ السَّبْعَهْ ... عَلَيْنا الأَعْيُنَ السَّبعهْ

صيدا

جامع الكتخدا

ثم سرنا إلى جهة البلاد ، فخرج إلى لقائنا جماعة من أهلها ذو الفضائل أمجاد ؛ ونزلنا في الجامع المعروف بجامع الكتخدا في حجرة هناك لطيفة ، ونحن في أنواع مسرات بنا مطيفة . وأضافنا تلك الليلة الشيخ الفاضل ، مفخر الأعيان والأفاضل[5] ، الشيخ محمد المعروف بابنُ قُطَيْش — بضم القاف ، وفتح الطاء المهملة ، والياء والشين المعجمة .

(١) ليست اللفظة في ن .
(٢) بعدها في ق : (عنده) .
(٣) ن : (سبعة أعين) .
(٤) ن : (نزلنا في) .

اليوم الثالث والأربعون

١١٠٥/٢/١٤ هـ = ١٦٩٣/١١/١٢ م

ثم لما أصبح الصباح ، وكان ذلك اليوم يوم الخميس الثالث والأربعين ، وهو الرابع عشر من صفر ، وردت علينا جماعات من الناس ، فحصل كمال اللطف والاستيناس .

ودعانا إلى ضيافته الشيخ الصالح الحاج حسين ، فذهبنا إلى داره المعمورة ، التي هي بأنواع الخيرات مغمورة .

ضريح الشيخ قاسم

ثم ذهبنا إلى زيارة [٧٧/أ] ضريح الشيخ قاسم من أولياء الله تعالى ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وقلنا في ذكر مديحه ، والتبرك بقبره وضريحه[١] :

إنّ صيْـدا تُـنير بالشيـخ قـاسمْ ... وبه ثَغْرُها مَدَى الدَّهْـر بـاسمْ

قَدْ ثَوَى منه في ذراهـا شهيـدٌ ... نـورُ أسراره بـدا في المواسمْ

رابضٌ كالهزبـرِ يحمـي حماهـا ... بحسامٍ صَلْتٍ من الحال حـاسمْ

ولقـد شاعَ ذكـرُه في إنـاسٍ ... رَسَمَ الحبُّ عندهـم منـه راسمْ

وشهيـدٌ لـه مقـامُ التناجـي ... فائـحٌ سره بـوردٍ ويـاسمْ[٢]

ينـجلي الكـربُ عـن مناديه لهفاً ... وبـأسراره تُـفكُّ الطـلاسمْ

رحمةُ اللـهُ لا تـزالُ عَلَيْـه ... كُـلَّ حيـنٍ بعاطـراتِ النَّـواسمْ

مـا شَدا طائـرٌ على غُصْنٍ بـانٍ ... وَجَرى الغيثُ هاطلاً في المراسمْ[٣]

ولقد حضر عندنا مفخرُ الأفاضل الشيخ محمد بن قُطَيْش المتقدم ذكره ، وأطلعنا على قصيدة لصديقنا الشيخ العالم الكامل عبد القادر المعروف بابن عبد الهادي[٤] العمري الدمشقي ، مدح بها الشيخ قاسم المذكور لما أتي إلى بلدة صيدا ، وزار الشيخ قاسم رحمه الله تعالى ، في سنة ثمان وتسعين وألف وهي قوله[٥] : [من الطويل]

---

(١) الأبيات في المسوّدة ل ٢٨ .

(٢) يقصد (وياسمين) .

(٣) ن : (المواسم) .

(٤) هو عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان بن جلال الدين بن تقي الدين أبو بكر المعروف بابن عبد الهادي العمري الدمشقي الشافعي ، شيخ المحبي ؛ له عدة مؤلفات توفي سنة ١١٠٠ هـ/١٦٨٨ م وانظر في ترجمته خلاصة الأثر ٤٣٧/٢ ـ ٤٣٨ . وريحانة الألبا ٥٨٦/١ ـ ٥٨٩ ، ومعجم المؤلفين ٥٨٥/٥ .

(٥) الأبيات في مسودة المؤلف ل ٢٧ .

خليلـــيَ في صيـــدا مطالـــع للفتـــحِ
وفي حُسنها طـــابَ النظـــامُ مـــع المدحِ
وسل[٦] عـــن شهيـــدِ الحقِّ ذلك قـــاسم
فـــإنّ بـــه طير الشهـــادةِ في صدحِ
وزُرْ قَبْـــرَه فهـــو الشهيـــدُ حقيقـــةً
وصالَ على الكُفّـــارِ بالسيـــفِ والرمـــحِ
لقـــدْ شَهِـــدَتْ منّـــا العيـــونُ بأنّـــه
غـــدا بمَقيـــلِ القَبْـــرِ حيّـــاً بـــلا مـــزحِ
تَقَلَّـــدَ بالسَّيْـــفِ الصَّقيـــلِ حَمائـــلاً
وَشَمَّ عَـــبيراً للجنـــانِ مـــع الفَتْـــحِ
كَـــأنَّ منـــارَ الفَـــيْضِ عنـــدَ مَقامِـــهِ
أشِقّـــةُ أنـــوارِ الشّهـــادِةِ في السَّفْـــحِ
فكَـــمْ مـــن أخـــي فقـــرٍ ألـــمّ ببابـــه
فصار غنيـــــــاً واسعَ الصَّدْرِ والشرحِ
شهيـــدٌ[٧] إذا لاحتْ بـــروقُ فيـــوضِه
يَطـــوفُ بها أهـــلُ الشهـــادةِ والـــنُّصْحِ
يمدّ على البحـــــرِ الخضمّ إفـــاضةً
فتجري به سفن الورى دون ما كدح
مَقـــامٌ بـــه ثَغْـــرُ الـــمَسَرّةِ بـــاسمٌ
وَيَضْحَكُ بالـرّضْوانِ أيْضاً مَـــعَ المَنْـــحِ
نَعِـــمْتُ بـــه عَـــيْشاً وشمتُ بُروقَـــهُ
وعايَنْتُ للرَّيْحانِ يا طـيب مـن نفـحِ
شهيـــدٌ كـــأنَّ النّـــورَ عِنْـــدَ ضَريحِـــهِ
يَطـــوفُ بآفـــاقِ المقـــامِ إلى الصُّبْـــحِ
وَأسْرارُه في البّـــرِ والبَحْـــرِ قَـــدْ بَـــدَتْ
لها أمَـــلُ الرّاجيـــنَ قَـــدْ جـــاء بالمَـــدْحِ

(٦) ن : (وسلها) .
(٧) ن : (شهيداً) .

[٧٧/ب] فخلنـــا وَضَوْءُ الشَّمْس عنـــدَ مقامِـــه
تَمُـدّ على كُـلّ الـوَرَى رايـةَ الفَتْـحِ
وقـــد قـــمت[٨] في ذاكَ المقــامِ تعلّـــةً
تَعلَّـــةَ أَشْواقِ القَتيــــلِ مــــن البرحِ
وَلي وقفـــةٌ في بـــاب عـــزّ نوالِـــهِ
لعلَّ بها أَرْجـو النَّـوالَ مـع الصَّفْـحِ[٩]
ولي حاجــــةٌ إلا إلــــيكَ أُبينُهــــا
عـن الـغير حاشاهـا تَـؤُولُ إلى السَّرحِ
فكُـنْ خاضِعـاً عنـد المزار لــه وكُـنْ
على قَـدَمِ الـنسَّاكِ للدمـعِ في سفـحِ
عُبَيْـدُكَ عَبْـدُ القـادِرِ العُمَـري الـذي
طريـحُ الأَسَى وافـاكَ للفَتْـحِ والنجـحِ

حنين بن يعقوب

ثم رأينا قبة بعيدة على جبل عالٍ ، يقال لذلك المدفون فيها سيدي حنين ، وهو مشهورٌ بذلك عند العامة وأنه من أولاد يعقوب النبي عليه السلام . وذكر لنا بعض أهل البلاد أن اسمه حنان ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا ﴾[١٠] . وذكر بعضهم أن المدفون هناك إنما هو جثة يحيى عليه السلام . فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى .

مقام صيدون

ثم ذهبنا إلى زيارة صيدون وهو كما ذكر الحافظ ابن عساكر في أوائل تاريخه لدمشق[١١] حيث قال : قال الشرقي بن نظامي : سميت صيدا التي بالشام بصَيْدون بن صيدقا[١٢] بن كنعان[١٣] بن حام بن نوح . انتهى .

(٨) ن : (وقد قلت) .
(٩) ن : (مع السفح) .
(١٠) سورة مريم ١٣/١٩ .
(١١) ن : (تاريخه الدمشقي) .
(١٢) كذا في الأصول ، وفي مختصر ابن منظور ٤٩/١ (صدقا) .
(١٣) ن : (بكنعان) .

فدخلنا إلى مقامه ، وفيه قبره ، وعليه قبة مبنية . وهناك جلالة وهيبة ووقار ، وفي خارج ذلك المكان بعض أشجار، وفيه الياسمين ولطائف الأزهار . فقرأنا له الفاتحة . ودعونا الله تعالى عنده .

ولعمري[١٤] فإن صيدا[١٥] من[١٦] أحسن بلاد الساحلَ الشامي ، ذات الإشراق التام والخير السامي ؛ وقد قيل إن أرضها تنبت العيون فعساهم أرادوا بذلك عيون النرجس ، أو عيون الماء ، أو عيون الناس ، أي أعيانهم ، أو تُقَوّي البصر ، وتحدّ النظر ، لصحة هوائها ، وطيب مياهها ، وللأديب ابن الساعاتي[١٧] وقد هرب غلام له فأمر أن يمر في نرجس صيدا[١٨] : [مخلع البسيط]

لله صَيْـدا[١٩] مِـنْ بـلادٍ	لَـم تُبْـقِ عِنْـدي هماً[٢٠] دَفينـا
نرجسُهـا حليـةُ[٢١] الفَيـافي	قَـدْ طَبَّـقَ السَّهْـلَ والحَزونـا
وكَيْـفَ يَنْجـو بـه هَزيـمٌ	وأَرْضُهـا تُنْـبتُ العُيونـا

(١٤) ن : (إن) .

(١٥) في هامش المسودة ل ، ٢٦ (فصل لأحمد بن شاهين في وصف صيدا قال فيه :
وأما صيدا ، فإنها بين البلاد أسد البيدا ؛ وما أدري كيف يذمها بعض الناس ، وأهلها يعوذونها من شر الوسواس الخناس ؛ ولعمري إنها بلدة لولا حرارة مائها وهوائها ، وبرودة أوضاعها وأبنائها ، لكانت جنة المأوى ، في الدنيا والأخرى ؛ اللهم إنا نسألك الإنصاف ، ونعوذ بك من التعصب والاعتساف . وكيف يشتم الإنسان بلدة إذا جلب إليها الماء البارد يكتسب حراره ، وإذا استجلب إليها العذب السائغ ينقلب إلى عفوصة ومرارة ، وهي كما قال أبو الحسن الباخرزي في مدح محاسن الري ولطف هوائها ومائها :

صادفت فيها كل شيء جائـزاً	أقصى حـدود البرد غير الماء

وكيف لا يمدح الماء الحار ، وهو الذي يجلب المشاكل ويدفع المضار ، وهو الذي ينفع في الحمام ، للاغتسال والاستحمام ، ويحلل الأورام ، وإن شئت فقل يجلب البرسام ، والسلام .

(١٦) . ليست اللفظة في ن .

(١٧) هو علي بن رستم بن هَرْدوز المعروف بابن الساعاتي ، الملقب بهاء الدين شاعر مشهور له ديوان في مجلدين وديوان آخر سماه (مقطعات النيل) ولد بدمشق سنة ٥٥٣ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٤ هـ وانظر في ترجمته مرآة الزمان ٣٧٥/٨ وطبقات الأطباء ١٨٤/٢ ، ووفيات الأعيان ٣٩٥/٣ — ٣٩٧ ، والعبر للذهبي ١١/٥ ، والشذرات ١٣/٥ ، والأعلام ١٥٠/٥ (وفيه علي بن محمد بن رستم) ومعجم المؤلفين ٩٢/٧ .

(١٨) البيتان في المسودة ل ٢٦ .

(١٩) ق : (لله در صيدا) ولا تناسب الوزن .

(٢٠) ن : (هنا) وهي تناسب الوزن دون المعنى ، وما هنا عن المسودة وت وق ، وهو يناسب المعنى دون الوزن إلا إذا خففت .

(٢١) ن : (حلة الغيافي) .

[٧٨/أ] وقد قلنا في شأن صيدا ، إطراء في الثناء عليها وتأييداً[٢٢] : [من الخفيف

صادَ قلبي هَوَى الأحبة صَيْدا عِندما جئتُ قاصِداً أَرْضَ صَيْدا[٢٣]

بلدةٌ طابَ رونقُ البحر فيها فأزالتْ عنّا من الهم قَيْدا

أَعْجَبَتْني لطافةُ الماءِ فيها والهواءُ الذي انبرى تَرْديدا

ساحلٌ مطلقُ الجوانبِ غَضٌّ يقذفُ الدرَّ من حصاهُ نَضيدا

فيه صحبٌ لنا هناك كرامٌ كلُّ شهمٍ منهم يلوحُ فريدا

يحفظونَ الودادَ بالصِّدقِ حتّى مَنْ أتاهم لا يعرفُ التَّنكيدا

صانَهم ربُّهم وخصَّ جِماهُمْ بالمَعالي[٢٤] فلا يزالُ مشيدا

أَمَدَ الدَّهْرِ ما النّسائِمُ هَبَّتْ وسَمِعْنا طَيْرَ الرُّبا الغِرّيدا

زيارة أبي الرَّوْح

ثم ذهبنا إلى زيارة أبي الرَّوْح . وهو شَبِيبُ بن ذي الكَلاَعِ أبو رَوْح صحابي مختلف في صحبته . قال صَلَّيْتُ خلفَ رسول الله ﷺ الصُّبْحَ ، فقرأ فيها بالرُّوم ، وتردَّد فيها في آية . أخرجه أبو عمر بن عبد البر ، وقال : هذا مضطرب الإسناد . روى عنه عبد الملك بن عُمَيْر . كذا في أسد الغابة في أخبار الصحابة[٢٥] .

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة في أخبار الصحابة[٢٦] في القسم الرابع منه بعدما ذكر عبارة أسد الغابة قال : قلت المعروف أنه شبيب بن أبي روح [أو شبيب ابن نعيم أبو روح][٢٧] الكلاعي الحمصي . هكذا ذكره البخاري[٢٨] وغيره . وبالثاني جزم ابن أبي حاتم[٢٩] وقال : إنه حمصي[٣٠] وحاظي ، وأنه روى عن أبي هريرة أيضاً ، وعن يزيد بن خمير[٣١] ، وروى عنه حريز[٣٢] بن عثمان وجماعة .

(٢٢) الأبيات في المسودة ل ٢٧ .
(٢٣) ن (صار قلبي ... الروض صيدا) .
(٢٤) ن : (بالمعاني) .
(٢٥) انظر أسد الغابة ٥٠٤/٢ ففيه نقص عما هنا .
(٢٦) انظر الإصابة ١٧٠/٢ .
(٢٧) ليس ما بين الحاصرتين في الأصول ، واستدركته عن الإصابة .
(٢٨) انظر التاريخ الكبير ٢٣١/٤ .
(٢٩) انظر الجرح والتعديل ٣٥٨/٤ .
(٣٠) في الأصول جميعاً : (جهني) تصحيف ، وما هنا عن الإصابة والجرح والتعديل .
(٣١) في الإصابة (يزيد بن حميد) وما هنا عن الجرح . وانظر في تهذيب التهذيب ٣٢٤/١١ .
(٣٢) في الأصول جميعاً والإصابة (جرير) وهو تصحيف، وإنما هو حريز بن عثمان الرحبي المشرقي أبو عثمان ويقال أبو عون الحمصي . وانظر ترجمته في الجرح والتعديل ٢٣٧/٢ .

وأما الحديث فأخرجه ابن قانع هكذا وسقط من إسناده رجل . وقد رواه الحافظ[٣٣] من طريق عبد الملك بن عُمَيْر ، عن شبيب[٣٤] أبي روح ، عن رجل له صحبة . ومنهم من سمّاه يعني ذلك الرجل الأغر وتفرّد أبو الأشهب بإسقاط الصحابي . فصارت روايته محتملة[٣٥] عند من ذكر شبيباً في الصحابة وهو وهم . انتهى .

فدخلنا إلى ذلك المقام ، وابتهجنا بزيارته مع الإجلال والإكرام ؛ ومكانه مكانٌ لطيف الفِناء ، عذب الماء ؛ وهناك أشجار وأزهار ، وأسرار وأنوار ؛ وعليه قبة معقودة ، وبهجة مشهودة . فقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء . وجلسنا هناك حصة من الزمان ، نحن ومن كان معنا من [٧٨/ب] الإخوان ؛ وحصل لنا كمال الصفاء والسرور ، وغاية النشأة والحضور ؛ وقلنا في ذلك من النظام ، عند ذلك المقام[٣٦] :

[من الخفيف]

يا أبا الرُّوحِ أنتَ للرّوحِ رُوحُ ... حَيْثُ عَرْفُ الكَمالِ فيكَ يَفوحُ
قَدْ أتَيْنا نَزورُ منكَ ضَريحاً ... طائرُ السرّ في ذُراه يَنوحُ
مشهدٌ مُشْرِقٌ بَدا ومَقامٌ ... كُلُّ قَلْبٍ بنورِهِ مَشْروحُ
وجَلَسْنا هُناكَ في حَضَراتٍ ... لاحَ فيها المُنَى وبانَ الفُتُوحُ
ومياهٌ لَطيفةٌ ورِياضٌ ... تَتَفَيّا خِلالَهنَّ الطُّلوحُ
مَعَ صَحْبٍ هُمُ الكواكِبُ نوراً ... عندَهُمْ باللّقاءِ تبرا الجُروحُ
لَمْ تَزَلْ رَحْمَةُ المُهَيْمنِ تَغْدو ... نَحْوَ مَنْ ثَمَّ رابضٌ وتَروحُ
مِنْ قُبورٍ لِلصالحين عظامٍ ... طَرْفُ مَنْ جاءها إليها طَموحُ
ما تَمَشّى النّسيمُ بَيْنَ رياضٍ ... طَيْرُها في ذُرَى الغُصونِ يَنوحُ[٣٧]

دير بيسيم ونبي الله داود

ورأينا في حال ذهابنا إلى زيارة أبي الرُّوح المذكور قبة عظيمة تلوح من بعيد ، كأنها كوكب في سماء من المهابة والتمجيد ؛ فذكروا لنا أن هناك قرية يقال لها دَيْر بِيْسِيم — بكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء التحتية ، وكسر السين المهملة ، وسكون الياء التحتية والميم — : من أعمال صيدا ، وأن المدفون في هذه القبة هو نبي الله داود عليه

(٣٣) كذا في الأصول وفي الإصابة (الحفاظ) .
(٣٤) ق : (شبيب بن أبي روح) وانظر الإصابة .
(٣٥) في الإصابة (معتمد) .
(٣٦) الأبيات في المسودة ل ٢٦ و ٢٧ .
(٣٧) في المسودة : (أوشجا الصب منه طير ينوح) .

السلام . فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى .

مباحثات ومذاكرات

وقد اجتمعنا في صيدا المحروسة بمفتي السادة الشافعية هناك وهو الشيخ الفاضل ، حاوي الفضائل والفواضل ؛ الشيخ رضوان[٣٨] ابن الحاج يوسف الصباغ المصري الدمياطي . وجرت بيننا وبينه مذاكرات علمية ومباحثات فقهية .

وقد أخبرنا لطف الله به أنَّهُ رأى النبي ﷺ في المنام سنة اثنتين ومئة وألف ، قبل أن نجتمع به بثلاث سنين في الجامع الكبير العمري بصيدا ، ورأى الناس مزدحمين عليه ، وشخص يقول له : يا رضوان بصريح اسمه ادخل وكلّمْ الرسول ﷺ . قال : فدخل معه فرأى النبي ﷺ ، فخاطبه الرسول وقال له : يا فلان وذكر اسمه ، أخرج قُلْ عني : قال رسول الله ﷺ : عِشْ ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، وأعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به. فخرج وبلغ كما ذكر له النبي صلى الله [٧٩/أ] عليه وسلم . انتهى .

قلت : وقد ثبت له رواية هذا الحديث عن النبي ﷺ بطريق السماع كما ذكر نظير ذلك من غيره من أئمة الحديث . وقد صنّفْنا في هذه المسألة رسالة مستقلة جواباً عن سؤال سألنا إياه بعض علماء المدينة المنورة كما سنذكره في محله ، ونحن سمعنا هذا الحديث أيضاً ممن سمعه من النبي ﷺ فلنا روايته عنه بالسماع .

وقد أنشدنا نحن على البديهة لنا هذا المقام من التخميس لأبيات أبي نُوَاس[٣٩] الحسن ابن هانىء المشرقي ، وهو غير ابن هاني الأندلسي المغربي الشاعر المشهور : [من الطويل]

أَلا إنّهـا الدُّنْيـا بَـدَتْ بمهـالكِ ... لواقِـفِ حـالٍ في الـوَرَى ولسالِكِ
وَقَـد قُصِرَتْ أوقاتُهـا في ممالكِ ... ومـا الناس إلا هـالكٌ وابـنُ هـالكِ
وذو نسبٍ في الهالـكين عريـقُ

هي المحنةُ العُظْمى لمن هـي أتْلَفَتْ ... وقد أمرضت[٤٠] كلَّ الأنام وَما شَفَتْ
فكَمْ مهجةٍ يومـاً عـليها تلهَّـفَتْ ... إذا امتحـنَ الدنيـا لبـيبٌ تـكشَّفَتْ
لَـهُ عَـنْ عـدوٍ في ثيـابِ صديـقِ

---

(٣٨) هو رضوان بن يوسف الشهير بالصباغ المصري الأصل الدمياطي الحنفي المفتي بثغر صيدا ، أبو الجنان زهر الدين . أحاز له الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي بإجازة مطوّلة ذكرها في الرحلة الكبرى ، وذكر له رؤيا جليلة . ولم يذكر له سنة وفاة : انظر سلك الدرر ١١٧/٢ ، والورد الأنسي ل ١١٨ .

(٣٩) في الأصول والمسودة (أبي النواس) . وهو خطأ تسرب من اللهجة العامية . وانظر ترجمته في الشعر والشعراء ٣١٣ ، والأغاني — دار الكتب — ٦٠/٢٠ ، وتاريخ بغداد ٤٣٦/٧ ، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٧٧/٧ ، وأخبار أبي نواس لابن منظور ، ووفيات الأعيان ٩٥/٢ ، والأعلام ٢٤١/٢ .

(٤٠) في الأصول كلها : (أمرت) ، وما هنا عن المسوّدة ل ٢٧ .

اليوم الرابع والأربعون

١١٠٥/٢/١٥ هـ = ١٦٩٣/١١/١٣ م

ثم لما أصبحنا في اليوم الرابع والأربعين ، وهو اليوم[1] الجمعة الخامس عشر من صفر ، صَلّينا صلاة الجمعة في جامع كتخدا الذي نحن نازلون في الحجرة التي في خارجه مع إخواننا[2] ثم جلسنا بقرب المحراب منه وأقرأنا درساً عاماً في كتابنا الذي سميناه (كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين) وصارت أبحاث جليلة ؛ تشفي من الطالب غليله ، وتبري عليله .

ثم دعانا إلى داره حضرة المفتي الشيخ رضوان المذكور ، وقدم لنا الضيافة العظيمة ، غب المذاكرة العلمية ، والمطارحة الأدبية : وقد اجتمعنا ذلك اليوم بحضرة الوزير المكرّم جناب أحمد باشا محافظ ثغر صيدا المحروسة ، وحصل لنا عنده كال السرور بحضرته المأنوسة .

اليوم الخامس والأربعون

١١٠٥/٢/١٦ هـ = ١٦٩٣/١١/١٤ م

ثم لما أصبحنا في يوم السبت وهو[1] اليوم الخامس والأربعون[1] السادس عشر من صفر حضر عندنا قاضي بلدة صيدا ، وهو يومئذ جناب فخر العلماء ، ومجد الفقهاء ، محمد أفندي الرومي ، حضر معه جناب الديوان أفندسي ،[٧٩/ب] المنسوب إلى حضرة الباشا محافظ ولاية صيدا بقصد الزيارة ، فحصل لنا بهما كال الأنس في المذاكرة والمحاورة .

إجازة للمفتي الشيخ رضوان

وطلب منا في هذا اليوم حضرة المفتي وهو الشيخ رضوان المذكور أن نكتب له إجازة في جميع العلوم ، ليتأكد عنده الملفوظ بالمرقوم ؛ فكتبنا له هذه الإجازة وهي قولنا[2] :

---

(١) ق : (نحن وإخواننا) .

(٢) ق : (وهو يوم) .

(١ — ١) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٢) هذه الإجازة في المسودة ل ٢٨ — ٣٠ ، وأشار إلى هذه الإجازة الدكتور بكري علاء الدين في مسرده النقدي لمؤلفات النابلسي الذي نشره في مجلة المجمع مجلد ٩٧/٥٩ — ١١٥ و٣٣٤ — ٣٨٨ ، وقال إن المستشرق فون كريمر نشر هذه الإجازة لأول مرة عام ١٨٥٠م ، ثم نقحها وأعاد نشرها المستشرق غوستاف فلوغل عام ١٩٦٢ . مجلة المجمع ١٠٤/٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعل الإجازةَ سببَ الاتّصال ، من الخلف بالسلف في طريق الأسانيد العوال ، وأجرى بذلك ينابيع الفيض في قلوب القابلين من أرباب الأحوال . والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد[3] القائل : (مَنْ يُرِدِ اللهُ بهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدّين ويُلْهِمه رُشْدَهُ) ، يعني : يوصله إلى مقامات الجلال والجمال . ورضوان الله تعالى عن جميع أصحابه الكرام الظاهرين بعد الطاهرين[4] الآل ، وألمع سراب وآل ، ورجع عبدٌ إلى سبيل مولاه وآل ؛ وسلم تسليماً .

أما بعد : فإن العلم من أشرف فضائل الإنسان ، وهو المقام الذي ظهرت به مزيةُ هذا النوع الآدمي على غيره من الجماد والنبات والحيوان ؛ وقد استخدم الله تعالى به ملائكتَه الأكرمين في إيصال ذلك إلى نوعنا بمحض الكرم والامتنان ، ومن شرفه[5] روايته بالإجازة المتصلة عن المشايخ الكاملين من أهل العرفان ؛ فإن الطالب بالإجازة ، يدرك حقيقةَ العلم ومجازَهْ ؛ والراوي بها ولو لعلم[6] الشعر والأدب ، محصل للبركة والبهاء في علمه الذي إليه انتدب ؛ والعلوم كثيرة جداً متعددة الأنواع والأجناس، وكلها مطلوبة مرغوب فيها شرعاً إذا لم تشتمل على ما نهي عنه ووقع الذم له بين الناس ؛ ويكفي مدحةً للعلم قولُه تعالى في محكم الكتاب ، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يعلَمونَ وَالّذِينَ لَايَعْلَمُونَ إنّما يَتَذَكّر أُولُو الألْبَابِ ﴾[7] ؛ والعلم المطلق شامل لكل علم ، [8]فكل علم[8] محمود مرغوب فيه عند الطلاب ، ولو كان علم السحر ونحوه ممّا حضر أو غاب ، وإنما المذموم العملُ بمقتضى العلوم المنهي عنها شرعاً بمضرّة ونحوها والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

هذا وقد طلب منا صديقُنا الفاضل ، صاحب الفضائل والفواضل ، مفخر العلماء العاملين ، وتحفة الصلحاء الكاملين ؛ [٨٠/أ] الشيخ رضوان بن الحاج يوسف الصباغ المصري الدمياطي المفتي يومئذ بثغر صيدا المحروسة ، جعل الله ذاته[11] بالكمالات العلمية

(٣) في هامش ق : (صلى الله عليه وسلم) .

(٤) ليست اللفظة في المسودة .

(٥) ق : (شرفته) .

(٦) ق : (بعلم) .

(٧) سورة الزمر ٩/٣٩ .

٨ — ٨) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٩) سورة الصف ٤/٦١ .

(١٠) ن : (بالطول) .

(١١) ومما استدركه المرتضى الزبيدي على صاحب القاموس قوله في مادة (ثبت) : « والثَبتُ ، محركةً : الفهرس الذي يجمع فيه المُحدّث مرويّاته وأشياخه ، كأنه أُخذ من الحجّة ، لأن أسانيده وشيوخه حجّة له » .

والعملية مأنوسة ، أن نكتب له إجازة فيما لنا من العلوم ، عن مشايخنا الفضلاء الكاملين ، أصحاب الروايات والفهوم ؛ قصداً منه لحصول البركات ، فيما هو بصدده من حصول الفضائل ؛ وأنواع الكمالات تلميحاً بالمفهوم من إشارة قوله تعالى في محكم النصوص ، ﴿ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذينَ يُقاتِلونَ في سَبيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوص ﴾[9] ؛ ولا شكَّ أنَّ الصفَّ الواحد يتَّصل بعضٌ بالبعض ، فيكون محكماً في الطول[10] والعرض ؛ وتلويحاً بالحديث الشريف ، وهو قوله ﷺ : (ساوُوا المناكبَ بالمناكب ، وألصِقوا الكعابَ بالكعاب) ، أو كما قال ﷺ في تسوية الصفوف بمقتضى إشارة الخطاب ؛ فأجبناه إلى ما سأل وطلب من ذلك الأمر المرغوب ، وأجزناه في جميع ما لنا روايتُه من العلوم على حسب اختلاف الأنواع والضروب .

فمن ذلك ما هو ثابت في ثَبَتِ[11] الشيخ[12] الإمام ، والحبر الهمام[12] ؛ الشيخ محمد بن سليمان المغربي الذي جَمَعَه في بلادنا[13] دمشق الشام ، ورتبه[14] على حروف المعجم أكملَ ترتيب ، وأحسن انتظام ، وإن رَوَى فيه عن بعض مشايخنا من السادة الأئمة الكرام ، فإنا نرويه عنه بواسطة أخينا الفاضل ، جامع الكمالات والفضائل ، الشيخ[15] إبراهيم بن عبد العزيز[16] ، والشيخ العالم العامل ، والهمام الكامل[17] ؛ أحمد بن محمد ابن سويدان[18] فإنهما يرويان الثَّبَتَ المذكور عن مصنِّفه العلامة الشيخ محمد بن سليمان المذكور رحمهم الله[19] تعالى .

---

(11) ليست اللفظة في ن .

(12 — 12) ما بينهما في هامش ق .

(13) ق : (بلاد دمشق) .

(14) ت : (ورتبته) وهو تصحيف وانظر المسودة ل 29 .

(15) في الأصول (المرحوم الشيخ) ولا لزوم لكلمة مرحوم لأنها غير موجودة في المسودة ل 27 أولاً ولأنها توحي بأنه كان ميتاً في سنة 1105 وهذا خطأ لأنه توفي سنة 1108 .

(16) هو إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي الجينيني نزيل دمشق . سبقت ترجمته في هذا الجزء وأضيف هنا أنه رحل إلى مصر وأخذ عن مشايخ أجلاء منهم الشيخ علي الشبراملسي ، والشيخ محمد بن سليمان المغربي ، والشيخ يحيى الشاوي .

(17) في المسودة : (والشيخ العالم الكامل الذي هو لأنواع الصلاح شامل الشيخ) .

(18) هو أحمد بن محمد بن سويدان الدمشقي الحنفي . ومن مشايخه إسماعيل النابلسي والد الأستاذ النابلسي والشيخ عبد القادر بن مصطفى الصفوري الشافعي والمحدث محمد بن سليمان المغربي نزيل دمشق وغيرهم من الأئمة وأخذ عنه الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي . ولم تذكر سنة وفاته . وانظر سلك الدرر 1/168 ، والورد الأنسي ل 67 .

(19) ق والمسودة (رحمه الله) .

ومن ذلك أيضاً ما هو ثابت في ثَبَتِ الشيخ الإمام العلامة ، والعمدة الفهامة ؛ الشيخ يحيى المغربي الشاوي ، فإنه حدثني به عنه[٢٠] الشيخ أحمد بن محمد بن سويدان المذكور .

ومن ذلك أيضاً ما هو ثابت في ثَبَتِ الشيخ الإمام والحبر الهمام شيخنا الشيخ عبد القادر الصَّفوري الشافعي[٢١] ، فإنه حدثني به أيضاً عنه[٢٢] الشيخ أحمد المذكور .

ومن ذلك أيضاً ما أخبرنا به أخونا شقيقنا العلامة ، العمدة الفهامة ؛ الشيخ [٨٠/ب] يوسف النابلسي الحنفي أن الشيخ الإمام ، والحبر المحقق الهمام ؛ الشيخ علي الشَّبْراملسي[٢٣] الشافعي المصري الأزهري ، أجازنا بجميع مروياته في سائر العلوم ، من منطوق ومفهوم ، فنحن نُجيز بجميع ما اشتملت عليه هذه الأثبات المذكورة ، وبجميع مالنا راويته أيضاً عن مشايخنا الذين أخذنا عنهم مشافهة ، بقراءة ، أو سماع ، أو إجازة ، مما هو موجود في ثَبَتِنا، وفي كتبنا، ومصنفاتنا ، من نثر ونظم بشرط ذلك كله المعروف المعتبر عند أهله[٢٤] من علماء الأثر ، للشيخ الإمام الفاضل الشيخ رضوان المذكور فيما سبق . وأجزناه أيضاً بأن يروي عنا جميع ما صنفناه في أنواع العلوم من منثور ومنظوم .

مؤلفات النابلسي

أولاً : فن الحقيقة الإلهية

فمن المصنفات التي لنا في فن الحقيقة الإلهية[٢٥] التي هي[٢٦] الشريعة النبوية المحمدية :

١ — كتاب جواهر النصوص في شرح كلمات الفصوص[٢٧] التي للشيخ الأكبر قدس الله سرَّه في مجلدين .

(٢٠) في المسودة : (عنه أخونا الفاضل الشيخ أحمد) .

(٢١) هو عبد القادر بن مصطفى الدمشقي الشافعي الشهير بالصفوري . ولد سنة ١٠١٠ هـ وتوفي سنة ١٠٨١ ، قرأ الأستاذ النابلسي عليه في عدة فنون وأجاز له إجازة خاصة . وانظر خلاصة الأثر ٤٦٧/٢ ، والورد الأنسي ل ٦٢ — ٦٣ .

(٢٢) في المسودة : (عنه أخونا الشيخ أحمد) .

(٢٣) تقدمت ترجمته في هذا الجزء .

(٢٤) ت : (أهلها) .

(٢٥) إلى هنا ينتهي ما ورد في المسودة من هذه الإجازة .

(٢٦) ليست اللفظة في ت ، ن واستدركتها عن ق وحدها .

(٢٧) من هذا الكتاب مخطوطة في الظاهرية برقم ٩٠٢٩ وثمة كتاب اسمه شرح فصوص الحكم منه نسختان عام ١٥٠٢ وعام ١٣٣٨ وقد طبع في مجلدين .

٢ — وكتاب شرح ديوان ابن الفارض[٢٨] ، في مجلدين .
٣ — وكتاب خمرة الحان ، ورنَّة الألحان ، شرح رسالة الشيخ أرسلان[٢٩] .
٤ — وكتاب الوجود ، وخطاب الشهود[٣٠] .
٥ — وكتاب اطلاق القيود ، شرح مرآة الوجود[٣١] .
٦ — وكتاب إيضاح المقصود ، من معنى وحدة الوجود[٣٢] .
٧ — وكتاب العقود اللؤلؤية ، في بيان الطريقة المولوية[٣٣] .
٨ — وكتاب غاية المطلوب ، في محبة المحبوب .
٩ — وكتاب الرد المتين ، على[٤٤] منتقص العارف محيي الدين[٣٤] .
١٠ — وكتاب المعارف الغيبية ، شرح العينية الجيلية[٣٥] .
١١ — وكتاب الفتح الرباني ، والفيض الرحماني[٣٦] .
١٢ — وكتاب لمعات البرق النجدي ، شرح تجليات محمود أفندي[٣٧] .
١٣ — وكتاب مناغاة القديم ومناجاة الحكيم[٣٨] .
١٤ — وكتاب هدية الفقير ، وتحيَّة الوزير[٣٩] .
١٥ — وكتاب السّانحات النابلسية ، والسارحات الأنسية .
١٦ — وكتاب المقام الأسمى ، في امتزاج الأسما .

---

(٢٨) اسمه كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض . ومنه في الظاهرية سبع نسخ أرقامها : ٤٩٠٧ و٤٩٠٨ و٥٥٦٨ و٥٥٦٩ و٥٢٣٧ و٦٦٧ و٨٢٨٥ .

(٢٩) منه في الظاهرية نسخ أرقامها ٦٠٢١ و٥١١٩ و٤٩٠٠ و٨٣٤٦ و١١٤١٨ و٨٢٨٣ وللكتاب طبعتان آخرهما بدمشق تحقيق الأستاذ عزة حصرية سنة ١٩٦٩ .

(٣٠) في الظاهرية كتاب للنابلسي باسم الوجود الحق الظاهر بجميع الأشياء وخطاب الشهود ومنه خمس نسخ أرقامها ٦٠٦٩ و٥٣٦٥ و٥٣٦٦ و٥٢١٣ و٦٠٥٦ .

(٣١) في الظاهرية مخطوط للنابلسي اسمه اطلاق الوجود على الحق المعبود منه نسخة برقم ٤٠٠٨ بخط المؤلف .

(٣٢) منه في الظاهرية سبع نسخ أرقامها : ٥٩٥٢ و٥٥٦٤ و٥٥٥٥ و٦١٠٠ و٨١٣٨ و٢٤٥ و٤٠٠٨ وقد طبعه المرحوم عزة حصرية سنة ١٩٦٩ .

(٣٣) منه في الظاهرية النسخ التالية : ٦٨٢٤ و٢٤٥ و٣٦٣٣ و٥٨٩٩ وقد طبع الكتاب بليدن سنة ١٩١٩ .

(٣٤) منه نسخة في الظاهرية رقمها ٩٨٧٣ .

(٣٥) منه في الظاهرية نسختان برقم ٩٩١٨ و٥٥٥٥ .

(٣٦) منه نسختان في الظاهرية برقم ٩٣٠٥ و٧١٤١ وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٩٦٠ .

(٣٧) منه نسختان في الظاهرية برقم ٩٨٧٤ و٥٤٧٦ وقد نشر في مجلة المشرق سنة ١٩٥٣ .

(٣٨) في الظاهرية أربع نسخ من هذا الكتاب واسمه فيها (مناجاة الحكيم ومناغاة القديم) أرقامها: ٥٥٧٩ و٦١١٨ و٥١٢٩ و٥٠٩٧ .

(٣٩) في الظاهرية منه نسختان رقمهما ٤٠٠٨ و٧٤٩١ .

١٧ — وكتاب مفتاح[٤٠] المعية ، شرح رسالة النَّقْشَبَنْدِيّة[٤١] .

١٨ — وكتاب لمعة النور المضيَّة ، شرح الأبيات السبعة من الخمرية الفارضيّة[٤٢] .

١٩ — وكتاب الشمس على جناح طائر ، في مقام الواقف والسائر .

٢٠ — وكتاب رد المفتري ، عن الطعن في الششتري[٤٣] .

٢١ — وكتاب قطرة سماء[٤٥] الوجود ، ونظرة علماء الشهود[٤٦] .

٢٢ — وكتاب التنبيه [٨١/أ] من النوم ، في حكم مواجيد القوم[٤٧] .

٢٣ — وكتاب كوكب الصبح ، في إزالة ليل القبح[٤٨] .

٢٤ — وكتاب النظر[٤٩] المشرف ، في معنى عَرَفْتَ أم لم تعرف[٥٠] .

٢٥ — وكتاب بداية المُريد ، ونهاية السَّعيد .

٢٦ — وكتاب زيادة البَسْطَة في بيان العلم نقطة[٥١] .

٢٧ — وكتاب الصراط السويّ ، شرح ديباجات[٥٢] المَثْنَوي[٥٣] .

٢٨ — وكتاب تحقيق الذوق والرشف ، في معنى المخالفة الواقعة بين أهل الكشف[٥٤] .

٢٩ — وكتاب السر المختبي ، في ضريح ابن العربي .

٣٠ — وكتاب رفع[٥٥] الريب ، عن حضرة الغيب[٥٦]

---

(٤٠) ليست اللفظة في ق ، وانظر السرد النقدي كتاب رقم ١٩٦ .

(٤١) في الظاهرية ثلاث نسخ منه باسم (مفتاح المعية في آداب الطريقة النقشبندية) أرقامها : ٥٠٣٣ و٦٥٦١ و١٠٥٥٥ .

(٤٢) منه في الظاهرية نسختان رقمهما ٧٩١٥ و٨٠٠٨ .

(٤٣) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٤٠٠٨ وقد نشرت في مجلة المشرق سنة ١٩٦٠ .

(٤٤) ن : (في) ، وانظر السرد النقدي كتاب رقم ٩٦ .

(٤٥) ن : (قطر السماء الوجود) وانظر المسرد ١٦٢ .

(٤٦) منه في الظاهرية أربع نسخ باسم (قطرة السماء ونظرة العلماء) أرقامها ٤٢٥ و٤٠٠٨ و٦١١٨ و٧٠٧٨ .

(٤٧) منه في الظاهرية نسخة رقمها ١٤١٨ .

(٤٨) منه في الظاهرية نسختان رقمهما ١٤١٧ و٧٤٨٩ .

(٤٩) ق : (نظر المشرف) وانظر المسرد ٢٠٦ وفيه (النظر المشرف في معنى قوله ابن الفارض (عرفت أم لم تعرف) .

(٥٠) منه في الظاهرية نسختان برقم ٥٥٦٤ و١٣٧٧ .

(٥١) منه في الظاهرية نسختان رقمهما ١٤١٧ و١٥٣٣ .

(٥٢) ن : (ديباجة) وانظر المسرد ١٣٤ .

(٥٣) منه نسختان في الظاهرية رقمهما ٤٠٠٨ و١٣٧٧ .

(٥٤) ثلاث نسخ منه في الظاهرية أرقامها :٧٤٩٠ و٤٠٠٨ و١٤١٨ .

(٥٥) ن : (دفع) وانظر المسرد النقدي ١١٤ .

(٥٦) منه ثلاث نسخ في الظاهرية أرقامها ٦٩٥١ و١٤١٨ و١٣٧٧ .

٣١ — وكتاب رد الجاهل إلى الصواب ، في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب[٥٧] .
٣٢ — وكتاب القول المختار ، في الرد على الجاهل المحتار .
٣٣ — وكتاب دفع الإيهام ، ورفع الإبهام .
٣٤ — وكتاب جمع الأشكال ، ومنع الإشكال .
٣٥ — وكتاب اللؤلؤ المكنون ، في حكم الإخبار عما سيكون[٥٨] .
٣٦ — وكتاب توفيق الرتبة ، في تحقيق الخطبة[٥٩] .
٣٧ — وكتاب الكوكب المتلالي ، شرح قصيدة الغزالي[٦٠] .
٣٨ — وكتاب تثبيت القدمين ، في سؤال الملكين .
٣٩ — وكتاب تكميل النعوت ، في لزوم البيوت[٦١] .
٤٠ — وكتاب مخرج المتقي ، ومنهج المرتقي[٦٢] .
٤١ — وكتاب رفع الاشتباه ، عن علمية اسم[٦٣] الله[٦٤] .
٤٢ — وكتاب تنبيه من يلهو ، على علمية الاسم هو[٦٥] .
٤٣ — وكتاب الحامل في الفَلَك ، والمحمول في الفُلْك في بيان إطلاق النبوة والرسالة[٦٦] والخلافة والمُلْك[٦٧] .
٤٤ — وكتاب وسائل التحقيق ، ورسائل التوفيق[٦٨] .
٤٥ — وكتاب إيضاح الدلالات ، في سماع الآلات[٦٩] .

(٥٧) في الظاهرية منه ثلاث نسخ أرقامها ٤٠٠٨ و٦٠٩٩ و١٣٧٧ .
(٥٨) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٤٠٠٨ و١٤١٨ و٧٥٠٢ .
(٥٩) من الكتاب نسخة في الظاهرية رقمها ١٣٧٧ .
(٦٠) من الكتاب أربع نسخ في الظاهرية أرقامها ٥١١٩ و٥١٢٩ و٣٧٢٤ و٥٥٨٣ ، وللكتاب عدة طبعات .
(٦١) منه خمس نسخ في الظاهرية أرقامها ٥٣١٦ و٥٥٧٠ و٥٨٧٣ و٦٠٢١ و٤٠٠٨ .
(٦٢) منه نسخة في الظاهرية برقم عام ٤٠٠٨ فهرس التصوف ٣٥١/١ .
(٦٣) ق : (الاسم لله) . وانظر المسرد النقدي ١١٣ .
(٦٤) منه في الظاهرية نسخة برقم ١٣٧٧ .
(٦٥) منه في الظاهرية نسخة رقمها ١٣٧٧ .
(٦٦) عن ق وحدها . وانظر المسرد ٧٥ .
(٦٧) منه في الظاهرية نسخة برقم ٤٠٠٨ .
(٦٨) منه نسخة في الظاهرية رقمها ٦٠٧٨ ونسخة أخرى برقم عام ١١٤ (ق ١١٩ — ١٣٨) عن فهرس الألباني ق ٤١٧ .
(٦٩) منه في الظاهرية أربع نسخ أرقامها ٥٦١٣ و٥٥٧٠ و٨١٨٩ و١٧٧ ، وقد طبع في دمشق ١٣٠٢ هـ وله طبعة أخرى جديدة بتحقيق الأستاذ أحمد راتب حموش ، وطبع دار الفكر .

٤٦ — وكتاب فتح الكريم الوهاب ، في العلوم المستفادة من النّاي والشبّاب .
٤٧ — وكتاب زبدة الفائدة ، في الجواب عن الأبيات الواردة[٧٠] .
٤٨ — وكتاب إشارات القبول ، إلى حضرات الوصول .
٤٩ — وكتاب النغمات المنتشرة ، في الجواب عن الأسئلة العشرة[٧١] .
٥٠ — وكتاب الأجوبة البتة ، عن الأسئلة الستة[٧٢] .
٥١ — وكتاب بذل الإحسان ، في تحقيق معنى[٧٣] الإنسان .
٥٢ — وكتاب الواردات الرحمانية ، والنفحات القرآنية .
٥٣ — وكتاب التائيّة الكبرى المسماة : بأسرار القرآن ، وأنوار الفرقان ؛ وهو[٧٤] نحو خمسة عشر ألف بيت تفسير للقرآن بلسان أهل الإشارة .
٥٤ — وكتاب أنوار السلوك ، في أسرار الملوك[٧٥] .
٥٥ — وكتاب الفتح [٨١/ب] المدني ، والنفس اليمنى .
٥٦ — وكتاب نفخة الصور ، ونفحة الزهور ؛ شرح أبيات قبضة النور .
٥٧ — وكتاب حق اليقين ، وهداية المتقين .

ثانياً : فن الحديث الشريف

ومن فن الحديث الشريف :

٥٨ — كتاب ذخائر المواريث ، في الدلالة على أماكن الأحاديث ، وهو أطراف للكتب السبعة الحديثية .
٥٩ — وكتاب فتح القدير المالك ، في الجمع بين الكتب الستة وموطأ مالك ؛ وسميناه أيضاً تمهيد السُّنن ، وتجريد السُّنن .
٦٠ — وكتاب كنز[٧٦] الحق المبين ، في أحاديث سيد المرسلين .
٦١ — وكتاب المجالس الشامية ، في مواعظ أهل البلاد الرومية[٧٧] .

(٧٠) منه في الظاهرية نسخة رقم ٧٢١٠ .
(٧١) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٧٤٨٨ .
(٧٢) منه في الظاهرية أربع نسخ أرقامها : ٤٠٠٩ و٨١٨٩ و٥٣١٦ و١٧٧ .
(٧٣) ليست اللفظة في ق . وانظر المسرد النقدي ٢٥ .
(٧٤) ق : (وهي) ، وانظر المسرد الكتاب ٣١ وسماه بواطن القرآن ومواطن الفرقان ، ومنه في الظاهرية نسخة برقم ٩٨٦٨ .
(٧٥) منه في الظاهرية نسختان رقمهما ١٤١٧ و١٣٧٧ ، وقد طبعت هذه الرسالة في بيروت .
(٧٦) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٥٨٠٩ .
(٧٧) عن ق وحدها وانظر المسرد النقدي الكتاب رقم ١٧٩ .

٦٢ — وكتاب إسباغ المنة ، في أنهار الجنة .
٦٣ — وكتاب إزالة الخفا ، عن حلية المصطفى .
٦٤ — وكتاب لمعات الأنوار ، في المقطوع لهم بالجنة ، والمقطوع لهم[٧٨] بالنار[٧٩] .
٦٥ — وكتاب صفوة الأصفياء ، في بيان الفضيلة بين الأنبياء ؛ وهذا الكتاب عملناه في بيت المقدس كما سنذكره في محلة[٨٠] .
٦٦ — وكتاب في بيان حكم الإجازة في المنام ؛ وهذا الكتاب عملناه بعد رجوعنا من الحج في دمشق الشام .

ثالثاً : فن عقائد أهل السنة والجماعة

ومن فن[٨١] عقائد أهل السنة والجماعة :

٦٧ — كتاب الحديقة النديَّة ، شرح الطريقة المحمدَّية[٨٢] ؛ في ثلاث مجلدات .
٦٨ — وكتاب المطالب الوفية ، شرح الفرائد السنية ، في ثلاث مجلدات .
٦٩ — وكتاب فتح المُعيد المُبْدي ، شرح منظومة المولى سعدي .
٧٠ — وكتاب نور الأفئدة ، شرح المرشدة ؛ لأبي الليث .
٧١ — وكتاب الكوكب الساري ، في حقيقة الجزء الاختياري .
٧٢ — وكتاب قلائد المرجان ، في عقائد الإيمان .
٧٣ — وكتاب القول الأبين ، شرح عقيدة أبي مدين[٨٣] .
٧٤ — وكتاب الكوكب الوَقّاد ، في حكم الاعتقاد .
٧٥ — وكتاب الأنوار الإلهية ، شرح المقدمة السنوسية .
٧٦ — وكتاب صرف الأعنَّة ، إلى عقائد أهل السنَّة .
٧٧ — وكتاب تحريك سلسلة الوداد ، في مسألة خلق أفعال العباد .
٧٨ — وكتاب القول السديد ، في جواز خلف الوعيد .

---

(٧٨) ليست اللفظة في ت . وانظر المسرد النقدي الكتاب رقم ١٨٧ .
(٧٩) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٩١١٩ وطبعت هذه الرسالة طبعتين .
(٨٠) انظر ص   من هذا الجزء .
(٨١) عن ق وحدها .
(٨٢) منه في الظاهرية ثلاث نسخ الأولى مجلد واحد رقمه ١٤٠٩ والثانية مجلدان رقمهما ١٤٠٧ و١٤٠٨ والثالثة ٩١٢٠ وقد طبع الكتاب طبعتين .
(٨٣) منه في الظاهرية نسخة برقم ١٣٧٧ .

٧٩ — وكتاب اللطائف الأُنسية ، في شرح نظم العقيدة السنوسية ؛ وهذا الكتاب عملناه في مدينة الرسول ﷺ كما سنذكره في محله .

٨٠ — وكتاب شرح المنظومة المَقَّرِيَّة[٨٤] . وعدد أبياتها خمسمائة بيت وهذا الكتاب عملناه بعد رجوعنا[٨٥] من الحج في دمشق الشام .

رابعاً : فن علم الفقه الشريف

ومن فن علم الفقه الشريف :

٨١ — كتاب قلائد الفرائد ، وموائد الفوائد .

[٨٢/أ] ٨٢ — وكتاب نهاية المراد ، شرح هدية ابن العماد .

٨٣ — وكتاب الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان[٨٦] .

٨٤ — وكتابة تحفة الناسك ، في بيان المناسك .

٨٥ — وكتاب تطييب النفوس ، في حكم[٨٧] المقادم والروس .

٨٦ — وكتاب صدح الحمامة ، في شروط الإمامة[٨٨] .

٨٧ — وكتاب كشف الستر ، عن فرضية الوتر[٨٩] .

٨٨ — وكفاية الغلام ، في أركان الإسلام ؛ نظماً[٩٠] .

٨٩ — وكتاب رشحات الأقلام ، شرح كفاية الغلام[٩١] .

٩٠ — وكتاب الغيث المنبجس ، في حكم المصبوغ بالنجس[٩٢] .

٩١ — وكتاب تحصيل الأجر ، في حكم أذان[٩٣] الفجر .

٩٢ — وكتاب إتحاف[٩٤] من بادَرْ ، في حكم النوشادر .

---

(٨٤) نسبة إلى المَقَّري صاحب نفح الطيب . انظر المسرد النقدي كتاب ٩١ (رائحة الجنة شرح إضاءة الدُّجُنَّة) .

(٨٥) ق : (عودنا) .

(٨٦) طبع هذا الكتاب ، وتقدم الحديث عن ذلك انظر في هذا الجزء .

(٨٧) ن : (حسن) وانظر المسرد ٥٠ .

(٨٨) ق : (صدح الحمام في شروط الإمام) وانظر المسرد ١٣٣ ومنه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٣٨٦٧ ، ١٧٧ ، ٦٨٦٢ .

(٨٩) في الظاهرية منه ثلاث نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(٩٠) منه في الظاهرية ست نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ١٧٧ ، ١٠٢٩٠ ، ١١٠٨٨ ، ٤٣٩٨ ، ١٠٣٢٣ .

(٩١) منه في الظاهرية نسختان رقماهما : ١٧٧ ، ٥٠٨٦ .

(٩٢) منه في الظاهرية نسخة في المجموع رقم ١٧٧ .

(٩٣) ن : (ذات الفجر) وانظر المسرد النقدي ٣٨ ومنه نسختان في الظاهرية رقماهما : ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(٩٤) ليست اللفظة في ق . وانظر المسرد ٦ . ومنه في الظاهرية خمس نسخ أرقامها : ٤٠١٠ ، ٣٨٦٧ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

٩٣ — وكتاب إشراق المعالم ، في أحكام المظالم[٩٥] .

٩٤ — وكتاب غاية الوجازة ، في تكرار الصلاة على الجنازة .

٩٥ — وكتاب تشحيذ الأذهان ، في تطهير الأدهان[٩٦] .

٩٦ — وكتاب نزهة الواجد ، في حكم الصلاة على الجنائز في المساجد[٩٧] .

٩٧ — وكتاب الكواكب المشرقة[٩٨] ، في حكم[٩٩] استعمال المنطقة .

٩٨ — وكتاب الأجوبة الأنسية ، على أثر الأسئلة القدسية[١٠٠] .

٩٩ — وكتاب بذل الصّلات ، في بيان الصّلاة .

١٠٠ — وكتاب كشف النور ، عن أصحاب القبور[١٠١] .

١٠١ — وكتاب بغية المكتفي ، في جواز المسح على الخف الحنفي[١٠٢] .

١٠٢ — وكتاب الرد الوفي ، على جواب الحسكفي[١٠٣] .

١٠٣ — وكتاب الجوهر الكُلّي ، شرح عمدة المصلي ، المعروف بالكيدانية[١٠٤]

١٠٤ — وكتاب خلاصة التحقيق ، في بيان حكم التقليد والتلفيق[١٠٥] .

١٠٥ — وكتاب تحقيق القضية ، في الفرق بين الرشوة والهدية[١٠٦] .

١٠٦ — وكتاب المقاصد المحمصة في بيان كي الحمصة[١٠٧] .

١٠٧ — وكتاب الأبحاث المخلصة ، في حكم كي الحمصة[١٠٨] .

١٠٨ — وكتاب القول المعتبر ، في بيان النظر .

١٠٩ — ورسالة في بيان احترام الخبز[١٠٩] .

---

(٩٥) منه في الظاهرية أربع نسخ أرقامها : ٣٨٦٧ ، ١٧٧ ، ٥٣١٦ ، ٤٠١٠ .

(٩٦) منه في الظاهرية أربع نسخ أرقامها : ٤٠١٠ ، ٣٨٦٧ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(٩٧) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(٩٨) ليست اللفظة في ق . وانظر المسرد ١٨٠ .

(٩٩) ن : (في أحكام) ومنه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(١٠٠) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها ٤٠٠٩ ، ١٧٧ ، ٥٣١٦ .

(١٠١) انظر المسرد النقدي ١٧٤ ، ومن هذا الكتاب نسخة في مجموع في الظاهرية رقمه ١٣٧٧ .

(١٠٢) منه أربع نسخ في الظاهرية أرقامها :٤٠١٠ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(١٠٣) ثلاث نسخ من هذا الكتاب في ظاهرية دمشق أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(١٠٤) منه في الظاهرية نسخة في مجموع رقمه ١٧٧ .

(١٠٥) منه في الظاهرية ست نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ٣٩٦٨ ، ٤٠١٠ ، ١٠٧٧ ، ١٤١٨ .

(١٠٦) منه في الظاهرية أربع نسخ أرقامها : ٤٠١٠ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(١٠٧) منه في الظاهرية ست نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ ، ٣٨٦٧ ، ١١٣٤٩ ، ٣٠٠٦ .

(١٠٨) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(١٠٩) في المسرد النقدي (رسالة في احترام الخبز) . ومنه في الظاهرية نسختان رقماهما : ٤٠٠٨ ، ٣٨٦٧ .

١١٠ — ورسالة في مسألة التسعير[١١٠] .
١١١ — وسرعة الانتباه ، لمسألة الاشتباه[١١١] .
١١٢ — وإبانة النص في مسألة القص .
١١٣ — وكتاب اشتباك الأسنّة ، في الجواب عن الفرض والسنّة[١١٢] .
١١٤ — وكتاب النعم السوابغ ، في إحرام المدني من رابغ[١١٣] .
١١٥ — وكتاب الابتهاج ، في مناسك الحاج[١١٤] .
١١٦ — وكتاب الجواب الشريف للحضرة الشريفة ، في أن مذهب أبي يوسف ومحمد هو مذهب أبي حنيفة[١١٥] .

وهذه الثلاثة كنا صنفناها في مدينة الرسول ﷺ كما سنذكره في محله إن شاء الله تعالى .

١١٧ — وكتاب الكشف والبيان ، عما يتعلق بالنسيان[١١٦] .
١١٨ — وكتاب [٨٢/ب] فتح الانغلاق في مسألة عليّ الطلاق[١١٧] .

وهذان الكتابان عملناهما بعد رجوعنا من الحج في دمشق الشام .

خامساً : فن التجويد

ومما يتعلق بفن التجويد :

١١٩ — كتاب كفاية المستفيد ، في معرفة التجويد[١١٨] .
١٢٠ — وكتاب القول العاصم ، في رواية حفص عن شيخه عاصم ، نظماً .
١٢١ — وكتاب صرف العنان ، إلى قراءة حفص بن سليمان[١١٩] ، وهو شرح القول العاصم .

سادساً : فن التاريخ

(١١٠) منه في الظاهرية نسخة رقم (مجاميع ١٧٧) .
(١١١) منه في الظاهرية نسخة في مجموع رقمه ١٧٧ .
(١١٢) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٤٠١٠ .
(١١٣) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .
(١١٤) منه في الظاهرية نسختان رقماهما : ٨١٨٩ ، ١٤٧٨ .
(١١٥) منه في الظاهرية ست نسخ أرقامها : ٤٠١٠ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ ، ٥٥٧٠ ، ١١٢٨٢ .
(١١٦) منه في الظاهرية نسختان رقماهما : ٥٩٠٧ ، ١٣٧٧ .
(١١٧) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٤٠١٠ ، ١٧٧ ، ٥٣١٦ .
(١١٨) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٤٩٣٣ .
(١١٩) في الظاهرية نسخة منه رقمها ٦٠٤٠

ومن فن التاريخ :

١٢٢ — كتاب زهر الحديقة ، في بيان رجال الطريقة[١٢٠] .

١٢٣ — وكتاب الأبيات النورانية ، في ملوك الدولة العثمانية[١٢١] .

١٢٤ — وكتاب إتحاف الساري في زيارة الشيخ مُدْرِك الفَزَاري .

١٢٥ — وكتاب الحوض المورود ، في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود[١٢٢] .

سابعاً : فن الأدب

ومن فن الأدب :

١٢٦ — كتاب النسيم الربيعي ، في التجاذب البديعي[١٢٣] .

١٢٧ — وكتاب مليح البديع ، في مديح الشفيع ، وهي بديعية نظم في مديح النبي ﷺ ، وقد ذكرنا فيها اسم النوع .

١٢٨ — وكتاب نسمات الأسحار ، في مدح النبي المختار ؛ وهي بديعية أخرى نظماً .

١٢٩ — وكتاب شرح البديعيات المسمى بنفحات الأزهار على نسمات الأسحار[١٢٤] .

١٣٠ — وكتاب الروض المعطار ، بروائق الأشعار .

١٣١ — وكتاب عيون الأمثال ، العديمة الأمثال .

١٣٢ — وكتاب سلوى النديم ، وتذكرة العديم .

١٣٣ — وكتاب تعطير الأنام ، في تعبير المنام[١٢٥] ؛ في مجلد كبير مرتب على حروف المعجم .

١٣٤ — وكتاب حلاوة الآلا ، في التعبير إجمالا .

١٣٥ — وكتاب النوافج الفائحة ، بروائح الرؤيا الصالحة .

١٣٦ — وكتاب يوانع الرطب ، في بدائع الخطب .

١٣٧ — وكتاب حلّة الذهب الإبريز ، في رحلة بعلبك والبقاع العزيز[١٢٦]

(١٢٠) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٧١٩١ .

(١٢١) في الظاهرية نسخة منه باسم (تاريخ الدول) رقمها ٦٧٤٢ تاريخ ١٢١ .

(١٢٢) منه نسختان في الظاهرية برقم ٣٦٧١ ، ٤٠٠٨ .

(١٢٣) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها : ٤٠١١ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

(١٢٤) منه في الظاهرية ثلاث نسخ أرقامها ٥٩٤٧ ، ٣٥٥٨ ، ٨٠٣٦ .

(١٢٥) منه في الظاهرية نسخة رقمها ٩٨٧٠ .

(١٢٦) منه في الظاهرية نسختان رقماهما : ٧٩١٠ ، ٨٣٦٦ ، وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد واسطفان فيلد عام ١٩٧٩ ضمن مطبوعات المعهد الألماني للأبحاث الشرقية .

١٣٨ — وكتاب الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية[١٢٧] .

١٣٩ — وكتاب رحلة طرابلس الشام[١٢٨] .

١٤٠ — وكتاب الحقيقة والمجاز ، في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز . وهو هذه الرحلة[١٢٩] .

١٤١ — وكتاب ديوان الحقائق الإلهية ، والمواجيد الربانية[١٣٠] .

١٤٢ — وديوان في مدح الرسول ﷺ مرتب على الحروف وسميناه نفحة القبول في مديح الرسول[١٣١] .

١٤٣ — وديوان في المراسلات بين الأخوان والألغاز والأحاجي والأهاجي .

١٤٤ — وديوان في الغزليات .

وغير ذلك من الكتب والرسائل[١٣٢] التي لم تحضرنا الآن .

وأخبرناه أيضاً بجميع ما يحدث لنا من المؤلفات في جميع أنواع العلوم ونوصيه بتقوى [٨٣/أ] الله تعالى على كل حال وأن لا ينسانا من دعائه الصالح . والحمد لله وحده ، وصلى الله على من لا نبي بعده ؛ وآله وصحبه وسلم تسليماً .

وما أحسن قول صاحبنا المرحوم مَفْخر الأفاضل ، حاوي الفضائل[١٣٣] والفواضل ، الشيخ أحمد الصَّفَدي[١٣٤] إمام الدَّرْويشيّة ، والواعظ بجامع بني أمية في دمشق المحمية ، في شأن الشيخ الإمام ، والحبر الهمام ، مفتي دمشق الشام ، المرحوم علاء الدين[١٣٥] أفندي الحسكفي[١٣٦] ، لما ذهب من دمشق الشام إلى بلاد الروم ، وجاء بقضاء صيدا المحروسة[١٣٧] : [من الوافر]

وَلَمّـــا أَنْ سما الشيـــخ العـــلائيّ   وأَرْغَـم عِلْمُـهُ عَمْـراً وَزَيْـدا[١٣٨]

فَجَنَّـحَ قـاصِداً للـرُّومِ يَسْعَـى   وَعـــاد إلى دِمشْق وَصادَ صَيْـــدا

---

(١٢٧) منه نسختان في الظاهرية رقماهما : ٦٨٤ ، ٣٦١٣ . وللكتاب عدة طبعات منها طبعة جريدة الإخلاص ١٩٠٢ ، وطبعة مكتبة القاهرة بالصنادقيّة بالأزهر باسم (رحلتي إلى القدس) سنة ١٩٧١ م .

(١٢٨) جاء هذا الكتاب بعد الذي يليه في ق ، وسقط من المسرد النقدي . ومنه نسخة في الظاهرية رقمها ٤٧٦٨ .

(١٢٩) ومنه في الظاهرية خمس نسخ انظر المقدمة .

(١٣٠) منه في الظاهرية نسخة برقم ٩٢٣٤ .

(١٣١) منه في الظاهرية نسخة برقم ٥٨١١ .

(١٣٢) وهناك عناوين أخرى لرسائل أو كتب في ظاهرية دمشق أوفي المسرد النقدي أوردها فيما يلي :

١ — أجوبة الإشكال المشهور في الصلاة الإبراهيمية : مجاميع ١٧٧ .

٢ — أجوبة سؤالات جاءتنا من بيت المقدس ٤٠٠٩ عام .

٣ — الأجوبة عن المئة وواحد وستين سؤالاً ٤٠٠٩ عام .
٤ — الأجوبة المنظومة عن الأسئلة المعلومة .
٥ — أرجوزة النابلسي في المنطق وشرحها ٩١٢١ عام (فلسفة ١٧٣) .
٦ — إرشاد المتملي في تبليغ غير المصلّي .
٧ — أنس النافر في معنى من قال (أنا مؤمن) فهو كافر .
٨ — أنوار الشموس في خطيب الدروس .
٩ — الأوراد الشريفة المجموعة من الكتاب والسنة . ولعله الموجود في الظاهرية باسم (أوراد النابلسي) وله نسختان ٣٦٠٢ و١٤١٧ .
١٠ — برهان الثبوت في تبرئة هاروت وماروت .
١١ — بسط الذراعين بالوصيد في بيان الحقيقة والمجاز من التوحيد .
١٢ — بقية الله خير بعد الفناء في السير ، شرح خمسة أبيات لنا أيضاً : عام ٦٠٦٩ .
١٣ — تحرير الأبحاث في مسألة : (روحي طالقة بالثلاث) .
١٤ — التحرير الحاوي ، شرح تفسير البيضاوي . وصلنا فيه من سورة البقرة إلى قوله تعالى : ﴿ من كان عدواً لله .. الآية ﴾ في ثلاث مجلدات وشرعنا في المجلد الرابع ، وأيضاً مجلد : ٩٠٩٤ ، ٩٠٩٥ ، ٩٠٩٦ ، ٩٠٩٧ ، ٩٠٩٨ .
١٥ — تحرير يمين الأثبات في تقرر يمين الإثبات ٤٠١٠ .
١٦ — تحريك الأقليد في فتح باب التوحيد .
١٧ — تحفة ذي العرفان في مولد سيد عدنان : ٨٥٧١ ، ١٠٢٥١ ، ١٠٨٨٥.
١٨ — تحفة الراكع الساجد في جواز الاعتكاف في فناء المساجد : ٤٠١٠ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .
١٩ — التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية وانظر : رحلة النابلسي إلى طرابلس الشام .
٢٠ — تحقيق الانتصار في اتفاق الأشعري والماتريدي على خلق الاختيار .
٢١ — تحقي معنى (المعبود في صورة كل معبود) : ٤٠٠٨٠ ، ٦٠٦٩ .
٢٢ — تحقيق النظر في تحقيق النظر في وقف معلوم : ٥٣١٦ .
٢٣ — تخيير العباد في سكنى البلاد : ٤٠٠٨ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .
٢٤ — تشريق التغريب في تنزيه القرآن عن التعريب .
٢٥ — تعليقات على الفتوحات المكية : ١٥٠٤ .
٢٦ — تقريب الكلام على الأفهام في معنى وحدة الوجود .
٢٧ — التكليف الظاهري والباطني : ٥٢٠٥ .
٢٨ — تنبيه الأفهام على عمدة الحكام شرح منظومة القاضي محب الدين الحموي في فقه الحنفية .
٢٩ — التنفير من التكفير في حق من حرم نكاح المعتقة على الشريقة : ٤٠١٠ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .
٣٠ — التوفيق الجامي بين الأشعري والحنبلي .
٣١ — ثبت الجينيني ١١٢٤٢ .
٣٢ — ثبت الشيخ النابلسي ٨٧٦٦ .
٣٣ — ثواب المدرك لزيارة الست زينب والشيخ مدرك رضي الله عنهما .
٣٤ — جمع الأسرار في منع الأشرار عن الطعن في الصوفية الأخيار ٦٣٩٤ ، ١١٢٥٨ ، ٥٢١٠ .
٣٥ — الجواب التام عن حقيقة الكلام ، جواب سؤال ملغز ٤٠١١ ، ٤٠٠٨ .
٣٦ — جواب سؤال من القدس : ٤٠٠٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ ، ٨١٨٩ .
٣٧ — جواب سؤال في شرط واقف من المدينة المنورة : ٤٠٠٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

٣٨ — جواب سؤال في الوقف ٥٣١٦ .

٣٩ — جواب سؤال ورد من طرف بترك النصارى في التوحيد .

٤٠ — جواب سؤال . ورد من طرف مكة المشرفة عن الاقتداء في جوف الكعبة .

٤١ — الجواب العلي عن حال آلولي ٦١٠٠ .

٤٢ — الجواب عن الأسئلة المئة وواحد وستين سؤالاً = الأجوبة عن المئة وواحد وستين سؤالاً ٤٠٠٩ عام .

٤٣ — الجواب عن عبارة وقعت في الأربعين النووية في قوله (رويناه) .

٤٤ — الجواب المعتمد عن سؤالات أهل صفد .

٤٥ — الجواب المقصود عن سؤال المعبود في كل معبود = تحقيق معنى المعبود في صورة كل معبود : ٤٠٠٨٠ ، ٦٠٦٩ .

٤٦ — الجواب المنثور المنظوم عن السؤال المفهوم .

٤٧ — حلة العاري في صفات الباري ، تعالى .

٤٨ — خمرة الحان ورنة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان : ٦٠٢١ ، ٥١١٩ ، ٤٩٠٠ ، ٨٣٤٦ ، ١١٤١٨ ، ٨٢٨٣ .

٤٩ — دفتر الكتب التي صنفها الشيخ عبد الغني النابلسي ٥٩٥٢ .

٥٠ — دفع الضرورة عن حج الصرورة : ٤٠١٠ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

٥١ — ديوان الدواوين ٧٢١٠ ، ٤٢٠٤ ، ٤٣٩٢ .

٥٢ — رَبْعَ الإفادات في رُبْع العبادات : في فقه الحنفية .

٥٣ — الرحلة الحجازية والرياض الأنسية (مسودة المؤلف) ٤٣٠٤ .

٥٤ — رحلة النابلسي إلى طرابلس الشام ٤٧٦١ .

٥٥ — رد التعنيف على المعنف ، وإثبات جهل هذا المصنف ٩١١٩ .

٥٦ — الرد على من تكلم في ابن عربي ١٤١٨ .

٥٧ — رسالة تتعلق في الأسئلة هل هو هذا الهيكل المخصوص أو غيره ١٣٧٧ .

٥٨ — رسالة في إطلاق الوجود على الحق المعبود ٤٠٠٨ .

٥٩ — رسالة في إطلاق جواب سؤال من بيت المقدس . وانظر : جواب سؤال من القدس ٤٠٠٩ ، ٥٣١٦ ، ٨١٨٩ ، ١٧٧ .

٦٠ — رسالة في تعبير رؤيا سئلت عنها .

٦١ — رسالة في ورد من بعض الملحدين من النصارى وغيرهم وردّ ذلك .

٦٢ — رسالة في الانتصار لابن عربي .

٦٣ — رسالة في الحث على الجهاد .

٦٤ — رسالة في حل نكاح المعتقة على الشريفة وانظر : التنفير من التكفير في حق من حرم نكاح المعتقة على الشريفة ٤٠١٠ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .

٦٥ — رسالة في سؤال عن حديث نبوي .

٦٦ — رسالة في طاحون خراب ٤٠١٠ .

٦٧ — رسالة في العقائد .

٦٨ — رسالة في عبارة البيضاوي في إعراب باء البسملة ٩١٢١ .

٦٩ — رسالة في قوله عليه السلام (من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً) .

٧٠ — رسالة في الكشف عن طريق الولاية ٤٠٠٨ .

٧١ — رسالة مختصرة من كتاب الحقيقة والمجاز ٣٣٠٨ .

٧٢ — رسالة مختصرة معنى البيتين : رأت قمر السماء فأذكرتني .
٧٣ — الرسوخ في مقام الشيوخ .
٧٤ — رفع الاختلاف عن كلامي القاضي والكشاف .
٧٥ — رفع الستور عن متعلق الجار والمجرور في عبارة خسرو من حاشيته على تفسير البيضاوي .
٧٦ — رفع العناد عن حكم التفويض والإسناد في نظر الوقف : ٤٠١٠ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ ، ١١٢٨٢ .
٧٧ — رفع الكسا عن عبارة البيضاوي في سورة النسا .
٧٨ — ركوب التقييد بالإذعان في وجوب التقليد في الإيمان .
٧٩ — رنة النسيم وغُنّة الرخيم .
٨٠ — روض الأنام في بيان الإجازة في المنام ٩١١٩ .
٨١ — رياض المدائح وحياض المنائح = الديوان الثالث .
٨٢ — سؤال ورد من بيت المقدس ومعه جواب منا .
٨٣ — سر الإنتباه لمسألة الاشتباه ٤٠١٠ ، ٨١٨٩ ، ٥٣١٩ ، ١٧٧ .
٨٤ — شرح ارجوزة النابلسي في المنطق ٩١٢١ .
٨٥ — شرح رسالة مسلك الجلي في حكم شطح الولي ٤٠٠٨ .
٨٦ — شرح قصيدة البكري ٦٠٩٩ .
٨٧ — صفوة الضمير في نصرة الوزير .
٨٨ — صورة سؤال الخلوتية لعلماء الأزهر لما اعترض عليهم بعض المنكرين ٤٣٠٤ .
٨٩ — الطلعة البدرية شرح القصيدة المُضَرّيّة .
٩٠ — طلوع الصباح على خطبة ضوء المصباح وهو شرح لخطبته في جزء لطيف .
٩١ — الظل الممدود في معنى وحدة الوجود = شرح وحدة الوجود للملاجامي : ٥٩٢٩ ، ٢٤٥ .
٩٢ — العبير في التعبير نظماً من بحر الرجز ٨٧٧٢ .
٩٣ — عذر الائمة في نصح الأمة ، في بيان الشريعة والحقيقة ٤٠٠٨ .
٩٤ — العقد النظيم في القدر العظيم ، في شرح بيت من بردة المديح .
٩٥ — علم الملاحة في علم الفلاحة (ط) .
٩٦ — عنوان الآيات ٤٢٦٧ .
٩٧ — غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة ١٧٧ .
٩٨ — غيث القبول همى في معنى (جعلا له شريكاً فيما آتاهما) .
٩٩ — فتاوى النابلسي ٢٦٨٤ .
١٠٠ — فتح العين وكشف الغين عن الفرق بين البسملتين ، وإيضاح معنى التسميتين .
١٠١ — الفتح المكي واللمح الملكي ٧٤٧٩ .
١٠٢ — فتح التكبير لفتح راء التكبير .
١٠٣ — قصائد شعرية للنابلسي ١٠٦٦٨ .
١٠٤ — قصيدة في الطاعون ١١٣٠٦ .
١٠٥ — قصيدة للنابلسي ١٣٠ .
١٠٦ — قصيدتان ٤٤٢٧ .
١٠٧ — الكتابة العلية على الرسالة الجنبلاطية المصرية .
١٠٨ — الكشف عن الأغلاط التسعة في بيت السلعة من القاموس .

١٠٩ — الكشف والبيان عن أسرار الأديان ١١١ .
١١٠ — كوكب المباني ومركب المعاني ، شرح صلوات الشيخ عبد القادر الكيلاني ، في مجلد ٨٥٧٤ .
١١١ — مجالس في التفسير على أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٩٨٦٤ .
١١٢ — مجموع فيه فقه وتفسير وغيره للنابلسي ٩١٣٢ .
١١٣ — محو الظلامة في رسم الرخامة عام ٩٣٠٤ .
١١٤ — مختصر فصوص الحكم ٧١٧٨ .
١١٥ — مسائل منثورة في الفقه الحنفي — مجموع رقم ٣٦٢٤ .
١١٦ — المسلك الجلي في شطح الولي ٤٠٠٨ .
١١٧ — مفتاح الفتوح في مشكاة الجسم وزجاجة النفس ومصباح الروح ، من جلد لطيف : ٦٠٩٩ ، ٧٤٨٧ ، ٦٠٤٧ .
١١٨ — مناقب أبي العباس السبتي ٦٩٥١ .
١١٩ — منظومة النابلسي للدعاء بأسماء الله الحسنى :١٠٦٦١، ١٠٤٥٦ ، ٤٣٩٨ .
١٢٠ — نتيجة العلوم ونصيحة علماء الرسوم في شرح مقالات السرهندي المعلوم :٥٥٥٥ ، ٤٠٠٨ .
١٢١ — نخبة المسألة ، شرح التحفة المرسلة ، في التوحيد ٢٤٥ ، ٦٠٢١ ، ٩٧٧٤ ، ٩٣١٥ ، ٦٠٧٧ ، ٦١٨٥ ، ١٣٧٧ ، ٥٩٤٤ ، ٨٤٢٠ ، ٧٤٨٦ .
١٢٢ — النسيم الربيعي في التجاذب البديعي : ٤٠١١ ، ٥٣١٦ ، ١٧٧ .
١٢٣ — نظم أسماء الله الحسنىٰ ٧١١٥ .
١٢٤ — نظم كافية ابن الحاجب .
١٢٥ — نقض الجعبة في الاقتداء من جوف الكعبة ٤٠١٠ .
١٢٦ — نقود الصرر شرح عقود الدر فيما يفتى به على قول زفر ، منظومة السيد أحمد الحموي رحمه الله: ١٧٧ .
١٢٧ — نهاية السول في حلية الرسول .
١٢٨ — ورد الورود وفيض البحر المورود : ٥٥٦٤ ، ٩١١٣ .

(١٣٣) —قد تقرأ اللفظة في ق (الفاضل) أو(الفواضل) ولكنها لا تقرأ (الفضائل)أبداً .

(١٣٤) —هو أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الصفدي الدمشقي الشافعي الحنفي إمام الدرويشية قال المحبي : (صحبته من سنة أربع وسبعين إلى أن مات فما أنكرت شيئاً من أخلاقه ، وكان كثير الشعر ، نديّ القلم) وكانت له صحبة أيضاً مع النابلسي ، وله عدة مؤلفات ، وتولى عدة وظائف وتوفي سنة ١١٠٠ وانظر خلاصة الأثر ٣٥٦/١ — ٣٥٩ ، وريحانة الألبا ٤٠٩/١ — ٤١٩ .

(١٣٥) —هو علاء الدين محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد الحصكفي الدمشقي . مفتي الحنفية بدمشق وصاحب التصانيف الفائقة في الفقه وغيره . ولد بدمشق سنة ١٠٢٥ هـ ورحل إلى الرملة والقدس والمدينة وله مشايخ في كل المدن . توفي سنة ١٠٨٨ وانظر خلاصة الأثر ٦٣/٤ — ٦٥ ، وعرف البشام ٨١ — ٨٤ والأعلام ١٨٨/٧ ، ومعجم المؤلفين ٥٦/١١ .

(١٣٦)— كذا في الأصول والمسودة ل ٣١ : (الحسكفي) ، والذي في مصادره (الحصكفي) نسبة إلى حصن كيفا ، وضبطه المحبي بفتح الحاء وسكون الصاد المهملتين ، وفتح الكاف وفي آخرها الكاف ، وحصن كيفا على دجلة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين . انظر خلاصة الأثر ١٢/١ .

(١٣٧)—البيتان في المسودة ل ٣١ .

(١٣٨)— في هامش ت : (بلغ مقابلة) .

اليوم السادس والأربعون

١١٠٥/٢/١٧ = ١٦٩٣/١١/١٥ م

فلما[١] أصبحنا في اليوم السادس والأربعين ، وهو يوم الأحد السابع عشر من صفر ، دعانا إلى داره مَفْخَر الأكارم صديقنا لطفي جلبي الكاتب يومئذ بمدينة صيدا المحروسة ، وحصل لنا كمال السرور بذاته اللطيفة المأنوسة .

سؤال شعري في شرب الدخان وجوابه

ووجدنا عنده هذا السؤال والجواب المنظومين في سلك الاقتضاء لذلك والاقتضاب في حق شرب الدخان ، من نظم كمال أفندي أحدم العلماء الأعيان عليه الرحمة والرضوان : [من البسيط]

ما قَوْلُكُمْ سادَتي في بدعةٍ ظَهَرتْ
فيها لها بِدْعَةٌ تَدْعو إلى النّارِ
مثلَ الغَمامَةِ في العَيْنَيْن قد نُشِرَتْ
وفي أُنوفِ البرايا مثلَ إعْصارِ
وَقَدْ أَكَبَّ عليها الناسُ واشْتُهِرتْ
بَعْدَ الخَفاءِ بغليونٍ كمزْمارِ
هَلْ جائِزٌ شربُها فينا فَقَدْ كَثُرَتْ
وقيلَ قَدْ ظَهَرَتْ من عند كُفّارِ
أفْتوا لسائِلِكُمْ يا أَبْحُراً زَخَرَتْ
يَا أَكْرَمَ النّاسِ من بدو وأحضار[٢]

الجواب

يا فاضِلاً قال دُرّاً في السؤال عَلَى
حَشيشةٍ شَرِبَتْها الناسُ بالنّارِ
جوابُ ما قُلْتَه عن حالها كَثُرَتْ
فيه الأحاديثُ من أقوال أخيارِ

---

(١) ق : (ولما) .
(٢) ق : (من بدو وحضّار) .

وبدعــةٍ قــلت لكــن بعضهــم شَهــدوا
بــــأنَّ في شرْبها دَفْعــــاً لأضرارِ
وكَالغَمامــةِ في العَيْنَيْــنِ قُــلْت فمــا
كـلُّ الطَّبائِــع شَكْــلٌ واحــدٌ طــاري
كَــمْ ناظــرٍ قَــدْ جَـلَتْ عَنْـهُ غِشاوَتُــهُ
وصارَ[٣] جَوْهَــرةً عــن شبهةٍ عــاري
وَقَــدْ أكَــبَّ[٤] عــليها النــاسُ واشْتُهِــرتْ
أثْــبَتُّ فَضْلاً لها مــن نصّ مختــارِ
[٨٣/ب] لا تَجْتَمــعْ أمَّتــي فيمــا تضلُّ بـــهِ
فكُنْ مَعَ الجمْعِ فيما يَـرْتَضي البـاري

اليوم السابع والأربعون

١١٠٥/٢/١٨ هـ = ١٦٩٣/١١/١٦ م

فلما أصبحنا في اليوم السابع والأربعين ، وهو يوم الاثنين الثامن عشر من صفر ، عزمنا على المسير بعون الربّ القدير .

مكتوب من والي صيدا إلى حاكم عكا

فأرسل حضرة الباشا حفظه الله تعالى باشا صيدا المذكور معنا جماعة من أتباعه وعسكره المنصور ، وأرسل معهم مكتوباً إلى حاكم عكة[١] توصية فينا ، وتكريماً لنا وتحنينا ، وكتب لنا بيرأولديا[٢] مختوماً بختمه الكبير خطاباً لأهل تلك النواحي من الساحل الشامي الداخلة تحت ولاية قدره الخطير وهذه صورته[٣] :

صدر المرسوم المطاعُ الواجبُ القبول والإتباع إلى كل واقف عليه ، وناظر إليه[٤]

---

(٣) ق : (قصار) .
(٤) ت : (أكتب) .

(١) ق : (عكا) .
(٢) ق (بيوراولدياً) ، والبيورولدي : هو الأمر السامي .
(٣) المكتوب في المسودة ل ٣١ (في الحاشية) .
(٤) في هامش ق (عجائب صنع الله) .

من ملتزمين مقاطعات وصوباشية[٥] ومشايخ قرايا ورعايا أماكن في إيالة صيدا ، وإيالة لواء اللجون ، ونابلس ، إلى بيت المقدس بوجه العموم ، وفقهم الله تعالى ، وغير ذلك ؛ نعرفكم أن ناقل هذا المثال قدوة العلماء العاملين ، عمدة الفضلاء الصالحين ، ينبوع[٦] عين الفضل واليقين ، ووارث علوم الأنبياء والمرسلين ، العارف المحقق ، والعلامة المدقق ؛ فريد عصره ؛ ووحيد دهره ، حضرة مولانا الشيخ عبد الغني نفع الله المسلمين بعلومه ، وأعاد علينا بركاته وصالح دعواته في الدنيا والآخرة ، متوجهاً إلى الديار القدسية ، قاصداً زيارة ما فيها من مراقد أنبياء الله تعالى[٧] العظام ، وأوليائه الكرام ، بناءً على ذلك أصدرنا هذا البيراولدي[٢] إليكم ؛ فمع وقوفكم عليه[٨] ؛ ونظركم إليه[٨] ؛ وشرفكم بتقبيل يديه ، وعند وصوله إلى عند[٩] كائن من كان منكم ، تكونوا[١٠] في خدمته وتعظيمه وإكرامه ، وإكرام من يلوذ بجنابه من تلامذته وأتباعه فوق ما هو المراد . وإذا توجه من عند أحدكم ، فليرسلْ معه ناساً[١١] من أتباعه يوصلونه[١٢] إلى المنزل الذي يكون قاصده في أمن وأمان ، من غير مخالفة ولا توان . وإن بلغنا عن أحد أنه[١٣] لم يتلقّاه بالرحب والسعة ، أو يحدث منه سوء أدب ، أو يتعرض له في شيء لا يرضاه ، أو يتعدى عليه في شيء يكدر خاطره ؛ لا يلومن إلا نفسه ونطلع من [٨٤/أ] حقه بأشد العقوبة والعذاب ، والحذر ثم الحذر من المخالفة والعناد . عرفناكم ذلك[١٤] تعلموه وتعتمدوه[١٥] انتهى .

الرحيل من صيدا

ثم إننا سرنا على بركة الله تعالى ولم نجد سوءاً في سفرنا أصلاً ؛ ولا احتجنا إلى

---

(٥) الصوباشية جمع صوباشي وهو رئيس لعدد من الجند في القرى والأقاليم للمحافظة على الأمن — حوادث دمشق اليومية ١٢٢ هـ ١ .

(٦) في المسودة (وينبوع) .

(٧) ليست اللفظة في المسودة .

(٨ — ٨) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٩) المسودة : (لعند) .

(١٠) ن : (تكونون) وتركت رواية باقي النسخ لأنها رواية المسودة بخط المؤلف .

(١١) في المسودة (ناس) .

(١٢) في المسودة : (يوصلوه) .

(١٣) في المسودة : (وإن بلغنا من أحد لم يتلقاه) .

(١٤) ليست اللفظة في ن .

(١٥) في المسودة : (من المخالفة والعناد وتعلموا ذلك وتعتمدوه لأنا عرفناكم ذلك في ١٧ صفر سنة ١١٠٥) .

إخراج هذا البيراوالدي ولا غيره ، ولا أريناه لأحد من النـاس ، واعتمادنـا[١٦] على الله وحده في كل حال ، حين الإقامة ، وحين الترحال . وقد خرج معنا لوداعنا الشيخ رضوان المفتي المتقدم ذكره وغيره من أفاضل تلك البلدة وأعيانها .

مطر شديد

وقد نزل علينا مطر شديدٌ ، ونحن سائرون على ساحل البحر ، فكأنما الدنيا فاضَتْ علينا غدرانُها .

مزار النبي ساري

حتى مررنا في الطريق على مزار مبارك ، يسمّونه النبي ساري ، يهنى بزيارته القاطن هناك والساري ؛ وهو في[١٧] رأس جبل عالٍ فما أرفع مناره ، وعليه قبةٌ معقودة من الأحجار . وهناك له عمارة ؛ فقرأنا الفاتحة وأهدينا ثوابها لروحه ، ولمن حل معه في جوار ضريحه .

قلعة القاسمية

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى القاسمية ، وهي قلعة خراب ، كانت في سابق الزمان معمورة مبنية ، وفيها الآن بعض البيوت ، ويسكنها ناس من الفلاحين ، أصلح الله تعالى أوصافهم والنعوت .

فقدموا لنا بعض الضيافة ، وأبدلوا[١٨] كنافتهم باللطافة .

نهر اللاطاني

وهناك النهر العظيم المسمى بالنهر اللاطاني ، الواصل من أرض البقاع ، وعليه الجسر المبني بعقود الحجارة فياحبّذا في القديم هاتيك البقاع ؛ وقد تهدَّم الآن بعضُ بنيانه ، وسطَتْ عليه وعلى أهله أيدي زمانه ؛ فوقفنا هناك وقفة الحائر ، ولكننا[١٩] مررنا عليه مرور الطائر .

---

(١٦) ن : (واعتمدنا) .

(١٧) ليست اللفظة في ن .

(١٨) ق : (وبدلوا) .

(١٩) ق : (ولكنا) .

قصيدة ابن حجة في قاسمية حماة

فتذكّرنا قولَ ابن حجة الحموي رحمه الله تعالى في قاسمِّيةِ حماة ، وقصره الذي هناك في حماة : [من الطويل]

هَـوايَ بسَفْـحِ القَاسِمِيَّـةِ فالـجِسْرِ[٢٠]
إذا هَبَّ تَدْرُوا[٢١] أَنَّ ذاك الهَوَى عُـذْري

وهي قصيدة طويلة موجودة في ديوانه مدح بها القاضي تقي الدين أبي بكر الحنفي وتشوّق فيها إلى حماة ، والقصيدة بتمامها هي قوله :

هــوايَ بَسفْـحِ القاسميَّــةِ فالــجِسْرِ
إذا هَبَّ تَـدْروا أنَّ ذاك الهَـوَى عُـذْري

[٨٤/ب] وَفَقْري إلى رشفِ الرّضاب الـذي حَـلا
مِن النّهـر[٢٢] حَلّى سائـل الدّمْـع في نَهرِ

وَلي ثَـمَّ بَيْـنَ المَنجِدَيْـن مَعاهِـدٌ
بها هَدَمْت تلك المَعاهِـدُ مِـن صَبْـري

يَـروقُ امتـدادُ الـجِسْرِ والـقَصْرُ فَوْقَـه
فَيَحْلـو طبـاقُ العَـيْشِ بـالمدِّ والــقصرِ

وَقَـدْ أصبَـحَتْ تـلك الجزيـرةُ جَنَّـةً
أَلَـمْ تَنظِـر الأَنْهـارَ مِـن تَحْتِهـا تَجْـري

تَفـوقُ عُيـونَ الزَّهْـرِ بَيْـنَ شُطوطهـا
(عُيـونُ المَهـا بَيْـنَ الرُّصافـةِ والجسرِ)

وإن جــرتْ بالـرَّمْضاءِ بَيْـنَ غُصونها
(جَلَبْنَ الهَوَى من حَيْثُ أَدْري ولا أَدْري)

وَعاص رَحيب الصَّدْرِ قَـدْ خَـرَّ طائعـاً
وَدُولابُـه كالقَـلْبِ يَخْفِــقُ في الصَّدْر

---

(٢٠) ق : (والجسر) .

(٢١) كذا في الأصول جميعاً ، ويبدو أنه جعل (إذا) جازمة .

(٢٢) ن : (وتغري ... من النار ...) .

وَقَـدْ أُشْبَـه الخَـنْساء نَوْحـاً وَإنَّـهُ
وَها دَمْعُهُ قَدْ صار يَجْري عَلَى صَخْرِ
فَيـا جِيـرَةَ العـاصي إذا ذُقْتُ مـاءكُم
أهيـمُ كَأنّـي قـد ثَمِـلْتُ مـن السُّكْـرِ
وَلَـوْلا بقايـا طَعْمِـهِ في مَذاقَتـي
لَما ظَهَرتْ تـلك الحلاوةُ مـن شِعْـري
وَكَـمْ رامَ هٰـذا البَحْـرُ تَشْبيـهَ لُطْفِـهِ
فَقُـلْتُ انزلـوا بـالله في ساحِـلِ البَحْـرِ
فآهـاً على وادي حَمـاةَ تأسُّفـاً
خلافـاً لِمَـنْ قَـدْ قـال آهـاً على مِصْرِ
فَكَـمْ مَـرّ لي فيها حَـلاوَةُ ليلـةٍ
فكـانَتْ شَبيـهَ الخالِ في وَجْنَـةِ العُمْـرِ
وفي غَيْرِهـا قَـدْ صرتُ أقْضي لَياليـاً
تَمرُّ بلا نَفْـعٍ وتُـحْسبُ مـن عُمْـري
وإنْ كانَ قَـدْري في طَرابُـلُسٍ عَلا
وَقـدْ لَقِيَتْنـي وَهـي باسِمَـةُ الثَّغْـرِ
فـإنَّ فِـراقَ الإلْـفِ والخِـلِّ والهَـوَى
وَفَقْـد الحِمـى والأَهْـلِ صَعْبٌ على الحُـرّ
بـلادٌ بها نيـطَتْ عَلَـيَّ تمائمـي
وحُزْتُ بها ما حُزْتُ من رفعةِ القَـدْرِ
وإنْ كـنتُ فيها قَـدْ أُصِبْتُ بغَلْطـةٍ
من الدَّهْـر أَنـيّ قَدْ صَفَـحْتُ عن الدَّهْـرِ
فَيـا ساكنـي مَغْنـى حَمـاةَ نَعِمْتُـمْ
صَباحـاً ولـو أَلْغَيْتُـمُ في الـوَرَى ذِكـري
فـوُدِّيَ وُدِّي مِثْـلَ مـا تَعْهَدونَـهُ
وَلٰكِـنَّ صَبْـري عَنْكُـمُ عـادَ كَالصَّبْـرِ

وَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى هَجْرَكُمْ قَبْلَ بُعْدِكُمْ
فَلَمّا بَعدْتُمْ قُلْتُ آهاً على الهَجْرِ
وإنْ جُلْتُ في مَيْدانِ نَظْمي تَشَوُّقاً
تُسابِقُني حُمْرُ المَدامِعِ بالنَّثْرِ
عَسَى تُعْرِبُوا بالفَتْحِ بابَ لِقائكم
فقَلْبي لِطولِ البُعْدِ يُعْرَبُ بالكَسْرِ
وَشيعيُّ هَمّي كُلَّما رامَ بُعْدُكم
يُحاربني نادَيْتُ يا لأَبي بَكْرِ
لأَنَّ أبا بكرٍ إمامي وَحُبُّهُ
غَدا سُنَّتي وَهْوَ المُقَدَّم في الذِّكْرِ
أياديه بَحْرٌ وهو بَرٌّ فَهاجِروا
إلَيْه تَنالوا الخَيْرَ في البَرِّ[24] والبَحْرِ
أيادٍ إذا زادَتْ أَصابعُ نَيْلِها
وَوَفَّتْ رَأَيْنا الخَيْرَ في ساعةِ الكَسْرِ
وَتَبْسِمُ إنْ جادَتْ بِقَطْرِ النَّدى كما
تَبَسَّمَ ثَغْرُ الزَّهْرِ عَنْ شَنَبِ العطرِ
وَهٰذا وَكَمْ أَبْدَى لَدَيْنا[25] تَكاثُراً
مِن العِلْمِ دَلَّتْ أَنَّهُ واحِدُ العَصْرِ
[٨٥/أ] وَإنْ تَبِعَ النعمانَ فَهْوَ شَقيقُهُ
بزهرِ عُلومٍ أَيْنَعَتْ منه في الصَّدْرِ
وَقالَ زَماني وهو مُثْرٍ من الوَرَى
عَلَى مِثْلِه أَصْبَحْتُ في غايةِ الفَقْرِ
تَبارَكَ مَنْ أَنْشاهُ مَعْنىً وصُورَةً[26]
وَخَصَّ المُحَيّا بالطَّلاقَةِ والبِشْرِ

---

(٢٣) ن : (ألفيتم) .

(٢٤) ليس (في البر) في ق .

(٢٥) ق : (أبدى إلنا) .

(٢٦) ن : (وقوة) .

يَعِزُّ على قَلْبي فِراقُ مَقامِه
وها أنا مِنْ بعدِ المقامِ بلا حجرِ

فيا سيّدي قاضي القُضاةِ وَمَنْ به
سَمَوْتَ إلى أن دُسْتَ قادمَةَ النّسْرِ[٢٧]

مَدَحْتُكَ لكن زادَ مَدْحي صَبابَتي
إليْكَ وَأَذْكَى جَمْرَةَ الشّوْق في صَدْري

وَجَدَّدَ لي وَجْداً وما كُنْتُ ناسِياً
وَلٰكنّه تَجْديدُ ذِكْرٍ على ذِكْرِ

فَلاطِفْ عَنا قَلْبي بحَقِّ مُحَمَّدٍ
بطيِّ كتابٍ يُنْعِشُ القَلْبَ بالنّشْرِ

لأنّيَ في قَيْدٍ من البَيْنِ مُوثَقٍ
وَما زلْتَ تَسْعَى في فَكاكي من الأسْرِ

وَخُذْها قصيداً أنْت نافِثُ سِحْرِها
قَديماً وَقَدْ جاءَتْكَ تَنْفُثُ بالسّحْرِ

فَلا زِلْتَ في مُسْتَقْبَلِ العِزِّ دائماً
وفي كُلِّ حالٍ لَمْ تَزَلْ ماضيَ الأَمْرِ

تضمينان

وقد ضَمَّن في قصيدته هذه مطلع قصيدة عليّ بن الجهم[٢٨] الشاعر المشهور مطلعها :

عيونُ المَها بَيْنَ الرُّصافَةِ والجِسْرِ جَلَبْنَ الهَوَى من حَيْثُ أَدْري ولا أَدْري

وضَمَّنَ أيضاً مطلعَ قصيدة ابن قَلاقِس[٢٩] وذلك قوله : [من الطويل]

(٢٧) هذا البيت مستدرك فى هامش ت .

(٢٨) هو علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود ، أبو الحسن الشاعر المشهور ، له ديوان شعر مطبوع . توفي سنة ٢٤٩ هـ . وانظر ترجمته في : طبقات ابن المعتز ٣١٩ ، والأغاني — دار الكتب — ٢٠٣/١٠ — ٢٣٤ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ١٤٠ ، وتاريخ بغداد ٣٤٩/١ ، ووفيات الأعيان ٣٥٥/٣ — ٣٥٨ .

(٢٩) هو نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن علي بن عبد القوي بن قلاقس اللخمي الأزهري الإسكندري الملقب بالقاضي الأعز الشاعر المشهور . ولد سنة ٥٣٢ وتوفي سنة ٥٦٧ هـ وانظر في ترجمته : خريدة القصر — مصر — ١٤٥/١ ، ومعجم الأدباء لياقوت ٢٢٦/١٩ — ٢٢٨ ، والروضتين ٢٠٥/١ ، ووفيات الأعيان ٣٨٥/٥ — ٣٨٩ ومرآة الجنان ٣٨٣/٣ ، والشذرات ٢٢٤/٤ .

تَبسَّمَ ثغر الرَّوْضِ[٣٠] عن شَنَبِ القَطْرِ وَدَبَّ عذارُ الكُلِّ في وَجْنَة النَّهْرِ

شعر على نمط ابن حجة لمحمد الصالحي

وقد ألم الشيخ محمد الصالحي[٣١] بالبيت الأول من قصيدة ابن حجة ، وسلك على هذه الطريقة والمحجة ؛ وحنَّ إلى صالحيّته وجسرِه،وتشوق إلى طي طيب معناه من دمشق الشام ونشره ؛ حيث قال[٣٢] ، وتلطف في المقال : [من الطويل]

حَنيني لِسَفْحِ الصّالحيَّةِ والجسْرِ أهاجَ الهَوَى بَيْنَ الجَوانِحِ والصَّدْرِ
وشَوْقي إلى تلكَ المَعاهِدِ لم يَزَلْ يَفيضُ بِي الأشجان من حَيْث لا أَدْري
رُبوعٌ بها أُنس وعَيْشي يُظِلُّها رَبيعي وَمَثْوايَ[٣٣] بها زُبْدَةَ العُمْرِ
إِلَيْها ارْتِياحاتي وَفيها مَآرِبي وَعَنْها حَديثي والغَرامُ بها عُذْري
وَبالرَّغْمِ منّي أَنْ أرى البُعْدَ حاجزاً يَحولُ وَدونَ القُرْبِ سُورٌ من الفَقْرِ
وَإِنّي وَإِنْ طالَتْ عُهودِيَ بالحِمى عَلَى ثِقَةٍ بالجَمْعِ من راحِمٍ بَرِّ
إِلَى اللهِ أَشْكُو أَنّني كُلَّ لَيْلَةٍ تُؤَرِّقُني الذِّكرى إلى مَطْلَعِ الفَجْرِ
سَمِيرَيَّ فيها. النَّجْمُ والشَّوْقُ سالبٌ قَراري وَمَسْلوبٌ بِشِدَّتِهِ صَبْري

قلعة صور

ثم قمنا من ذلك المكان ، ونحن في غاية السّرور والأمان ، إلى أن وصلنا إلى قلعة صور ، وغالبها الآن خراب ، وهي [٨٥/ب] في القديم بلد عامر مشهور .

قال ياقوت الحموي في المشترك[٣٤] : صور[٣٥] بضمّ الصاد المهملة ، وسكون الواو وراء ، أشهرُ مدينة بساحل بحر الشام ، وأحصنها ، وأحسنها ، افتتحت في أيام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وبقيت في أيدي المسلمين إلى سنة ثمان عشرة وخمس مئة في أيام الآمر بالله ، فأخذها الفرنج لأنهم حاصروها فسلموها لعدم القُوت ، وهي في

(٣٠) ق : (ثغر الزهر) .
(٣١) تقدمت ترجمته في هذا الجزء .
(٣٢) ق : (قال وقال) .
(٣٣) ل (ومنثواني) ولا يصح الوزن بها .
(٣٤) انظر المشترك وضعاً ٢٨٦ .
(٣٥) ق : (والصور) .

أيديهم إلى هذه الغاية . وكان بها جماعة من العلماء من أهلها وناقلة إليها . انتهى .

وفي القاموس[٣٦] : الصُّورُ — بالضم : القَرْنُ يُنْفَخُ فيه ، وبلا لام : بلاد بساحل الشام .

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[٣٧] : صُور : جمع صورة ، يقال صورة وصور ، ويقال : هو من صارَهُ يَصُورُهُ : أي أماله . انتهى .

وقد وردنا إلى تلك البلاد في وقت المساء ، ونزلنا في تلك القلعة مع جماعتنا ، ونحن نقول لعل وعسى ، فثارت علينا الرياح والبروق ، من الغروب إلى الشروق ؛ وقلنا في ذلك بمعونة القدير المالك[٣٨] : [من البسيط]

وبلـدةٍ مـن بـلادِ السَّاحِـلِ اشْتَمَلَتْ ... على امْتِـدادٍ لها في البَحْـرِ مَشْهـورِ
بِتْنـا بها في هَـواءٍ فـوقَ قَلْعَتِهـا ... حَتَّى شَهِدْنا هنـاكَ النَّفْـخَ في الصُّورِ

وقد قلنا أيضاً كذلك على حسب ما كان هنالك[٣٨] : [من الخفيف]

وَيْـحَ صور نُمَّـا بها نَحْـنُ بِتْنـا ... لَيْسَ عَنَّا الهَـواءُ فيها بِمَحْظُـورِ[٣٩]
فَادْخُلوهـا وَشاهِـدوا هَـوْلَ حَشرٍ ... وَاقْرَؤُوا ثَـمَّ يَـوْم يُنْفَـخُ في الصُّورِ

وقلنا كذلك[٣٨] : [من الخفيف]

بلـدةٍ[٤٠] جئْتُهـا تُسَمَّـى بصورٍ ... نافخـاتُ منها الرِّيـاحُ بصورِ
ماؤُهـا قِيـلَ إنَّـه مِـن فُـراتٍ ... بسِيـاقِ الإِسْكَنْـدَرِ المَشْهـورِ
يَنْبُـعُ الرَّمْـلُ مِثْـلَ مـا يَنْبُـعُ الماءُ ... بها غامِـراً لِتِـلْكَ الـدُّورِ
مَـنْ أَتاهـا أَتَى خَرابَـةَ قَفْـرٍ ... في مكـانٍ مباعـدٍ مهجـورِ
يُشْعِـرُ الحالُ أَنَّهـا أَمْسِ كانَتْ ... بَلَـداً واسِعـاً يحفّ بسورِ
لٰكِـنَّ الأَمْـرُ بـالضَّرورةِ يُلْجـي ... لِمَبـيتٍ وَلَـوْ بلَحْـدِ القُبـورِ
وَلَهـا قَلْعَـةٌ لَقَـدْ قَلَعَتْهـا ... حاكَموهـا بِجُورِهـم في الأُمـورِ

---

(٣٦) انظر القاموس (صور) .
(٣٧) انظر تاريخ دمشق ١ / ٢٠ ، ومختصره لابن منظور ٤٩/١ .
(٣٨) الشعر في المسودة ل ٣٢ .
(٣٩) رواية المسودة : (ليس فيها لهواء عنا بمحظور) .
(٤٠) في المسودة (بلد) .

وقد اتفق أن رجلاً من جماعتنا لم يجد لفرسه مكاناً سفلياً مسقوفاً يضعها فيه ، وكان لسحاب ينضح علينا ماء المطر من [٨٦/أ] فيه ؛ فصعدنا من تلك القلعة إلى مكان عالٍ ، له درجٌ من الحجر نحو الثلاثين درجة ، لاصق ذلك الدرج بالحائط من جانب واحد والجانب الآخر خالٍ ، وعرضه لا يأتي قَدْر ذراعين ، وقد لطف السميع العليم بناحين صعدنا فيه ، وحفظنا من الحَيْن . وإذا بصاحبنا قد صعد خلفنا وأصعد معه الفرس ، حيث لا وقاية لها هناك من المطر ولا حرس ؛ فتعجبنا من ذلك الإصعاد . وقد حفظ الله تعالى الجواد ، ذلك الجواد ؛ فقلنا له : في غدٍ إذا أنزلته توكل على الله وكن أنت من جهة الحائط ، حتى إذا كان السقوط يكون الفرس هو الساقط ؛ فحفظ الله تعالى بفضله الرجل والفرس والله خير الحافظين ، وهو الذي عليه نتوكل في جميع أمورنا وبه نستعين .

اليوم الثامن والأربعون

١١٠٥/٢/١٩ هـ = ١٦٩٣/١١/١٧ م

ثم لما أصبحنا في يوم الثلاثاء الثامن والأربعين ، التاسع عشر من صفر ركبنا وسرنا نحن والإخوان ، في أتم راحة وأكمل أمان ؛

قبر شمعون الصفا

حتى مررنا على قبر شمعون الصفا ، ونحن في غاية المَسَرَّة والصَّفا ؛ وقبره على جبل عالٍ ، وهو مشهور بين أهل تلك البلاد ، أنه من الأنبياء أولاد يعقوب عليهم السلام أو من الأحفاد ؛ وعندنا في دمشق الشام في القرب من مقبرة باب الصغير بين البساتين من جهة محلة الشاغور قبر كبير ، يقال إنه قبر شمعون الصفا ، والله أعلم بمن ظهر من ذلك ومن اختفى .

وفي كتاب الزيارات[١] للهروي[٢] في أوله عند زيارات حلب قال : والصحيح أن شمعون الصفا في مدينة رومية الكبرى ، في كنيستها العظمى في تابوت[٣] من الفضة ، معلق[٤] بسلاسل في سقف الهيكل والله أعلم انتهى .

(١) ق (وفي زيارات الهروي) .
(٢) انظر الإشارات إلى معرفة الزيارات ٦ .
(٣) في هامش ق : (أول) .
(٤) ليست اللفظة في ق .

وفي القاموس[٥] : الهَيْكَلُ بيتٌ للنَّصَارى فيه صورةُ مَرْيَمَ عليها السلام وديرهم والبناء المشرف . انتهى .

فوقفنا بالقرب من ذلك ودعونا الله تعالى بعد قراءة فاتحة الكتاب ، وإهداء ثوابها لذلك الجناب ؛ ثم قلنا من النظام في رفيع ذلك المقام[٦] : [من الوافر]

بِشَمْعُونِ الصَّفَا زَادَ الصَّفَاءُ وَأُكْمِلَتِ المَسَرَّةُ والهَنَاء
وَأَشْرَقَتِ المَعَالِمُ والرَّوابي وَذاكَ القصرِ طابَ لَهُ الوَفَاءُ
عَلَى الجَبَلِ العَظِيمِ عَظِيمُ نُورٍ بِقَبْرٍ ثَمَّ زَوْرَتُهُ شِفَاءُ
مَرَرْنَا في الطَّرِيقِ عَلَيْهِ حَتَّى تَبَدَّى مِنْهُ لِلعَيْنِ الضِّيَاءُ
[٨٦/ب] فَأَهْدَيْنَا السَّلامَ وَكَانَ مِنَّا لَهُ مَدْحٌ وفي المَدْحِ الثَّنَاءُ
سَقَى الرَّحْمَنُ مَرْقَدُه غماماً يُرِيكَ الصُّبْحَ ذلك والمَسَاءُ
مَدَى الأَوْقَاتِ ما آضْطَرَبَتْ مِيَاهٌ بِذاكَ البَحْرِ حَيْثُ سَرَى الهَوَاءُ

شعر في عقبة كؤدد

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى تلك العقبة الكؤدد ، التي على شاطيء البحر حتى أخذنا في الصعود ، وسمعنا صوتَ الماءِ والأمواج تهدرُ تحت تلك الصخور ، وما تلك الناقورة[٧] وذلك النَّقار إلا كما يَقْرأُ القارىءُ ﴿ وَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾[٨] ؛ وفي ذلك نقول على البديهة ، حيث لم نجد شبيهه[٩] : [من الخفيف]

---

(٥) انظر القاموس (هيكل) .
(٦) الأبيات في المسودة ل ٣٢ .
(٧) ن : (الناقور) .
(٨) سورة المدثر ٨/٨٤ .
(٩) الشعر في المسودة ل ٣٢ دون البيت الأخير .

قَـدْ مَشَيْنـا لِنَحـوْ عَكّـةَ صُبْحـاً   نَقْطَـعُ السَّهْـلَ مـن مَدِينَـةِ صُور
وَرَأَيْنـا نَقّـارَ عَكّـةَ لَمّـا   يَهْدُرُ الماءُ[10] فيه تحت[11] الصخور
قُـلْتُ للقـومِ هٰهُنـا هَـوْلُ حَشْرٍ   نقـر اليـوم منـه في الناقـور

قرية زيب

ثم توجهنا إلى قرية زيب بالزاي ، كما هو في القاموس[12] ، وذلك مشهور على ألسنة أهل تلك البلاد ، لا بالذال المعجمة ، ولعله تصحيف من الأصل وعبارة القاموس ، هي قوله : (وتَزَيَّبَ لَحْمُهُ تَكَتَّلَ وَاجْتَمَع ، والزِّيْبُ قَرْيةٌ بساحِلِ بحرِ الروم) . انتهى . فلعل اسمَ القرية بِفتح الزاي ، وسكون الياء التحتيّة ، والباء الموحدة ، كما رأيته مضبوطاً كذلك في نسخة القاموس بقلم بعض العلماء ، واشتقاقه من تَزَيَّبَ لحمُه : اجتمع ، لاجتماع الناس فيها . ونُطْقُ أهل البلاد بكسر الزاي ، فلهذا قلنا : لعله تصحيف من الأصل . وسميت باسم الذِّيب بالذال المعجمة ، وإبدال الهمزة ياء تحتية . وفي القاموس الذِّئب بالكسر ، ويترك همزه : كلب البر . انتهى . وهو اسم الحيوان المعروف لوجوده فيها ، أو لكثرة أكل أهلها كأكله ، أو لشبه أرضها بلون الذئب ، أو لأنّ طبع أهلها الافتراس ، أو لغير ذلك .

وقد نزلنا في هذه القرية[13] عند المشايخ الكرام ، أولاد الشيخ سعد الدين المشهور بالولاية والحال ألتام ، في ذلك القطر بين الأنام ، فحصل لنا منهم غاية الاعتناق[13] والاحترام ، وقد قلنا في ذلك من النظام[14] : [من السريع]

وقَرْيَـةِ الـذِّئْبِ لـدى عَكّـةٍ   قَـدْ جِئْتُهـا وَازْدادَ تَرْحـيبُ
كَمْ يُوسُفٍ فيها بُحسْنِ النـدى   لٰكِـنْ له لَمْ يَـأْكلِ الـذِّيبُ

[٨٧/أ] وقلنا كذلك في مثل ذلك[14] : [من السريع]

مِـنْ صُورٍ قَـدْ قُمْنـا إلى عَكّـةٍ   وَنَحْـنُ في أَنْـواعِ تَرْحـيبِ
وَأَهْـلُ ذاكَ القُطْـرِ في فِتْنَـةٍ   وفي جَهـالاتٍ وَتَغْلـيبِ

(١٠) في المسودة (يهدر البحر) .
(١١) ليست اللفظة في ق .
(١٢) انظر القاموس (زيب) .
(١٣) ليست اللفظة في ق .
(١٤) الشعر في المسودة ٣٢ .

حَتّى نَزَلْنا عنـدَ أَهْـلِ التُّقـى　　　من بَيْتِ سَعد الدين في طيبِ
والسَّعْـدُ وافانـا عَلَـى وَهْلَـةٍ　　　بكـلِّ إنعـامٍ وَتَرْغـيبِ
وَلَـمْ نَخَـفْ مِـن أسدٍ يَعْتَـدي　　　مـع أنَّنـا في قريـة[١٥] الـذيبِ

اليوم التاسع والأربعون

١١٠٥/٢/٢٠ هـ\= ١٦٩٣/١١/١٨ م

بلدة عكة

فلما أصبحنا في يوم الأربعاء التاسع والأربعين ، العشرين من صفر سرنا على بركة الله تعالى في ذلك الطريق السهل ، على ساحل البحر المالح الذي لا يصلح للعلّ ولا للنّهلِ ، حتى وصلنا إلى بلدة عكة ، وهي بلدة خراب مُنْدَكّه ، قد تهدَّمت[١] أسوارُها ، وانكسر سوارها ؛ وانقلعت عين قلعتها ، وخفيت بدائع صنعتها ، و لم يبق منها إلا القليل من البيوت ، والأخصاص من العيدان التي ليس لها ثبوت[٢] .

وكان افتتحها سابقاً من يد الفرنج السلطان الملك الظاهر بيبرس ، وعمر فيها برجاً عظيماً لايوجد له نظير ، وقد اندرس الآن وتنكر رسمه الشهير .

فلما وصلنا إليها ، وحللنا لدينا ، نزلنا منها في سرايا شاه وردي ، في مكان مستقل نحن وجماعتنا نعيد ما نجده من السرور ونبدي ؛ وحصل لنا أنواع الصفاء ، وكال المحبة ما بيننا والوفاء ، ولكنِ تلك البلاد وخيمة المطاعم ، ردية الهوى خشنة العيش لا يمكن فيها النعيم ولا الحال الناعم ؛ وقلنا في ذلك من النظام ، على حسب المقام[٣] : [من الخفيف]

عَكَّنـا الشَّوْقُ للأَحِبَّـةِ عَكَّـهْ　　　حيـنَ جِئْنـا إلى مدينـة عَكَّـهْ
وَرَأَيْنـا بها السرورَ وقُلْنـا　　　عَكَّـةُ وازَنَتْ لنـا لفـظ مَكَّـهْ
فَـعَسى اللهُ أن يجودَ عَلَيْنـا　　　بَعْـدَ هـذا بطيبـةٍ وبِبكَّـهْ

(١٥) المسودة (منزل) .

(١) ق : (تدّم)

(٢) ق : (بيوت) .

(٣) بعده في ق : (في ذلك العام) .

ثُــمَّ بِتْنَــا براحــةٍ وقبــولٍ ... وصككْنا في هامَةِ الهَمِّ صَكَّـهْ
وَعَلَيْنـا الغمــام[4] مَــدَّ رُواقــاً ... رُبَّمـا الغَـيْثُ كانَ يَفْتَـح فَكَّـهْ
وإذا الـوَقْتُ شَدَّ فـالله يُرْخـي ... وإذا عَقَــدَ المَعْقَــدَ فَكَّــهْ
واليَقيـنَ اليَقيـنَ بـالله يـا مَـنْ ... في سلوكِ الطَّريـقِ أكْثَـرَ شَكَّـهْ

وقال الحافظ بن عساكر في تاريخ دمشق[5] : عكا من قوله : [٨٧/ب] عَكَكْتُه أيْ حَبَسْتَهُ . والعَكَّةُ شِدَّةُ الحرّ . انتهى .

وفي القاموس[6] : (العكَّةُ — مثلثة — والعَكَكُ — محركة—[7] والعَكيكُ كأمير ، وكتاب : شدَّةُ الحرّ مع سكون الريح ... وعَكّاءُ ممدوة بلدة) انتهى .

وأصل اسم البلدة ممدودة ولكن أُبْدل الآن من المدّ هاء السكت كما هو المشهور .

اليوم الخمسون

١١٠٥/٢/٢١ هـ = ١٦٩٣/١١/١٩ م

نبي الله صالح

ثم لما أصبحنا في اليوم الخمسين وهو يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر ، ذهبنا إلى زيارة نبيّ الله صالح عليه السلام . فدخلنا إلى فراره المعمور ، وعليه أنواع الهيبة والوقار والحضور ؛ وهو مكان لطيف مأنوس ، وعلى القبر قبة مبنية تُطَأْطِىءُ من جلالتها الرؤوس . وهناك شجر التين والزيتون . فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى نحن وإخواننا الحاضرون .

وفي زيارات الهروي[1] : (أن مدينة قِنَّسْرين[2] فيها مقام صالح النبي عليه السلام ، [3]ويقال إن الناقة منه خرجت لصالح عليه السلام[3] . وبه أثار أقدام البعير ، والصحيح

(٤) في المسوّدة : (السحاب) .
(٥) انظر تاريخ مدينة دمشق ١/ ٣٠ ومختصره لابن منظور ١/ ٤٩ .
(٦) انظر القاموس (عكك) .
(٧) استدركت هذه اللفظة عن القاموس .
(١) انظر زيارات الهروي ٧ .
(٢) قِنَّسْرين : قال ياقوت : (وهي كورة بالشام منها حلب ، وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص ، بقرب العواصم) معجم البلدان .
(٣ — ٣) ليس ما بين الرقمين في ق .

أن صالحاً عليه السلام كان بأرض اليمن وقبره في شَبْوَة[٤] باليمن . وقيل إنه كان[٥] بالحِجْرِ ما بين وادي القرى والشام . وقبره بمكة . انتهى .

وفي كتاب صبح الأعشى في كتابه الإنشاء للقلقشندي[٦] قال في عكا : (ويقال إن قبر صالح عليه السلام في قبلة الجامع) . والصحيح أن قبر صالح عليه السلام ما ذكرناه أولاً والله أعلم ، يعني أنه بأرض اليمن ، وقيل إن صالحاً بمكة ، ويقولون إن[٣] في عكا قبرَ علكٍ الذي نسبت إليه عكا . ويزعمون أن علكّ نبي . ودخل عكا خلق كثير ، واستشهدوا في الوقائع والحروب المشهورة .

عين البقر

قال : وفي مدينة عكا عين البقر ، ذكروا أن البقر خرج منه لآدم عليه السلام ، يحرث عليها ، وعلى هذه العين مشهد ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٧] ، وذلك أن الفرنج عملت كنيسه ، وقعد فيها قسٌّ لعمارتها وخدمتها ، فلما أصبح[٨] قال : رأيت شخصاً يقول لي أنا علي بن أبي طالب ، قل لهم يعيدوا هذا الموضع مسجداً ، وإلا مَنْ أقام به يهلك ، فأخبرهم فلم يقبلوا كلامه ، وأقاموا غيره ، فلما أصبح وجدوه ميتاً ، فتركه الإفرنج مسجداً إلى الآن ، والله أعلم .

وقال ياقوت في المشترك[٩] : (عَيْنُ البقر [عين] ماء قُرْبَ عَكة بالساحل ، يُتَبَرَّكُ بها) انتهى .

وقد ذهبنا إلى هذه العين ، وهي عين لطيفة ، فيها ماء ، له نوع عذوبة ، يشرب منه لأجل البركة [٨٨/أ] كما ذكروا لنا أنها تُقْصَد للزيارة والتبرك .

قبر الشيخ مبارك

ثم زرنا في مقبرة تلك البلدة قبر الشيخ مبارك في داخل قبة عظيمة ، وهناك قبور كثيرة لأهل الدين والصلاح . فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

---

(٤) شَبْوَة : بلد من اليمن على الجادة من حضرموت إلى مكة . ياقوت معجم البلدان .

(٥) ليست اللفظة في ن .

(٦) في صبح الأعشى ١٥٢/٤ (وبها — أي عكا — مسجد ينسب لصالح عليه السلام) .

(٧) ق : (كرم الله وجهه) .

(٨) ن : (أصبح الصباح) .

(٩) انظر المشترك وضعاً ٦١ - ٦٢ .

قرية شفا عمرو

ثم ركبنا إلى أن وصلنا إلى قرية شفا عمرو ، وهي قرية كبيرة معمورة ، بالخيرات[10] مغمورة ، وفي ذلك نقول ، ونحن في أهبة النزول[11] : [من الطويل]

ومن عكّةٍ جئنا إلى القَرْيةِ الّتي ... تُسَمّى شَفَا عَمْرٍو لدى النّائلِ الغَمْرِ
ومنها تفاءَ لْنا بما نْرتَجي وَقدْ ... شَفا اللهُ عُمْري حينَ قِيلَ شَفَا عمرِو

وقد بتنا هناك تلك اللّيْلَهْ ، وجَرَّ علينا السرورُ في تلك المعاهد ذَيْلَه ، وقلنا في ذلك ، على حسب ما هنالك[11] :

شَفَا اللهُ عُمْري في نُزولِ شَفَا عَمْرِو ... وَما أنا مَعَ زَيْدٍ هُناكَ ولاَ عَمرِو
وَلكنْ مَعَ الرّبِّ الذي قدحَمَى الحِمَى ... بما شاءَهُ من مُرْهَفاتٍ وَمِنْ سُمْرِ
مَشَيْنا وَلِلْغَيْمِ اللّطيفِ سَتائِرٌ ... تُمَدُّ عَلَيْنا كَالْجلودِ مِنَ النّمرِ
وجئنا وَعَيْنُ الله حافِظَةٌ لَنا ... هُناكَ بلا نَهْي لَدَيْنا ولا أمْرِ
تَؤُمُّ بلادَ القُدْسِ والحَرَمِ الّذي ... محاسِنُه تغذي والّطافُة تَمْري
وَنَرْجو من اللهِ العِنايَةَ بالهُدَى ... لِقَبْرِ خليلِ اللهِ ذي النّائِلِ الغَمْرِ
ومن بَعْدِهِ نَرْجو زيارةَ أحْمَدٍ ... نبيّ للهُدَى واقي البَرايا من الجَمْرِ
عَلَيْه صلاةُ اللهِ بعدَ الخليلِ ما ... سَقَى الريحِ للأغصان كأساً من الخَمْرْ
فمالَتْ به سُكْراً وَغَنَّتْ حَمامَةٌ ... على الدَّوْحِ والشّحرورُ يَصْرخُ بالزَّمْرِ[12]

واجتمعنا تلك الليلة برجل من الأجناد في زي الدالية[13] ، مع جماعة منهم يحافظون في القرية المذكورة ، فإذا هو من العلماء ، الصالحين ، له كلام نافع ، ونصائح إيمانية ، وإشارات إلهية ، ففرحنا به ، وجرى بيننا وبينه مسامرات علمية ، ومذاكرات توحيدية ، باللغة العربية .

---

(١٠) ق : (وبالخير) .
(١١) الشعر في المسودة ل ٣٣ .
(١٢) ف ن : (بالزهر) ، وقد كانت كذلك في ت ولكن الناسخ صححها ، وحتى لا تلتبس بالهاء وضع تحتها حرف ميم صغير .
(١٣) ق (الدالتية) ، والدالاتية أو الدلاة : طائفة من الجند انظر حوادث دمشق اليومية ١٩ هـ ٢ .

اليوم الحادي والخمسون

١١٠٥/٢/٢٢ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٠ م

حتى أصبحنا في يوم الجمعة الحادي والخمسين ، وهو اليوم الثاني والعشرين من صفر ، سرنا على بركة الله تعالى نحن والإخوان ، نَتَنَقَّلُ من مكان إلى مكان .

صَفّوريا

حتى وصلنا قُبَيْلَ الظهر إلى قرية صفّوريا[١] ، من قرى بلاد صَفَد ، وبها تم سيرنا من جهة تلك الغابة[٢] ونَفَد ، فنزلنا بها على سادة كرام ، فأضافونا بما تيسر لنا من الزاد مع الإعزاز والإكرام ؛ وفي ذلك نقول : [من السريع]

صَفَفْتُ إخلاصاً[٣] بحَرْبِ الهَوَى
وَعَسْكَرِ العُذَّالِ صَفّوارِيا
[٨٨/ب] وحينَ هاجَ الشَّوْقُ بي في الفَلا
جِئتُ شَفَا عمرٍو وصَفّوريا

سؤال في الوديعة

وقد سألونا سؤالاً ، وقع لهم ، وكتبوه لنا ، وطلبوا منا أن نكتب لهم عليه وصورته :

ما قول شيخ الإسلام ، عَفَا عَنْه الملكُ العلام[٤] في رجل أودع عند رجل في قرية مالاً ، فادّعى المودَع[٥] بأن قريته نُهبت ، وذهبت تلك الوديعة مع الذي نهب ، وكان ذلك النهب معروفاً مشهوراً عند أهل تلك القرى[٦] ، فهل يقبل قوله في تلفها ، ويصدق من غير إقامة بينة في تلفها أم لا ؟ افتونا مأجورين .

فكتبنا لهم الجواب هكذا[٧] : الحمدُ لله ، نعم يقبل قوله في تلفها ويُصَدَّقُ في ذلك

---

(١) قال ياقوت : (صَفُّورِيَة : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، واو ، وراء مهملة ، ثم ياء مخففة : كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام ، وهي بقرب طبرية) .

(٢) ن : (الغابة) .

(٣) ق : (صففنا خلاصاً) .

(٤) ت : (والسلام) .

(٥) يقصد المودَع عنده المال .

(٦) ن : (القرية) .

من غير إقامة بينة لأنه أمين ، وإن شك في قوله يلزمه اليمين على التلف ، والله أعلم.كتبه الفقير عبد الغني بن النابلسي الشامي .

مشهد النبي يونس

ثم سرنا على بركة الله تعالى ، فمررنا على قرية إسمها مشهد النبي يونس ، وإنما سميت بذلك لأن بها قبر نبي الله يونس ، عليه السلام ، على ما يقال ، وله تابوت من الخشب . فوقفنا ، وقرأنا الفاتحة أمّ[7] الكتاب ، وَدَعَوْنا الله تعالى بما تيسر من الدعاء الذي هو إن شاء الله تعالى مستجاب ، بغير ارتياب ؛ وفي قبر يونس عليه السلام تردد في أماكن وعلى كلّ حال فالمكان المنسوب محسوب ، والاحترام لأهله أمر مطلوب ، وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى شيء تميزت به القلوب .

الناصرة

و لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى قرية الناصرة ، وهي قرية حولها الجبال وهي في الوسط كنقطة[8] الدائرة ؛ وإليها تنسب طائفة النصارى من أهل الكتاب .

قال الشيخ شهاب الدين القرافي[9] في كتابه (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) . بعد ذكره الأناجيل الأربعة ، والإنجيل الخامس ينسب لبطرس عن مريم عليها السلام ، ويذكر فيه قدوم المسيح وأمه ، عليهما السلام ، ويوسف النجار إلى صعيد مصر ، ثم عودته إلى ناصرة قرية عند بيت المقدس ، وإليها تنسب النصارى . انتهى .

وقال القلقشندي في (صبح الأعشى في كتابة الإنشا)[10] : الناصرة مدينة بها دار مريم ابنة عمران ومنها كانت النصارى انتهى .

---

(٧) ق : (فاتحة الكتاب) . (٨) ق : (كقطعة) .

(٩) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين ، أبو العباس ، شهاب الدين الصنهاجي المصري القرافي من علماء المالكية عدله ابن فرحون واحداً وعشرين كتاباً منها كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على أهل الكتاب . توفي بالقاهرة سنة ٦٨٤ هـ . وكان كثيراً ما يتمثل بقول محيي الدين المعروف بحافي رأسه :

عتبت على الدنيا لتقديم جاهل	وتأخير ذي علم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائي وكل فضيلة	فأنباؤها أبناء ضرتي الأخرى

وانظر الديباج المذهب ٦٢ — ٦٧ ، والأعلام ١/٩٠ ، ومعجم المؤلفين ١/١٥٨ .

(١٠) صبح الأعشى ٤/١٥٠ — ١٥١ بخلاف في الرواية .

مقام الأربعين

ورأينا هناك في جبل عال مقام الأربعين ، فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء . ثم نزلنا في تلك القرية ، فاحتفل بنا أهلها ، وحصل لنا عندهم كمال المسرَّةْ ، [٨٩/أ] حتى ألقى المسافر عَصًا تسياره وعرف مقرَّه ، فحدث أمرٌ بكبيرهم ، واختبط حال صغيرهم ؛ إلى أن نصر اللهُ تعالى الكبير ، ورحم الصغير ؛ وقد قلنا في ذلك الحين ، من لطائف التلاحين[١١] : [من السريع]

لَمـا نَزَلْنـا قريـةَ النَّـاصِرَة ... للحـقّ كنّـا الفرقـةَ النّـاصِرَةْ

وَقَـدْ تَفَـاءَ لْنـا بـنَصْرٍ لنـا ... في هـذه الدُّنيـا وفي الآخِـرَةْ

وَعَمَّنـا اللهُ بما نَرْتَجـي ... وَخَصَّنـا بالحالـةِ الفاخِـرَةْ

وقَـدْ نَزَلْناهـا عَلَـى وَهْلـةٍ ... مـن جَبَـلٍ عـالٍ إلى الدّائِـرةْ

سَفْـحٌ لَطيـفٌ لبيـوتٍ بها ... وَسْطَ جبـالٍ أَرْبـعٍ نـاشِرَةْ[١٢]

حَتَّـى تَرَكْناهـا لِظُلْـم بها[١٣] ... مِـنْ عُصْبَـةٍ طاغِيَـةٍ فاجِـرَةْ

فاللهُ يَحْمينا وَيَحْمي الوَرَى[١٤] ... مِنْهـم ومـن أمثـالهم داهِـرَةْ

قرية إكسال

ثم قمنا في الحال ، وصممنا على الترحال ، وسرنا على بركة الله تعالى المتعال ، إلى جهة قرية إِكْسال[١٥] ، فكان طريقنا إليها من درب المشاة والأزلام ، ونحن راكبون على الخيل ومعنا بعض مشاة على الأقدام ، وحصل منا بالعشي غاية الإقدام ، وتعبنا بين تلك الجبال ، وخلال هاتيك الصخور المحدودبة والتلال ، إلى أن وصلنا قبيل المغرب إلى قرية إكسال ، بهمزة مكسورة وكاف وسين مهملة ولام ، فبتنا بجامعها ، وقد حصل لنا من أهلها غاية الإكرام ، وفي ذلك نقول من النظام[١٦] : [من الطويل]

أَتَيْنـا بعَـوْنِ اللهِ نَـمْشي عَشيَّـةً ... على دَرْبِ أَزْلامٍ لِقَرْيـةِ إكْسالِ

وبِتْنـا بها في جامِـعٍ جامـعٍ لنـا ... ففزنا بـإكسالٍ بـلا ثَـوْبِ إكْسالِ

---

(١١) الشعر في المسودة ل ٣٤ .

(١٢) بعد هذا البيت في المسوّدة البيتان التاليان ، وقد ضرب عليهما رحمه الله :

بتنـا بها في مجلس قـد سما ... بشرف مـن أقطـاره العاطـرة

حتـى بـدا الصبـح وولّـى الدجـا ... وانـتشرت شمس الضحـى الباهـرة

(١٣) في المسودة : (لظلم بدا) .

(١٤) في المسودة : (فالله يحميها وأمثالها) .

(١٥) قال ياقوت : (أَكْسَال : (السين مهملة ، قرية من قرى الأردن ، بينها وبين طبرية خمسة فراسخ من جهة الرملة ونهر ابن فُطْرُس . لها ذكر في بعض الأخبار ، كانت بها وقعة مشهورة بين أصحاب سيف الدولة بن حمدان وكافور الأخشيدي فقُتل أصحاب سيف الدولة كل مقتلة) .

(١٦) الشعر في المسودة ل ٣٤ .

اليوم الثاني والخمسون

١١٠٥/٢/٢٣ هـ = ١٦٩٣/١١/٢١ م

مرج بني عامر

فلما أصبحنا في يوم السبت الثاني والخمسين ، وهو اليوم الثالث[١] والعشرين من صفر[٢] سرنا على بركة الله تعالى ، نحن والإخوان ، وبالله المستعان ؛ حتى مررنا في ذلك السهل الغامر ؛ الذي هو بالخضرة عامر ، في مرج بني عامر .

قرية جلَمة

فوصلنا قبيل الظهر إلى قرية جلَمة — بالجيم ، وفتح اللام — بالقرب من بلدة جنين ، فنزلنا هناك ، وأكلنا ما تيسَّر من الزاد ، وأنعم الله تعالى علينا وزاد .

ثم ركبنا ومررنا من خلف بلدة جنين بالقرب منها ، ولم ندخل إليها ، لعلمنا بأنَّ الطريق مقطوع منها إلى بلاد نابلس ، فقرأنا الفاتحة لمن سكن بها من الأولياء والصالحين ، ثم مضينا في ذلك الحين ، فلم نزل سائرين [٨٩/ب] .

قرية يَعْبَد

إلى أن وصلنا إلى قرية يَعْبَد — بفتح الياء التحتية ، وسكون العين المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، وبالدال المهملة — ويقال إن أصلها (معبد) بالميم لأنها كانت معبداً عبد الله تعالى فيها خليلُ الله إبراهيم عليه السلام ، نحو أربعين سنة ، كما أُخبرنا بذلك . فنزلنا بها في زاوية أخينا وحبيبنا[٣] الشيخ الصالح مصلح اليعبداوي ، نسبةً إلى القرية المذكورة ، واجتمعنا به هناك ، وكان مريضاً له أيام لم يخرج من بيته في القرية المذكورة ، فلما دخلنا عليه فرح بنا وحصل له غاية السرور ، وقام وذهب معنا إلى زاويته وبتنا معه فيها ، وزرنا جده الشيخ نصر الله القادري المدفون في تلك الزاوية ولم نزل في مسامرات إلاهية ، وإشارات ربانية .

---

(١) في هامش ت (بلغ مقابلة) .

(٢) ق : (من شهر صفر) .

(٣) ليست اللفظة في ق .

اليوم الثالث والخمسون

١١٠٥/٢/٢٤ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٢ م

قبة محمد الغازي

حتى أصبحنا يوم الأحد الثالث والخمسين وهو اليوم الرابع والعشرون من صفر ، فذهبنا وزرنا الشيخ محمد الغازي ، وعليه قبة مبنية ، وعمارة سنية .

غابة الخطّاف

وهناك غابة واسعة كبيرة ، مسيرة يومين ، يقال لها غابة الخطاف ، يقال إنها مسكن الأولياء والصالحين ، وفيها مغارة عظيمة ، ذكر لنا أن فيها الشيخ محمداً[1] شيخ تلك الغابة ، وحوله الأولياء والصالحون ، وذُكر لنا أنه ما من مجذوب يُجذب في تلك الأراضي إلا ولابد أن يأتي إلى تلك الغابة ، ويزور هذه المغارة والرجال الكائنين بها ، وهذه المغارة لا تظهر لكل أحد ، وإنما تظهر لأهل الأحوال والكشف والقلب المستنير ، فقرأنا هناك الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

ثم ذهبنا فدخلنا إلى مغارة الشيخ زايد المجذوب ، وهو من السودان المجاذيب ، أصحاب الأحوال ، فرأيناه جالساً فيها وهو عريان وحوله النار موقدة لا تنطفئ[2] في غالب الأوقات ، وعنده الإبريق للقهوة والفناجين ، وكل مَنْ دخلَ عليه لابدّ أن يسقيه القهوة ، وكل شيء يجعله على الطّاجن[3] في النار ، ويدقّه ويجعله قهوة فيصير قهوة . فشربنا من قهوته ، نحن وجماعتنا ، حتى كان معنا خادم يمسك فرسنا[4] خارج المغارة ، فقال : يدخل فلان يشرب القهوة ، وذكر اسمه ، فأمرناه فدخل ، وقبل يده[5] وشرب من قهوته .

وله كشوفات وكرامات ، يعتقده الناس في ذلك القطر ، ويزورونه وذكر[6] لنا أنه جلس عند تلك المغارة قبل أن ينكشف[7] بابها على وجه الأرض نحو سنتين [٩٠/أ] ،

---

(١) في ت ، ق : (محمد) .

(٢) ق : (ولا تطفيء) .

(٣) الطاجن — معرب — وهو المَقْلَى ، وتفتح الجيم وقد تكسر والجمع طواجن . المصباح المنير (طجن) .

(٤) ق : (فرساً) .

(٥) ق ، ن : (يديه) .

(٦) ق : (وذكروا) .

(٧) ن : (يكشف) .

وهو يقول : هنا سرايا كبيرة مرادي افتحها ، ثم فتح طاقة صغيرة ، ولا زال يكبّرها حتى فتح لها باباً ودخل ، وهي مشتملةٌ على خمسة عشر خلوة صغيرة فجلسنا عنده في هذه المغارة ، وتبركنا به ، ثم قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

ثم خرجنا فودّعنا أخانا الشيخ مصلح ، وقلنا في ذلك الشأن مقابلة للإحسان بالإحسان[٨] : [من الخفيف] :

قد أتَيْنا ليَعْبدِ بسرور وَنَزَلْنا فيها عَلَى الشَّيْخ مُصْلحْ
فَعَسى اللهُ أن يجودَ بلُطْفٍ لأهالي تلك البلادِ ويُصلحْ

قرية عرابة

ثم سرنا على بركة الله تعالى حتى وصلنا إلى قرية عَرّابَة[٩] — بفتح العين المهملة ، وتشديد الراء المهملة ، والباء الموحدة ، والهاء — وكان أهلها في حروب وفتن ومحاصرة مع حاكم القدس .

لقاء الشيخ صالح

فخرج إلى لقائنا المجذوب الصالح،الشيخ صالح ؛ ومعه طبل يدقُّ به ، وعليه ثياب رَثَّةٌ ، وأكياس معلقة ، وهو يحمل السلاح ، وله حال عظيم ، ويلقب نفسه بوكيل الزردخانة[١٠] ، ويعتقده أهل تلك البلاد . فنزلنا في تلك القرية ، فأكرمنا أهلها غاية الإكرام ، مع ما هم فيه من المحاصرة والضيق ومحاربة الظلمة من الحكام ؛ وأخبرونا بما فعلوه معهم لأجل أخذ الأموال منهم من مقاتلتهم ، ورميهم بالرصاص ، وتخريب بيوتهم ، فهم قائمون بالدفع عن أنفسهم ، وعن[١١] حريمهم ، رجاء الخلاص ، ولات حين مناص .

أبو جوهر مرجان

واجتمعنا هناك بالشيخ مرجان ، وهو أبو جوهر ، رجل مجذوب من السودان ، له[١٢] إخبار بالمغيبات ، وغالب أوقاته مصطلم ، يعتقده أهل تلك البلاد .

(٨) الشعر في المسودة ل ٣٥ .
(٩) قال ياقوت : (عَرّابة — بفتح أوله ، وتشديد ثانية : عرابة طِبْي : من أعمال عكا بالساحل الشامي) .
(١٠) الزردخانة : المكان الذي يحفظ فيه السلاح ، أو السلاح نفسه . حوادث دمشق اليومية ٦٠/هـ ١ .
(١١) ليست اللفظة في ق .
(١٢) ق : (وله) .

مزار نبي الله إعرابيل

وزرنا في هذه القرية مزار نبي الله إعرابيل — باللام ، وبعضهم يجعلها بالنون ، أحد أنبياء بني إسرائيل ، عليهم السلام ، وعليه قبة مبنية[11] على جادة الطريق .

وبتنا في هذه القرية ، وأهله يؤذنون للصلوات الخمس ، ويقيمون الصلاة ، وهم من خير فريق ، وكنت أصلي بهم إماماً ، وأدعو لهم الله تعالى بالنصر على الظالمين ، وكف من يريد بهم انتقاماً ، حتى استجاب الله تعالى دعاءنا ونصرهم بعد مدة من الزمان ، والله ولي الإنعام والإحسان ، ولنا من النظام ، في هذا المقام[13] : [من الخفيف]

قد نَزَلْنا بالسَّفْحِ من عَرَّابَةْ	واللَّيالي لَحَّانَةٌ عَرَّابَهْ
وَرَأَيْنا مكاحِلَ الرَّمْيِ فيها	بَيْنَ قَوْمٍ كَأَنَّهُمْ أُسْدُ غابَهْ
[٩٠/ب]يَتَّقونَ العِدا وَيَحْمُونَ أَهْلاً	وَنُفوساً لَهُمْ بغَيْرِ إعابَهْ
أَصْلَحَ اللهُ حالَهُمْ وَحَماهُمْ	مِنْ أُعادٍ لَهُمْ وَأَبْدى الإجابَهْ
وَأَزالَ الإلٰهُ باللُّطْفِ عَنْهُمْ	فِتْنَةً تُعْدِمُ المُنيبَ ثَوابَهْ
وَحَبا المُسلمينَ رَبّي جَميعاً	كُلَّ خَيْرٍ وَخَصَّهُمْ بالإنابَهْ
وَكَفاهُمْ من كُلِّ شَرٍّ وَأَخْفى	بَيْنَهُم كُلَّ مِحْنَةٍ وَكآبَهْ
إنَّ دِينَ الإسْلامِ دينٌ عَظيمٌ	أَهْلُهُ أهلُ نَجْدَةٍ وَمَهابَهْ
لٰكِنِ البَأْسُ بَيْنَهُمُ ذو اشْتِدادٍ	حُكْمُ ربٍ أَهْدى إليهم كِتابَهْ
وَمَآلُ الجَميعِ من كلِّ حِزْبٍ	لاجْتِماعٍ بعد افْتِراقٍ أَصابَهْ
والّذي جاءَ من قريبٍ له من	ثِقَلِ الذَّنْبِ يَفْتَحِ اللهُ بابَهْ

(١٣) الأبيات في المسودة ل ٣٥ .

اليوم الرابع والخمسون

١١٠٥/٢/٢٥ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٣ م

فلما أصبحنا في يوم الأثنين الرابع والخمسين ، وهو اليوم الخامس والعشرون من صفر ، سرنا على بركة الله تعالى في تلك الجبال الشامخات ، والأودية المحدودبات .

قرية بُرْقَة

إلى أن وصلنا قريبَ الظهرِ إلى قرية بُرْقَة — بضم الباء الموحدة ، وسكون الراء ، وفتح القاف ، وبالهاء . فوجدنا القوم المحاصِرين لأهل تلك القرية الظالمين لهم نازلين هناك مجتمعين[1] محاربين لمن يقابلهم منهم ، فوقف لنا بعضهم في الطريق ، وتعجبوا من قدومنا عليهم من ذلك الجانب ، ودعونا إلى النزول عندهم ، وسألونا فذكرنا لهم حسن حال هاتيك الجماعة ، وأن مقاتلتهم ليست طاعة فذموهم ، وذكروا لهم قبائح ، الله أعلم بها ، ثم أضافونا ، ورحبوا بنا ، فأكلنا عندهم ما تيسر لنا من الزاد ، على حسب ما شاء الله تعالى وأراد .

وصلينا الظهر عندهم بالجماعة ، واقتدوا بنا في تلك الساعة .

قرية سَبَسْطِية

ثم سرنا عنهم ، وتوجهنا إلى قرية سَبَسْطِية — بفتح السين المهملة ، وفتح الباء الموحدة ، وسكون السين المهملة الثانية ، وكسر الطاء المهملة ، وياء تحتية خفيفة ، قاله ياقوت في المشترك[2] ، ثم قال : هي بلدة من نواحي فلسطين ، قرب نابلس ، بينها وبين بيت المقدس يومان ، بها قبر زكريا وابنه يحيى ، وغيرهما من الأنبياء والصِّدّيقين ، عليهم الصلاة والسلام . انتهى .

فنزلنا عند ذلك الجامع الذي يشعر أنه كان كنيسة في أول الزمان ، ثم تبدلت ظلمته بالنور اللامع ، ثم زرنا هناك نبيَّ الله يحيى ووالده زكريا ، عليهما السلام في مغارة عظيمة ، ذات هيبة وجلالة مقيمة ، [٩١/أ] ينزل إليها بدرج من الحجر ، وكأنما نور الصباح من هناك انفجر ، فنزلنا إلى تلك المغارة ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، ثم خرجنا من ذلك المكان .

(١) ن : (متجمعين) .

(٢) المشترك ٢٤٠ ، وانظر معجم البلدان (سبسطية) .

وادي الزيتون

وتوجهنا على بَرَكة الله تعالى ، نحن والإخوان ، حتى مررنا على وادي الزيتون ، بالقرب من نابلس المحروسة بين عيون الماء الذي هو كماء العيون ، فقلنا من النظام ، على حسب ما اقتضاه المقام[٣] : [من الطويل]

سَقَى اللهُ وادي نابُلوسَ[٤] وَمَا حَوَى ... من الخَيْرِ والإنسان يُدْركُ ما نَوَى

سَرَيْنـــا وأيّـــامُ السُّرورِ قَصيرةٌ ... إلَيْها عَلَى خَيْلِ المَـوَدَّةِ والهَـوَى

وَمـا جَبَلاهـا[٥] العاليـانِ كِلاهُمـا ... سِوَى جانِبَيْ سُورٍ تَـوَسَّعَ فَانْطَوَى

يَظَلُّ النسيمُ[٦] الرَّطْبُ بَيْـنَ رِياضِها ... يَجُولُ عَلَى تلك الجوانبِ واللّوى

وَلِلْمـاءِ في تـلكَ الجَـداوِلِ رَنَّـةٌ ... وَغَنَّتْ طُيورُ الدَّوْحِ بالشَّوْقِ والجَوَى

يُذَكِّرنـا عَهْـداً تَـقَضَّى بِجيـرَةٍ ... هُنـاكَ لَنا جَارَتْ علينا به النَّـوَى

وأَوْقاتُ أُنْسٍ طابَ بالقَـوْمِ ذِكْرُها ... فَهَـاجَ بِقَلْبي حُبُّهُـمْ بَعْـدَ ما ثَـوَى

فَقَلْقَلَتْ بالسَّيْرِ الرِّكابَ لِأَرْضِهِـمْ ... وَأَذْهَبَتْ منّي ما تَبَقّى مـن القُـوَى

عَسَى وَلَعَـلَّ اللهَ يَسْمَـحُ بالمُنَـى ... وَمَنْ قَدْ أَتَـى بالـدَّاءِ يَعْطِفُ بالـدوا

وَيَرْتَجِـعُ الماضي مِـنَ العَهْـدِ بَيْنَنـا ... وَيُورِقُ[٧] من غُصْنِ المَوَدَّةِ ما ذَوَى

هُنالِكَ يَهْنَى العَيْشُ والهَـمّ يَنْقَضي ... وَلَيْسَتْ دَواعي الحُبِّ في أَهْلِها سَوَا

نابُلُس

ثم لم نزل سائرين وعلى تلك المهمة متوجهين ، إلى أن وصلنا بعد العصر إلى بلدة نابلس[٨] المحروسة ، حماها الله تعالى من النحوسة ، فنزلنا في مكان هناك ربوعه مأنوسة ، وإن كانت من تمام البنيان مدروسة . ودعانا إلى ضيافته في تلك الليلة الشيخ العالم الذي تشرق بفضائله المعالم عبد الحافظ المفتي بتلك الديار ، فحصل لنا به كمال المسرة والاستبشار .

(٣) الأبيات في المسودة ل ٣٥ — ٣٦ .
(٤) ن : (نابلس) .
(٥) ق : (جبلاه) .
(٦) ق : (نسيم) .
(٧) ق : (ويروق) .
(٨) انظر معجم البلدان (نابلس) .

اليوم الخامس والخمسون

١١٠٥/٢/٢٦ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٤ م

زوار من أهل نابلس

ثم عدنا إلى مكاننا وبتنا فيه على أكمل الهنا ، وأتمّ الراحة وحصول المنى ، إلى أن أصبح صباح يوم الثلاثاء الخامس والخمسين ، وهو اليوم السادس والعشرون من صفر . حضر عندنا أهل تلك البلاد ، من السادة الأكارم الأمجاد ؛ منهم : الشيخ عبد الحافظ المفتي المذكور ، وولده الشيخ مصطفى والفاضل الكامل الشيخ أحمد[1] المعروف بابن الحارثية ؛ والشيخ أمين الدين الملقب عصفور ، والحسيب والنسيب السيد مصطفى نقيب الأشراف ، [٩١/ب] والسيد عبد العال الصمادي ، وقاضي تلك البلدة وغيرهم وجرى في ذلك المجلس بيننا أبحاث علمية ، ومسائل فقهية ، وإشارات إلهية .

نسب وشعر

وقد أُتحفنا في ذلك اليوم بكتاب نسبه الشريف السيد محمد ابن السيد مصطفى ، من طائفة قاسم الشريف ، شاويش السادة الأشراف بمدينة نابلس ، وطلب منا الكتابةَ عليه فكتبنا عليه هذه الأبيات على البديهة مواجهة لطلعة هذه النسبة الوجيهة[2] : [من الخفيف]

نَسَبٌ جَلَّ فَهْوَ فينا جَليلُ	وَعَلَيْهِ مِنَ البها إكْليلُ
حَسَدَتْهُ النُّجومُ فانْخَفَضَتْ عَنْ	رِفعَةٍ فيه إذْ سَناها قليلُ
كَيْفَ وَهْوَ الذي بخيرِ البَرايا	ذو اتصالٍ بهِ الإلهُ كَفيلُ
نُورُه في الوُجودِ يُشْرِقُ حَتَّى	تَحْسَبُ النَّاسُ أنَّه قِنْديلُ
وَإلَيْهِ الثَّناءُ بالخَيْرِ هادٍ	وَعَلَيْهِ فِعْلُ الصَّلاحِ دَليلُ
أعْظَمَ اللهُ قَدْرَهُ في البرايا	كُلَّ حينٍ وزانَهُ التكْميلُ
وَحَبا أهْلَهُ بكلِّ فَخارٍ	حَيْثُ فيه لنا أتَى التَّنْزيلُ[3]
وَبهِ العبدُ لِلْغَنيّ تَسامَى	شَرَفاً حِينَ جاءَهُ[4] مِنْهُ قِيلُ

(١) ليست اللفظة في ق .

(٢) الأبيات في المسودة ل ٣٦ .

(٣) ن : (تنزيل) .

(٤) ق ، ن : (جاء) ولا يستقيم الوزن بهذه الرواية .

وَقَــراهُ وَمَسّه فَهْــوَ حَــقٌّ ... وَعَلَيْــهِ الإلــهُ نِعْــمَ الوَكِيــلُ
حَفــظَ اللهُ مــن تَضَمَّــنَ منــه ... نِسْبَــةٌ في إجْمــالها التَّفْصيــلُ
أَمَـدَ[٥] الدَّهْـرِ مـا تَبَـدّا صَبـاحٌ ... وَتَوَلّــى لَيْــلٌ وَجَــدَّ أصيــلُ

ثم دعانا إلى ضيافته صديقنا الفاضل الشيخ أحمد بن الحارثية المذكور ، فذهبنا إلى داره مع جماعتنا ، وجملة من أفاضل البلد وبعض مَنْ في جواره ، وحصل لنا بالجماعة كمال السرور ، وتمام الانبساط والحضور ، ثم عدنا إلى منزلنا وبتنا في أمان وعافية إلى إنبلاج الصباح وظهور النور .

اليوم السادس والخمسون

١١٠٥/٢/٢٧ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٥ م

فلما طلع النهار يوم الأربعاء السادس والخمسين ، وهو اليوم السابع والعشرون من صفر ، حضر عندنا مع مَنْ حضر الحسيب النسيب السيد حسين ابن المرحوم الكامل الفاضل السيد أحمد الحنبلي نقيب السادة الأشراف بهاتيك البلاد سابقاً ، وعرض[١] علينا إجازته المرضية ، في طريق السادة الشاذلية ، وطلب منا الكتابة على ذلك ، فكتبنا عليها هذه الأبيات بمعونة القدير [٩٢/أ] المالك : بسم الله ، عُـدَّةٌ لِلِقاءِ الله[٢] : [من البسيط]

إنَّ الطَّريـقَ طَريـقَ اللهِ مَعْمُـورُ ... وسيرُهُ واضِحٌ في النّاسِ مَشْهـورُ
والشّاذِلِيَّـةُ أَقْـوامٌ لَهُـمْ شَرَفٌ ... وَوَقْتُهـم بمزايـا قُـرْبهم نـورُ
وَبالإجازَةِ يَسْمـو في طريقَتِهِـمْ ... مَنْ قَدْ أُجيزَ عَلَيْه بالتُّقى سُورُ
وَقَدْ رَأى مجدَهُمْ عَبْدُ الغَني وَقَـدْ ... أَعْلَى لـه اللهُ قَدْراً فَهْوَ مَسْرورُ
عَلَى مَشايِخِهِم رِضْوانُ خالِقِنا ... في كُلِّ يَوْمٍ إلى أَنْ يُنْفَخَ الصُّورُ

رجال العمود

ثم ذهبنا مع الإخوان ، إلى جهة من جهات[٣] البلد ذات بهجةٍ وافرة ، وخيرات

(٥) ق : (أبد الدهر) .

(١) ق : (عرض) بدون الواو).
(٢) الأبيات في المسودة ل ٣٦ .
(٣) ق : (جهة من جهة البلد) .

حسان ، وزرنا مكاناً يقال لمَنْ فيّه رجال العمود ، وعليه مهابة وجلالةٌ وآثار جود .

مُصَلَّى آدم

وزرنا مكاناً آخر ، يقال إنه مُصَلَّى آدم ، عليه السلام ، وجلسنا هناك حصة من الزمان مع المذاكرة العلمية والمفاكرة الأدبية .

دعوتان

ثم دعانا إلى ضيافته صديقنا السيد حَسَن ابن المرحوم الشيخ الإمام ، والحبر الهمام ، أبي بكر . صاحب التصانيف الأنيقة ، والكتب الرشيقة ، منها : شرح الجامع الصغير للأُسْيوطي في فن الحديث ، ومنها شرح ألفية ابن مالك في علم العربية .

ثم عدنا إلى مكاننا ، وذهبنا بعد أداء صلاة العصر إلى ضيافة حبيبنا الحسيب النسيب السيد أمين الدين ، وقد حضر فيها العلماء والصلحاء ، وأهل الكمال من الأفاضل والأصائل في تلك البلاد ثم عدنا إلى مكاننا المعتاد .

شعر في الدخان

وقد حضر عندنا في تلك الليلة السيد حسن[٤] المذكور ، ونحن في أتم الانبساط والسرور قد أنشد[٥] السيد حسن[٤] من لفظه للمولى الهمام سنان أفندي الملقب الطي برمق المفتي سابقاً[٦] بالديار الرومية[٧] قوله في شرب الدخان . وإن كان فيه مجازفة بهذا الشأن[٨] : [من الوافر]

جَهولٌ مُنْكِرٌ الدُّخّانِ أَحْمَقْ ... عَديمُ الذَّوْقِ بالحَيَوانِ مُلْحَقْ

مَليحٌ ما بِهِ شَيءٌ حَرامٌ ... وَمَنْ أَبدى الخِلافَ فَقَدْ تَزَنْدِقْ

أَلا يا أَيُّها الصُّوفيُّ مَيْلاً ... إلى الدُّخّانِ عَلَّكَ أَنْ تُوَفَّقْ

وَلَوْ لا أَنَّ في الدُّخّانِ سِرّاً ... لما فاحَتْ رَوائِحُهُ وَعَبَّقْ

فَفي الدُّخّانِ سِرُّ اللهِ يَبْدو ... وَشاهِدُه المُحَقِّقُ الطِي بَرْمَقْ

(٤) ن : (والمذاكرة) .

(٤) ق : (حسن) .

(٥) ق ، ن : (أنشدنا) .

(٦) ق : (التي يرمق التي يرمق سابقاً) .

(٧) ق : (بديار الروم) .

(٨) الأبيات في المسودة والورد الأنسي ٢٢٨ ب و٢٢٩ أ .

اليوم السابع والخمسون

١١٠٥/٢/٢٨ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٦ م

فلما أصبحنا في اليوم السابع والخمسين ، يوم الخميس ، هو الثامن [٩٢/ب] والعشرون من صفر ، ذهبنا إلى الحمام ، وحصل لنا فيه كمال التنعيم والإنعام ، وعدنا إلى مكاننا مع جملة من السادة الكرام ، فعرض علينا صديقنا الشيخ أمين الدين عصفور المتقدم ذكره في أثناء هذه السطور ، بعد أن ذكرنا أنه من ذرية الشيخ الكبير ، والعارف المحقق الشهير ؛ أبي يزيد البسطامي ، قدس الله روحه[١] ، وقضيَّته الثابتة [٢]في يديه[٢] بتقارير قضاة الإسلام . ومن الأحكام مفوضة إليه . وطلب منا الكتابة على ذلك ، أسوة بمن[٣] كتب قبلنا ، وتبركاً بما هنالك ، فكتبنا قولنا في هذا المقام ، من النظام[٤] : [من البسيط]

وَقْفٌ صَحِيحٌ له قَدْ صَحَّ تَحْريرُ ... وأَصْلُه شَهِدَتْ فيهِ النَّحاريرُ
وَعَنْه قَدْ أَسفَرَ الحَقُّ المُبين وَقَدْ ... بَدا لصُبْحِ الهُدَى لَمْعٌ وتَنْويرُ
وَنِسْبَةٌ لِإمامِ العارِفين وَمَنْ ... عَنِ القُلوبِ به تُمْحَى التَّصاويرُ
أَبو يَزيدِ الَّذي بسطامُ نِسْبَتُه ... وَمَنْ لَهُ في كراسي القُرْب تَصْديرُ
رَأَيْتُ ذا الطِّرسَ والأَفْكار فيه سَرَتْ ... في روضةٍ منه حَفَّتْها الأزاهيرُ
وَفَوْقَ أَغْصانِه غَنَّتْ حَمائِمُهُ ... وَغَرَّدَتْ فيه بالصُّبْحِ العَصافيرُ
وَقَدْ تَبَرَّكْتُ لَما أَنْ[٥] وَضَعْتُ يَدي ... عَلَيْه وانْسَحَبَتْ فيه التَّقاريرُ
لازالَ في الخَيْرِ أَقْوامٌ به عُرِفَتْ ... حَتَّى لهم في البرايا منه تَشْهيرُ
ما قامَ عَبْدُ الغَني يُثْنى بأَلْفَتِهِ ... لَهُمْ عَلَيْه ولا يُثْنيه تأْخيرُ
وما شَدَى بُلْبُلٌ في الرَّوْضِ وانْطَرَبَتْ ... فيه العصافيرُ غَنَّتْها النَّواعيرُ

وكتب على ذلك أيضاً ، بإجازتنا ، وطلب من المذكور ، صاحبنا الفاضل الشيخ محمد المعروف بابن الدكدكجي[٦] قوله[٧] : [من الرجز]

(١) ق : (قدس الله تعالى سره) .
(٢ — ٢) ليس ما بين الرقمين في ق .
(٣) ن : (لمن) .
(٤) الأبيات في المسودة ل ٣٧ .
(٥) في المسودة (لما قد) .
(٦) هو محمد بن إبراهيم بن محمد التركماني الدكدكجي الحنفي الصوفي . ولد بدمشق سنة ١٠٨٠ هـ ، تلميذ النابلسي ورفيقه في رحلته هذه . له ديوان شعر توفي سنة ١١٣١ . وانظر سلك الدرر ٢١/١ .

وَقْفِيَّـــةٌ صَحِيحَـــةُ المَعَـــاني مُتْقَنَـــةُ الأَرْكانِ والمَبَـــني
لها اتّصالٌ واضحٌ مُشْتَهَـــرٌ قَدْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصانِ
لِنَسْلِ قُطْبِ الأولياء مَنْ هُوَ الْـ ـلَـيْثُ الهُمامُ كامِلُ العِرْفانِ
أَبي يَزيد في الهُدَى إمامُنا الْـ ـبِسْطامي ذي السِّرِ مَعَ البُرْهانِ
فَإنَّهُـــمُ سُلاَلَـــةٌ طاهِـــرَةٌ بنابُلُـــوسَ أَشْرَفِ البُلْـــدانِ
لا زالَ سرُّ اللهِ فيهم ظاهِـــراً مُنْتَشِراً عِنْدَ القَصِي وَالّداني
ما غَرَّدَ العُصْفور في الرُّبا وَمَا غَنَّتْ حَماماتٌ عَلَى الأَغْصانِ

شعر في مغنٍّ

وكان يجالسنا هناك شابٌ حسنُ الصوت ، بكاءٌ يستوقف [٩٣/أ] به بنو الدهر من الفوت ؛ فعرض علينا مجموعاً له ، كتب فيه طرفاً من كلامنا ، وأشياء كثيرة من القصائد والأشعار الظاهرة على لساننا ، وكان مُلَقَّباً بالعسلي ، فكتبنا له في مجموعه ذلك ، قولنا بطلب منه : [من البسيط]

وكامِـلٍ أَلِفَتْـهُ مُقْلَـةُ الأَمَـلِ صَبْري فَقِيرٌ وَقَلْبي مِن هواه مَلي
صفاتُه شَرُفَتْ والّذاتُ مِن سَمَتْ فلا يَرَى مَنْ رآه حَالَةَ المَلَلِ
إذا تَغَنّـى حَسِبْنـا بُلْبُـلاً وَإذا ما قامَ قُلْنا عَلَى غُصْنٍ مِن الأَسَلِ
يكادُ يَقْطُر حُسْناً من لَطافاتِـهِ فما النَّسيمُ سَرَى في المَتْزهِ الخَضِلِ
منه المَنابتُ طابَتْ والأُصول زَكَتْ وشاهداهُ ظهورُ اللُّطْفِ والخَجَلِ
أَعانَـهُ اللهُ في تَيْسير حاجَتِـهِ وَخَصَّه بشَريفِ العِلْم والعَمَلِ
وَجْهٌ مليحٌ وفِعْلٌ منه أَملح في كُلِّ الفُنونِ لذا سَمَوْهُ بالعَسَلي

موشح للنابلسي

وجاء إلى مجلسنا الشيخ الصالح ، والناجح الفالح ؛ الشيخ منصور رئيس من يقرأ مواليد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، في مدينة نابلس المحروسة ، وطلب منا أن نعمل له من الموشح عروض قول القائل في المديح النبوي : [من الموشح]

يـا رَسُولَ اللهِ يـا خَيْـرَ البَرِّيـهْ يا شَفِيعَ الخَلْقِ أَنْوارك مُضِيَّهْ

فعملنا له على البديهة قولنا من النظام ، في هذا المقام[8] :

أَحْمَدُ المُختار مَحْمودُ السَّجيَّةْ   أَلْـفُ تَسليـمٍ عَلَيْـه وَتَحِيَّـةْ

دور

حُبُّهُ فَرْضٌ على كـلِّ البَرايـا   وَبِـه اللهُ حَبانـا بالعَطايـا
صاحب القَدْرِ المُعَلّى والمزايا   مَنْ أَتانا بالمَضامِين الخَفِيَّـةْ
أَحْمَدُ المُخْتارُ مَحْمودُ السَّجيّةْ   أَلْـفُ تَسلِيم عَلَيْـه وَتَحِيَّـةْ

دور

خَصَّهُ اللهُ بأَنْـوارِ[9] الجَمـالِ   وَحَباهُ مِنْـهُ أَنْـواعَ الكَمـالِ
وَلَـهُ قَـدْرٌ شريـفُ الجاهِ عـالي   نُورُه أَشْرَقَ كالشَّمْس المُضِيَّةْ
أَحْمَدُ المُخْتارُ مَحْمودُ السَّجيَّةْ   أَلْـفُ تَسليم عَلَيْـه وَتَحِيَّـةْ

دور

جـاءَهُ جبريـلُ بـالحقّ المُبيـنْ   فَهَدَى أَهْلَ الهُدَى أَشْرَفَ دِينْ
قَـدْ مَشَتْ أَحْبابُه ذاتَ اليمينْ   لجنانِ الخُلْـد هاتـيكَ العَلِيَّـةْ
[٩٣/ب]أَحْمَدُ المُختارُ مَحْمودُ السَّجيَّةْ   أَلْـفُ تَسْليـمٍ عليـه وَتَحِيَّـةْ

دور

طاهِرُ الأَنْساب مَعْروفُ الأُصولِ   أَرْشَدَ النّـاسَ إلى أَوْجِ الوصُولِ
قَدْ غَزا بالبيضِ والسُّمْرِ النُّصولِ   مَنْ أَبَى عَـنْ دِينـهِ بَيْـن البَرِيَّـةْ
أَحْمَدُ المُخْتارُ مَحْمودُ السَجيَّةْ   أَلْـفُ تَسْليـمٍ عَلَيْـه وَتَحِيَّـةْ

دور

جاءَنا وَالشِّرْكُ مثلُ البَحْرِ طامي   فَمَحـا بالنُّـورِ أَسْتـارَ الظَّـلامِ
وَبـهِ غَـيْثُ عَطـاءِ اللهِ هامـي   وَلَنـا أَرْسَلَـهُ اللهُ هَدِيَّـةْ
أَحْمَدُ المُخْتارُ مَحْمودُ السَّجيَّةْ   أَلْـفُ تَسْليـمٍ عَلَيْـه وَتَحِيَّـةْ

دور

صَلِّ يـا رَبِّ عَلَيْـه ثُـمّ سَلِّـمْ   إنَّـهُ للخَيْـرِ قَـدْ كانَ المُعَلِّـمْ

(٨) الموشح في المسودة ل ٣٧ .

(٩) في المسودة : (أنواع الجمال) .

مَنْ به يَسْمو كَلامُ المُتَكَلِّمْ | في المَعاني والنُّكاتِ الأَدَبِيَّهْ
أَحْمَدُ المُختارُ مَحْمودُ السَجِيَّهْ | أَلْفُ تَسْليمٍ عَلَيْه وَتَحِيَّهْ

دور

وَعَلَى الآلِ جَميعاً وَالصَّحابَهْ | مَنْ بِهِمْ عَبْدُ الغَني حازَ النَّجابَهْ
ما دَعا المُشْتاقُ داعٍ فأَجابَهْ | من نواحي حَضْرَةِ الغَيْبِ السَّنِيَّهْ
أَحْمَدُ المُختارُ مَحْمودُ السَجِيَّهْ | أَلْفُ تَسْليمٍ عَلَيْه وَتَحِيَّهْ

ديباجة للمولد الشريف

وطلب منا أيضاً أن نعمل له ديباجة للمولد الشريف على حسب الوقت فكتبنا له على البديهة ما صورته[١٠] .

سُبحانَ من أُطلعَ قمَر المعارفِ والعلوم من أفلاك بروج الأزل ، وأظهر بوارقَ حقائقِ الغيوبِ من خلف حجب الحضراتِ الإلهية في الوحي الذي نزل ؛ وكشَفَ عن أستار تجلياته الجلالية والجمالية ، بإسفارِ طلعة نورِه الباهرِ في الحقيقةِ المُحمدية ؛ وَتَبارَكَ وتعالى مِن إلهٍ جعَل المَوْلد الشريف شفاءً لقلوب عباده الأحباب ، وعطيةً سنِيَّةً من جنابه الخطير إلى جميع مخلوقاته من أهل التباعد والاقتراب ؛ وشرح بشريعته[١١] الواضحة متونَ أحكامه الإلهية بين المكلفين ، وقصمَ بسيوف مهابته وجلاله رقابَ أهلِ الزَّيْغ والمعاندين ؛ وقد قال الله تعالى في محكم كتابه المبين ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْناكَ إلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين ﴾[١٢] ؛ [٩٤/أ] فَصَلَّى اللهُ عليه وسلم من رسول افتخرت به قبائل العرب على غيرها من الأمم ، وسلك بمن يتابعه على سبيل المنهج القويم والطريق الأَمَم ؛ وقد أنزل الله تعالى عليه في محكم كتابه القديم ، خطاباً لكلّ عليم من الأمة فهيم ، ، ﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ من أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمُ بالمُؤْمِنينَ رَؤُفٌ رَحيم ﴾[١٣] ؛ هذا ولما أراد الله تعالى إظهارَ هذا السرِّ الأعظم ، وإبرازَ هذا الشأن الأفخم ؛ وكانت الليلة ليلة الاثنين ، كما وردت في الأخبار المنقولة من غير شك ولا مين .

وقد حملت به أمه الدُّرة الكامنةُ ، والبهجةُ النورانيةُ المسماةُ آمنةُ ، التي هي من كل سوء في الدارين آمنة ، كان في أول شهر من شهور حمله تزلزل قصر كسرى ، إلى آخر

(١٠) الديباجة في المسودة ل : ٣٨ .
(١١) ق : (شريعته) .
(١٢) سورة الأنبياء ١٠٧/٢١ .
(١٣) سورة التوبة ١٢٨/٩ .

ما يوردونه من إكمال المولد[١٤] الشريف [١٥]كما هو المعتاد[١٥] .

ديباجتان أخريان

وقد عملنا سابقاً لبعض الأصحاب بدمشق الشام ، ديباجة المولد الشريف ، مشتملة على جميع سور القرآن على طريقة التوجيه[١٦] ، بإسلوب غريب أكثر من هذه الديباجة ، واصنع منها ، فحفظها ولم يكتبها لأحد ، واختص بها ، يقرؤها للناس في وقت المولد الشريف ، فيتعجبون من حسن عباراتها ، ولا يسمح بها لغيره ، وانفرد في دمشق الشام بين الأنام .

وعملنا له أيضاً ديباجةً أخرى جمعنا فيها أسماء الكتب من فنون شتى على جهة التوجيه بترتيب عجيب فاختص بها أيضاً[١٧] ، ولم يعرفها غيره ولهذا ما ذكرناهما في هذا المكان[١٨] لعدم وجودهما عندنا الآن .

ضيافة

وقد دعانا إلى ضيافته بعد أداء صلاة العصر صديقنا الحسيب النسيب السيد مصطفى نقيب السادة الأشراف في مدينة نابلس ، وحصل لنا عنده غايةُ السرور والصفاء ، وكمال الانبساط والوفاء .

زوار ومولد

ثم عدنا إلى مكاننا المعهود فحضر عندنا بعد العشاء جماعة من أهل البلاد للمؤانسة والشهود . وحضر الشيخ عصفور والشيخ منصور وعملوا لنا مولداً عظيماً ، وأُنشدت الأناشيد ، فطابت ترديداً وتقسيماً .

(١٤) ق : (المورد) .

(١٥ — ١٥) ليس ما بين الرقمين في المسوّدة .

(١٦) التوجيه أن يستخدم الكاتب أو الشاعر عدة ألفاظ متلائمة اصطلاحاً كأسماء أعلام أو أسماء كتب .. أو ما إلى ذلك ، ويوجه المعنى توجيهاً مطابقاً لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي ، والفرق بين التوجيه والتورية :

١ — أن التورية تكون في اللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح .

٢ — أن التورية تكون في اللفظة الواحدة والتوجيه لا يصلح إلا في عدة ألفاظ متلائمة ، وانظر شرح الكافية البديعية ١٣٢ — ١٣٦ ونفحات الأزهار ٩١ و١٨٨ .

(١٧) ليست اللفظة في ق .

(١٨) ق : (الكتاب) .

اليوم الثامن والخمسون

١١٠٥/٢/٢٩ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٧ م

فلما أصبحنا في يوم الجمعة الثامن والخمسين ، وهو اليوم التاسع والعشرون من صفر ، جلسنا على عادتنا في مكاننا المعروف ، نتلقى الأحباب والأصحاب [٩٤/ب] بمقتضى الحال المألوف ؛ ونتجاذب أطراف الكلام ، من المسائل العلمية وبعض النظام .

صلاة الجمعة في الجامع الكبير

إلى أن صار وقت الظهر فذهبنا إلى الجامع الكبير ، وصلينا فيه صلاة الجمعة مع ذلك الجمع الغفير .

فتاوي في الصلاة

ثم جلسنا في خلوة المفتي الشيخ عبد الحافظ المذكور نتذاكر المسائل العلمية ، ونراجع في كتبه بعض الأبحاث الفقهية ، وقد سئلنا عن صلاة المقيم خلف الإمام المسافر ، وهل يقرأ المسافر في الركعتين الفاتحة والسورة ؟

فأجبنا بما ذكره الفقهاء الحنفية في كتبهم من صحة اقتداء المقيم بالمسافر في الوقت وبعده ، وقراءة الفاتحة والسورة واجبة على المسافر بلا خلاف في شيء من ذلك بين أئمتنا ، وإذا قام المقيم إلى إتمام الركعتين لا يقرأ فيهما على الأصح . كذا في تنوير الأبصار .

وسُئِلنا عن الإمام المسافر إذا لم يُقْصِر ، وأَتمَّ صلاتَه أَرْبعَ فهل يقرأ في الركعتين الأُخريَيْن الفاتحة والسورة أو لا يقرأ ؟

وهل تبطل صلاة المقتدي به المقيم لأنه بناء القوي على الضعيف أو لا تبطل ؟

فأجبنا أنه إذا أتمَّ المسافر ، ولم يقصر ؛ وصلّى أربعاً فإن : الركعتين الأخريين يقعان نفلاً في حقه ، والنفل يجب فيه قراءة الفاتحة والسورة في كل ركعة . فإذا كان إماماً للمقيم واقتدى به المقيمُ في تلك الحالة بطلت صلاة المقيم ، لأنه بناء القوي على الضعيف ، وهو اقتداء المفترض بالمتنفل ، وإذاً لا يجوز .

ثم رأينا في بعض المجاميع في نابلس فائدة في صلاة المسافر إذا أكمل صلاته ، وخلفه جماعة مقيمون .

قال أكمل في شرح الهداية : (وإن اقتدى المقيمون بمسافر صلى بهم ركعتين ، وأتمَّ المقيمون صلاتَهم ، لأن المقتدي التزم الموافقة في الركعتين وقد أدى ما التزم و لم تتم صلاته . فينفرد في الباقي كالمسبوق) . انتهى . ما في شرح أكمل .

فإن قلت إذا أكمل المسافر صلاته ، وتابعه المقيمون هل صلاتهم صحيحة !؟ وليس فيها بناء قوي على ضعيف !؟ وإلا باطلة وفيها ما ذكر ؟! قلت : يفهم من تعليل أكمل أن الصلاة باطلة لأنه ما التزم معه إلا ركعتين وقد أداهما ، وخالف بالزيادة فوق ما التزم فيه بناء القوي على الضعيف . [٩٥/أ] وعبارة الهداية وشرحها تقتضي[1] بطلانَ الصلاة . قال في الهداية : فينفرد في الباقي كالمسبوق ، فيقتضي أنه يقرأ كالمسبوق ، كما قال بعض المشايخ ، لكن الأصح أنه لا يقرأ ، لأن له شبيهين شبهاً باللاحق ، وشبهاً بالمسبوق ، وهذا هو المعتمد .

ويفهم منه عدم جواز الاقتداء لأن فرض الإمام المسافر تم بأداء الركعتين ، فكان كإمامٍ صلّى فرضَ الظهر أربعاً ، ثم قام إلى ركعتين أخريين ، فاقتدى به من يريد صلاة الظهر فإن اقتداءه لا يصح .

وبعض العلماء في المدينة المنورة صنف في هذه المسألة رسالة عظيمة .

ثم رأيت في فتاوي التمرتاشي ما نصه : (الذي يظهر لي أن اقتداء المقيم بالمسافر في الأربع باطل لأن فيه بناء القوي على الضعيف من غير اعتماد على نقل صريح) . انتهى .

حلقة ذكر

ثم حضرنا بعد صلاة العصر في زاوية الشيخ أحمد بن الحارثية المذكور سابقاً في داخل الجامع الكبير ، وقد عقد حلقة الذكر ، وحضر خلق كثير في ذلك الوقت . ثم ذهبنا إلى ضيافة الشيخ عبد الحافظ المتقدم ذكره ، ثم عدنا إلى المنزل .

وقد دعانا بعض الإخوان من أهل نابلس إلى داره ، وعمل تلك الليلة تهليلة عظيمة بالذكر ، وقراءة القرآن وإنشاد[2] كلام الصالحين .

أبيات في القهوة

وقد أنشدنا هناك السيد حسن المذكور لبعضهم هذه الأبيات في القهوة البنية : [من

(١) ق : (يقتضي) .

(٢) ن : (في إنشاد) .

الوافر]

أَتَتْنا قَهْوَةٌ مِن قشْرِ بُنٍّ	تُعينُ عَلَى العِبادَةِ لِلْعِبادِ
حَكَتْ في كَفِّ أَهْلِ اللُّطْفِ صرفا	زباداً ذائِباً وَسْطَ الزَّبادي
يَطوفُ بها رَشًا كالبَدْرِ لكِنْ	مَراتِعُهُ وَمَسْكَنُهُ فُؤادي
وَعاداتُ الظِّبا تأتي بِمِسْكٍ	وَهٰذا الظَّبْيُ يَأْتي بالزبادِ

تخميس البيتين الأولين

ثم أنشدنا من حفظه لبعضهم البيتين الأولين فقال[3] :

وإخوان سَمَوْا في كُلِّ فَنٍّ	بدارٍ قَدْ حَوَتْ من كُلِّ حُسْنِ
وَلَمّا أَنْ دَخَلْناها[4] بأَمْنِ	أَتَتْنا قَهْوَةٌ مِن قَشْرِ بُنِّ
تُعينُ على العِبادَة للعِبادِ
لِقَهْوَتِنا مَعانٍ لَيْس تَخْفى	وَنكْهَتِها تفوقُ المِسْكَ عَرْفا
وفي أقْداحِها لما تُصَفَّى	حَكَتْ في كَفِّ أَهْلِ اللُّطْفِ صرفا
زباداً ذائِباً وَسْطَ الزَّبادي

[٩٥/ب]

تخميس البيتين الأخيرين

ثم طلب منا تخميس البيتين الأخرين لعدم حفظه لتخميسهما من كلام الغير فقلنا ذلك على البديهة[5] :

لَقَدْ عَبَقَتْ بنَفْحَتِها الأماكِنْ	وَحَرَّكَ لُطْفَها ما كانَ ساكِنْ
وَعاشِقُها إِلَيْه القَلْبُ راكِنْ	يَطوفُ بها رَشًا كالبَدْرِ لكِنْ
مراتِعُه وَمَسْكَنُه[6] فُؤادي
مَحاسِنُهُ رَمَتْ سِرّى بَهَتْكٍ	وَمُقْلَتُه تَصولُ بفرط فَتْكِ
شَبيهَ الظَّبْيِ ذاكَ بِغَيْرِ شَكٍّ	وَعاداتُ الظِّبا تَأْتي بمِسْكِ
وهذا الظَّبْيُ يأتي بالزبادِ

(٣) الأبيات في المسودة ل : ٤٠ .
(٤) في المسودة (حللناها) .
(٥) الأبيات في المسودة : ل ٤٠ .
(٦) تحتها في المسودة : (مطالعة ومشرقة) .

أبيات أخرى في القهوة

وأنشدنا أيضاً من حفظه[7] لبعضهم[5] : [من السريع]

عَــرّج عَلَــى القَهْــوةِ في حانِهــا ... فاللُّطْــفُ قَــدْ حــف بنُدْمانِهــا
شرابُ أَهْـــلِ اللهِ فيها التُّقـــى ... جــواب مَــنْ يسأل عــن شانها
حــانٌ حَكَى الجَنَّــةَ في بسْطِهــا ... وَرقَّـــة العَـــيْشِ وإخْـــوانها
وقهـــوة لا غَـــمّ يَبْقَـــى إذا ... قابَــــلَكَ السّاقي بفنجانِهــــا
بمائِهــــا تَقْتُـــلُ أَحْزانَنـــا[6] ... ونحرق[7] الهمَّ بنيرانِهـــــــا
يَقُـــولُ مَـــنْ أَبْصَرَ كانُونَهـــا ... أُفٍّ على الخمـــر وأدْنانِهـــا
فَهْـيَ رَحيــقٌ لَوْنُهـا خَتْمُهـا ... قَــدْ قــام فِينـا صُبْـحُ آذانِهـا[8]
فَاشْرَبْ وَلَا تَسمعْ لقـولِ الـذي ... بجَهْلِــهِ يُفْتـــي بِبُطْلانِهـــا

وأنشدنا أيضاً لبعضهم[9] : [من السريع]

وَقَهْــوةٍ[10] بُنيَّــةٍ تُجْتَلَــى[11] ... وَنَفْعُهــا الأكبــرُ لا يُجْحَــدُ
جامِعَـــةٌ لِلْقَـــوْمِ أَهْـــلِ الوفـــا ... مانِعَــةُ النَّــوْمِ لِمَــنْ يَعْبُــدُ
كأنَّهــا والــمِسْكُ في لَوْنِهـــا ... والمَنْـدَلُ الـرَّطْبُ بــه تُوقَــدُ
قـد ذابَ فيها اللَّيْــلُ مــن طُولِــهِ ... أو حُــلّ فيها الحَجَــرُ الأَسْوَدُ

وأنشدنا أيضاً من حفظه لبعضهم : [من الخفيف]

حَجَبُوهــا عَــنِ الرِّيــاحِ لأنــي ... قُلْتُ يــا ريحُ بَلِّـغيها السَّلامــا
لَوْ رَضُوا بالحجـابِ هـانَ ولكـنْ ... مَنَعُوهــا يَــوْمَ الرِّيــاحِ الكَلامــا
فَتَنَـفَّسْتُ ثُــمَّ قُــلْتُ لَطَيْفــي ... وَيْكَ إنْ زُرْتَ طَيْفَهــا إلْمامــا
حَيِّهـــا بـــالسَّلام سِرّاً وإلّا ... مَنَعوهـــا لِشَقْـــوَتي أَنْ تَنامـــا

(٦) ق : (بمائها تقتل أحزاننا) وفي ن (بمائها تقتل أحزانها) (٧) ق : (وأنشدنا لبعضهم من حفظه) .
(٧) ق ن : (وتحرق) .
(٨) ق : (أذانها) .
(٩) الأبيات في المسودة ل : ٤٠ .
(١٠) في المسودة : (قهوة) بدون واورب .
(١١) ن ، ق : (تجتلي) .

اليوم التاسع والخمسون

١١٠٥/٣/١ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٨ م

ثم أصبحنا يوم السبت التاسع والخمسين ، وهو اليوم الأول [٩٦/أ] من شهر ربيع الأول .

نسب وشعر

فجاء إلينا صديقنا السيد أمين الدين المذكور سابقاً بكتاب نسبة الشرف له ، وطلب منا الكتابة عليه ، فكتبنا هذه الأبيات على البديهة[1] : [من المتقارب]

تَشَرَّفْتُ فِي دَرْجِ هٰـذا النَّسَبْ ... وَقَدْ كانَ لي في المَعالي[2] سَبَبْ

وأَتْحفَني اللهُ أَنْ نالَني ... ثَنائي عَلَيْه الّذي قَدْ وَجَبْ

بَدا نُورُه باهِراً[3] للوَرَى ... وسِرٌّ حَواهُ كَمالُ الأَدَبْ

وَكَيْفَ وَبالمُصْطَفَى أَصْلُهُ ... أَصِيلٌ وَذاكَ طِرازُ الذَهَبْ

حَمَى اللهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ لمن ... بِه بَيْنَ كُلِّ الأَنام انْتَسَبْ

ذَراري تُقًى طَيِّبُونَ اعتَلَوْا ... كَمالاً وَنالوا عَوالي[4] الرُّتَبْ

بِهِمْ قَدْ حَوَى العِزُّ عَبْدَ الغَنِي ... وَنالَ جَميعَ الذي قَدْ طَلَبْ

عَلَيْهِمْ سَلامٌ مِنَ اللهِ ما ... نَسيمُ الصَّبا غُرَّةَ الصُّبْحِ هَبْ

وَما فازَ صَبٌّ بأَحْبابِهِ ... وَمِنْ لَذَّةِ الوَصْلِ نالَ الأَرَبْ

مغادرة نابلس

ثم عزمنا على المسير بمعونة الرب القدير ، فتوجهنا وقد خرج لوداعنا جماعات كثيرون من أهل نابلس المحروسة ، بنفوس طيبة ، وأخلاق مأنوسة ؛ منهم الشيخ[5] عبد الحافظ المفتي[6] وولده ، والشيخ عبد الرحمن الخطيب ، ومن يلوذ بهم من أتباعهم ، ومنهم

---

(١) الأبيات في المسودة ل ٤٠ — ٤١ .

(٢) في المسودة : (للمعالي) .

(٣) ق : (باهر) .

(٤) ق : (أعالي) .

(٥) ليست اللفظة في ت .

(٦) ليست اللفظة في ق .

الشيخ أحمد بن الحارثية ، وأتباعه ومعهم راية الطريق[٧] ، وهم[٦] يتلون البُرْدَةَ الشريفةَ ، والصلاةَ على الرسول ﷺ ، صاحب الحضرة المنيفة ؛ إلى أن خرجوا إلى خارج البلاد . ثم قرأنا لهم الفاتحة ودعونا الله تعالى ، وتوجهنا على المعتاد ، وبقي معنا الشيخ أحمد بن الحارثية ، وبعض جماعته يريد الذهاب رفقتنا إلى القدس الشريف ، بقصد الزيارة وحصول التشريف .

قبر نبي الله يوسف عليه السلام

فمررنا على قبر في مكان صغير ، عليه هيبة وجلالة وله قدر كبير ، يقال إنه قبر النبي الله يوسف عليه السلام ، فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

قبر الشيخ غانم وولده عبد السلام

ثم رأينا قبر الشيخ غانم ، وولده الشيخ عبد السلام على جبل عالٍ فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

جامع البطم في قرية منخا

ثم مررنا على جامع البطم[٨] — بضم الباء الموحدة ، بعدها طاء مهملة ساكنة ، وهو جامع مبارك يقال إن فيه قبورَ رجالٍ من الصالحين ، وهو في قرية يقال لها مَنْخا ، بفتح [٩٦/ب] الميم ، وسكون النون ، وبالخاء المعجمة . فوقفنا وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

كفل قلّيل

ثم مررنا على قرية في جهة الشرق ، يقال لها كِفْل قِلّيل — بكسر الكاف ، وسكون الفاء ، بعدها لام ، وبكسر القاف ، وتشديد اللام مكسورة ، والياء التحتية ، واللام — وهي الآن مشهورة على ألسنة الناس كفر قِلّيل — بفتح الكاف ، وسكون الفاء ، بعدها راء ، وفتح القاف ، وتشديد اللام المكسورة — وفيها حجر مرصود من زمان الكفر ، يقال : إنه لا يدخل الهواء الشرقي إلى تلك القرية أصلاً مع أنها مقابلة للشرق .

قرية خان اللبن

ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى خان اللُّبّن — بتشديد اللام مضمومة وتشديد

(٧) ق : (واتباعهم ومعهم راية الطيرله) .

(٨) ن : (البط) ، ت : (البطمة) وما هنا يوافق ما في المسودة .

الباء الموحدة مفتوحة وبالنون ــ اسمُ قرية هناك فنزلنا وصلَّينا الظهر بجماعتنا ، وأكلنا ما تيسر من الزاد .

قرية المزرعة

ثم توجهنا فسرنا ، فصعدنا إلى عَقَبة اللُّبَّن . ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى قرية المزرعة ، فنزلنا هناك في ذلك الجامع .

اليوم الستون
١١٠٥/٣/٢ هـ = ١٦٩٣/١١/٢٩ م

وبتنا فيه مع الجماعة إلى أن أسفر ضوء ذلك الصبح اللامع ، وكان يوم الأحد ، وهو اليوم الستون ، ثاني شهر ربيع الأول .

البيرة

فسرنا على بركة الله تعالى إلى أن وصلنا إلى البِيرة[1] ــ بكسر الباء الموحدة ــ فنزلنا هناك ، وأكلنا ما تيسر من الزاد على وجه الاشتراك .

مدينة القدس الشريف

ثم ركبنا وسرنا في تلك الجبال العالية ، والأودية الخالية ؛ إلى أن أشرفنا على مدينة القدس الشريف ، وقربنا من هاتيك المعاهد القديمة . بلا تسويف ، فنظمنا هذه الأبيات على البديهة[2] : [من الطويل]

دَخَلْنـــا بعَــوْنِ اللهِ في حَضْرَةِ القُــدْسِ
وَقَدْ لاحَتْ الأنْـوارُ من جـانب القُدْسِ
وَهَــبَّتْ عَلَيْنــا نَسْمَــةٌ مَنْدِلِيَّـــةٌ
تَـبُثُّ شَذا الألْطـافِ مِــن رَوْضَةِ الأنْسِ
سَقَــى اللهُ هاتــيكَ الجبـالَ التــي عَــلَتْ
وفاقَتْ على الأجْبال في النَّوْعِ[3] والجِنْسِ

(١) قال ياقوت : (البيرة بين بيت المقدس ونابُلُس)
(٢) الأبيات في المسودة ل ٤١ .
(٣) ت : (بالنوع) .

وَصَحْبٍ كِـرامٍ في الـرِّكابِ أَلِفتُهُـمْ
يجوزُون لِيـنَ العُـرْب مَـعْ أَدَب الفُـرْسِ
إلى الحَـرَمِ القُـدسيّ كانَ مَسيرُنـا
لِـنُشْرِفَ مِـن تِـلْكَ الأماكـن باللَّـمسِ
وَنَخْطَـى بِـأَسْرارِ القُلـوبِ وَنَجْتَنـي
ثمار الكمال الغَضِّ مِـنْ أَطْـيَبِ الغَـرْسِ
فَجئنـا نَـؤُمُّ القَـوْمَ أَكْـرَمَ جيـرَةٍ
بهم يَسْتَجيـرُ الجارُ في شدّةِ البَـأْسِ
وللصَّخْـرةِ الغَـرّاءِ سِرٌّ عَهِدْتُـهُ
لَـدَى صَلَواتِ القُرْب مِـن أَحمد الخمسِ
وَقَـدْ أَسْفَـرَ الإسْراءُ عَنْـهُ وَأَوْضَحَتْ
مَعارِيجُه ما قَـدْ سَمِعْنـا مِـن الهَـمْسِ
[٩٧/أ] وبِالْمَسْجِـدِ الأَقصَى بَقيَّـةُ بَهْجَـةٍ
من المُصْطفى المُخْتارِ جَلَّتْ عن الطَّمْسِ
تُشير[٤] إلى المَبْـدا الحِجـازيّ بالَّـذي
لَدَيْهـا مِـن الأنْـوارِ في صَفْحـةِ الطِّـرْسِ
بِـلادٌ قديـمُ الـفَضْلِ بالأنْبِيـاءِ لا
يَجُـوزُ عَلَيْهـا مـا تَأَخّـرَ بالـدَّرسِ
ولله في أَرْضِ الحجـازِ إشارة
تُخَبِّرنـا بـالسِّرّ في ذلِكَ الـرَّمْسِ
عَسَى الله أَنْ يـأْتي إليها بنـا فَقَـدْ
سَرَيْنـا مـن الزُّلْفَـى إلى مَطْلَـعِ الشَّمْسِ

استقبال

ثم لم نزل سائرين إلى أن خرج لاستقبالنا أولاد الشيخ العلمي وجماعتهم ، وطائفة من الإخوان والمحبين ، حتى نزلنا من تلك العقبة ، وشكرنا الله تعالى حيث من الهم فككنا

---

(٤) في ن : (نشير) .

الرقبة ؛ ومررنا على المدرسة الجراحية[٥] ، وزرنا من دفن فيها من هياكل تلك الأرواح الراضية المرضية .

ثم سرنا نَؤُمّ البيت المقدس ، الذي هو[٦] على لطائف الأسرار مؤسس ؛ ولله دَرُّ العلّامة الحافظ ابن حجر[٧] العسقلاني حيث قال : [من الوافر][٨]

إلَى البَيْتِ المُقَدَّسِ جِئْتُ أَرْجو ... جَنانَ الخُلْدِ نزلاً من كَريمِ[٩]
قَطَعْنا في مسافَتِهِ عِقاباً ... وَما بَعْدَ العقابِ سوى النَّعيمِ

المدرسة القادرية

إلى أن كان منزلنا في معدن الأرواح النورانية المسماة بالمدرسة القادرية .

زائرون

فحضر عندنا هناك شيخ الجماعة ، وسليل أهل المعارف الإلهية والبراعة ، التقيّ الصالح ، والسني الفالح ؛ الشيخ أبو الوفاء العلمي وأولاده الكرام الثلاثة ، أهل الكمالات العلية ، والأخلاق البهية ؛ وحسن الدماثة :

السيد الفاضل . مجمع الفضائل والفواضل[١٠] ، الشيخ مصطفى ، .
والسيد السامي ، صاحب الفضل النامي ؛ الشيخ محمد ؛
والسيد الكامل ، الذي هو لأنواع المحامد شامل ، السيد فيض الله ،
والشيخ يحيى الداودي .
وأكابر تلك البلدة . وأعيانها .

---

(٥) قال النابلسي في (رحلتي إلى القدس) ١٣ : (فوصلنا إلى مزار الشيخ جراح وهذا في (المدرسة الجراحية) قال الحنبلي : وهي بظاهر القدس من جهة الشمال ولها وقف ووظائف مرتبة . نسبتها لواقفها الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي أحد أمراء الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب ، توفي في صفر سنة ٥٩٨ ودفن بزاويته بالمدرسة المذكورة).

(٦) ليست اللفظة في ق .

(٧) تقدمت ترجمته في هذا الجزء .

(٨) البيتان في رحلتي إلى القدس ١٣ .

(٩) روايته في (رحلتي إلى القدس) :
إلى بيت المقدس قد أتينا ... جنان الخلد نزلاً من كريم

(١٠) ليست اللفظة في ق .

صديق قديم وقديم

واجتمعنا بصديقنا الشيخ الفاضل العالم الصالح محمد البدري الدمياطي الشهير بابن الميت . وكان قدم علينا سابقاً إلى دمشق الشام في أواخر شوال سنة أربع ومئةٍ وألفٍ ، ومعه تلميذه الشيخ الكامل مصطفى الحريثي الدمياطي وقد كتب لي هذا الشيخ مصطفى وأنا في دمشق الشام تلك الأيام بهذه القصيدة من نظمه ، وهي قوله[11] : [من الكامل]

نَطَــقَ الوجــودُ بمدحِ رُوحِ الــذّاتِ
إنسان أَهْــلِ المَحْــوِ والإِثْبــاتِ

[٩٧/ب] فَــرْدُ الجَمــالِ وَعَيْــنُ أَعْيــانِ الكَمــا
لِ ومُنْتَهــى الأَسْرارِ والنَّفَحــاتِ

هُوَ غَـوْثُ أَهْـلِ الـعَصْرِ مَنْهَـلُ فَـيْضِهِ
بَهَــرَ العُقــولَ سَنــا تَجليّــاتِ

أَغْنــي بــه نسر الوُجــودِ وَواجِــدَال
وجــدانِ ذروةَ بَهْجــةِ الآيــاتِ

هُــوَ شَمسُ رابعَــةِ[12] النَّهــارِ أَضاءَ في
نــورِ الزُّجاجــةِ باهــرِ المُشْكــاة

مرقاةُ سرِّ القُرْبِ مَـنْ هُـو مُظْهِـرُ الــ
ـحَـقِّ المُبيــنِ فَعُـجْ بـذي المِرْقــاةِ

هُــوَ عَبْــدُ مَوْلانــا الغَنــيِّ شَرابُــه
من فَيْضِ[13] بَحْرِ الأُنْسِ في الـحَضَراتِ

لا غَرْوَ يـا قـطبَ الزّمـانِ وَمَـنْ غَـدا
مُتَصرِّفــاً غَــيْبَ الإِلهِيّــاتِ

أَنْ تَقْبَـلَ العَبْــدَ الفَقيــرَ على الّــذي
قَــدْ كانَ منــهُ مــن قَبيــحِ صِفــاتِ

---

(١١) الأبيات في الورد الأنسي ل : ١٨٦ .

(١٢) في هامش ق : (الساعة الرابعة من النهار ، فإن الشمس تكون فيها من أكمل شروق وارتفاع منه) .

(١٣) ن : (من بحر فيض) .

وَبِبعضِ أبياتِ القَريض وغيرها
يَحْظَى وَيُجْمَع بَعْد طول شَتاتِ
وبِنَظْرةٍ من فَيْضِ بَحْرِكَ سَيِّدي
أَنْ تُلحَظوهُ عاشَ بَعْدَ مَماتِ
إنْ لَمْ تكونوا تَقْبَلُونَ لمثل مَنْ
أَسَرَتْهُ أَهْوَاءٌ من الحوباتِ
وبِقَقْرِه[14] وبَذْلِهِ وبِكَسْرِه
قد جاء يَغْنَم نَيْلَ مَبْذولاتِ
وبِكُمْ إليكُمْ سائلاً مُتَشَفِّعاً
دونَ الوَرَى والغَيْر والشُّبُهاتِ
نَسْل الحُرَيْشي مُصْطَفَى طفق القفا
رَ يجوبها بالذّنب والغَفَلاتِ
لا تَطْرُدُوهُ فإنَّ جاهَ المُصْطَفَى
رَحْبٌ وسيعُ السُّوح والهطلات[15]
مَنْ قَدْ رقى جُنْحِ الظّلامِ لرّبهِ
وسما مقامَ المَجْدِ والقُرُباتِ
صلَّى عَلَيْه مُوافياً تسليمَهُ
ربُّ السَّماءِ مدبِّرُ الحَرَكاتِ
وَصحابَه مَعَ آلِه ما أَنْشَدَتْ
نَطَقَ الوُجودُ بمدحِ روحِ الذاتِ

رد النابلسي عليه

وكتبنا له ، ونحن في دمشق الشام ، سابقاً الجواب عن ذلك ، بمعونة القدير المالك ، هذه القصيدة الوافية ، من الوزن والقافية ، وهي قولي : [من الكامل]

إنَّ الوَصيَّةَ أَقْرَبُ القُرُباتِ
تَحْوي الهُدَى الماضي وما هُوَ آتي

---

(١٤) ن : (وبفقده) .
(١٥) ن : (ذو البطلات) .

هـيَ سنَّـةٌ وسماعُهـا فَـرْضٌ عَلَـى
كُـلِّ الـوَرَى، قَطْعـاً لِنَيْـلِ نَجـوِ
لا سيَّمـا مـا نحنُ فيـه مـن الهُـدَى
عِلْـم الإلٰـهِ طريقـةُ السّاداتِ
فَاسْمَـع مَقَالَتنـا وَعِ لِكَلامِنـا
يـا مُصْطَفـى الأَخيـارِ والخيراتِ
يـا مَـنْ غَـدا نَسْلُ الحُرَيْشي الَّـذي
يَسْمـو بنَشْآتِـهِ عَلَـى الـنَّشآتِ
لا زالَ يُتْحِـفُكَ الإلٰـه بكـلِّ مـا
تَهـوَى مـن الإحسانِ والحَسَنـاتِ
إعْلَـمْ بـأنَّ اللهَ جَـلَّ جَلالُـهُ
ذاتٌ لها مِنْهـا أَتم صِفـاتِ
وهـي المَـرَاتِبُ في الغُيـوبِ تَرَتَّـبَتْ
لِلـذّاتِ أَصْلِ المَحْـو والإثبـاتِ
[٩٨/أ] وَاللهُ مُنْـكَشِفٌ بها في فِعْلِـه
للعارِفيـنَ بمُقْـتَضَى الدَّرجـاتِ
وهـو الوجـودُ حَقِيقـةٌ مَشْهـودَةٌ
تَوْحيدُهـا خـالٍ مـن الشُّبُهـاتِ
وَالكائنـاتُ جَميعُهـا قـامَتْ بـه
مثـل الظـلالِ بَـدَتْ عـنِ الشجـراتِ
وَهِـيَ الـرُّسُومُ بها الوُجـودُ قَـدِ انْجلَـى
ببدائـع الأَسماءِ والـحَضَراتِ
والكُـلُّ فـانٍ لا وُجـودَ لـه سِوَى
هٰـذا الوُجـودُ الحَـقُّ فَـرْدُ الـذّاتِ
فـإذا تجَلَّـى لاحَتْ الأَكـوان في
أَنْـواره بالشَّكْـلِ والهَيْئـاتِ

وإذا اختفى لم يبدُ شيءٌ في الورى

قل أمره كالبرقِ في الحركاتِ

ولهُ التجلي كيف شاءَ وضدّ ذا

لا طَبْعَ لا تَعْليلَ فيه يُواتي

فاكشِفْ عن السرِّ الذي فيك اختفى

منه وتُبْ عن هٰذِهِ الغَفَلاتِ

وَانْظُرْهُ فيكَ وَأَنْتَ مَعْدومٌ به

لا شَيْءَ غير قَديمِ تَقْديراتِ

فَإِذا بَدا لَكَ وَهْوَ بادٍ لَمْ يَزَلْ

فَاعرِفْهُ في الأَحْياءِ والأَمْواتِ

وَاحْذَرْ تَجِدْهُ اثْنَيْن أَوْ ما زادَ قُلْ

هُوَ واحِدٌ والشَّيْءُ كالمرآةِ

فَإِذا تَعَدَّدَتِ المَرايا هٰكذا

فيها التعددُ كان بالنَّظَراتِ

وَاثْبُتْ على التَّحقيقِ فيما نِلْتَه

وَافْهَمْ وراقِبْ سائرَ الأَوْقاتِ

وَاتْرُكْ بِغَيرِ اللهِ شغلك دائماً

حَسْبَ اجْتهادِكَ فَالمُقَدَّرُ ياتي

وَاجْعَلْ سُلوكَكَ مالَه من آخِرٍ

لا تَنْتَظِرْ فَتحاً لخَوْف فَواتِ

فَالفَتْحُ مَوْجودٌ وَأَنْتَ غَفِلْتَ عَنْ

تَحقِيقِه وَشُغِلْتَ باللَّذّاتِ

وَجَميعُ ما تَرْجُوْه عِنْدَكَ حاضِرٌ

لٰكِنْ به عَنْهُ اشْتغالُكُ عاتي

وَاصْدُقْ وَقُمْ باللهِ بَيْن عِبادِهِ

مُتَعَرِّضاً مِنْهُمْ إلى النَّعَماتِ

لا تُحْتَقِرْ أَحَداً فَأَسْرارُ الّذي

خَلَقَ الوَرَى فيهم أَجَلُّ هِباتِ

وَاسْلُكْ على سَنَـــنِ الّذيـــن تَقَدَّمُـــوا
في الزُّهْـــدِ والإِخْـــلاصِ والنّيّـــاتِ
وَاصْبِـرْ وَصابِرْ وَاصْطَبِـرْ وَاشْكُـر عَلَـى
نِعَـــمِ الإِلـــهِ الـــغير منقطعـــاتِ
فـــاللهُ يَجْعَـــلُ بَعْـــدُ عُسْرٍ دائمـــاً
يُسْراً ويُبْـــدي النُّـــور في الظُّلُمَـــاتِ
خُـذْ مـا أَتَـى عَبْـد الغَنـي بـه وَكُـنْ
مُتَأَمِّـــلاً في هٰـــذِهِ الأَبْيـــاتِ
لا تَـــنْسَهُ مـــن دَعْـــوةٍ في ساعـــةٍ
يَسْمُـــو بها مـــن أَقْـــرَبِ السّاعـــاتِ
فـــاللهُ يَرْزُقُنـــا القَبـــولَ جَميعنـــا
ويُجيرُنـــا مـــن سائِـــرِ الآفـــاتِ
بمُحَمَّـــدٍ وبآلِـــهِ وبصَحْبـــهِ
و التّابِعيـــنَ لَهُـــمُ مَـــدَى الآنـــاتِ

شعر في محمد البدري

وقد طلب منا الشيخ محمد البدري المذكور عملَ أبياتٍ له بحسب فتوح الوقت حين كنا في دمشق الشام ، فأجبناه إلى ذلك [٩٨/ب] وقلنا في ذلك التاريخ : [من الكامل]

خُذْهـــا إِلَـيْكَ لَهـــا هُـــدًى وَبَيـــانُ
مِنّـــا نَصِيحـــةُ مَـــنْ لَـــهُ عِرْفـــانُ
مُغْـــرًى بحبّ المُذْعِنيـــنَ يَسُوقُهُـــمْ
لِلْغَـــيْبِ منـــه تَحَقُّـــقٌ وَعَيـــانُ
وَبها يَـــدُ التَّوْحِيـــدِ قَـــدْ مُـــدَّتْ لِمَـــنْ
حَفِـــظَ العُهـــودَ وعَنْـــدَهُ الإذعـــانُ
إِنـــيّ بحبّكَ يـــا مُحَمَّـــدُ مُغْـــرَمٌ
أَنْتَ البُدَيْـــري بالكَمـــالِ مُصانُ
وَعَلَـــيْكَ مِـــنْ نَسْجِ الهِدايـــةِ حُلَّـــةٌ
وَطِرازُهـــا التَّوْفيـــقُ والإِيقـــانُ

فَـــابْشِرْ بكـــلِّ سَعـــادَةٍ وعِنايَـــةٍ
وَحِمايَـــةٍ ومـــن الإلٰـــهِ تُعـــانُ
أَنْتَ الحَقيـــقُ بـــأَنْ يُقـــالَ لكَ انْتَبِـــهْ
مـــن رَقْـــدَةِ الغَفَـــلاتِ يـــا إنْسانُ
أَعْنـــي بـــذٰلِكَ رقْـــدَةَ الدِّيـــنِ التـــي
مَـــنْ كان راقِـــد هـــا هُـــوَ اليَقْظـــانُ
عِنْـــدَ العَـــوامِ وَعِنْـــدَ مَـــنْ هُـــوَ غافِـــلٌ
والذِّكْـــرُ منـــه بها هُـــوَ النِّسْيـــانُ
عِلْـــم اليَقيـــنِ فـــإنَّ ذٰلكَ بَعْـــدَهُ
عَيْـــن اليَقيـــنِ(١٦) لَـــهُ الأَحِبَّـــةُ دانـــوا
مِـــنْ بَعْـــدِه حَـــقُّ اليَقيـــنِ وَلِلْيَقيـــ
ـــنِ حَقيقَـــةٌ لظهورهـــا لَمَعـــانُ
هـــي وحـــدة بـــاسم الوجـــود تحقـــقت
وهـــي الوجـــود الحق والوجـــدان
تَنحـــل فيـــه المُشْكِـــلاتُ جَميعُهـــا
والسُّنَّـــةُ الغَـــرّاء وَالقُـــرْآنُ
وكـــلامُ أَهْـــلِ اللهِ في طَبَقاتِهِـــمْ
وبها يَكـــونُ مِـــنَ الشُّكـــوكِ أَمـــانُ
إنَّ الوجـــودَ لمن تَحقَّـــق واحـــدٌ
لَـــيْس الزِّيـــادَةُ فيـــه والنُّـــقْصانُ
ذاتٌ مُنَزَّهَـــةٌ عـــنِ التَّرْكـــيبِ لا
شَيْءٌ يُشابِهُهـــا لَـــهُ الحَدَثـــانُ
وَصِفاتُهـــا في نَفْسِهـــا هـــيَ عَيْنُهـــا
وَكَـــذاكَ أَسْمـــاء لتـــلْك حِسانُ
والعَقْـــلُ يُـــدْرِكُ أَنَّ ذٰلِكَ غَيْرهـــا
وَهِـــيَ المَـــراتِبُ مالَهـــا نُكْـــرانُ

(١٦) ق : (عين العين) .

لا عَيْنُهـــا لا غَيْرُهـــا فَافْطَـــنْ هُنـــا
لِيـــزَولَ عَـــنْكَ الظَّـــنُّ والحُسْبـــانُ
وَهِـــي اعْتبـــاراتٌ كَـــثِيراتٌ وَمَـــا
هِـــيَ غَيْـــرُ ذاتِ الحَقِّ جَـــلّ الشّانُ
وَالحسُّ والمَـــحْسوسُ قَـــدْ قامـــا بها
والعَقْـــلُ والمَعْقـــولُ يـــا إخْـــوانُ
وَالكُـــلّ خَلْـــقُ اللهِ أَيْ تَصْويـــرُهُ
مثـــل المَعـــاني تُـــدْرِكُ الأَذْهـــانُ
فَانْظُـــرْ إلى هٰـــذا الوُجـــودِ مُجَـــرِداً
عَنْـــه تَقَادِيـــراً هـــي الأَكْـــوانُ
وَمُنَزِّهـــاً لِجَمالِـــهِ عَـــنْ كُـــلِّ مـــا
يَحْـــوي المَكـــانُ وتَجْمَـــعُ الأَزْمـــانِ
فَالكُـــلُ مَوْجـــودونَ منـــه بِـــهِ لَـــهُ
لَـــوْلاهُ كانَ وجودُهُـــمُ مـــا كانـــوا
والكُـــلّ مَعْدومـــونَ فيـــه وإنَّمـــا
هُـــوَ وَحْـــده المُتَـــفَضِّلُ المَنّـــانُ
وَهُوَ الّـذي هُوَ عَيْنُ ما هُوَ لَـم يَـزَلْ
مـــا غَيَّرَتْـــهُ بخلقِهـــا الأَعْيـــانُ
وَكَـــذٰاكَ لَـــمْ تَتَغيَّـــرِ الأَعْيـــانُ مـــن
عـــدم بها لٰكِـــنْ لها لَـــوَذانُ
[٩٠/أ] تَبْـــدُو بـــه وَهُـــوَ الّـــذي يَبْـــدو بها
كُـــلٌّ لِكُـــلٍّ نسبـــةٌ وقِـــرانُ
وَهُمـــا جَميعـــاً ظاهِـــرانِ فَتـــارَةً
خَلْـــقٌ يُقـــالُ وَتـــارةً رَحْمـــانُ
حَقٌّ عَلَى العَرْشِ العَظيمِ قَـد اسْتَـوَى
وَبـــه مَحَـــلٌّ قائِـــمٌ وَمَكـــانُ
سُبْحانَـــهُ مـــن أَنْ يَحـــلّ بِغَيْـــرِهِ
أَوْ في مكـــانٍ أَوْلَـــه إمْكـــانُ

هُـوَ أَوَّلٌ هُـوَ آخِـرٌ هُـوَ ظَاهِـرٌ
هُـوَ باطِـنٌ هُـوَ واحِـدٌ دَيَّـانُ
وَالكائِنـاتُ جَميعُهـا مَعْدُومَـةٌ
في نُـورِهِ وَلَهـا بِـه[17] إبطـان
وَهُـوَ الوُجـودُ الحَـقُّ جَـلَّ جَلالُـهُ
والانْسُ قَـدْ قامـوا بِـه والجانُ
في المُلْكِ والَملَكُـوتِ عَـزَّ وَجَـلَّ عَـنْ
مَعْنَـى الشَّرِيكِ وَمَـا هِـيَ الأَوْثـانُ
فَالْجَـأْ إِلَيْـهِ وَكُـنْ بِـه مُتَمَسِّكـاً
وَلْيَسْتَـوي الإِسْرارُ والإِعْـلانُ
وَاطْـرَحْ قُيُـودَكَ فِي حِمـاهُ ولُـذْ بِـه
وَلْيَـكثر التَفْـويضُ والتُّكْـلانُ
وَبِـهِ فَقُـمْ واقْعُـدْ بِـهَ وارْكَـع بِه
وَاسْجُـدْ إِلَيْـه بِـه لَكَ اسْتِيقـانُ
وَاتـرِكْ مُـرادَكَ فِي قَـديمِ مُـرادِهِ
يَـمْضَي الـفَسادُ وَيَـذْهَبُ الطُّغْيـانُ
وَاتْـرُكْ بِـه دَعْـوَى الوُجـودَ لَـهُ وكُـنْ
فِيـه بِـلا كَـوْنٍ يَـزولُ الـرّانُ
وَاجْعَـلْ فَنَـاءَكَ فِي هَـواهُ هُـوَ البَقـا
إِنَّ الفَنـا هُـوَ لِلْبَقـا مَيْـدانُ
وَاعْكِـفْ عَلَـى سَنَـنِ النَّبـي مُحـاذِراً
بِـدعَ الزَّمـانِ يَسُوقُهـا الشيطـانُ
فالسُّنَّـةُ الغـرّاءُ منهاجُ التُّقَـى
تُمْحَـى بها الآثـامُ والعِصْيـانُ
وَاكْفُـفْ عَـنِ النّـاسِ الظُّنـونَ وسوءَها
وَاحْـذَرْ فـإِنَّ هُنـالِكَ الحِرْمـان[18]

(١٧) ق : (وله بها) .
(١٨) كذا في الأصل والشاعر هنا بين أمرين إما أن يوافق الإعراب فيفتح نون (الحرمان) لأنها اسم إن أو أن يرفعها فيكون في البيت إقواء .

وَاتْـرُكْ عَلَـى العاصِيـنَ سِتْـرَ إلاهـم
وَاعْلَـم بـأنَّكَ كَيْـفَ دِنت تُـدانُ
وَاكْتُـمْ سَرِيـرَتَكَ الّتـي هِـيَ قـد صَفَتْ
لَكَ مـن سواكَ يزيـنُكَ الكِتْمـان
وَأقِـمْ عَلَـى نُصْحِـي وَكُـنْ مُتحققـاً
بمقالتـي فمَقالتـي الفرقـان[19]
وَأدِرِ[20] لسانَكَ بـالصَّلاةِ عَلـى الـذي
غَـيْثُ الهُـدى أبـداً بـه هَتّـانُ
وَلآلِـهِ وَلِصَحْبِـهِ مِـنْ بَعْـدِهِ
فَلْيَكْثُـرِ التَّسْليـمُ والـرِّضوانُ
وَانْـهَضْ بُـحبِّ الصّالحيـن وذكرهـم
فيمـا تَـرومُ فتَـذْهب الأحـزانُ
وَلَكَ الحَوائِـجُ تَنْـقَضِي بسهولـةٍ
وإلَـيْكَ يَـأْتي العَفْـوُ والغُفْـرانُ
وبما أتى عَبْـدُ الغَنـي فَخُـذُولا
تَبْغـي عَـداهُ فإنَّهُـم عُميـانُ

ضيوف ومباحثات علمية

ثم ان الشيخ أبا الوفا العلمي المذكور أرسل لنا بالضيافة المحمودة ، وأنواع من الأطعمة معدودة ؛ حتى صلينا صلاة المغرب في مكاننا المعلوم ، مع جماعتنا على وجه الخصوص والعموم ؛ ثم أتى لزيارتنا في ذلك الحين ، شيخ الإسلام العالم العامل [٩٩/ب] الهمام الشيخ نجم الدين[21] ؛ ابن المرحوم شيخ الإسلام ، وعلامة الأعلام ؛ الشيخ خير الدين الرملي . ومعه الشيخ شمس الدين ، وحضرة الحسيب النسيب السيد مصطفى نقيب السادة الأشراف محي بيت المقدس . وجرت بيننا وبينهم مباحثات علمية ، ومذاكرات فقهية .

(١٩) ق : (القرآن) .

(٢٠) ق : (واترك) .

(٢١) هو محمد نجم الدين بن خير الدين بن أحمد بن علي الرملي ولد سنة ١٠٦٦ وتوفي سنة ١١٣ هـ وقيل ١١١٢١ هـ . وهو من أصدقاء المحبي وترجم له في نفحته ٢٦٤/٢ — وله عدة مؤلفات ذكرها البغدادي في هدية العارفين ٤٨٩/٢ و٥٧٦ وانظر معجم المؤلفين ٢٩٤/٩ و٧٦/١٣ .

اليوم الحادي والستون

١١٠٥/٣/٣ هـ = ١٦٩٣/١١/٣٠م

ثم بتنا تلك الليلة في أكمل سرور ، وأجمل حبور ؛ إلى أن طلع صباح يوم الاثنين الحادي والستين ، ثالث شهر ربيع الأول .

في المدرسة القادرية

فجلسنا في المدرسة القادرية التي هي منزلنا ذات الخلوات اللطيفة ، والجلوات العلية .

وقد وردت علينا أهل البلاد من الإخوان والأصحاب ، وأهل المودة والأحباب ؛ وجاء إلى عندنا نائب القضاء في تلك البلدة ، وحضرة مفخر ذوي المكارم علي جوربجي النابلسي ، ومن معه من أهل الكمال والنجدة ، ومشايخ الحرمة القدسي ، والعلماء والصالحون من ذوي المقام الأنسي ؛ ومنهم الشيخ الصالح . محمد المالكي المؤَقّتُ بالحرم الشريف ، وإمام المالكية فيه ، وغيرهم من بقية الناس ، من كل نبيل نبيه .

شعر في عذار

وقد طلب منا أن نعمل تأريخاً للسيّد فيض الله جلبي العلْمي المذكور في طلوع عِذارٍ له واستكمال[١] مرتبة الذكور ، فقلنا على البديهة من النظام ، في ذلك المقام[٢] : [من الرجز]

بَـدَا عِـذارُ الصَّالـحِ الأَوَّاهِ ... نَسلُ الكِرام ذي الجَمالِ الباهي
وفي رَبيـع عِـزِّه وَالجاه ... أَرِّخ حُمـي كَمالُ فَـيْضِ اللهْ[٣]

شعر في رياض القدس

وقلنا في ذلك اليوم ، ونحن في رياض القدس ، وقد انتبه بلبل القريحة ، من النوم[٤] : [من الخفيف]

---

(١) ن : (واستكماله) .

(٢) الشعر في المسودة ل : ٤٢ .

(٣) حسابها في التاريخ الشعر على النحو التالي :

حُمي + كمال + فيض + الله

٥٨ + ٩١ + ٨٩٠ + ٦٦ = ١١٠٥

(٤) الأبيات في المسوّدة ل : ٤٢ .

بلـدةُ القُـدسِ وهـي أشرفُ بَلْـدَه
أشْبَـهَتْ جَنَّـةَ النَّعيـمِ وَخُلْـدَهْ

وَعَلى الكافريـن فيها جَحيـمٌ
حَـيْثُ كُـلٌ منهم يُفـارِقُ رُشْدَهْ

أهْلُهـا المُؤمنـونَ أكمـلُ قـومٍ
حَفِظـوا الـودَّ أهـلَ فخـرٍ وَنَجـدَهْ

وَهْـي دارُ النـدا وبـيتُ المَعـالي
وَعِمـادُ التُّقـى وَرُكـنُ المودَّهْ

شَرَفٌ زائِـدٌ لها وَمَزايـا
مَـنْ أتاهـا رأى هُـداهُ وسَعْـدَهْ

حَـرَمٌ ثـالث لمكّـةَ فَضْلاً
وحِمى طيبـة أتتْ هـي بَعْـدَهْ

كَـمْ بها مـن مَشاهـدٍ شاهـداتٌ
أنَّـه اللهُ في تَجلّيـهِ وَحْـدَهْ

[١٠٠/أ] وَبها الصَّخْـرةُ التـي هـي نـورٌ
كـلِّ نـفسٍ مـن سرّهـا مُستَمَـدَّهْ

كان فيها المعراجُ حَيْثُ إليه اللـه أسرى بمن يُسميّـه عَبْـده
وبها الأنبيـاءُ والـرُّسْلِ صَلَّتْ
خَلْـفَ طـهَ النَّبـيّ مـن حـاز مَجْـدَهْ

جِئْتُهـا زائِـراً فَنِـلْتُ ثَوابـاً
حَـيْثُ نَـفْسي كانَتْ لـه مُستَعِـدَّهْ

مَـعَ قَـوْمٍ لَهُـمْ مَزِيَّـةُ فَضْلٍ
كُـلُّ شَهْـمٍ منهم يُحـاول قَصْدَهْ

فَسَقَـى اللهُ أرْضهـا وَحِماهـا
مـن ديـارٍ بها حَـوَى العَـيْش رَغْـدَهْ

شعر لابن أبي شريف

على أننا وجدنا لابن أبي شريف أحد علماء القدس على حسب ما رأى ووجد ،

والأزمان تختلف كمالاً ونقصاً باعتبار من قصر من أهلها وجد ؛ والجروح قصاص ، ومن الله الخلاص ؛ وذلك قوله : [من السريع]

إني أرى القـدسَ على فَضْلِهـا موسوقـةً بالجهـل أي اتِّساقِ
لا سُوقَ للعِلْـمِ بها نافِـقٌ ما نافقٌ في القُدْسِ إلا النِّفـاقُ

ومثله في دمشق

فتذكرت بذلك قول بعضهم في بلادنا دمشق الشام ، مما يناسب ذلك من النظام : [من المتقارب]

تَجَـنَّبْ دِمَشْقَ ولا تَأْتِهـا وَإِنْ راقَكَ الجامِـعُ الجامِـعُ
فَسوقُ الـفُسوقِ بها قائـمٌ وفَجـرُ الفُجـورِ بها طالِـعُ

اليوم الثاني والستون

١١٠٥/٣/٤ هـ = ١٦٩٣/١٢/١ م

ثم أصبحنا في يوم الثلاثاء الثاني والستين ، رابع شهر ربيع الأول .

مفتي القدس من أولاد جوى زاده

فجلسنا في مكاننا المعهود . حتى أتى لزيارتنا فخر الموالي الكرام ، ذوي الكرم والجود ، عطاء الله أفندي القاضي يومئذ بمدينة القدس المحروسة ، لازالت شجرات الكمال في رياضها مغروسة ؛ وهو من أولاد العلامة ، العمدة الفهامة ، شيخ الإسلام جوى زاده المفتي سابقاً بالديار الرومية ، مقر السلطنة العلية .

واجتمعنا به سابقاً في بلادنا دمشق الشام ، وأتى إلى زيارتنا هناك أيضاً بكمال الاحتشام ، وجرت بيننا وبينه مطارحات أدبية ، ومصاحبات عرفية ، ومباحثات علمية ؛ حتى انساق بنا الكلام ، فذكرنا له أن بين جد والدنا الشيخ إسماعيل النابلسي[1] الكبير ، صاحب الفضل الشهير ؛ المذكور سابقاً وبين جده الأعلى جوى زاده المفتي بالديار الرومية سابقاً مكاتبات ومراسلات .

(١) تقدمت ترجمته ومظانها في حوادث اليوم الأول .

شعر لجد والد المؤلف

فمن ذلك ما وجدته [١٠٠/ب] بخطه الكريم ، أنه كتبه أيام المحنة يشكو[٢] فيها جور بعض الحكام بدمشق الشام ، وأرسلها للمولى المذكور في أواخر ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وتسعمائة وهي قوله وقد تقدم بعضها[٣] : [من الطويل]

تَرَفَّـقْ بِقَلْـبٍ مِـن نُجَنِّيكَ يَخْفِـقُ
وَإِنْسانِ عَيْـنٍ كَادَ بِالدَّمْـعِ يَغْـرَقُ

وَإِيـاكَ مِـن ذِكْـرَى مَحَـاسِنِ جِلَّـقٍ
وَأَنهارِهـا السَّبْـعِ الَّتِـي تَتَدَفَّـقُ

وَجَامِعِهـا وَالنَّيْـرَبَيْـنِ وَمَرْجِهـا
وَمَرْجَتِهـا الـخَضْراءِ وَالزَّهْـرُ يَعْبَـقُ

وَجَنَّـاتِها اللَّاتِي حَـوَتْ كُـلَّ بَهْجَـةٍ
حَدائِقُهـا بِالنُّـوْرِ والنُّـوْرِ تحدقُ

وَوِلْدانِهـا مِـن كُـلِّ أَهْيَـفَ مـائِسٍ
لَـهُ وَجْنَـةٌ حَمْـراءُ كَـالشَّمْسِ تُشْرِقُ

أَلا لا تُذَكِّـرْنِي بِأَلْطَـافِ جِلَّـقٍ
فَتُصمِـي فُـؤادِي بِالتَّذَكُّـرِ جِلَّـقُ

لَقَـدْ غالَهـا غَـوْلٌ وَأَقْفَـرَ أُنْسَهـا
وَزالَ بَهـاءٌ كانَ فيها وَرَوْنَـقُ

وَأَظْلَـمَ وَادِيها المُقَـدَّسُ وَانْطَـوَتْ
أَشِعَّـةُ أَنْـوارٍ بِها تَتَأَلَّـقُ

وَلاحَتْ مِـن الجُـورِ المُبَـرِّحِ وَالأَسى
وَفَـتْكٍ[٤] ظَلُـومٍ لِلْعُيُـونِ يُـؤَرِّقُ

يُذَكِّرُنـا أَيَّـامَ تَيْمُـورَ فِعْلُـهُ
وَفِي سِيرَةِ الحَجَّـاجِ بِالظُّلْـمِ يَسْبِـقُ

---

(٢) (أنه كتب أيام المحنة يشكي فيها) .

(٣) الأبيات الستة الأولى تقدمت في حوادث اليوم الأول في ترجمة جدأبية . والأبيات ذاتها في الورد الأنسي ل ٢٢

(٤) ن : (وفتق) .

وَلكِنَّــــه واللهِ أَرْبَـــــى عَلَيْهمـــــا
وعنــه يَزِيــدٌ نــاقِصٌ لــيس يَلْحَــقُ
تَعــدَّى عَلَيْنــا واسْتَطــالَ فَلَـم يَـدَعْ
فُـؤَادَ امْـرِىءٍ إلّا مـن الخَـوْفِ يَخْفِـقُ
وَأَنْشَدْتُـــه في حالَـــةِ الأَسْرِ وَالـــبَلا
وشدَّةِ مـــا أَلْقـــاهُ مما يضيّـــقُ
سَلُــوا أُمَّ عمــرو كَيْـفَ بـاتَ أَسيرهـا
تُــفَكُّ الأَسارى دُونَــهُ وهــو مُوثَــقُ
فَلا هُــوَ مَقْتــولٌ ففــي القَتْـلِ راحــةٌ
ولا هُـــوَ مَمْنـــونٌ عَلَيْـــه فمُعْتَــقُ
ولَمّــا غَــدا في ظُلْمِـــةٍ وَعُتُــوّهِ
يُقَيِّــدُ ظُلْمـــاً مَـــنْ يَشاءُ وَيُطْلِـــقُ
وَيَسْلبُ أَمْـــوالاً وَيَـــأْتِي مَناكِـــراً
وَيثْــلب أَعْــراضَ الــورى[5] وَيمَــزِّقُ
أَتــاهُ مـــن المَـــوْلى سِهـــامٌ مُصيبــةٌ
تُمَـــزِّقُ أَوْصالاً لــــه وتُفَـــرِّقُ
فَأَهْلَكَـــهُ في الحالِ فَـــرْطُ عُتُـــوِّهِ
وَصاحَبَــهُ خِــزْيٌ مـن العــار يُوثَــقُ
وكانَ لـــه يَــوْمٌ عَجـيبٌ ومَشْهَــدٌ
غَـــريبٌ وَأَحْـــداقُ البَرِيَّـــة تحدقُ
فيــا أَيُّهــا العلامــةُ الحَبْــر والَّــذي
هُــوَ السَّعْــدُ والإقبــالُ وَهْــوَ المُوَفَّــقُ
لَكَ الفَخْـرُ كُـلَّ الفَخْـرِ حَقــاً وأنعــم
بها جيـدُ هٰـذا الدَّهْـرِ مـنكَ مُطَـوَّقُ
وَمـــاذا عَسَى[6] أَنِّي أَقُــوَلُ ومـن يضف
إلــيكَ مَعــالي الأمــر فَهُــو الــمُصَدَّقُ

(٥) ليست اللفظة في ق .
(٦) ن (وما عسىٰ) ولا يستوي الوزن فيها .

وَأَنْتَ الإمامُ الفَرْدُ والعِلْمُ والعُلا
وَأَنْتَ وَحِيدُ العَصْرِ أَنْتَ المُدَقِّقُ(٧)
وَعندي إلى رُؤْياكَ واللهِ لَوْعَةٌ
أُرَدِّدُها بَيْنَ الحَشا وَتَشَوُّقُ
وَقَدْ مُلِئَتْ أُذْني ببشركَ فَاغتَدتْ
مُوَلَّهَةً والأُذن كالعين تَعْشَقُ
[١٠١/أ] ومثلُكَ مَنْ يُصغي لمثلي تكَرُّماً
فَيَعلَمُ ما عِندي لَهُ وَيُحقِّقُ
لأنِّيَ مِنْ قَوْمٍ كِرامٍ أُصُولُهم
وأَفْعالُهم في جَبْهَةِ الدَّهْرِ تُشْرِقُ
وَفَخْري بنَفْسي إنها ذاتُ رِفْعَةٍ
يَخِرُّ لها الطَّوْدُ العَظيمُ ويَفْرَقُ
ولِلنّاسِ منّي العِلْمُ والفَضْلُ والهُدى
أَبثُّ دُروساً دائماً وأُحَقِّقُ
وأُظهِرُ مَكْنوناً وَأُوضِحُ غامِضاً
وَأَجْمَعُ تَحْريراً بِهِ الضّدُّ يُصْعَقُ
أَلا إنَّ دَهْراً قَدْ رَمَتْني صُروفُهُ
وَأَضْحى عَلَى مثلي بِحَبْسٍ يُضَيِّقُ
لَدَهْرٌ عَجيبٌ بالفَضائِلِ جاهِلٌ
وعَصرٌ غَريبٌ لَيْسَ يَفْهمُ أَحْمَقُ
وَبَعْدُ فيا مَوْلَى الوَرَى دُمْتَ في هَنا
وَعِزٍّ رَفيعٍ شَأْوهُ لَيْسَ يُلْحَقُ
مَدَى الدَّهْرِ ما هَبَّ النَّسيمُ وأَصْبَحَتْ
إليكَ عُيونُ العِزِّ والسَّعْدِ تَرْمُقُ
عَلَى الدَّوْمِ ما غَنَّتْ حَمائِمُ أَيْكَةٍ
وغَرَّدَ قُمْرِيٌّ وَناحَ مُطَوقُ(٨)

---

(٧) ق : (الموفق) ولا تستوي بها القافية فقد مرت قبل بيتين .

(٨) جاء هذا البيت بعد الذي يليه في ق .

ولا زِلْتَ مَوْلانــــا مِـــــنَ اللهِ في عُلَا
وَغُصْنُ الأمـــاني بالسَّعـــادِةِ مُــورِقُ

استنساخ لأحد كتبه

ثم إن القاضي المذكور طلب منا كتابنا الذي سميناه كنز الحق المبين ، في أحاديث سيد المرسلين ، واستجازنا في كتابة نسخة له منه .

زيارات متعددة

ثم قمنا فذهبنا ، نحن والإخوان ، إلى زيارة الحرم القدسي ، والمشهد الشريف الأنسي ، فزرنا الصخرة الشريفة ، ومسجدها المبارك ، والقدم الشريف ، ومحراب القبلتين ، ومحراب إدريس ، والبلاطة السوداء ، وهاتيك الآثار المنيفة .

ثم نزلنا تحت الصخرة في ذلك الدرج ، وزرنا لسان الصخرة ، ومقام الخضر ، ومحراب داود ، عليهما السلام .

ثم خرجنا فزرنا قبة السلسلة ، وقبة الأرواح .

وذهبنا إلى المسجد الأقصى ، وزرنا ما فيه من الأماكن الشريفة التي فصَّلنا الكلامَ عليها في رحلتنا الوسطى المسمى (بالحضرة الأنسية في الرحلة القدسية)[9] .

ثم عُدنا إلى مكاننا في المدرسة القادرية ، وصلينا الظهر ثم سرنا ، نحن والإخوان .

التربة الملاصقة للسور

فزرنا التربة الملاصقة للسور ، عند باب الرحمة وباب التوبة المسدودين الآن . لكونهما يفتحان إلى الجهة الخالية من سكنى إنسان ، والسلوك إلى شيء من البلدان ؛ وزرنا هناك قبر عبادة بن الصامت وشداد بن أوس الصحابي المشهورين ومن دفن حولهما من قبور المسلمين .

عين سلوان

ثم ذهبنا إلى عين سلوان . في أسفل الوادي ، ولنا في ذكر هذه العين كلام منظوم ومنثور في [١٠١/ب] الرحلة القدسية[10] .

(٩) انظر رحلتي إلى القدس ١٣ وما بعدها .
(١٠) انظر رحلتي إلى القدس ٤٢ وما بعدها .

جبل الطور

ثم صعدنا إلى جبل الطور .

قال ياقوت في المشترك[11] الطُّورُ في لغة[12] العِبْرانيّة اسمٌ لكلّ جَبَلٍ ، ثم صار عَلَماً لجبالٍ بعينها ، منها : طور زَيْتا ... جبلٌ بالبيتِ المُقَدَّسِ . وفي الأثر : مات بطور زيتا سبعون ألف نبي ، قَتَلَهَمُ الجوعُ ، [وهو شرقي وادي سلوان][13] ، انتهى .

قبر رابعة العدوية

ثم زرنا قبر رابعة العدوية رضي الله عنها في جبل الطور على ما هو المشهور .

قبر الشيخ محمد العلمي

وزرنا هناك قبر الشيخ الإمام العارف بالله تعالى محمد العلمي صاحب الديوان المشهور ، في داخل قبة ، وعنده عمارة عظيمة ، وجامع شريف ، بمنارة عالية فوق الجبل .

وتكية الأسعدية .

سلمان الفارسي

ثم زرنا سلمان الفارسي الصحابي المشهور في مغارة بذلك الجبل ، وعنده خرنوبة العشرة [14]على المشهور بين الناس ، يعنون الصحابة[14] العشرة المبشرين بالجنة ، في حديث النبي ﷺ ، فكأن أرواحهم رؤيت حاضرة في ذلك المكان ، تحت تلك الشجرة الخرنوبة ، فنسبت إليهم ، أو غير ذلك والله تعالى[15] أعلم .

قدم عيسى عليه السلام

وزرنا هناك أيضاً في ذلك الجبل قدم عيسى عليه السلام أثّر في صخرة .

وقرأنا الفاتحة في تلك الأماكن ، ودعونا الله تعالى بما تيسر لنا من الدعاء .

أولاد أبي حنيفة

ثم عدنا إلى مدينة القدس فدخلنا من باب هناك ، فزرنا بالقرب منه أولاد الإمام

(١١) انظر المشترك ص ٢٩٧ .

(١٢) ق : (اللغة) .

(١٣) مستدرك عن المشترك ٢٩٧ .

(١٤ — ١٤) ليس ما بينهما في ق .

(١٥) ليست اللفظة في ت .

الأعظم أبي حنيفة النعمان ، رحمهم الله تعالى على ما هو المشهور هناك بين الناس ، وحولهم قبور .

ضيافة عند مصطفى آغا

ثم ذهبنا إلى ضيافة مفخر الأعيان ، حضرة مصطفى آغا من أعيان[16] أكابر بلاد القدس . فدخلنا إلى داره الواسعة الأركان المشيدة البنيان فتلقانا بصدره الرحيب ، ولطفه العجيب . حتى انقضى ذلك المجلس ، وعدنا إلى مكاننا بالقادرية ونحن في أكمل سرور وأتم حالة مرضية .

نجم الدين الرملي ورفيقه شمس الدين

ثم بعد صلاة[17] المغرب أتى إلى زيارتنا الشيخ الإمام الفاضل مفتي تلك البلاد القدسية ، نجم الدين ابن الشيخ الكامل والعالم العامل خير الدين الرملي ، رحمه الله تعالى ، ومعه رفيقه الشيخ شمس الدين ، فتحادثنا معه ساعة من الزمان ، نتجاذب أطراف المباحث العلمية ، والمسائل الفقهية .

شرح الجامع الصغير لجده

حتى ذكر لنا الشيخ نجم الدين المذكور ، أنه وجد لجدنا المرحوم الشيخ الكامل والعالم العامل عبد الغني بن النابلسي[18] شرحاً للجامع الصغير [١٠٢/أ] في الحديث للجلال الأسيوطي[19] .

ديوان لوالده

وذكر لنا الشيخ شمس الدين المذكور أيضاً أنه[20] وجد لوالدنا المرحوم الشيخ الإمام العلامة إسماعيل بن النابلسي[18] ديواناً من الشعر اللطيف في بلاد مصر المحروسة ، ولم نقف نحن على شيء من ذلك لموت والدنا المذكور رحمه الله تعالى ، وأنا صغير دون البلوغ ، وقد ذَهَبَتْ جميعُ كتبه وكتب والده وجده التي كانت عنده وهي ألوف ، لا تكاد تُحْصَى

(١٦) ليست اللفظة في ت .
(١٧) اللفظة في هامش ت لذلك وسقطت من ن .
(١٨) تقدمت ترجمته في أحداث اليوم الأول من هذه الرحلة .
(١٩) ق : (السيوطي) .
(٢٠) ليست اللفظة في ق .

تَفَرَّقت أدراج الرياح بعضها بالسرقة ، وبعضها بالبياعات والأرباح .

شعر للنابلسي

ثم بتنا تلك الليلة في سرور وأمان . نتوارى خلف أستار الألطاف الإلهية من عيون الزمان ، وقلنا من النظام ، في شريف ذلك المقام[21] : [من الخفيف]

صَخْـــرَةُ اللهِ تَتَجلَّـــى في المَقَـــامِ
بكمَـــالِ الوَقـــارِ والإحْـــتِشامِ

وَعَلَيْهـــا جَلالَـــةٌ وَجَمـــالٌ
في سَمـــاءِ الـــعُلَا كَبَـــدْرِ التَّمـــامِ

نُـــورُ سِرٍّ فَشَا مِـــنَ الغَـــيْبِ لَمَّـــا
كانَ في غايَـــةٍ مِـــن[22] الإكْتِـــامِ

تـــارَةً يُـــبْصِر النَّواظِـــرُ مِنها
صُورَةَ الصَّخْـــرِ في عُيُـــون العَـــوامِ

وَتَـــرى تـــارَةً لوامِـــعَ نُـــور
عَيْـــنُ أَهْـــلِ الخصُوص ذاتُ ابْـــتسامِ

ثُـــمَّ صوراً تَـــرَى ذَوو القُـــرْب مَبْـــدأ
كُـــلِّ شَيْء بَـــدا بغيـــرِ انْـــقسامِ

وَتَـــرَى أُمَّـــةٌ تَـــؤُمّ المَعـــاني
دُرَّةً في عُبـــابِ بَحْـــر طامـــي

كَثُـــفَتْ وَهْـــيَ مِـــن أَجـــلِ لطيـــفٍ
كانَ مِـــن مَسِّ أَهْـــلِ جَهْـــلٍ طَغـــامِ

لَوْنُهـــا أَبْـــيَضٌ وَطَـــوْراً تراهـــا
وَهْـــيَ خَضْراءُ مثْـــلُ خُضْرِ الخِيـــامِ

وَهْـــيَ طَـــوْراً في زُرْقَـــة أو سَوادٍ[22]
حَسْبَ حـــالِ الـــرائي مِـــن الأَقْـــوامِ

وَلَهـــا قُبَّـــةٌ عَـــلَتْ وَتَسامَتْ
بِبَدِيـــعٍ مِـــن النُّقُـــوشِ[23] السَّوامـــي

(21) الأبيات في المسودة ل ٤٣ .

(22) ن : (وسواد) .

(23) ق : (النفوس) .

قُبَّـــةٌ تَحْتَهـــا العواميـــدُ صُفَّتْ
واقفـــاتٍ لَهـــا عَلَـــى الأَقْـــدامِ
مِـــنْ رُخـــامٍ وَمَرْمَـــرٍ لامعـــاتٍ
كالمَرايـــا صَقِيلَـــةِ الأَجْسامِ
ثُـــمَّ مـــن حَـــوْلها شَبابـــيكُ لاحَتْ
مـــن نُحـــاسٍ في غايـــةِ الإِحْكـــامِ
وَأَحـــاطَتْ بها شُعَيراتُهـــا[٢٤] مـــن
خَشَبٍ مُتْقَـــنِ الصِّناعَـــةِ سامـــي
قَـــدَم المُصْطَفَـــى بها قَـــد تَبَـــدا
واضِحَ الشَّكْـــلِ زَائـــدِ الانبهامِ
لَـــيْسَ يَخْفَـــى إلا عَلَـــى كُـــلّ غِـــرٍّ
قَـــدْ رَمـــاهُ الجحُـــودُ في الأَوْهـــامِ
وَلَـــهُ قُبَّـــةٌ عَلَيْـــةٌ أُقيـــمتْ
مـــن لُجَيْـــنٍ صَفاؤهـــاا المَـــحْضُ نامـــي
[١٠٢/ب] ثُـــم[٢٥] مـــن فَوْقِهـــا لَـــهُ قُبَّـــةٌ مـــن
خَشَبٍ زُخْـــرِفَتْ بـــحُسْنِ قَـــوامِ
وَعَلَيْهـــا مَهابـــةٌ تَخْتَـــو بِها
حـــارَ في حُسْنِهـــا ذَوُو الأَفْهـــامِ
قُبَّـــةُ الفِضَّـــةِ التـــي هُـــوَ فيها
ذاتُ بابَيْـــنِ تـــلكَ للإِحْتـــرامِ
وَهُمـــا مُقْفَـــلانِ طَـــوْراً وَطَـــوْراً
يفتَـــحُ القُفْـــلَ واحِـــدُ الخُـــدّامِ
كُـــلُّ هـــذا مـــن فِضَّة قَـــد تَصَفَّتْ
صُنِـــعَتْ للإِجْـــلالِ والإِعْظـــامِ
حَصَّنَتْهـــا شَبـــابكُ[٢٦] مـــن حَديـــدٍ
كَـــي لها لا تَنَـــالُ أَيْـــدي اللِّئـــامِ

(٢٤) ق : (شعيراتها)
(٢٥) ليست اللفظة في ق ولا في ن .
(٢٦) ت : (شبابك) ، ق ، ن : (شبابيك) وها هنا عن المسودة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَعَلَـــى الصَّخْـــرةِ الشَّريفـــةِ أَيْضاً
قَـــدَمٌ لِلنَّبِـــيِّ إِدْرِيس سامـــي
وَلِجبريـــلَ فَوْقهـــا شَكْـــل كَـــفٍّ
حَسْبَ مـــا قَـــدْ أُشيـــعَ بين الأنـــامِ
وإلى القِبْلَتَيْـــن مِحْـــرابُ قُـــربِ
ثُـــمَّ بالشيـــدِ(٢٧) مُتْقَـــنٌ(٢٨) والرُّخـــامِ
وَتَـــلاهُ محرابُ إِدْريسَ فيـــه
كُـــلُّ لُطْـــفٍ يَـــرُوقُ في الإِنْضِمـــامِ
ثُـــمَّ مـــن تَـــحْتِ صَخْـــرةِ اللهِ أَمْـــرٌ
لَـــيْسَ يَخْفَـــى مـــن الأمـــورِ العِظـــامِ
هَيْبَـــةٌ تُـــدْهِشُ الفَتَـــى وَجَـــلالٌ
حَيَّـــرتْ كُـــلَّ فـــاضِلٍ عَلّامِ
وَمَقـــامُ الـــخُضْرِ الـــذي يَتَسامَـــى
بَيْـــنَ كُـــلِّ الـــوَرَى أَجَـــلُّ مَـــقـــامِ
ثُـــمَّ مِحْـــرابُ أَحْمَـــدَ المُصْطَفَـــى لا
يَخْتَفِـــي بالجُحـــودِ أَوْ بالتَّعامِـــي
ثُـــمَّ أَيْضاً محرابُ دَاودَ أَضْحَـــى
يَنْـــجلي ثُـــمَّ كاشِفُ الإِيهامِ
صَخْـــرَةٌ في الهَـــواءِ قـــامت ولكـــن
سُتِـــرتْ والزُّهـــورُ في الأَكْمـــامِ
سَتَروهـــا بما بَنَـــوْا حَوْلَهـــا مـــن
حُسنِ بُنْيـــانها الشَّريـــفِ النِّظـــامِ
غيرةً مـــن ذَوِي الغَـــرامِ عَلَيْهـــا
أن يَـــرَى السِّرَّ(٢٩) غَيْـــرُ أَهْـــلِ الغَـــرامِ

(٢٧) الشيدُ : وهو ما طلّي به حائطٌ من جِصٍّ ونحوه ، وقول الجوهري : لا من طين أو بلاط — بالباء ، غلط ، والصواب مِلاط بالميم ، لأن البلاط حجارة لا يطلى بها ، وإنما يطلى بالملاط وهو الطين . القاموس (شيد) .

(٢٨) ت ، ن : (محكم) وما هنا عن ق ويوافق ما في المسودة .

(٢٩) ق ، ن : (الستر) وما هنا عن ت ، ويوافق ما في المسودة .

وَلَدَيْهــــا بِلاطَــــةٌ هـــــي سَوْدَا
وَهْـــيَ بَـــيْضاءُ في عُيــونِ الهُمــــامِ
نَسَبوهــا لجَنَّـــةٍ والمَساميـــرُ بها فِضَّةٌ بغَيْــرِ انْخِــرامِ
ثُــمَّ مــن حَــوْل كُــلِّ ذٰلِكَ بَــيْتٌ
مِــنْ بُيــوتِ اللهِ الكبــارِ الفخــامِ
زُخْــرِفَتْ بالرُّخــامِ منــه جهـــاتٌ
قَصْدَ إكرامــــه لِقَـــوْمٍ كِـــرامِ
فَزَهـــــا نُـــورُهُ وَأُشْرَقَ حَتَّــــى
لَــذَّ فيــه التُّقــى لِكُــلِّ إمــامِ
صَحْنُــهُ خــارِجٌ عَــنِ الحَــدِّ وَصْفــاً
وَلَــهُ بَهْجَـــةٌ وفَــرْطُ تَسامـــي
واسِعٌ مــن جَــوانِبٍ أَرْبَـــعٍ قَــدْ
أَدْرَكَ الــرّيّ فيـــه مَــنْ كانَ ظامـــي
فَــــرَشُوهُ جَميعَـــــهُ ببـــلاط
أَبْــيَضٍ ناعِـــمٍ كخَـــدِّ الغُــلامِ
وَقِبـــابٍ بـــه هُنـــاكَ تَسَمَّتْ
عِنْـدَ مَــنْ راقهــا بخَيْــرِ الأسامـــي
قُبَّـــةٌ سُمِّـــيَتْ بسِلْسِلَـــةٍ قَـــدْ
فَهِـــمَتْ سِرَّهـــا أُولـــو الإلْهـــامِ
[١٠٣/أ] وَكَـــذا قُبَّـــةٌ لِمِعْـــراجِ صِدْقٍ
كانَ لِلمُصْطَفَـــى النبـــيِّ التِّهامـــي
وَلِسِرِّ الأَرْواحِ فيـــــه نُـــورٌ
ثُـــمَّ خُصَّتْ بـــالجودِ والإنْعـــامِ
وَالموازيـــنُ يـــا لها مـــن بنـــاءٍ
نُصِبَتْ حَـــوْلَ ذاك كالأَعْـــلامِ
دَرَجـــاتٌ تَحُـــفُّ مِــنْ كُـــلِّ وَجْـــهٍ
لِصُعـــودِ الأَنـــامِ وَقْتَ الزِّحـــامِ

مَسْجِــــدٌ راقَ بَهْجَـــــةً وَكَمـــالاً
وَتَسامـــي فَكــــانَ طِبْـــق المَـــرامِ
جَمَـــعَ اللهُ فيـــه فَضْلاً وَخَيْــــراً
لِلَّـــذي فِيـــهِ مـــن ذَوِي الإِسْلامِ
لَـــمْ تَـــزَلْ رَحْمَـــةُ الإِلَـــه عَلَـــى مَـــنْ
شادَهُ في الـــوَرَى بِغَيْـــر انْصرامِ
مـــن مُلـــوكٍ تَقـــادَمَتْ وَرَعايـــا
وَذَوي الإِهْتِـــدا مِـــنَ الحُكّـــامِ[٣٠]
أَمَـــدَ الدَّهْـــرِ مـــا أَقـــام مُقيـــمٌ
لِصلاةٍ هُنـــاكَ طُـــولَ الـــدَّوامِ
ومَـــن الفَتْـــحِ مـــا تَكَلَّـــمَ عَبْـــدٌ
لِغَنِـــي بِمِثْـــلِ هٰـــذا الكَـــلامِ
أَوْ[٣١] تَبَـــدّا الصَّبـــاحُ واللَّيْـــلُ وَلَّـــى
هاتِكـــاً بالضِيّـــاءِ سِتْـــر الظّـــلامِ

---

(٣٠) ن : (الأحكام) .

(٣١) ق : (وتبدا) .

اليوم الثالث والستون

١١٠٥/٣/٥ هـ = ١٦٩٣/١١/٣٠ م

ثم أصبحنا في يوم الأربعاء الثالث والستين خامس شهر ربيع الأول .

الشيخ أبو قاسم النجار

فأتى إلى زيارتنا الشيخ الصالح إسماعيل أبو قاسم النجار ، وأتى بقصيدة من نظمه ، يمدحنا بها ، فقبلناها[١] منه ، وتبركنا به ، وهو ممّن لم يعلّمه الله تعالى الشعر ، ولا ينبغي له ، لأنّها خارجةٌ عن الوزن[٢] ، فتسلك بسامعها مسالك السهل والحزن .

زيارات الأماكن المقدسة

ثم ذهبنا ، فدخلنا إلى الحرم الشريف ، وزرنا قبة الأرواح ، وقبة المعراج ، وقبة السلسلة ، والقبة التي على القطعة التي أخذت من الصخرة المباركة .

زيارة المحراب والبابين والكرسي

وزرنا محراب عبادة بن الصامت ، وباب التوبة ، وباب الرحمة ، والمكان الذي فيه كرسي سليمان عليه السلام .

(١) ق ، ن : (وقبلناها) .

(٢) وردت هذه القصيدة في المسودة ل ٤٥ وهي :

بسم إلـــه الخلـــق أبـــد وتغـــزلي	وحمد الـــرب للعقـــود محلـــل
ثم الصلاة على النبـــي محمـــد	رسول أتانـــا بالكتـــاب المنـــزل
وبعـــده نهدي سلامـــاً معطـــراً	بـالمسك والعـــود المسمـــى بقاقـــل
على إمـــام فاة، أهـــل زمانـــه	وفي كل فـــن غـــامض حـــل مشكـــل
حبر جليـــل عـــارف ومحقـــق	يروي علوم الديـن عـن خير مـرسل
عبـــد الغنـــي قـــد زاده الله رفعـــة	سبحانـــه مـــن مـــالك متـــفضل
آنستَ يـــا قـــطب الزمـــان بلادنـــا	لما بـــدت أنـــوار حسنك تنـــجلي
في القـــدس زاد الغـــيث لما قـــدمتها	وفـــاض عـــليها الخير مـــن كل منهل
محبكـــم إسماعيـــل ناظـــم مدحكـــم	أبـو قـاسم النجـار في النـاس مبـتلي
مـــن فـــرط أشواقي إلى رؤيـــاكم	نظـــمت لكـــم دراً بحسن تغـــزل
شمل المحبين أرخ جـــاء جامـــع	في أول شهـــر ربيـــع الأول

الصراط والمهد

وصعدنا على المكان الذي يسمونه بالصراط ، ثم نزلنا على المهد[٣] ، مهد عيسى عليه السلام ، وفيه مقام الحواريين ، ومقام الخضر عليه السلام .

محراب داود وسوق المعرفة وجامع المغاربة

ثم صعدنا وزرنا محراب داود عليه السلام ، وسوق المعرفة ، وجامع المغاربة .

المدرسة الفخرية

ثم دخلنا إلى المدرسة[٤] التي بجانب جامع المغاربة وهي المدرسة[٤] المسماة بالفخرية ، وهي في غاية من الحسن والإتقان ، وكمال البهاء ، وجمال البنيان ، وفيها جملة من الكتب ، ورأينا فيها ديوان أبي العلاء المعري وشرحه ، ورأينا هناك مكتوباً له هذين البيتين وهما قوله[٥] : [مخلع البسيط]

قَالُوا العَمَى مَنْظَرٌ قَبِيحُ ... قُلْتُ لَفَقْدي لكم يَهونُ

[١٠٣/ب] وَاللهِ مَا في الأَنَامِ شَيْءٌ ... تَأْسَى عَلَى فَقْدِهِ العُيونُ

ويناسبه قوله أيضاً[٦] : [من السريع]

أَبَا العَلا يا بْنَ سُلَيْمانا ... إنَّ العَمَى أَوْلاكَ إِحْسانا

لَوْ أَبْصَرَتْ عَيْناكَ هٰذا الورى ... ما أَبْصَرَتْ عَيْناكَ إِنْسانا

ثم خرجنا من الحرم ، فزرنا مكانَ البُراق .

زيارة نبي الله داود

ثم سرنا ، نحن والإخوان ، إلى زيارة نبيِّ الله داود عليه السلام في دير صهيون ، فخرجنا من باب مدينة القدس ، وزرنا الشيخ المنسي ، ثم دخلنا إلى مكان الدَّير قريباً من باب المدينة ، فرأينا قبر داود عليه السلام ، وعليه كمال الهيبة[٧] والجلال والإعظام ، فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى لنا ولجميع الأنام .

(٣) ق : (يسمونه الصراط ثم نزلنا إلى المهد) .
(٤ — ٤) ليس ما بين الرقمين في ق .
(٥) البيتان في هامش المسودة ل : ٤٥ .
(٦) صدر البيت الأول في هامش المسودة ل : ٤٥ .
(٧) ن : (الهيبة والوقار) .

قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الدائم البرماوي[٨] في كتابه : « سرح النهر[٩] لشرح الزهر » في تربة داود عليه السلام[١٠] :

داود لفظٌ أعْجمي ، وقال ابن عباس وغيره : نجراني ، ومعناه : القصير العمر ، وهو داود بن إيْشا — بكسر الهمزة ، وسكون الياء المثناة التحتية ، وبالشين المعجمة — من بسيط يهوذا — بفتح المثناة التحتية ، وضم[١١] الهاء ، وبالذال المعجمة — ابن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . وهو أبو سليمان النبي ، عليهما السلام ، جمع اللهُ له بينَ النبوةِ والمُلْكِ ، وقد كان راعياً فأعطاه الله الملكَ بعد قتله جالوت بسبع سنين ، وذلك لما استُشهد طالوت ، أعطى بنو إسرائيل داود عليه السلام خزائن طالوت وَمَلّكوه على أنفسهم ، ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك إلا على داود عليه السلام .

وفضل داود ومعجزاتُه مشهورةٌ كثيرةٌ في الكتاب والسنة : ذكره الله تعالى في اثنيْ عشر موضعاً[١٢] من كتابه العزيز ، قاله مقاتل ، وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال خُفّف على داود القرآن — أي الزبور — فكان يأمر بدابته تُسْرَج فيقرؤه قبل أن تُسْرَجَ .

وفي حلية الأولياء لأبي نُعَيْم قال عن داود إنه قال : إلهي كُنْ لابني سليمان كما كنت لي ، فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ، قل لابنك سليمان يكن لي كما كنتَ لي ، حتى أكونَ له كما كنتُ لك .

قال كعب ووهب بن منبه : كان داود أَحْمَر الوجهِ أبيضَ الجسمِ طويلَ اللحية ، فيها جعودة ، حسنَ الصوت والخلق ، طاهر القلب .

كان بينه وبين [١٠٤/ب] موسى عليهما السلام خَمْسُ مِئَةٍ وسبع وسبعون سنة وقيل سبع وستون ، عاش[١٣] مئة سنة ، ويزعم أهل الكتاب أن عمره تسع وتسعون سنة ، ومدة ملكه أربعون سنة .

(٨) هو محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني البِرْماوي ، أبو عبد الله ، شمس الدين ولد سنة ٧٦٣ وتوفي سنة ٨٣١ هـ . محدث فقيه ، أصولي فرضي ، نحوي ، ناظم ، جاور بمكة ، ثم قدم القاهرة ، ثم توفي ببيت المقدس وانظر البدر الطالع ١٨١/٢ ، وأنس الجليل ٤٥٧/٢ ، والضوء اللامع ٢٨٠/٧ ، والشذرات ١٩٧/٧ ، والأعلام ٦٠/٧ ، ومعجم المؤلفين ١٣٢/١٠ .

(٩) ن : (سر النهر) .

(١٠) هذا النقل موجود في المسودة ل : ٤٥ — ٤٦ .

(١١) ن : (وبضم) .

(١٢) الواقع أنه ذكر في القرآن في ستة عشر موضعاً . انظر أي فهرس لألفاظ القرآن .

(١٣) ق ن : (عاش داود عليه السلام) .

قال كعب : والنصارى تزعم أن قبره في الكنيسة الجسمانية بالبيت المقدس . انتهى .

دير صهيون

والمشهور أن قبره في دير صهيون كما قدمناه .

ومكان هذا الدير الآن هو مسكن أولاد الدجاني ، وهم خُدّام نبي الله داود عليه السلام ، فاجتمعنا هناك منهم بالشيخ الفاضل الكامل الشيخ[14] يحيى الدّجاني الداودي ، وأكرَمَنا غايةَ الإكرام ، وأنزلنا هناك في ذلك الرواق العالي ، والقصر المتلالي ، ولطيف ذلك المكان[14] والمقام ، وأضافنا بما تيسر من الزاد[15] ، وكفى الله وزاد .

ثم رجعنا إلى الحرم القدسي ، والمقام الأنسي ، وصلينا الظهر بجماعة في مسجد الصخرة المباركة الذي هو مهبط الملائكة .

الشيخ عيسى الكردي

ثم اجتمعنا بالشيخ الصالح عيسى الكردي وهو رجل من الأفاضل ساكن في خلوة هناك ، وقد تزوج في بيت المقدس ، وقطن بها يُقْرىء الطلبة في بعض العلوم .

ضيافة عند عطاء الله جوى زاده

ثم ذهبنا إلى ضيافة قاضي البلدة عطاء الله أفندي المتقدم ذكره ، فعمل معنا غاية الإكرام ، واحتفل بنا وبجماعتنا ، وعاملنا بالاحترام .

شعر للنابلسي

ثم عدنا إلى مكاننا بالمدرسة القادرية ، وقلنا من النظام في تلك العشية[16] : [من الطويل]

غَرامي بهم أَدْنَى إليهم وَما أَقْصَى[17]
إلى الحَرَمِ المَعْروفِ بالمَسْجِدِ الأَقْصى

وَهُمْ سادَتي في كُلّ أَمْرٍ وحالةٍ
وَشَوْقي إليهم لا يُعَدّ ولا يُحْصَى

(14) ليست اللفظة في ت .

(15) ق ، ن : (من زاد) .

(16) الأبيات في المسودة ل : ٤٦ .

(17) فوق هذه اللفظة في المسودة (الأقصى)

رجـــالٌ أَتَيْنـــا زائِريـــنَ لحيِّهـــم
فكدنـــا عَلَيْهـــم أن نَـــطير بهم رَقْصاً
لَوامِـــع أَنْـــوارٍ مـــن الغَـــيْبِ أَشْرَقَتْ
بَدائِـــعُ أَسْرارٍ بها الخالـــقُ اخْـــتَصَّا
هيـــاكل أَجْسامِ النَّبِيِّـــن أُفْـــرِغَتْ
هنُـــاكَ فَلَـــمْ تُبْـــدِ الزيـــادةَ والنَّـــقْصا
فـلاحَتْ ومـا لاحَتْ فكـانَتْ حَقائِقـاً
تُطيلُ عَلَيْهـا الحفـظ بـالحبُّ والحِـرْصا
وَأَنْـواعُ[18] أطـوارٍ مـن الأَوْليـاءِ قَـدْ
رَأَيْنـا على بـادي حَياتِهـمُ الـنَّصَّا
شُهـودٌ وإن غابـوا وغـابَتْ رسومُهـمْ
جنـاحُ العُـلا منهم أُريشٌ ومـا قُصَّا
يَـطيرون أَيّـانَ اهْتَـدى نُـورُ سِرِّهـم
إلى مَـــنْ بهم لما تَجلَّـــى لهم خَصَّا
إلى حَضَراتٍ ثَـمَّ بالحَـقِّ قُـدِّسَتْ
فـلا قُرْطَ تهوى للمـلاحِ ولا خُـرْصا[19]
[١٠٤/ب] حَوائـمُ كالطـير العَكـوفِ مـن الظَّمـا
عَلَى الماءِ مـاءِ الغَـيْبِ فَـارَقَتِ الشَّخْصا
معـاني[20] جَمـالٍ أو جَـلالٍ تَجَـرَّدَتْ
وَقَـدْ خَلَـعَتْ عنها الغَلائِـلَ وَالقُـمْصا
سَرَيْنـا نبيـدُ[21] البِيـدَ شَوْقـاً لِقُـرْبها
عَلَيْنـا هَواهـا قَـدْ تَحكَّـمَ فاقْـتَصَّا
إلى أَنْ قَدِمْنـا حَضْرَةً وَقَـفَ[22] المُنَـى
عَلَـى عَتَبـاتِ العـزِ منها ومـا أُحْصَى

(١٨) ن : (وأنوار) .
(١٩) الخُرْصُ بالضم ويكسر حلقة الذهب والفضة أو حلقة القرط أو الحلقة الصغيرة من الحلي ج : (خُرْصان ، القاموس : خرص) .
(٢٠) ق : (معالي) .
(٢١) كذا في الأصول وفي المسودة (نجوز) مضروباً عليها وفوقها (تقد) .
(٢٢) ن : (واقف) .

وَكَـمْ مـن جبـاهٍ للنَّبـيّين سُجّـداً
هُنـالِكَ[٢٣] خَرَّتْ أُمُرهـا كانَ لا يُـعْصَى

بِهِمْ أَمَّ طَـهْ المُصْطَفـى لَيْلَـةَ اللّقـا
وَقَـدْ كانَ في سامـي خواتمهـم فصا

دَخلْنـا فشاهَدْنـا مـن النُّـورِ قُبَّـةً
عَلى جَلْوَة المحراب شاهدها استَـقصا[٢٤]

كَثيبٌ مـن الأَسْرارِ في جـانِب الحِمـى
وَمِنْبَـر لُطْـفٍ يُشْبِـهُ السَّتْـرَ والـخُصّا

وَأَعْمـدَةٌ صُفَّتْ يَساراً وَيَمْنَـةً
ثَـلاثٌ سُقـوفٍ فَوْقَها تُشْبـه الـدِّعْصا[٢٥]

وَأَقْصى عَتيـق جـانب الغَـرْب سمتـه
بهيبـةِ أَرْواحٌ حضور بـه غَصّا

وَستَـرُ قناديـلِ الزُّجـاجِ مُعَلَّـقٌ
إذا أُوْقَـدتْ للعَيْـن أَسْرَعَتِ القـنصّا

وَكَـأسُ رُخـامٍ مـاؤُه مُتَدَفّـقٌ
بعَـذْبٍ زُلالٍ لا حَمـاةَ ولا حِـمْصَا

سَقَـى الله هاتـيك المَشاهِـدَ إنَّهـا
لَقَـدْ أَشْبَـهَتْ في سَلْبِ أَلْبابِنـا لصّا

---

(٢٣) ن : (هناك) .

(٢٤) في ن : (انقضا) وفي المسودة (* على جلوة المحبوب نستقبل الدعا) .

(٢٥) من هذا البيت إلى آخر القصيدة لم يرد في المسودة .

اليوم الرابع والستون

١١٠٥/٣/٦ هـ = ١٦٩٣/١٢/١ م

ثم أصبحنا في يوم الخميس الرابع والستون ، سادس شهر ربيع الأول ، فعزمنا على المسير[١] إلى حبرون ، وهي بلاد الخليل ، لزيارة أنبياء الله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام .

فركبنا نحن والإخوان . وسرنا[٢] وسار معنا الشيخ محمد الدمياطي[٣] المذكور سابقاً ، والشيخ يحيى الدّجاني[٤] وغيرهما من الأعيان ، وجماعات كثيرون من أهل بيت المقدس ، وغيرهم من الأصحاب والمحبين ذوي الإذعان .

قبر راحيل

فمررنا في الطريق على قبر راحيل أم[٥] نبي الله[٥] يوسف عليه السلام ، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى احتراماً لذلك المقام .

ثم سرنا في ذلك الطريق الوعر الذي كان سهلاً علينا متدانياً ، حتى نظمنا في ذلك بعون الله تعالى هذه المواليا[٦] :

وجدت في أرضكم وعر الفلا سهلا	وكل صعب رأيناه بكنم سهـلا
يا سادة ألف أهلاً لي بهم سهـلا	من جاءكم قد تسمى بينكم سهلا

البِركُ الثلاث

ولم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى البرك الثلاث التي يجتمع فيها الماء من السيول والأمطار ، ومن عين هناك صغيرة له انبعاث ، والبرك — بكسر الباء الموحدة ، وفتح الراء ، جمع [١٠٥/أ] بُرْكة — بضم[٧] الموحدة وسكون الراء — وهي مجتمع الماء ، ثم يجري ذلك الماء في طريق له بين تلك الجبال والأودية مغطى بالبنيان عليه ، حتى يصل إلى حرم بيت المقدس ، ويخرج من الكَأْس الرخام الذي هو لديه ، وهناك قلعة لطيفة

(١) ن : (السير) .
(٢) ليست اللفظة في ن .
(٣) ن : (الضمياطي) .
(٤) ت : (الداجاني) .
(٥ — ٥) ليس ما بين الرقمين في ق .
(٦) بيتا المواليا في المسودة ل : ٤٧ .
(٧) ن : (الباء الموحدة) .

فيها بعض الناس ، كأنهم لذلك الماء من العرب والفلاحين بمنزلة الحراس ، وانتشينا[8] عند ذلك ، فأنشدنا من النظام ، على طريق التضمين في ذلك المقام[9] : [مجزوء الخفيف]

جَمَلُ الهَمِّ قَدْ بَرَكْ ... حِينَ جِئْنا إِلَى البُرَكْ
وَلَقَدْ كانَ بَيْنَنَا ... زائِدُ الأُنْسِ مُشْتَرِكْ
صادَنا القُرب عندما ... وَقَعَ القَلْبُ في الشَّرَكْ
ثُمَّ بَيْنِي وَبَيْنَ ما ... عاقَنِي كانَ مُعْتَرِكْ
فاعتَرانِي النَّشاطُ بَلْ ... لِلسِّوَى ناظِرِي تَرَكْ
ثُمَّ أَنْشَدْتُ قَوْلَ مَنْ ... قالَ في الحُبِّ فاحْتَرَكْ
غابَ وردُ الرِّياضِ من ... وَرْدِ خَدَّيْكَ وَانْفَرَكْ
فَلَهُ النَّاسُ أَثْبَتُوا ... وَنفَوا الوردَ للكَرَكْ

بلاد الخليل

ثم سرنا حتى أشرفنا على بلاد الخليل عليه السلام ، وأشرقت علينا هاتيك الأنوار ، فقلنا من النظام ، حيث تحركت دواعي الشوق والغرام[10] : [من الخفيف]

بِمَقامِ الخَليلِ مِنْ حَبْرُونِ ... غَلَبَ الشَّوْقُ وَاعْتَرَتْنِي شُجُونِي
وَبَدا النُّورُ ساطِعاً مِنْ بَعِيدٍ ... دُهِشَتْ منه ناظِراتُ العُيُونِ
والفَلَا مُشْرِقٌ بِأَرْواحِ قَوْمٍ ... جَذَبَتْنا الَهُمْ حِسانُ الظُنُونِ
فَقَطَعْنا لِنَحْوِهِمْ كُلَّ أَرْضٍ ... صَعْبَةِ الوَعْرِ غِبَّ غَيْثٍ هَتُونِ
وَطَوَيْنا مَفاوِزاً وَقِفاراً ... بِخُيُولٍ مُضَمَّراتِ البُطُونِ

(8) في ت : (وأنشدنا) وفي ق ، ن : (وانشينا) ولعل ما هنا أقرب للمعنى .
(9) الأبيات في المسودة ل : ٤٧ .
(10) الأبيات في المسودة ل : ٤٧ .

كانَ يَـوْم الخَمـيسِ يَـوْم سَرَيْنـا[11]
بخَمـيسٍ عَرَمْـرَمٍ مَيْمـونِ
ثُـمَّ[12] لاحَتْ لنـا الخِيـامُ فطبنـا
بِشُجَيْراتِهِـنَّ ذاتِ الفُتـونِ[13]
وَطَرِبْنـا عَلَـى السَّمـاعِ وهِمْنـا
مـن لقاهـم بِأَكْـؤُسِ الزَّرَجُـونِ[14]
يـا سَقَـى اللهُ أَرْضَ حَبْـري ووادي
ذٰلِكَ الشِّعْبِ بغيـةِ المفتـونِ
وَرَعَـى ثَـمَّ مَنْـزِلاً وَمَقامـا
لخَليـلِ الإِلٰـهِ ذاكَ الـمَصونِ
وَأَبُـو الأَنْبيـاءِ والـرُّسْلِ مَـن قَـدْ
حَـرَّكَ الوَجْـدَ في هواهـم سكـوني[15]
[١٠٥/ب] ساكِنـي[16] الغـارِ يـا أُهَيْـلَ غَرامـي
يـا جَـلاءَ الكـروبِ[17] للمَحْـزو...
حُبُّكُـمْ مَذْهَبـي وخـالصُ دينـي
واعْتِقـادِي وملَّتـي فاقْبلـوني
هٰـذِهِ مُهْجَتـي تَحِـنُّ[18] إليكـم
فَـعَسى بالـرِّضا تُـفَكُّ رُهـوني
إنَّنـي العَبْـدُ للغنـي وَقَصْدي
نَفْحَـةٌ مـن رضاكم المكنـونِ

---

(١١) ن : (يوم سرنا) ولا يستوي بها الوزن .
(١٢) ن : (ثم) .
(١٣) ن ، ق : (الغصون) وما هنا عزت ويوافق ما في المسودة .
(١٤) الزَّرَجون ، محركةً : الخمر (القاموس : زرن) .
(١٥) هذا الشطر في المسودة هو عجز لبيت آخر على النحو التالي :

وأبـو الأنبيـاء والـرسل مـن قَـدْ	سعـدت فيـه صفقـة المغبـون
وبنـوه الكـرام أشرف قـوم	حَـرَّك الوجـد في هواهـم سكـوني

(١٦) ن : (ساكن) .
(١٧) ق : (المكروب) .
(١٨) ت : (تحنّ) .

صَلَـــواتُ الإلـــه تَتْـــرى عَلَيْكُـــمْ
مَـــع سلامٍ مُـــرَتّبٍ مَـــوْزونِ
وَعَلَـــى الأنْبيـــاءِ والـــرُّسْل جمعـــاً
بَعْـــدَ طَـــهَ نَبِينـــا المَأمـــونِ
مـــا سَرَى الرّيـــحُ في الريـــاض وَغَـــنَّتْ
ساجعـــاتُ الحَمـــام فَـــوْقَ الـــغُصونِ
أو[19] بَـــدا الفجـــرُ بالضّيـــا بَعْـــدَ ليـــل
كاشِفـــاً بالظُّهـــورِ ستـــر[20] الكمـــون

ثم قبل دخولنا إلى البلد خرج إلى لقائنا أهلها[21] منهم الشيخ أحمد بن الزرو القادري وأخوه الشيخ عمر[22] ، ومنهم الشيخ حسين من ذرية الإمام الغزالي ، وغيرهم من أهل تلك البلاد .

مسجد الخليل

فأول ما دخلنا إلى مسجد الخليل عليه السلام . ووقفنا عند مزاره ، نحن وإخواننا ، وبقية الناس . وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بما تيسر لنا من الدعاء .

ثم زرنا زوجة الخليل ، عليهما السلام ، في مزار قبالته ، وزرنا قبر ابنه إسحاق الغيور ، وقبر زوجة إسحاق ، في مقابلته واسمها ليقة .

وزرنا مقام آدم أبي البشر عليه السلام .

ثم ذهبنا في ذلك المسجد أيضاً فزرنا في رواقاته قبر يعقوب ، وقبر زوجته في قبالته ، وقبر ابنه يوسف عليهم السلام .

ثم وقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

الزاوية القادرية

ثم خرجنا فأنزلونا في الزاوية القادرية ، وحضر عندنا في تلك الليلة جماعات القادرية ، وعقدوا مجلس الذكر على عادتهم ، وصار وقتاً عظيماً وحالاً جسيماً .

(١٩) ن : (وبدا) .
(٢٠) ق ، ن : (سرّ) .
(٢١) ق ، ن : (خرج أهلها إلى لقائنا) .
(٢٢) ق : (عمرو) .

اليوم الخامس والستون

١١٠٥/٣/٧ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢ هـ

مزار علي البكار

وبتنا تلك الليلة في أكمل سرور ، وأتم حبور ، إلى أن أصبح صباح يوم الجمعة ، وهو اليوم الخامس والستون ، سابع شهر ربيع الأول ، ذهبنا إلى زيارة الشيخ علي البكار رحمه الله تعالى ، فدخلنا إلى مزاره ، في جامعة المعمور ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بما لنا ولإخواننا من مهمات الأمور .

مغارة إبراهيم بن زقاعة

وذهبنا إلى زيارة مغارة الشيخ إبراهيم بن زُقّاعة[1] صاحب الديوان المشهور ، [١٠٦/أ] ويقال إنها هي المغارة التي رأى إبراهيمَ الخليلَ ، عليه السلام ، فيها ومعه أولادُه والأنبياءُ عليهم السلام ، وهم يعملون القصيدة فنظم قصيدته السينية المشهورة من بحر كان وكان لأجل ذلك التي أولها :

يا طابخين العصيدة دمعي عليكم كاللبن   والقلبي مني مقلى بالهجر كالقلقاس

وهي مذكورة في ديوانه وقبر الشيخ إبراهيم بن زُقّاعَة هذا في بلاد مصر ، خارج باب النصر . وسيأتي ذكره في محله إن شاء الله تعالى .

مغارة الأربعين

ثم خرجنا وصعدنا إلى مغارة الأربعين ، وهناك شجرة كبيرة جداً ، وتحتها صُفَّة مبنية ، فجلسنا هناك حصةً من الزمان ، وجاؤوا لنا بما تيسر من الزاد ، فأكلنا ، وشكرنا الله تعالى المنان .

صلاة الجمعة في حرم الخليل

ثم حضرنا صلاة الجمعة في حرم الخليل عليه السلام ، وزرنا الأنبياء الكرام ، بغاية

(١) هو إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن عبد الله القرشي النوفلي الغزي الشافعي ويعرف بابن زُقّاعة ، برهان الدين ، عالم في القراءات والنجوم وطرف من الكيمياء . ولد سنة ٧٢٤ وقيل ٧٤٥ هـ وتوفي سنة ٨١٦ هـ وقيل ٨١٨ ، له القصيدة التائية في وصف الأرض تجاوزت خمسة آلاف بيت ، وديوانه شعر ومؤلفات أخرى . وانظر ترجمته في الضوء اللامع ١٣٠/١ — ١٣٤ ، والمنهل الصافي ١٥٢/١ — ١٥٧ ، ومعجم المؤلفين ٨٩/١ .

الإجلال والاحترام ، ثم أتينا إلى منزلنا ، وقلنا من النظام ، على حسب ما اقتضاه المقام[٢] : [من الخفيف]

لا تَلُمْني إنَّ السماعَ يُقيتُ ... وهو يُحْيي بطيبه ويُميتُ
وَهْوَ بابٌ لبيتِ سِرٍّ عَظيمٍ ... بيت حَقٍّ[٣] جداره التَّثْبيتُ
نَفَحاتٌ من الغيوب تَبَدَّتْ ... بُثَّ مِسْكٌ مِنْه لَدَيْنا حَتيتُ[٤]
وَعَلَى الجاهلينَ ريحٌ كَرِيهٌ ... فائح منه عِنْدَهُمْ كِبْريتُ
وَالَّذي عِنْدَهُ هَزارٌ وَبُومٌ ... لَمْ يُغَيِّرْهُ مِنْهُما التَّصويتُ
حَيَوانٌ في الطَّبْعِ لا إنْسانٌ ... وَهْوَ حَيٌّ وفي الحقيقةِ ميتُ
حَبَّذا حَبَّذا سَماعُ الأَغاني ... والنَّشيدُ الذي إليه دُعيتُ
تَتَثَنّى به الرجالُ انْطِراباً ... كغُصونٍ لها الصَّبا قال هيتُ
سِيّما والدُّفوفُ مُنْطِرقاتٌ ... والمَزاميرُ ما لها تَفْويتُ
وَفَمُ النّايِ نافِحٌ بِتَنا يا ... منه لاحَ المُحْيي بنا والمُميتُ

مجلس ذكر للقادرية

ثم حضر عندنا جماعة القادرية وأقاموا مجلس الذكر والسماع على أتم حالة مرضية .

---

(٢) الأبيات في المسودة ل : ٤٨ .
(٣) في المسودة : (بيت فضل) .
(٤) من (حَتَّه إذا فركه وقشره) القاموس (حتّ) .

اليوم السادس والستون

١١٠٥/٣/٨ هـ = ١٦٩٣/١٢/٣ م

ثم طلع صباح يوم السبت السادس والستين ، وهو ثامن شهر ربيع الأول ، فذهبنا إلى الحرم الشريف ، وصلينا صلاة الصبح مع الجماعة ، وزرنا حضرات الأنبياء الكرام ، عليهم السلام ، وحصلنا [١٠٦/ب] على كمال الطاعة .

مسجد اليقين

ثم سرنا نحن والإخوان وبقية من معنا من أهل القدس والخليل ، من كل محب وخليل ، إلى زيارة مسجد اليقين خارج بلاد حبرون ، فسلكنا في ذلك الطريق الوعر ، وهاتيك الأماكن التي تسرح فيها العيون ، حتى وصلنا إلى مسجد اليقين . وزرنا فيه أقدام الأنبياء عليهم السلام ، وحصل لنا إن شاء الله تعالى كمال اليقين . وزرنا بنات لوط عليه السلام في غار هناك معروف .

وفي المسجد قدم إبراهيم الخليل . غائص في صخر بالبركة موصوف .

قال الشيخ الأكبر العارف المحمدي محيي الدين بن العربي قدس الله سره في رسالة صنفها في مسجد اليقين عند زيارته له ، سماها (رسالة اليقين) بيّن فيها معنى[١] اليقين في اصطلاح الأولياء المتّقين . ثم ذكر في آخرها : (أنه كان السبب في إنشائي لهذا[٢] الكتاب ، أني زرت الخليل عليه السلام ، ثم خرجت من عنده قاصداً إلى زيارة لوط عليه السلام ، أنا وصاحبي الشيخ العارف الصوفي[٣] ضياء الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف المري ، وعفيف الدين أبو مروان عبد الملك بن محمد ابن حافظ[٤] القيسي ، فمررنا في طريقنا بمسجد اليقين ، موضع إبراهيم عليه السلام ، فأقام الله في خاطري أن أضع جزءاً في اليقين في هذا المسجد المعروف باليقين فاستخرت الله وقيّدتُ هذا الجزء بالموضع المذكور في يوم الزيارة ، وذلك[٥] يوم الأربعاء الرابع عشر من شوال سنة اثنتين وست مائة ، وأسمعته صاحبي بقراءتي ، وصلينا الظهر في ذلك الموضع ، وانصرفنا إلى لوط عليه السلام ، نفعنا الله وإياهما ، وجميع المسلمين بالعلم آمين

(١) ليست اللفظة في ق .
(٢) ت : (إنشا هذا) .
(٣) ق ، ن : (وصاحبي العارف الصوفي الشيخ) .
(٤) ق : (حفاظ) ، ن : (الحافظ) .
(٥) ليست اللفظة في ن .

بعزته . وكان السبب الذي سمى هذا الموضع مسجد اليقين أن الخليل إبراهيم[٦] عليه السلام ، كانت الملائكة التي بشّرته بإسحاق عليه السلام ، قد نزلت بذلك الموضع ، وأخبرته أنها تشير إلى لوط بإهلاك قومه ، وأمروه بلزوم ذلك الموضع حتى يأتي إليه لوط عليهما السلام ، فلم يزل بذلك الموضع حتى أبصر مدائن قوم لوط في الهواء وسمع ضجيجهم . وهو قوله تعالى : ﴿ فَجَعلْنا عالِيَتها سافِلَها ﴾[٧] فعندما [١٠٧/أ] أبصر ذلك سجد لله في هذا الموضع ، وآثر نزوله في القفر ، وقال : أشهد أن هذا هو الحق اليقين ، فسمي مسجداً لأنه موضع سجدته تلك ، وسمي اليقين لقوله هذا هو الحق اليقين . وفي موضع سجوده أنشأت هذا الكتاب ولهذا سميناه بهذه الاسمية ورأينا أن نتكلم فيه[٨] على اليقين[٨] دون غيره من[٩] المقامات للمناسبة التي أعطاها هذا الموضع). انتهى كلامه .

وفي قوله : (مسجد لله في هذا الموضع) و(آثر نزوله في القفر) إشارة إلى أن[١٠] هذا المسجد المبني الآن[١١] لم يكن يومئذ ، وإنما عمر بعد ذلك ، وإنما كان في موضع قفر أي خال من البنيان إلى زمن الشيخ الأكبر قدس الله سره .

وقوله : (قبل ذلك في هذا المسجد المعروف باليقين) يشير به إلى أنه كان معمراً مبنياً .

ولكن قوله : (فسمي مسجداً لأنه موضع سجدته) تلك إشارة إلى أنه استمر بغير بنيان إلى زمن الشيخ قدس سره .

شعر في مسجد اليقين

وقد قلنا غِبَّ الزيارة من النظام ، في الثناء والتبرك بذلك المقام[١٢] :

لَقَـدْ أتَيْنـا مَسْجِـدَ اليَقيـنِ ... بـالصِّدْقِ والإخـلاص واليَقيـنِ

(٦) ليست اللفظة في ق ولا في ن .
(٧) سورة هود ١١/١٢ ، وسورة الحجر ١٥/٧٤ .
(٨ — ٨) مكان الرقمين في ن : (عليه) .
(٩) ن : (ليست من المقامات) .
(١٠) ليست اللفظة في ق ولا في ن .
(١١) ن : (ولم يكن) .
(١٢) الأبيات في المسودة ل : ٤٩ .

وزادنـا[١٣] اللهُ بـه اعْتقـاداً — من كُلّ سُوءٍ في الوَرَى يَقيني
حَتّى دَخَلْنا مِنْه في بيتِ الرِّضا — والعِـز والإنعـام والتّمكيـنِ
مَـعَ سادَةٍ أَئِمَّـةٍ كبـارٍ — من كُلّ شَهْمٍ في التُّقَى أَمينِ
وقد تَبَرَّكْنا[١٤] بآثارٍ بَـدَتْ — مِـن قَـدَمِ الخليـلِ بالتّعْيينِ
في صخـرةٍ لانَتْ لما دَعـا — من فَوْقها كاللّينِ في العَجينِ
وَغارُ ربّاتِ العَفافِ والحجا — بنات لـوطٍ مثل صورٍ عيـنِ
ثَوَيْـن في ذاك المكـان فامتـلا — منهن بـالسِّرِّ لنـا المُـبين[١٥]
والنّـور منـه مُشرقٌ كأنّـه — شمسُ النهارِ لـيس بالضّنيـنِ
وَخَصّنـا اللهُ بما قَـدْ خَصّنـا — وعَمّنـا بحِفْظِـه المَتيـنِ[١٦]
وَنَـرْتجي القَبـولَ منـه كُلّنـا — في كُـلّ حالـةٍ وكُـلّ حيـنِ
ثُـمّ الصلاةُ والسّلامُ دائمـاً — على النَبيِّ المُصْطَفى الأَميـنِ
ثُـمّ الخليـلِ والكـليم بَعْـدَه — ومـا حَـواهُ الغارُ في الكميـنِ
والأَوْليـا والصالحين كُلّهـم — أهـل التُّقـى والأَجْتبا، والدّيـنِ
[١٠٧/أ]ما فاحَ من عَبْدِ الغَنيّ نَفْحـةٌ — مـن الثّنـا كالجَوْهَـرِ الثّميـنِ
وما شَمَمْنا الطَيّبَ من ذاك الفَلا — مَعَ النّسيم فـاحَ كالنّسريـنِ
وما تَبَدّتِ البُروقُ بالحِمَى[١٧] — تَلـوحُ في الـيَسارِ واليَميـنِ

قرية كَفْر البَرِيك

ثم سرنا من ذلك المكان ، نحن ومن معنا من الأصحاب والاخوان ، إلى أن وصلنا إلى قرية كَفْر البَرِيك — بفتح الكاف ، وسكون الفاء ، وفتح الباء الموحدة ، وكسر الراء — فدخلنا إلى ذلك الجامع ، الذي هو بأنوارالنبيين لامع . وزرنا قبر نبي الله لوط عليه السلام ، وقرأنا الفاتحة . ودعونا الله تعالى مع غاية الإجلال والاحترام ؛ وزرنا الغار الذي هناك في داخل الجامع ، ويقال إنه دُفن فيه أربعون نبياً على حسب ما تلقته المسامع

(١٣) ق : (زادنا) بدون الواو .
(١٤) ق : (تباركنا) .
(١٥) في المسودة : (بالسرّ المضيّ الرصين) .
(١٦) في المسودة : (وعمنا بفضله المبين) .
(١٧) في ق : (وتبدّت البروق في الحمى) .

وقد أكرمنا أهل تلك القرية ، وأضافونا بما تيسر مما تحصل به البغية ، فقلنا في ذلك الوقت مما تندفع به أسباب المقت[18] : [من الخفيف]

زُرْ[19] بكَفْرِ البَرِيكِ تُرْبَةَ لوطِ ... وَتَمَتَّعْ بطيبِ ذاك الحُنوطِ

وَتَمَسَّكْ من الرِّضا بحِبالٍ ... فيه مُدَّتْ من الرَّجالا خُيوطِ[20]

وَتَوَسَّلْ تَنَلْ به كُلَّ أَمْرٍ ... بشُروطٍ من الدُّعا[21] مَشْروطِ

هذه الحَضْرَةُ الشَّريفةُ قَدْراً ... لَيْس فيها الجلال بالمَضْبوطِ

تَمْلأُ الصَّدْرَ هَيْبَةً وَوَقاراً ... في ذُرَى مَسْجِدٍ بنورٍ محوطِ

كَيْفَ لا وَهْوَ نورُ لوطٍ نبيّ الـ ... ـلهِ سر الصعودِ سرّ الهبوطِ

مَنْ تَسامَتْ به الرحابُ افْتِخاراً ... وَتَباهَتْ بعهدِهِ المَرْبوطِ

شرفٌ دونَهُ الكَواكِبُ حطتّ ... وعن العَرْشِ ليس بالمحطوطِ

قَدْ أَتَيْنا إِلَيْه من هَضَباتٍ ... لَيْس فيها الطريقُ بالمخطوطِ

وقِفارٍ بها مَسالِكُ وَغْرٍ ... كبحور مستبعداتِ الشُّطوطِ

ثُمَّ جئنا إلى الحِمَى وَدَخلنا ... وسَعِدْنا من الحيا بالنُّقوطِ

وَامْتَلأْنا تَبَرُّكاً وابْتِهاجاً ... بسَنا الغارِ والْتِماسِ الخُطوطِ

وَعَلَى ذلِكَ النبيِّ صَلاةٌ ... مع سَلامٍ من الرِّضا مَخْروطِ

قامَ بَمْدُ الغني يُعْلِنُ منه ... بِغنا بُلْبُلِ الرُّبا فَوْقَ خُوطِ

أَمَدَ[22] الدَّهْرِ ما أَضاءَ صباحٌ ... وكُؤوسُ الصبا بها الغُصْنُ عُوطي

قبر الشيخ إبراهيم الهدمة

ثم توجهنا من ذلك المكان بعد استيفاء الزيارة مع الإخوان [١٠٨/أ] وسرنا حتى مررنا على قبر الولي الصالح المعروف بالشيخ إبراهيم الهدمة في رأس جبل عالي ، ورأينا كوكب سره متلألي ، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى الكريم المتعالي .

---

(١٨) الأبيات في المسودة ل : ٤٩ .

(١٩) ق : (زرنا) .

(٢٠) رواية البيت في ن :

وتمسّك من الهنا بحبال ... فيه مدت من الرجا بخيوط

(٢١) ن : (من الدما) .

(٢٢) ن : (أبد) .

قرية سيعير

ثم لم نزل سائرين من غير تقصير ، إلى أن وصلنا عشية النهار إلى قرية سيعير — بكسر السين المهملة ، بعدها ياء مثناة تحتية ، ثم عين مهملة مكسورة ، ثم ياء مثناة تحتية ، ثم راء — قرية من قرى بلاد الخليل فاصلة بين أرض الخليل وأرض بيت المقدس . فنزلنا هناك ، ودخلنا إلى ذلك الجامع المبارك بمعونة الله تعالى وتبارك .

قبر العيص أخي يعقوب

وزرنا فيه قبر العيص أخي يعقوب ابني إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام ، والعيص هذا هو جد الروم ، كما ذكر الشيخ العيني الحنفي في كتابه : (عمدة القاري شرح البخاري) قال : الروم هذا الجيل المعروف . قال الجوهري : هم من ولد الروم ابن عيص . وقال الواحدي : هم جيلٌ من ولد آدم[٢٣] بن عيص بن إسحاق عليه السلام ، غلب عليهم فصار كالاسم للقبيلة إلى آخر ما ذكره .

وفي القاموس[٢٤] : (العِيص بالكسر : الشجر الكثير الملتفّ ، والجمع عيصان وأعياص ... وعيصو[٢٥] بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام) . انتهى .

ولنا من النظم غِبَّ الزيارَةْ ، وحصول التبرك والاستنارة[٢٦] : [من الخفيف]

سكَنَ العِيصُ في رُبا سيعيرِ ... في ضريحٍ بالسِّرِّ ثَمَّ مُنيرِ
قرية من قُرى الخليلِ تَسامَتْ ... بمزاياهُ والمقامِ الخَطيرِ[٢٧]
يا بنَ إسحاقَ أيها العيص يا مَنْ ... هُوَ من كُلّ ما أخافُ مُجيري
قَويتْ عُصبةٌ أَتَتْكَ ضِعافٌ ... بمزايا كالِلكَ المُسْتَنيرِ
وقلوبُ الركابِ بالشَّوْقِ طارتْ ... مِن صَغيرٍ لَقَدْ أَتى وكَبيرِ
وَالفَلا[٢٨] مُشْرِقٌ بأَنْوارِ قُدْسٍ ... لامعاتٌ من المقامِ الشَّهيرِ
حَضَراتٌ بها ذوو القُرْبِ غابَتْ ... بقضاءِ الإلٰهِ والتَّقْديرِ

(٢٣) ق : (أرم) .

(٢٤) انظر القاموس (عيص) .

(٢٥) ن : (وعيص) ، وهو خلاف ما في القاموس .

(٢٦) الأبيات في المسودة ل : ٤٩ .

(٢٧) ن : (والبقا بالخطير) .

(٢٨) ق : (والعلا) .

لَمَ تَـزَلْ تَنْـزِلُ الملائكُ فيـه فوقَ ذاكَ الضَّريحِ فوق السَّريرِ
وَرَأَيْنـا شواهـدَ القُـرْب منها مثلَ شَمْسِ الضُّحَى على التَّصْويرِ

آلَ ذاكَ الخليـلِ دامَتْ عليكـم صلـواتٌ مَـعَ البَشيـرِ النَّذيـرِ
أَحْمد المُصْطفَى وآلٍ وصحبٍ هُمْ موالي عَبْـدِ الغَنـي الفَقيـرِ
[١٠٨/ب]ماتَعـالَتْ مـن الخليـل جبـالٌ هَب منها ريحُ العَرَارِ[٢٩] العَطيرِ
أَوْهَـفَتْ بينها البروقُ وَغَـنَّتْ ساجعاتُ الرُّبا بـحُسْنِ الهَديرِ

ثم عدنا إلى بلاد الخليل من غير[٣٠] ذلك الطريق الأول ، وقد نـزل علينـا مطر بالعشي ، وهو بكل خير يتأول ؛ فنزلنا في مكاننا بالزاوية القادرية ، وبتنا تلك الليلة[٣١] في أكمل سرور على أتم حالة مرضية .

اليوم السابع والستون

١١٠٥/٣/٩ هـ = ١٦٩٣/١٢/٤ م

ثم حتى أصبح صباح يوم الأحد السابع والستين ، وهو تاسع شهر ربيع الأول ، فصلينا صلاة الصبح بحرم إبراهيم الخليل عليه السلام ، وزرنا قبور هاتيك الأنبياء الكرام ، وودعناهم ، وسرنا على بركة الله تعالى ، وخرج معنا أهل البلاد للوداع ، حتى قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وتفرق منا ذلك الاجتماع .

قرية حلحول

ومررنا في الطريق على قبر نبي الله يونس عليه السلام في قرية حلحول من قرى بلاد الخليل ، فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وبالقرب منه قبر والده مَتَّى — بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية مقصوراً — وقيل إن متى اسم أمه . قال الشيخ رضي الدين ابن أبي اللطف المقدسي[١] في شرح البردة النبوية عند شرح قول الناظم[٢] : [من البسيط]

(٢٩) ليست اللفظة في ن .
(٣٠) ليست اللفظة في ت .
(٣١) ن : (في تلك الليلة) .

(١) هو محمد بن يوسف بن أبي اللطف ، الشيخ رضي الدين المقدسي قدم دمشق سنة سبع وتسعين وتسع مئة

نَبْذاً بـه بَعْـدَ تَسبيـحٍ بِبَطْنِهِمـا   نَبْذَ المُسَبِّـحِ مـن أَحْشاءِ مُلْتَقِـمِ

ومرقد يونس عليه السلام فيما اشتهر بقرية حلحول بالقرب من مدينة سيدنا الخليل عليه السلام ، وهو مكان مأنوس ، مشرق بالأنوار ، وبالقرب منه قبر والده متى ، ولأهل ديارنا فيه اعتقاد كبير حتى إن عوام الناحية من سائر القرى إذا أرادوا تغليظ اليمين على أحد توجهوا به إلى قبره ، فلا يتجاسر على الحلف ، ولو على القتل لما عهدوا مراراً من إصابة البلاء لم يحلف هناك كاذباً ، نفعنا الله ببركاته آمين . انتهى كلامه :

ثم سرنا إلى البرك ، ونزلنا بقرب القلعة ، وأكلنا ما تيسر معنا من الزاد على وجه السرعة .

قرية بيت لحم

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية بيت لحم ، من أعمال بيت المقدس ، وزرنا هناك في تلك الكنسية مولد عيسى عليه السلام ، وموضع [١٠٩/أ] النخلة والمهد ، تبركاً بآثار النبي المعصوم ، وتيمناً بذلك العهد ، ولله درّ الشهاب الخفاجي[٣] ، حيث لم يزل للرقة واللطافة يناجي[٣] ، وهو من ديوانه المشهور ، الذي هو بالفصاحة معمور . وبالبلاغة مغمور[٤] فقال[٥] : [من الوافر]

أَرَى البيتَ المُقَدّس صاد قَلْبي   وما حرم حواه غير جسمي
فأَشْرَقَ ربُّنا مشكاةَ نُورٍ   بلا نارٍ به ليزيلَ وَهمي
وَرُوحُ القُدْسِ فيه له قرارٌ   ومَوْلِده به في بيت لحمِ

شعر في الأرغلا

وقد أضافنا هناك بعض الرهبان ، بما تيسر من الزادِ نحن ومن معنا من الإخوان ،

وصحب الشيخ حسن البوريني فاستفاد منه وأخذ عنه له عدة مؤلفات . توفي في بيت المقدس سنة ثمان وعشرين بعد الألف وانظر ترجمته في لطف السمر ١٦٤/١ — ١٧٢ ، وخلاصة الأثر ٢٧٢/٤ — ٢٧٣ ، والأعلام ٣١/٨ ، ومعجم المؤلفين ١٣٤/١٢ .

(٢) هذا البيت أحد أبيات البردة للبوصيري . انظر ديوانه ٢٤٣ .

(٣ — ٣) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٤) في ق : (بالبلاغة مغمور ، وبالفصاحة معمور) .

(٥) الأبيات في المسودة ل : ٥٠ .

وأسمعونا فيه صوت الأرغلا ، فكأنهم استنطقوا شحروراً وهزاراً وبلبلاً ؛ وما أحسن في هذا المقام تشريف لساني ، بما أنشده جناب العارف الكامل عفيف الدين التلمساني ، قدس الله تعالى سره ، وأعظم في الدارين مقره ؛ حيث قال : [من السريع]

بِتْنا يُغَنِّينا الهَزارُ الذي يُطْرِبُ باللَّحْنِ إذا ما تَلَا
وَيَجْمَعِ الأنْعامَ في صَوْتِهِ كأنَّما يَسْتَنْطِقُ الأَرْغُلا

وقلنا في ذلك العهد من النظام ، ما تتنبه له عيون الأفهام(٦) : [من الرمل]

قَدْ سَمِعْنا نَغَماتِ الأَرْغُلا وَهْوَ بالأرْغُون يُدْعى في المَلا
فَسَمِعْنا كُلَّ صَوْتٍ مُطْرِبٍ ضمن صَوْتٍ واحِدٍ قَدْ حَصَلا
نَغَماتٌ جُمِعَتْ في نَغْمَةٍ بِتَفاصِيلٍ تَبَدَّتْ جُمَلا
صَوْتُ طنبورٍ وسنطيرٍ معاً وَرَبابٍ ثم مِزْمارٍ تَلا
مَعَ طَبْلٍ ودُفوفٍ طُرِقَتْ وَصُنُوجٍ تَتَغَنّى زَجَلاً
آلَةٌ تَجْمَعُ آلاتٍ فما هُوَ إلّا عبرة للنُّبَلا
وله صورةُ صُنْدوقٍ به حارتِ الأفْكارُ بَيْنَ العُقَلا
مَجْمَعُ الأسرارِ لا يعرفُه غير قَلْبٍ بالإلهِ اشْتَغَلا
وذوو الكُفْرِ وإنْ هاموا على صَوْتِه بالوَجْدِ قَوْمٌ جُهَلا
سَمِعُوهُ بنُفوسٍ طُمِسَتْ وعُقولٍ عنه ضَلَّتْ خَلَلا
عَمِلُوا في ضَرْبِه أَيْديهِمُ فَيَمُدّونَ عَلَيْهِ الأنْمُلا
وَلَهُمْ جَذْبٌ على أوْزانِهِ بيديهم إن علا أو سفلا
وهو سرٌّ من الست اشْتَمَلَتْ حَكْمَةٌ فيه عَلَى قَوْلِ بَلَى
[١٠٩/ب]قَدْ أَخَذْنا منه عِلْماً رَقَّ في سَمْعِنا يدريه مَنْ قَد كَمَلا
وإشارات إلى الذاتِ وما تَقْتَضي الأسْماء مما عُمِلا
كلُّ هٰذا حاصِلٌ في زمنٍ واحدٍ فَلْيَعْتَبِر مَنْ وَصَلا
يأكُلُ اللُّبَّ وَيَرْمي القُشْرَ في وجهِ مَنْ باللَّهْوِ عنه غَفِلا

(٦) الأبيات في المسودة ل : ٥٠ .

اليوم الثامن والستون

١١٠٥/٣/١٠ هـ = ١٦٩٣/١٢/٥ م

مدح عطاء الله

فلما أصبحنا في يوم الاثنين الثامن والستين ، وهو عاشر شهر[١] ربيع الأول ، عملنا هذه القصيدة ، تَمَسُّكاً بحبال المودة العتيقة الجديدة ، مدحاً في جناب المولى الهمام ، سليل العلماء الكرام ؛ حضرة عطاء الله أفندي ابن[٢] جوى زاده القاضي بمدينة القُدْسِ الشَّريف المذكور سابقاً وَدَعانا فَذَهَبْنا إلى جنابه ، وأنشدنا هذه القصيدة بخطابه : [من الكامل]

أَعْطَيتَ فَضْلاً يا عَطاءَ اللهِ ... ما عنه يَوْماً ذُو حجاً باللّاهي

وَسَمَوْتَ بينَ الأَكْرَمِينَ مَراتباً ... وَعَلى النَّظائِرِ فُقْتَ والأَشْباهِ

وَبِكَ المَوالي في الأَنامِ تَفاخَرَتْ ... وَهْيَ التي بكَ لا تزالُ تُباهي

شَرَفُ الجُدُودِ وَدَوْلَةٌ رُفِعْت لها ... راياتُ طيبِ الأَصْلِ فَوْقَ جباهِ

وَلَها شَواهِدُ في الوَرَى وَدَلائلٌ ... من مُقْتَضَى الفِعْلِ الجميلِ الباهي

لا يستطيعُ المَدْحُ يُدْرِكُ شَأْوَ مَنْ ... هُوَ عَنْ عُلاه لَيْس بالمُتَلاهي

رَجُلٌ إذا قابَلْتَهُ لم تَدْرِ هَلْ ... هُوَ شَمْسُ أُفْقٍ أَمْ هِلالٌ زاهي

يَسْمُو به البيتُ المُقَدَّسُ قاضِياً ... بالحَقِّ أَشْرَفُ آمرٍ أَوْ ناهي

---

(١) ليست اللفظة في ن .

(٢) ليست اللفظة في ق ولا في ن .

حَصَلَتْ بـه البَـرَكاتُ في بَلَـدٍ بها
هُـوَ آخِـذٌ بِيَـدِ الضعَّيـفِ الواهـي
وَالقُـدْسُ أَصْبَـحَ أَهْلُهـا في فرحـةٍ
منـه وَخَيـرٌ لـيس بالمُتَناهـي
وَعَلَـى يَدَيْـه جَـرَتْ لهم أَحْكامُـهُ
بالعَـدْلِ لَـيْسَ لَـهُ سواهُ يُضاهـي
لازالَ مَحْفـوظَ الجَنـابِ مُؤَيَّـداً
بالعـزِّ في الدنيـا رَفيـعُ الجاهِ
ولـه المنـاصب كالمنـازل في الماء
متنقـلاً فيها بـغير تلاهـي
كالشَّمْسِ في الأَفْـلاكِ تُشْرِق دائمـاً
فينـا عَلَـى مُتَيَقِّـظٍ أَوْ ساهـي
وَبنـوهُ مَحْفُوظـونَ مـن كُـلِّ الأَذى
طُـولَ الزَّمـانِ لـه بحفـظِ الله
وَدُعـاءُ أَهْـلِ الـوَقْتِ يَنْجـحُ قَصْدُهُ
بِقَلْـو بهم أَبَـداً وبالأَفْـواهِ
وَخَواطِـرُ الفُقَهـاءِ[٣] نـاصِرةٌ لَـهُ
مِـنْ كُـلِّ صَبْـرٍ صادِقٍ أَوّاهِ
والصّالِحـونَ رَجاؤُهُـمّ في نَيْـلِ مـا
يَرْجُـو وَلَـونُ الحوض لـون ميـاه
[١١٠/أ] دامَتْ عليـه عِنايـةٌ مـن رَبِّـهِ
مَدْفوعَـةٌ عنـه جميـع دواهـي
والعِـزُّ يَخْـدِمُ بابَـهُ وجَنابَـهُ
في فَضْلِ حُكْـمِ أوامـرٍ وَنَواهـي
مـا خَصَّهُ عَبْـدُ الغَنـيّ بمِدْحَـةٍ
غَـرّاء تُلْهـي عـن سَمـاعِ مَلاهـي

(٣) ق : (الفقراء) وهي رواية المسودة ، ويبدو أن النابلسي غَيّرها بعد ذلك لأنه وجد أفضل منها ، وقد مرّ معنا أمثلة على تغييره لروايات قالها في رحلته .

أَوْ غـرَّدَتْ فـوقَ الـغُصُونِ حَمائِـمٌ
قـالَتْ لها أَهْـلُ المَحبَّـةِ آهِ
وسَرى النَّسيـمُ عَلَـى الرِّيـاضِ عَشِيَّـةً
مُتَحَـرِّشاً بغَلائِـلِ الأَمْـواهِ

شوق إلى المعالم الحجازية

ثم صلينا الظهر بالحرم القدسي الشريف ، وزرنا الصخرة المباركة ذات القدر المنيف ، ودخلنا إلى المسجد الأقصى ، الذي هو أبعد عن كل رجس وأقصى .

ثم عدنا إلى المنزل ، والشوق إلى المعالم الحجازية يصعد وينزل ؛ ثم بعد صلاة العصر ذهبنا إلى ضيافة قريبنا الفاضل ، أكمل الأفاضل ؛ الشيخ محمد ابن جماعة الخطيب ، الذي يقوم على منبر المسجد الأقصى كما يترنم في عوده العندليب ؛ فذهبنا معه إلى مسكنه مدرسة الجوهرية ، فتلقانا بوجهه الرحيب ، وكان مجلساً حافلاً بالعلماء والأفاضل ، أولي الكمالات والفواضل .

ثم نزلنا إلى الحرم الشريف وصلينا المغرب بالجماعة ، ثم عدنا إلى منزلنا نتقلب في ملابس العبادة والطاعة .

مكاتيب من دمشق

وفي هذا اليوم المبارك جاءتنا المكاتيب ، من جهة دمشق الشام بأنواع الأخبار وغرائب الأعاجيب ، ففرحنا غاية الفرح ، وزال الهم والترح .

أ ــ مكتوب يوسف بن النابلسي

فمن ذلك مكتوب أخينا شقيقنا العلامة ، العمدة الفهامة ؛ الإمام الهمام ، والفاضل الكامل المقدام ؛ الشيخ يوسف بن النابلسي[4] الحنفي أمين من الفتاوي . بدمشق الشام ، عليه رحمة الملك العلام ، وسيأتي ذكر موته في محله ثالث الأقسام ، وذكر فيه أن ولدنا

(٤) هو يوسف بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي الحنفي الشهير كأسلافه بالنابلسي . ولد سنة بدمشق سنة ١٠٥٤ هـ ، صار أمين الفتوى عند المفتي ابن محمد الحلبي المهمنداري مفتي الحنفية بدمشق ، وارتحل إلى الحجاز صحبة أخيه الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الكبرى — هذه — وتوفي في طريق العودة من الحج في رابع سنة في آخر سنة ١١٠٥ هـ ودفن هناك . وانظر سلك الدرر ٤/٢٤٦ — ٢٤٧ .

الشيخ إسماعيل[٥] يريد أن يتوجه إلينا ، فيطلب منا تعيين بلد الاجتماع ، حتى كتبنا له الجواب بأن ذلك يكون إن شاء الله تعالى في غزة المحروسة ونحن الآن في القدس الشريف خير البقاع ، فإن السياحة تقتضي الجولان بالانخفاض والارتفاع .

٢ً ــ مكتوب صادق بن محمد الشهير بابن الخراط

ومن ذلك مكتوب ولدنا الروحاني ، الفاضل الكامل الرباني ، الشيخ صادق محمد ابن مفخر الأعيان ، وخلاصة أبناء [١١٠/ب] الزمان؛ الشيخ محمد الشهير بابن الخراط[٦] ، وهذه صورة ما كتبه لنا بسبب ما بيننا من الارتباط[٧] .

بسم الله ، الحمد لله ، يا غني يا تواب ، صَلِّ على زين الأحباب ؛ وعلى آله والأصحاب ، وسلم تسليماً ، وزِدْه شرفاً وتعظيماً : [من المتقارب]

[٨]وَلَمّـا نَأَيْتُـمْ وَلَـمْ أَسْتَطِـعْ   أَسيـرُ لحضْرَتِكُـمْ بالقَـدَمْ
وَصَلْتُ إِلَيْكُم برجـلِ الـرسولِ   وَخاطَبْتُكُـم بـلسانِ القَلَـمْ

وفي رواية ، بحسب مقتضى الدراية ؛ مكان ذلك ،على قدر ما هنالك[٩] أسير لحضرتكم بالعجل ، وخاطبتكم بلسان الغزل[٨] .

نفحة إيمانية وهدية إحسانية : [دوبيت]

---

(٥) هو إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل عبد الغني بن إسماعيل ، أبو الفداء ، ركن الدين الدمشقي الصالحي الحنفي المشهور كأسلافه بالنابلسي . مولده في رمضان سنة ١٠٧٩ هـ ونشأ في حجر أبيه ، وأقرأه العلوم . وكان في صحبته في الرحلة الكبرى — هذه — فاستجاز له من علماء الحجاز . وحين توفي أبوه وجهت له وظائفه . وله عدة مؤلفات وتوفي في أواخر سنة ١١٦٣ هـ . وانظر سلك الدرر ٢٥٦/١ ، والورد الأنسي ل ٢٤٠ — ٢٤٢ .

(٦) هو صادق بن محمد بن حسين بن محمد الشهير بابن الخراط الحنفي الدمشقي ، أبو الصدق ، جلال الدين . ولد بدمشق ونشأ بها وأخذ عن فضلائها ، وكان أحد تلامذة الشيخ عبد الغني النابلسي وصهره على بنته زينب ، وكان يتولى نيابة محكمة الباب ، ودرس بالمدرسة العمرية مدة قليلة . وتوفي في دمشق سنة ١١٤٣ في العام والشهر الذي توفي فيه الشيخ عبد الغني النابلسي وانظر سلك الدرر ١٩٢/٢ — ١٩٩ ، والورد الأنسي ل : ١٢٧ .

(٧) المكتوب في مسودة المؤلف : ل ٥١ — ٥٢ .

(٨ — ٨) مكان الرقمين في المسودة :

ولما نـأيتم ولم أستطـع   أسير لحضرتكـم بالعجـل
وصلت إليكـم بشوق نما   وخاطبتكـم بـلسان العجـل

(٩) من هذه اللفظة تنحزم النسخة ق حوالي سبع ورقات .

مَوْلايَ سواكَ لَيْسَ فِي الوجدانِ   فالعالَمُ ما بدا به شَمْسانِ
المَيْلُ إلى سواكَ عِنْدي شِرْكُ   يا ربِّ فأَبْقِني عَلَى الإيمان

قال لسان الغرام ، في ساعة الهيام : [من الخفيف]

يا أنيسَ القلوبِ أَوْحَشْتَ حَبّا   صَبْرُهُ مُذْ نأَيْتَ عَنْه قَليلُ
غبتَ يا سيّدي عَن العَيْن لٰكِنْ   في صَميمِ الفُؤاد أَنْتَ نزيلُ
طِبْتَ يا سيّدي حياةً فَرُوحي   بعد ما غبتَ طبّها مُسْتَحيلُ

حالة المشتاق ، بعد يوم الفراق : [من الخفيف]

لا رَعَى اللهُ لَفْظَةً قد تَقَضَّتْ   في كلامٍ لغيرِ ذكرك يُرْوَى
ثُمَّ سَلَّمَ الإلٰهُ زَماناً   يا حَبيبي بغيرِ وَضْعِكَ يُطْوَى
وَبَلَى اللهُ بالتَّقَطُّعِ قَلْباً   يا أَنِيسي لغير ذاتك مَثْوَى

سجعت بلابل الأشواق ، على فَنن قلب المشتاق ، وصاح حادي الأرواح ، لما اشتاقت إلى الأشباح ، لقد ذبت من ألم الفراق والبين ، فمتى تقرّ العين بالعين ، وأقول عند اجتماع الأجساد ، أهلاً بأهل الوداد ؛ وتعود ليالينا مع تلك الأيام ، التي سرت كطيف الأحلام : [من الطويل]

لَيالِيَ[10] وَصْلٍ لَوْ تُباعُ شَرَيْتُها   بروحي وَلٰكن لا تُباعُ ولا تُشْتَرى

وَيتَمَلَّى العبدُ الذليلُ بمشاهدةِ السيدِّ الجليلِ وَيَشْفَى بالقرب والاتحاد داء[11] البين والبعاد ؛ وتلوح تلك الأنوار ، من وراء الأستار ، وتجلى تلك الذات ، الكاملة الصفات ؛ فيشاهد الصب المستهام سناها ، ويشرح مبدأ قصة الشوق [١١١/أ] ومنتهاها ، ويخبر بما فعله الوجد والجوى ، في أيام البعد والنوى ؛ وما لقيه المشتاق ، في صبيحة يوم الفراق ؛ من دموع تعندمَتْ وحنين ، وانتخاب ولوعة وأنين ؛ حتى وصل إلى حالة تمزق القلوب ، وتشق الأفواه قبل الجيوب ، وما زال كذلك ، يقاسي غصص المهالك ؛ إلى أن سمع منشداً ينادي ، من غربي ذلك الوادي ؛ وهو يشدو ويقول : ما بين هاتيك الطّلول : [مخلع البسيط]

(١٠) ن : (ليل) ولايستقيم بها الوزن .
(١١) ن : (وداء) .

إِسْتَلْزِمِ الصَّبْرَ في التَّنائِي ... وَلا يروعَنَّكَ البعادُ
وَانْتَظِرِ العَوْدَ عَن قَريبٍ ... فإنَّ قَلْبَ الوداعِ عادوا

فكان ألذ من الما ، على الظما ؛ وأحلى من رشف اللما ، حيث بشرت بالرجوع والإياب ، وأنبأت عن الاجتماع بالأحباب ؛ وسَكَّنَتْ روع الفؤاد ، وأفاقت المتيمَ من سكرة البعاد ؛ فأخذ يسأل في ذلك النادي ، كل رائح وغادي ؛ ويستخبر ريحَ الصَّبا والشمائل ، عن حال السيد العارف الكامل ؛ وإذا هو بصديق شفيق ، ورفيق رفيق ؛ يخبره بالسفر والرحيل ، إلى حمى السيد الجليل ؛ فأحبَّ أن يَتَّبعَ سنن المحبين في الرسائل ، لأنها لتذكار العهود وسائل ؛ وإن كان الاجتماع موجود ، ونور جمالكم للقلب مشهود ؛ فأول ما ابتدىء به في المقال ، بعون[12] الملك المتعال ؛ سلام تتراسل الأرواح برسائله ، وتتواصل الأشباح بوسائله ؛ ويستريح بهبوب نسيمه كلُّ عاشق .
ويسكر بطيب شميمه كلُّ ناشق ، وتتلاق به الأرواح والقلوب، وتتوالى به أفراح المحب والمحبوب ؛ إلى حبيب هو مخطوب الأرواح ، ومغنى النفوس بلفظه عن شرب الراح ؛ مولى حبة الفؤاد مثواه ، وسيِّدٌ سويداءُ القلب مأواه ؛ من أنبت الله حبَّهُ في أرض صفاء القلوب ، وأثبت ودَّه في صحف الأرواح ، فأصبح للكل مطلوب ؛ إمام المشرقين ، وبركة المغربين ؛ شيخ العارفين ، ومربي الكاملين ؛ كعبه الوفاق ، وجامع الفرقان ؛ مدينة العلم ، وباب الفتوح والحلم ، غصن روضة الكمال ، وزهر حديقة الجمال ؛ [١١١/ب] إنسان عين الأكوان ، وعين كل إنسان ، من تكلُّ الألسن عن مدح ذاته ، وتذوب الدهور ولا تحصي كمال صفاته ، صاحب المقام الأصفى ، والمورد العظيم الأوفى ، الغني عن الاسم بالذات ، لكمال هاتيك الأخلاق والصفات : [من البسيط]

لسنا نُسَمِّيكَ إِجْلالاً وتَكْرِمَةً ... وَقَدْرك المُعْتَلِي عَنْ ذاكَ يغنينا

حرسه الله بعين عنايته التي لا تنام ، في مدى الليالي والأيام ؛ وجمع به شمل المحبين ، عن قريب آمين .

أما بعد فقد وصل كتابكم الكريم ، ومثالكم الدر النظيم ، فكان أشرف وارد ، وأصدق عدل بالمحبة شاهد ؛ فاعتنقه المشتاق ، ووضعه فوق الأعناق ؛ وطفى بلثمة لوعة الفراق ، وحرارة الأشواق . وكان ورده أحلى من ليالي الوصال ، وألطف من ليالي الوعد بعد المطال ؛ وأرق من نسيم الصَّبا والشمول ، وأطرب من كمد الرقيب والعذول ؛ فحصل به السرور ، والصفا والحبور ؛ وجبر به القلب الكسير ، وخاطر العبد الحقير ؛ فلازلتم في أتم إنعام ، وصفاء دائم وإكرام ؛ محفوظين بالقرآن ، ومحمولين بعناية الرحمن ؛

(١٢) ت ، ن : (بنعوت) وما هنا عن المسودة .

في غاية الصحة والعافية ، والنعم الكثيرة الوافية ؛ أنتم والأحباب ، ومن في خدمتكم من الأصحاب ؛ وعليكم السلام ، ما سجع الحمام ؛ وإن خاطر على الخاطر العاطر بعد السؤال ، عن هذا المحب الداعي في كل حال ؛ فإنه على ما تعهدون من العبودية والوفا ، مقيم لحضرتكم ومن يلوذ بها على وظيفة الدعاء الأصفى ؛ فإنه قريب مجيب .

٣ — مكتوب سعودي

ومن ذلك مكتوب تلميذنا الفاضل الشيخ سعودي[١٣] وهذه صورته[١٤] :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا غنيّ يا توّاب ، صَلِّ على زين الأحباب ، مع الآل والأصحاب ، ما لَذَّ للتالي قولك في الكتاب ، ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرَاً نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّاب ﴾[١٥] : [من الطويل]

سَرَتْ كَعْبَـةُ الـذّاتِ المُعَظَّمـةُ القَـدْرِ
إلى ذاتِهـا والبـدْرُ سار إلى البَـدْرِ
وشَمْسُ العُـلا مـن قـابِ قَوْسَيْـنِ أَشْرَقَتْ
ولاحَتْ ثُرَيّا[١٦] من سَنا الكَوْكَبِ الـدّرّيّ
فَنُـورٌ على نُـورٍ يُضيءُ لذاتِـهِ
فَيَشْهَدهـا تُجْلَـى عَلَيْـه بما يَـدْري
[١١٢/أ] وهـذا[١٧] هُـو النّـورُ المُبيـنُ لأنّـه
أَبـانَ عَـنِ الأنْـوارِ في مَطْلَـعِ الفَجـرِ
وهـذا هُـوَ الفَـرْقُ المُنيـرُ وَقَـدْ بـدا
لنـا يَنْـجَلي في النَّيِّرَيْـن وفي الزُّهْـرِ[١٨]

---

(١٣) هو سعودي — وفي سلك الدرر أبو السعود — بن يحيى بن محيي الدين بن محمد بن يحيى بن عبد الحق العباسي الدمشقي الحنفي الشهير بالمتنبي الأديب الشاعر أبو الإسعاد ، سعد الدين . ولد بدمشق ، ونشأ بها وأخذ عن أفاضلها كالأستاذ وغيره ، وأجازه الأستاذ النابلسي . وله ديوان شعر وجده له المرادي سماه (مدائح الحضرات بلسان الإرشادات) وتوفي سنة ١١٢٧ هـ . وانظر ذيل نفحة الريحانة ٢٥٤ — ٢٧١ وسلك الدرر ٨٥/١ — ٦٢ ، والورد الأنسي ل : ١٢٤ — ١٢٥ .

(١٤) المكتوب في المسودة ل : ٥٢ — ٥٣ .

(١٥) سورة ص ٤٤/٣٨ .

(١٦) في المسودة : (ولاح الثريا) . وفي ن : (ولاحت ثنايا) .

(١٧) في المسودة : (فهذا) .

(١٨) في ت ، ن : (وفي البدر) وما هنا عن المسودة .

أَلَا إنَّمـــا التَّنْزيـــلُ عَيْـــنُ نُزولِـــهِ
لأَعْيانِـــهِ في عالـــمِ الخَلْـــقِ والأَمْـــرِ
أَلا إنَّمـــا الإسرا يُحَقـــقُ عَبْـــدَه
بنَزْلَتِـــهِ الأُخْـــرى وَيَشْرَحُ لـــلصَّدْرِ
أَلا إنَّمـــا سَيْـــرُ الإمـــامِ برَبّـــهِ
إلى رَبّـــهِ في حالـــةِ الـــعُسْرِ والـــيُسْرِ
أَلا إنّمـــا أَمْـــرُ الأُلوهَـــةِ مُطْلَـــقٌ
يُؤَيّـــد مَـــنْ قَـــدْ شاءَ بالفَتْـــحِ والـــنَّصْرِ
لـــذلك مـــن عَبْـــدِ الغَنـــيّ برَبّـــهِ
تَشَعْشَعَتِ الأنوارُ في سائر القطر [19]
وبالقرب منه وهو يوسف شامنا
عزيز بني الصديق قد فاز من مصر
عَلَيْـــه سلامـــي كُلَّمـــا لاحَ نُـــورُهُ
بربـــعِ التجلّـــي منـــه أو مَهْمَـــةِ السِّرّ
وآلٍ آلـــوْا وأَتْبـــاعٍ تابَعُـــوا
على سَيْـــرِهِ في السِّرّ منـــه وفي الجَهْـــرِ

حمداً لك يا من تَنَزَّه بالرحلة عن نزهة إطلاق غيبه إلى مُتَنَزَّهات قيوده المنفية في ثبوت عينه ، عن أن يكون على الإطلاق والتنزيه ، في الغيب مقصوراً ، وتقدس بسيره في منازل تنزلات عينه إلى ثوابت الأعيان ، ومراتب الإمكان ، بحكم ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[20] من أن يكون في القيود والحدود محصوراً ، فهو الذي تسبحه الإطلاقات في سرائر الغيب بطوناً ، وتقدسه التقييدات[21] في علانية الشهادة ظهوراً ، ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾[22] ؛ فسبحان من تجلى بذاته لذاته ، في مجالي أسمائه وصفاته ؛ فأحضر في

(١٩) بعد هذا البيت في المسوّدة الأبيات التالية :

وشاءَ ليعقـــوب الغـــرام وعبـــده ... سعودي ببعـــد وهـــو مـــن عينـــه تجري
فمنـــه إليـــه الأمـــر والكـــل راجـــع ... إليـــه بـــه النفـــع منـــه وفي الضرّ
ولستُ أبـــالي وهـــو عين وجودنـــا ... وهـــل موجـــة تلقـــى لـــديك بـــلا بحرٍ
ولكننـــي أرجـــوه والقـــلب واثـــق ... بـــأن يقبـــل الجاني ويغفـــر للـــوزر

(٢٠) سورة الرحمن ٥٥/٢٩ .

(٢١) في المسودة : (التقيدات) .

(٢٢) سورة الإسراء ١٧/٤٤ .

الأزل ما كان وما يكون فيما لم يزل حضوراً ، وظهر بما صور له[٢٣] ، ولم يزل في كنه غيبه مستوراً ، وكوّن العوالم[٢٤] ولم يكن سوى تجلي وجهه في مجالي أعيانه لأعيانه مبصوراً ، وخلق كل شيء من ذاته فقدره بصفاته تقديراً ، فهو الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وكان ربك قديراً . أما بعد[٢٥] :

فقد تَبَسَّم ثَغْرُ الذاتِ الأقدس ، فومض برقُ سنا ثنايا الصفات الأنفس ؛ فأفاض على الوجود من الوجود نوراً ، وجلا على الأعيان من مطالع الأعيان شموساً وبدوراً ، وتجلّى على الأكوان فامتلأت بهجة وسروراً ، فدارت الأفلاك نشوانه في نشأته . فأبدت في مشيتها أزمنة ودهوراً ، وشيدت منازلاً ودوراً ؛ فكان كما قال ، وهو رب المقال : [مخلع البسيط]

مَـراتِبٌ بالوُجـودِ صارتْ حَقائـقُ الغـيبِ والعيـانِ
[١١٢/ب]وليْسَ غَيْـرُ[٢٦] الوجـودِ فيها بظاهِـرٍ وَالْجَميـعُ فـاني

فهو النورُ الأوّل ، الساطع في الأزل ، والسر الآخر الأبدي المتنزل ، فيما لم يزل ، الذي به تبلج القيل السُّبحاني ، وتأرج النفس الرحماني ، المتجلي في الهيكل الإنساني ، المتحلى[٢٧] بالسر الإيماني ، والنور الإحساني ، في المشهد الرباني ، والعلم الفرقاني ، والجمع القرآني ؛ ألا وهو الحق الخلقي ، والخلق الحقي ؛ الذي أيّد ببطونه أرواحَ الروحانيات ، وأمدّ بظهوره أجسام الجسمانيات ، وفتق بومض برق أمره رتق العلويات والسفليات ؛ ما زال في إطلاق أزله ، وقيود أبده ، يتبختر[٢٨] في رياض محاسن صفاته ، ويتملّى بما تملّى عليه مراتب ذاته ؛ زاهياً بحلل نفائس جماله ، لاهياً بغلائل ملابس جلاله ؛ فهو كما قال ، بلسان الدلال : [من الخفيف]

إنَّ من بَعْضِ ما هي الأطـوار لي مقـامٌ فيـه اسمه الأغيـار

فهو يظهر بمحكم آياته ، في دركات أرضه ودرجات سماواته ، أسأل كوثر صفاته ، في جنات حضراته ، من عين وحدة ذاته سلسبيلاً ، ومزج رحيق ثغره المختوم من لمى درّ ثناياه مسكاً وزنجبيلاً ، وشيّد بلألاء أنواره ، لأعناء أسراره ؛ غرفاً وقصوراً ، وأبدى

(٢٣) في المسودة : (بما صور ولكن له) .
(٢٤) في المسودة : (العالم) .
(٢٥) إلى هنا ينتهي ما ورد من هذه الرسالة في المسودة .
(٢٦) ن : (وليس في الوجود) .
(٢٧) ن : (المتجلي) .
(٢٨) ن : (ويتبختر) .

تثنيه ، على صدى مثانيه ، منه له غلماناً وحوراً ، وهبت نفحات لينه وعطفه ، بنسائم منته ولطفه ، في رياض مكنون سره ، و مصون أمره ، فحركت[29] غواني شجوه أوتاراً وزموراً ، وأدارات ندمان أشواقه ، في حانات عشاقه ، من صهباء محبته عليه كاسات وخموراً ، فسكر برحيق وصاله ، وغرق في نور جماله ، وعربد في دير دلاله ، وغاب عن قيود جلاله ، فابتسم ثغر كماله ، فقال مترجماً عن لسان القديم ، بإمداد بسم الله الرحمن الرحيم : [من الطويل]

أَطوفُ عَلَى ذاتي بكاساتِ خَمْرتي وَأَسْتَمعُ الأَلحانَ في حان حَضْرتي

ألا وهو محمد الحقيقة الأحمدية المصطفوية ، وآدم الصفوة الأسمائية ، وشيث المواهب اللدنية ، ونوح الحضرة الجبروتية ، وإبراهيم الخلة الاتحادية ، وموسى الفهوانية اللاّهوتية ، وعيسى الرُّوحانية الرّوحية ، وهو الصديق الأكبر لابناء رسالاته ، والفاروق الملهم بتأييد فرقانه محكم آياته ، ذو النورين المشرقين من ظاهره [١١٣/أ] وباطنه في خلواته وجلواته ، على غيبه وشهاداته ، وهو عليٌّ بعلمه المحيط بجميع حضراته ، فعله الحسن وآخاه بالإحسان من جود نواله ، فهو بمصاحبته لنوره الأصلي رق بغير اجتهاد إلى درجات كماله ، فلهجت لنا به بشارة الشيخ الأكبر ، كما بشرّ روح الله بصاحب الجبين الأزهر ، لأنه قال في واردات فتوحاته مخبراً عن مزاياه : [من الطويل]

ألا إنني عبد الغني لذاته وليس سواه والغني هو الله

وهو[30] محيي الدين بفتوحات صدره العفيف عند مولانا ، والغني به عما سواه لكونه لمحة من نور نبينا ومصطفانا ، كما قال في قصيدة أهل الوفاء: [من المتقارب]

وَمَا أَنَا إلا هيولى الوَرى وَلَمْحَةُ نورٍ من المُصْطَفَى

فَصَلّ اللّهمّ عليه وعلى سره الجامع ، ونوره الساطع اللامع ، وعلى صحبه ومن له متابع ، وسلم تسليماً ، والسلام ثانياً ، منكم عليكم ، لصدوره عنكم ، ووروده إليكم ، وعلى نجلكم السعيد على كل حال الملحوظ بعين منكم تكلؤه في النزول والارتحال ، وعلى من معكم من الرجال ، ومن انتمى إلى ذلك الجناب العريض وجال في ذلك المجال ، وإلى الله المرجع والمآل ؛ ولما رأيتم منه هذا الاستعداد كان لكم منكم الإنشاء والإنشاد.

(٢٩) ن : (فحرك) .
(٣٠) ن : (فهو) .

فانثنى لثنائكم في الحال، وافترّ ثغره عن در لماكم[٣١] فقال : [من الخفيف]

نطق هذا الوجود وصفُ ثَناكا ... يا حبيبي والبدرُ يحكي سَناكا
وَجْهُكَ الحقُّ والأَنامُ مـرآتي ... أَيْنَما شاهـد المُـحبّ رآكا
فَشُموسُ الجَمالِ عنك تَبَدَّتْ ... مُشْرِقاتٍ على الوَرَى بضياكا
وبروقُ الحِمـى بَريـقُ ثنايـا ... ثَغْرِكَ الدرّ حين تبسم فـاكا
يـا رَعَى اللهُ حضرةً جَمَعَتْنـا ... يـا بديـعَ الجمـالِ في مَغْنـاكا
حَيْثُ شَمْسُ المدام يَجْلُو مُحَيا ... كَ سناها والرّاح من معناكا
ونداماي كل أحـور طـرف ... لم يكن عرشه سوى مستواكا
وسليمى عنها اللثـام أمـاطت ... فمحتنـا وأثبتنـا هنـاكا
فشهدنـا في ذاتنـا ذات حسن ... ورشفنـا مـن ثغرنـا للمـاكا
يـا وحيداً في ذاته أنت وتـر ... وكـثير بمقـتضى أسماكا
عينت ذاتك الـذوات لعينـي ... فاجتليت الوجود في مجلاكا[٣٢]
ولعيني كنت الضيـا فلهـذا ... بك قـرت ومـا رآك سواكا
[١١٣/ب]إن أقل في الورى بـأنك أني ... أنت قد قلته فـإني أنـاكا[٣٣]
أو أقـل إنني سواك فقـولي ... عـنك بـادي لأنـني مـرآكا
حضرات لها بها صورتـي ... كيف شاءت وقلبتني[٣٤] يداك
جنة زخرف الشهود رباهـا ... فنعمنـا فيها بطـيب لقـاكا
فالمثـاني تتلـو المثـاني إذا مـا ... كنت تصغي بمسمعي لغناكا
وفـؤادي يهواك في كل قـلب ... وعيـوني في كل عين تـراكا
وإذا مـا بـدا من الحسنِ مرآ ... ك لعيني سجدت شكراً هناكا
يـا حبيبـاً أفنـى هـواه محبـاً ... حبذا حبذا الفنـا في هـواكا
أنت أنت الوجود والكل فـانٍ ... يـا حبيبـي لك الهنـا ببقـاكا
مذ تجليت لي بأفق سعودي ... شمتُ عبد الغني بـدر حماكا
شاخصاً للوجود إن شام برقاً ... من سماء الشهود طار لـذاكا
قد تدانى من قاب قوسين مرأى ... فهـو فـيّ أو بـلا دنـوّ رآكا

---

(٣١) ن : (لحاكم) .
(٣٢) ن : (عينك ذاتك .. * فاجتلت الوجود في محلاكا) .
(٣٣) ن : (أنت قلت فإني أناكا) .
(٣٤) ن : (وقبلتني) .

وهو مجلى الصفات والذات فرد　　حاز علماً بالإرث عن مصطفاكا
وهو في مركز الشريعة قطب　　ولعين العيان يهدي هداكا
جدد الدين بعدما مزقته　　عصبة الضلال من أعداكا
يا حبيباً أنفقت فيه حياتي　　ليتني يا مليح حزت رضاكا
دم بأوج الكمال يا نور عيني　　راقياً رافلاً بروض هناكا
وسلام عليك مني ولكن　　لم يسلم عليك مني سواكا

٤ً ـــ مكتوب عبد الرحمن الشهير بابن عبد الرزاق

ومن ذلك أيضاً مكتوب الولد الروحي ، والسر الفتوحي ، مفخر الأفاضل الشيخ عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المعروف بابن عبد الرزاق(٣٥) ، وهذه صورة ما كتبه :

بسم الله الغنيّ الوهاب ، الرحمن الرحيم التواب ، المتفرّد في أحديته والمتعدد في واحديته : [من الطويل]

سَلَام كعرفِ المسكِ قد فاح بالبشرِ
وأسنى تحياتٍ تفوقُ سنى البدرِ
وأثنية وافت تتابع نشرها
وأدعية تنمو على عدد القطر
من المغرم المشتاق من هو عبد من
تسمى برحمن وفاز بذي القدرِ
إلى العارف المولى المحقق من غدا
سليل ذوي التحقيق والسادة الغرِّ
إلى واحد الدنيا ومن هو قطبها المدبر أمر الكون من عالم الأمرِ
إلى روح جسم العبد بل بدر أفقه
ورب التقى والقرب علامة العصر
إلى الحرم الأمن المقدس من سما
بفضل له زاد على الأنجم الزهر

(٣٥) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنفي الدمشقي المعروف بابن عبد الرزاق ولد سنة ١٠٧٥ وقرأ العلم على جماعة منهم عبد الغني النابلسي . وله عدة مؤلفات منها ديوان شعر وديوان خطب وتوفي سنة ١١٣٨ هـ وانظر في ترجمته ذيل نفحة الريحانة ٢٠٦ — ٢٢٧ ، وسلك الدرر ٢٦٦/٢ — ٢٧٤ .

[١١٤/أ] إلى كعبة الإجلال عبد الغني من
بأفضاله تاهت دمشق على القطر
إمام حُبي منذ كان في المهد رتبة
من العلم لم تدرك بفهم ولا فكر
يحقق بالتفصيل تدقيق مجمل
ويوضح صعب القول بالنظم والنثر
إذا ما بدا للفضل نور صفاته
تراه به أضحى غنياً عن الدهر
هو الوارث الفرد المجدد ديننا
هو العالم النحرير حقاً بلا نكر
نهاية بحر العلم مجمع كنزه
حوى درراً تسمو على حلل التبر
منور أبصار الخليقة بالهدى
ومغني عن المصباح والضوء في الفجر
ألا يا عزيز العصر يوسف شامنا
ويا من حبا كل الكمالات والفخر
بعدت عن الأوطان بعد اقترابها
وما بعدت شام وحقك عن مصر
وخليت يعقوب الغرام بحزنه
يروح بأشجان ويغدو بلا خجر
فجاءتك من شوق الفؤاد بلهفة
تبث لأحزان وتشكو من الهجر
تغضّ حياءً منك في نيّل دعوة
أفوزُ بها يوماً ويشرح لي صدري
فقابل بجبر منك كسر قريضها
وإعذر لنظم[٣٦] جاء في مبتدأ الأمر

(٣٦) ن : (واعذار نظم) .

بقـــيت بإنعـــام مـــن الله وافـــر
ورفـع[٣٧] على الأعـداء بالعـز والـنصر
ولا زلت في أوج الكمـــال ممتعـــاً
وتـنثر[٣٨] مـن در وتنظـم مـن شعـر
مـدى الدهـر مـا صاح الهزار بأيكـة
وقـد مـالت الأغصان مـن نسمـة الفجر
ومـا قـادم في الحي وافـاك قائـلاً
سلام كعـرف المسك قـد فـاح بالـبشر

حمداً لك يا من أظهر الكون من مطالع شمس ذاته ، ونور مصابيح ذواته وصفاته ، يتجلّى بدور أسمائه وصفاته ، وجعل بعض مرتباً على بعض في البطون والظهور ، وأدار الأفلاك بتوجه إرادته في الآصال والبكور ، ونص على كلمة ذلك بقوله في محكم الكتاب ، ﴿ هُوَ[٤١] الّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً . وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ وَالحِسابِ ﴾[٣٩] ، فسبحانه من إله صور آدم على صورته ، وعلمه أسماءه الحسنى وأطلعه على غيب سريرته ، وحباه المقام الأسنى ، وأسرى بعبده من الحرم الأقدس إلى البيت المقدس . وعرج به جبريل إلى أن انتهى ، فوصل إلى سدرة المنتهى ، ﴿ ثُمَّ دَنَى فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[٤٠] وخص قوماً من أوليائه وجذبهم إليه ، وعرفهم به ونعمهم بما لديه ، وأبدى فيهم ظهوره وبطونه ، وأخبر [١١٤/ب] عنهم بأنه يحبهم ويحبونه ، من طافت بكعبة ذواتهم أرواح الكاملين ، ولثمت أركان معارفهم أشباح السالكين ، ووقفت بعرفات قربهم رجال الأعراف ، واقتبست من نور تدبير أرواحهم الأوضاع والأشراف ، فهنيئاً لهم بما نالوا من درجات الكمال ، وتحققوا معرفة ذي الجلال والجمال ، وأظهر من بين هؤلاء الأبرار والمقربين ، وأكابر الأولياء والصديقين ، من هو بلبل أدواح[٤٢] المعارف ، وثمرة أغصان العوالم . والعوارف ، زبدة أرباب اليقين ، وعمدة العلماء والمحققين ، ركن أهل التحقيق على التحقيق ، وعين أعيان أهل التوفيق والتدقيق ، من زها بحسن منطقة العذب على الأنام ، وافتخرت بعلومه

(٣٧) ن : (ودفع) .
(٣٨) ن : (وتنشر) .
(٣٩) سورة يونس ٥/١٠ .
(٤٠) سورة النجم ٨/٥٣ — ٩ .
(٤١) في ت ، ن : (وهو) والواو زيادة غير موجودة في الآية .
(٤٢) ن : (أرواح) .

السامية دمشق الشام ، صاحب المقامات الإلهية ، والفتوحات الربانية ، مجمع البحرين من علم الباطن والظاهر ، وملتقى النهرين من علوم الأوائل والأواخر ، بحر الهداية والعناية ، ونقاية أهل النهاية ، في الدراية والرواية ، خلاصة أهل التوضيح والتنقيح ، ومغني اللبيب عن التصريح بالتلويح ، قاموس البلاغة والصحاح ، وراموز الفصاحة والمصباح ، من هو سلطان العارفين على الإطلاق ، ومربي الكاملين في جميع الآفاق ، والكرامات البهية ، والمكاشفات الغيبية ، من انتفع به القاصي والداني ، وافتخرت بخدمته على أقراني ؛ شيخي وأستاذي ، وبغيتي وملاذي ؛ صاحب المقام القدسي ، والقرب الأنسي ، سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي ؛ أدام الله تعالى به النفع بين المسلمين ، وحفظه من شيطان الإنس العدو المبين ، وأمدنا بمدده الوافي ، وسقانا من لذيذ شرابه الصافي ، وأرانا ذلك الجناب العالي ، وجماله الساطع المتلالي ، بحرمة سيد المرسلين ، محمد خاتم النبيين ، إنه ولي الإجابة ، وإليه الإنابة ، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن[٤٣] ، المنزل عليه ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ القُرْآن خَلَقَ الإنْسانَ عَلَّمَهُ البَيَان ﴾[٤٤] ، صلاة تليق بجنابه الشريف ، وقدره السامي المنيف ؛ وعلى الآل والأصحاب ، والتابعين إلى يوم الحساب .

أما بعد فإن جاز السؤال عن خادم النعال العبد الفقير إلى مولاه الغني الحنان ، العاجز الحقير عبد الرحمن ؛ ابن المرتجى رحمة [١١٥/أ] ربه الخلاق ، إبراهيم بن أحمد بن أحمد عبد الرزاق ، فإنه شديد الاحتراق ، من كثرة الأشواق ، ومكابدة ألم الفراق ؛ والأقلام نواطق بذلك ، والأثنية مشيرة لما هنالك ؛ وإنه والله الحمد والمنن الوافية ، ببركتكم في صحة وعافية ؛ متشوق إلى أخبار صحتكم بتلقي الركبان والبشائر ، ويتعلل بقول القائل الشاعر : [من الطويل]

وَإنْ كانَتِ الأجساد منّـا تباعَـدَتْ ... فـإن المدى بيـنَ القُلـوبِ قـريبُ

ولاتنسوه من دعواتكم ، في خلواتكم . وجلواتكم ، والمقصود يا أهل العيان والشهود ، إصلاح ما وقع في هذا الرقم من الخلل ، والستر عما صدر من هذا العبد من الزلل ، فإنكم أهل الجود والكرم ، والعناية والحكم ، انتهى ذلك وانقضى ما هنالك .

وبقية المكاتيب[٤٥] ، مشتملة على الأخبار ومالا يليق[٤٦] أن يكتب من التراتيب

---

(٤٣) ليست اللفظة في ن .

(٤٤) سورة الرحمن ٥٥/١ — ٤ .

(٤٥) ت : (المكاتب) .

(٤٦) ن : (وما يليق) .

اليوم التاسع والستون

١١٠٥/٣/١١ هـ = ١٦٩٣/١٢/٦ م

ثم بتنا تلك الليلة في أكبر[1] سرور ، وأكثر حضور ؛ فلما أصبحنا في يوم الثلاثاء التاسع والستين ، وهو اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول ، ذهبنا إلى حمام الشفاء . وحصل لنا إن شاء الله تعالى كمال الشفاء ، وقلنا في ذلك ، بمعونة القدير المالك[2] : [من الخفيف]

قَدْ دَخَلْنَا فِي القُدْسِ حَمَّامَ لُطفٍ	وَسُرورٍ وَبَهْجَـــةٍ وَصَفَـــاءِ
مــاؤُهُ مِثْــلُ مَــاءِ زَمْــزَم طَعْمــاً	وَهْوَ من تَحْتِ صَخْرةِ اللهِ جاري
حــاصلٌ منــه للمــريضِ شفــاءٌ	فلهـــذا مُلَـــقَّبٌ بالشِّفـــاءِ

ثم عدنا إلى مكاننا في الزاوية القادرية ، فطلب منا بعض الجماعة عمل درس في الحرم الشريف لأجل البركة ، وتحصيل المزية ، فبعد أن صلينا صلاة الظهر في مسجد الصخرة الشريفة نزلنا إلى رواق الشيخ الكامل العالم العامل ، منصور المحلي الصابوني روح الله تعالى روحه ، ونور ضريحه ؛ فجلسنا هناك في تلك الحضرة المنيفة ، وقرأ المعيد حديث (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى) . وتكلمنا على ذلك بما تيسر لنا من الأبحاث ، مما فتح الله تعالى به في ذلك الوقت ، وحضر جماعات من العلماء وأعيان الفضلاء ، وغيرهم من عامة الناس إلى أن دخل وقت العصر[3] ، فصلينا صلاة العصر[3] في ذلك المكان ، نحن ومن معنا من الإخوان ، ثم ذهبنا إلى ضيافة الحاج علي المعروف بابن نُسَيبة بصيغة التصغير ، فصعدنا إلى داره [١١٥/ب] وهي بأنواع الخيرات مغمورة ، وكانت مشحونة بالأفاضل والأعيان من أكابر ذلك الزمان ، فحصلت أكمل الفائدة ، ومدت لنا أشرف المائدة ، حتى تفرق ذلك الجمع ، وقد قر البصر والسمع ، ونزلنا إلى صلاة المغرب فصليناها بالحرم الشريف .

المولد النبوي الشريف

وكانت تلك الليلة ليلة المولد النبوي المنيف[4] فجئنا إلى المسجد الأقصى ، الذي فضائله وبركاته لا تُسْتَقصى ، وجلسنا هناك ننتظر سماع المولد المبارك ، فلما أذن[3] العشاء ، وصلينا صلاة[3] العشاء مع الجماعة بمعونةالله تعالى وتبارك ، وكانت أُوقدت

(١) ن : (أكمل) .
(٢) الأبيات في المسودة ل ٥٣ .
(٣ — ٣) ليس ما بين الرقمين في ن .

تلك القناديل الكثيرة ، واستنارت تلك الشموع ، فحيرت البصر والبصيرة ، نُصب الكرسي قبالة المحراب ، وصعد عليه رئيس السادة الموالدية الرفيع الجناب ، وهو السيد عبد الصمد أخو مفخر الأعيان السيد عبد اللطيف أفندي ، وقرأ أشياء من القرآن العظيم يعيد له ويبدي ؛ وقد اجتمعت الناس على طبقاتهم من الموالي والأكابر ، والعلماء والأفاضل وأئمة المحاريب والمنابر ، والخواص والعوام من الرجال ، حتى النساء ذوات الحجال ، في ناحية من المسجد مجتمعات ، ومعهن الصبيان الصغار والبنات ، ثم شرع في المولد الشريف ، وحوله جماعة من المؤذنين يترنمون بالصوت اللطيف .

ثم فرقوا على جميع الحاضرين أنواع السكر والنقل وطيب الرياحين ، وجاؤوا بالماء الورد ومباخر العود ، وكان وقتاً شريفاً حصل فيه كمال الخضوع والشهود ؛ ثم بعد ذلك انصرف الناس ، وتفرق ذلك الجمع باللطف والإيناس ، وقلنا في ذلك المقام ، من النظام[٥] : [من الكامل]

قَمَرُ السَّماءِ بدابييتِ المَقْدِسِ ... باهي الأَشِعّةِ كالنّهارِ المُشْمِسِ
يزهو على قَمرِ البلادِ جميعها ... بوسامةٍ وجسامةٍ وتنفُّسِ
ولقد مَشَيْنا منه في الحرمِ الذي ... جَمَعَ الفضائلَ مع جلالِ مُؤنِسِ
وبه حَضَرْنا ليلةً مشهودةً ... هي للقلوبِ مُنيرةٌ والأنفسِ
وُلِدَ النَّبيُّ المُصْطَفَى فيها وقد ... طابَتْ بأصلٍ في الفخارُ مُؤسَّسِ
حتّى على الكُرْسيّ في الأقصى بدا ... من نَسْلِ طَهٰ شَيْخُ فَضْلٍ أَقْدسِ
يَتْلُو من القرآنِ ما هو باهرٌ ... ومن المدائحِ ما يَشوقُ المُؤنسِ
وَلَدَيْه أَقْوامٌ بأصواتٍ لهم ... أَهْدَوُا إلينا رائقاتِ الأَكْؤُسِ
والنّاسُ قد حَفُّوا على طَبقاتِهِمْ ... بالمُنْشِدينَ لهم أَتَمُّ تأَنُّسِ
[١١٦/أ] والشّمعُ مُوقَدَةٌ وأنوارُ الحِمى ... زادتْ بها البيتُ المُقَدسُ مُكْتَسي
وَبَدَتْ قَناديلٌ هناكَ تَوَقَّدَتْ ... تَزْهو كَأَمْثالِ الجَواري الكُنَّسِ
والوقتُ طابَ وأشرقَتْ أنوارُهُ ... للحاضرينَ من المُطيعِ أو المُسي
وأَتَتْ حلاوتُه تُحلّي أَلْسُناً للناسِ في شَعْشاعِ ذاكِ المَجْلِسِ
وَمَضَى وَقَدْقُمنا هناكَ مهابَةً ... عندَ التّمامِ وَفاحَ طَيبُ النَّرجِسِ
وَكَأَنَّ ماءَ الوردِ أمطارُ السما ... رشَّتْ عَلَيْنا عَهْدَ ذلك لانَسي[٦]

(٤) ن : (الشريف المنيف) .
(٥) الأبيات في المسودة ل : ٥٤ .
(٦) ن : (الأنس) .

اليوم السبعون

١١٠٥/٣/١٢ هـ = ١٦٩٣/١٢/٧ م

ثم بتنا في تلك الليلة الميمونه ، يحقق كل منا آماله وظنونه ، ويمنع خواطره بأنواع المسرة وينزه عيونه ؛ إلى أن أصبح صباح يوم الأربعاء ، وهو اليوم السبعون ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، فحضر عندنا بعض الأفاضل من الإخوان ، وتذاكرنا بعض المذاكرة العلمية مع كمال الملاطفة والأذعان ؛ ثم ذهبنا عند أذان الظهر إلى الحرم الشريف ، فصلينا صلاة الظهر مع الجماعة في مسجد الصخرة ذات القدر المنيف .

إقراء الدرس

وجلسنا لإقراء الدرس في ذلك المحراب تجاه الصخرة المباركة ، وقد حضرنا الأفاضل والأماجد من الطلبة الذين يمشون على أجنحة الملائكة ! ولم نزل في الدرس حتى سمعنا آذان العصر ، وصلينا مع الجماعة وقد ظفرنا بكمال المثوبة والنصر .

ثم عدنا إلى مكاننا في زاوية القادرية .

اليوم الحادي والسبعون

١١٠٥/٣/١٣ هـ = ١٦٩٣/١٢/٨ م

وبتنا تلك الليلة على أتم حالة مرضية ، فلما أصبحنا في يوم الخميس ، وهو اليوم الحادي والسبعون ، الثالث عشر من شهر ربيع الأول ، ذهبنا إلى عيادة بعض الأصحاب ، وكان مريضاً أكمل الله تعالى له الأجر والثواب ؛ ثم ذهبنا إلى زيارة الكامل الإمام والبركة الهمام ، الشيخ أبي الوفا العلمي حفظه الله تعالى ، فتلقانا بصدره الرحيب هو وأولاده الكرام ، وما منهم إلا وهو فاضل نجيب ، وكان هناك بعض أفاضل البلاد ، ذوي الاحترام .

مسألة التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام

فجرت بيننا مسألة التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام . فسألنا الفاضل العالم ، من أشرقت لكمالاته المعالم ، الشيخ مصطفى بن الشيخ أبي الوفا العلمي عن النبي الأفضل بعد نبينا عليهم السلام من هو ؟ فذكرنا له أنه إبراهيم الخليل ، ثم موسى ، ثم عيسى . ثم طلب منا تحرير ذلك في رسالة على الاستقلال ، فوعدناه بذلك إذا استقرينا [١١٦/ب] في منزلنا الحالي .

تكية المولوية

ثم قمنا من ذلك المجلس ، وذهبنا إلى تكية المولوية نتنزه بذلك ونستأنس .

زاوية الشيخ البسطامي

وزرنا في الطريق الشيخ البسطامي في زاويته المشهورة .

قبر الشيخ حسن بن علي بن عليل

ومررنا في الطريق على قبر الشيخ حسن بن الشيخ علي بن عليل ، صاحب الأحوال المنثورة ، وقرأنا له الفاتحة ، والتمسنا من نفحات بركاته الفاتحة .

ثم دخلنا إلى الحرم الشريف من باب حطة ، وسرنا إلى منزلنا بالقادرية الذي في المحطة .

درس عام

ثم عند آذان الظهر ذهبنا إلى الأقصى المبارك ، وصلينا صلاة الظهر مع الجماعة . وجلسنا في ذلك المحراب في أعمال الخير نتشارك ؛ وعملنا الدرس العام ، وحضر عندنا جماعات من الأفاضل ومن العوام ، وتكلمنا على حديث (لا يزالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ) بما تيسر من الكلام إلى آذان العصر ، ثم صلينا صلاة العصر ، وتوجهنا إلى منزلنا المعهود .

رسالة في التفضيل بين الأنبياء

وشرعنا في عمل رسالة في التفضيل بين الأنبياء عليهم السلام ، على حسب ما سبق لنا من الوعود[1] ، وكتبنا فيها ما تيسر من النقول ، على مقتضى ما تقبله العقول ، سميناها (صفوة الأصفياء[2] في بيان التفضيل بين الأنبياء) . ثم بيضها بعض الأصحاب ، وأرسلناها إلى طالبها منا جناب الشيخ مصطفى العلمي كما سبق ذكره في هذا الكتاب .

مجلس ذكر وصلاة على النبي ﷺ

ثم دخل وقت المغرب فصلينا في زاويتنا القادرية صلاة المغرب مع الجماعة ، وجاء شيخ الزاوية ، وهو الرجل الصالح الشيخ محب الله ، وجاءت جماعته أهل الذكر والطاعة ، وأوقدوا تلك القناديل وعقدوا مجلس الذكر والصلاة على رسول الله ﷺ مع التكبير والتهليل ، إلى أن دخل وقت العشاء ، وارتفعت ظلمة القلوب والغشاء؛ ثم وقفنا على المحراب ، وصلينا بالجماعة صلاة العشاء وحصل الثواب ، وكمل البسط والصفاء ، وعظم السرور والوفاء .

(١) ن : (الوعد) .

(٢) تقدم ذكرها بين مصنفات النابلسي الكتاب رقم ٦٥ في فن الحديث ، ولم نجد منها نسخة في الظاهرية .

اليوم الثاني والسبعون

١١٠٥/٣/١٤ هـ = ١٦٩٣/١٢/٩ م

حتى[١] طلع صباح يوم الجمعة الثاني والسبعين ، وهو الرابع عشر من شهر ربيع الأول .

صلاة الجمعة في المسجد الأقصى

فحضر عندنا بعض الإخوان والأحباب ، وتجاذبنا أطراف المسائل العلمية مما عذب وطاب ؛ إلى أن دخل وقت الصلاة فذهبنا إلى المسجد الأقصى ، وسمعنا خطبة قريبنا الفاضل الإمام الكامل الهمام الشيخ محمد بن جماعة ، وقد أدار كل حاضر إليه أسماعه ؛ [١١٧/أ] وكانت خطبته في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة ، وذكر الحديث الوارد في ذلك الأمر ، فحرك شوق القلب فأسرع انبعاثه .

تربة ماملا

ثم بعد انصرافنا إلى الصلاة توجهنا مع الخطيب وغيره من أهل البلاد إلى زيارة تربة مأمن الله المسماة ماملا بين العباد . فمررنا في الطريق على قبر الشيخ غباين ، واغتنمنا بركة من هنالك من السر الباين ، ثم دخلنا في تلك التربة المباركة ، واستنارت قلوبنا بمطايا هاتيك الأرواح السائرة المباركة ، وزرنا قبور أجدادنا أولاد جماعة .

وقبر الشيخ المسمى بوجدنا .
وقبر الكمال بن أبي شريف .
وقبر الواسطي وبقية الجماعة .
مع قبر ابن الهائم .
وقبر الشيخ يحيى الداجاني وقبور أولاده وذريته .
وقبر الشيخ أبي عبد الله القرشي .
وبجانبه قبر البرماوي رحمهم الله تعالى أجمعين .

ثم قرأنا الفاتحة لجميع من دفن في تلك الجبانة المباركة من المسلمين والمسلمات ، ثم رجعنا فصلينا صلاة العصر في مسجد الصخرة ، وكثرت إن شاء الله تعالى لنا الحسنات .

(١) في هامش ت : (بلغ قراءة ومقابلة) .

اليوم الثالث والسبعون

١١٠٥/٣/١٥ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٠ م

وبتنا تلك الليلة إلى أن طلع صباح يوم السبت ، وهو اليوم الثالث والسبعون ، الخامس عشر من شهر ربيع الأول ، فعزمنا على المسير إلى زيارة نبي الله موسى بن عمران ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في كل آن ؛ فسرنا وسار معنا حضرة المولى الهمام ، المشار إليه فيما تقدم من الكلام ؛ عطاء الله أفندي القاضي لمدينة القدس ذات الشرف والاحترام ، والسيد الحسيب النسيب مصطفى النقيب وغيرهم من الأعيان الكرام ؛ وجماعات كثيرة ، فكنا جميعاً نحو المئتين من الرجال .

قرية العزيرية

فمررنا في الطريق على قرية العزيرية ، وزرنا فيها نبي الله العزير عليه السلام ، واطمأن بنا الحال ، ويقال لها قرية العيزارية ، والعازرية قال الحنبلي[1] : دفن فيها العيزار بن هارون عليه السلام ، وقيل إنه عازر الذي أحياه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، انتهى .

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى الخان الذي في الطريق ، فنزلنا ونزل حضرة القاضي وبقية الجماعة في ذلك الفيء العميق ؛ فأكلنا ما تيسر من الزاد ، وأنعم الله تعالى وزاد .

موسى عليه السلام

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى حضرة نبي الله موسى عليه السلام ، ودخلنا في ذلك البنيان العظيم وشريف المقام ؛ وشهدنا تلك الهيبة والوقار والعظمة [١١٧/ب] والاحترام ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى وأنشدنا هذه القصيدة على البديهة من النظام[2] : [من البسيط]

دَنــا مــن الحقِّ أهــلُ الحقّ تكــريما ... وكلَّــم اللهُ مــوسى الصّدقَ تَكْليمــا

وَأَشْرقَتْ مــن سماواتِ الغُيــوب على ... أرضِ القلوبِ مشموسُ الرشدِ تعليما

وغابَ كــلُّ مشوقٍ بــالحضورِ لــدى ... سرِّ التجلّــي فتَــخْصيصاً وَتَعْميمــا

هٰذا مقامُ الهُــدى قَدْ لاحَ في قبسٍ ... مــن نــورِ زَيْتونــةِ الأسرارِ تتييمــا

مُوسى النبيُّ بنُ عِمرانَ الذي بَهَــرَتْ ... آياتُــهُ في بَني يعقــوبَ تَفْهيمــا

(١) انظر الأنس الجليل ٧٥/٢ .

(٢) الأبيات في المسودة ل : ٥٥ — ٥٦ .

والله كَلَّمَـه مـن غيـرِ واسطـةٍ ... مُقَدَّمـاً صارَ بالتكليـمِ تَقْـديما
وقَدْ رأى في تجلّي النـارِ نـورَ هُـدًى ... قَـدْ كان أوهَمَـهُ في الـغير تَوْهيمـا
حَتّى انْجلَـى السرُّ والمحبوبُ خاطبَهُ ... يَسْقي قلوبـاً بكـاساتِ الصَّفـا هيمـا
وانْشَقّ بَحْر حجابِ الكونِ من يـدِهِ ... بـالضّرْبِ لما بها بَرْقُ الهُـدى شيمـا
وَقومـه عَبَـرَتْ فيـه بهمّتِـه ... وكل فَـرْقٍ غـدا كالطَّـوْد تعظيمـا
جئنـا إلى قبره نَـغْشو إليـه عسى ... نَفوزُ منـه بنـورِ القُـرْبِ تسهيمـا
وَيَفْتَـحُ الله أبـوابَ الكمـالِ لنـا ... حتـى تُنَعَّـم بالإنعـامِ تَنْعيمـا
وحيـنَ كانَ تَجَلّـى النّـار مظهـرهُ ... في ليلـةِ القـربِ لما وَصْلُهـا سِيمـا
بَـدا اشتعـالٌ لاحجـارِ المقـامِ بما ... لزائريـهِ على طـولِ المدى شِيمـا
كَفَـى بها آيـةً تهدي البعيـد إلى ... أسرارِ قـربِ التجلّـي منـه تَفْهيمـا
وللملائكـةِ[٣] الغـرّ النـزول بـه ... أشباحهـم تتـراءى ثَـمَّ ترقيمـا
في قبـةٍ رُفِـعتْ بـيضاء مشرقـة ... مثـلَ الغمامـةِ تَظْليـلاً وتخييمـا
وذاكَ سرٌّ بـه جـاءَ الحديثُ لنـا ... أَرَيْتكـم قَبْـره قـد كان تكـريما
لله ثَـمّ كثـيبٌ أحمرٌ لَمَـعتْ ... منه بروقُ التجلّـي لا تقـل فيمـا
وهٰـذه حضرةٌ مَـنْ جاءَهـا شَرُفَتْ ... أحوالُـه وحَبـاهُ الله تَسْليمَـا
صَلّـى وسَلَّـم مولانـا الكريـمُ على ... مـن قَـدْ هـواه هناك للحد ترميما
لحد ابـن عمـرانَ مـن زادتْ مَزِيَّتُـه ... مـن بعـد طَـهٰ رسولِ الله تَفْخيمـا
مـا جاءَ في مَدْحِـه عَبْـدُ الغنـيّ بما ... يفـوقُ عقـدَ لآلي المدحَ تنظيمـا
وما سَرَى من نواحي الغور ريحُ صَبا ... فعَطَّـرَ الكـونَ تَطْييباً وتشميمـا
وما سَجا اللَّيلُ والفَجْر استنارو ما ... تَرَنَّـمَتْ ساجعـاتُ الـدَّوْح ترنيمـا

وقد أنشد المنشد هذه القصيدة المباركة في حال زيارتنا له ، حول قبره الشريف الذي هو مهبط للملائكة ، وكانت الجماعة كلهم [١١٨/أ] حاضرين ، وحنَّت القلوب لشواهد الغيوب ، أكملَ حنين وثار وجد عظيم ، وصار حال جسيم ، وبكاء شديد ، وشوق ما عليه من مزيد ؛ ثم لم نزل في سرور وافي ، وكمال ارتياح وتصافي ، وبتنا تلك الليلة ، وبعض الجماعة يقرأ القرآن ، وبعضهم يذكر الله تعالى ويسبحه بالقلب واللسان ، وبعضهم ينشد القصائد الإلهية ، وبعضهم يصلي وبعضهم يدعو الله تعالى بأنواع الأمنية .

(٣) بهذه اللفظة تعود النسخة ق إلى الإنضمام لباقي النسخ .

رحلة محمد كبريت

وقال الشيخ الإمام السيد محمد المشهور بكبريت المدني[٤] ، رحمه الله تعالى ، في رحلته إلى بلاد الروم ، وهي رحلة جميع لفظها منظوم ؛ حين زيارته للسيد موسى عليه السلام ، في سنة ألف وثلاث وأربعين هذا النظام[٥] : [من الرجز]

ثُمَّ إلى قَبْرِ الكليمِ مُوسى   سِرْنا فَشَاهَدْنا الحِمى المَأْنُوسا
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنا وَسَلَّما   ما افترَّ ثَغْرُ الدَّهْرِ أَوْ تَبَسَّما
وَقَدْ شَهِدْنا في حِماه عَجَباً   أَحْجار واديه تُحاكي الحطبا
تَشْعلُ بالنَّارِ كَمِثْلِ الفَحْمِ   وعنه تُغْني لِطَبِيخِ اللحمِ
وَإِنَّما تشعلُ ما دامَ بها   دهينَّةٌ في أَصْلِها تُلْهِبُها
وَحَيَّرَ الفِكْرِ بتلْكَ القُبَّةْ   في أَلَقِ الشَّمْسِ أُمُورٌ صَعْبَةْ
يرى بها مُخْتَلَفَ الأشباحِ[٦]   كَأَنَّهُ من عالمِ الأَرْواحِ
منه خيالٌ مَعَهُ إبريقُ   وآخرٌ لَهُ سَناً يَروقُ
وَطائِفٌ بَيْنَهُم يَطوفُ   وَعاكِفٌ خيالُهُ لَطيفُ
من أَحْمرٍ وأصفرٍ وأخضرِ   وغير ذا وذي مُحَيّا نضِرِ[٧]
وَاخْتَلَفَ النّاسُ فقيل حَكمَةْ   وَقيل لا بل هُم ملوكُ الرَّحْمَةْ
ومِثْلُ ذا بالهِنْدِ قالوا قد وُجِدْ   وَقيلَ بالمَغْرِبِ أيضاً وفُقِدْ
وَقيلَ في أَعْمالِ مِصْر يوجَدُ   يَوْماً من العامِ وَذَالا يَبْعُدُ
وَبَعْضُهُمْ قد أَلَّفَ الرَّسائِلا   فِيهِ ولكِنْ لم يفدك طائِلا

ثم قال بعده عند ذكر غزة المحروسة : [من الرجز]

وَمِثْلُ ذا بغزةٍ قيلَ وُجِدْ   في منزِلٍ ثُمَّ تَلاشَى وَفُقِدْ
أَخْبَرَني بهذِهِ مُفْتِيها   أعني به صالحَها النَّبيها

ثم قال بعده في مصر أيضاً : [من الرجز]

(٤) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن شمس الدين بن أحمد بن قاسم الحسيني الموسوي المدني الشهير بكبريت ولد سنة ١٠١٢ هـ في المدينة المنورة ، وفيها توفي سنة ١٠٧٠ هـ ، قام برحلة للروم (أي تركيا) سنة ١٠٣٩ وسجلها في كتاب سماه (رحلة الشتاء والصيف) وهي غير هذه الأرجوزة . وله مؤلفات أخرى وانظر خلاصة الأثر ٣٥٥/٤ — ٣٦١ ، والأعلام ١٨٨/٧ ، ومعجم المؤلفين ٢٤٠/١٠ .

(٥) هذه الأرجوزة في هامش المسودة ل ■■ .

(٦) ق : (الأصحاب) ولا تستوي بها قافية الأرجوزة .

(٧) ن : (أو غيره أو ذي محيا نضر) .

ثُـمَّ إلى الـولي علي المليـج ... أكْـرِمْ بـهِ مـن طيِّبِ الأريـجِ
[١١٨/ب]قُبَّتُـهُ قَـدْ أُسِّسَتْ تَـأْسيسا ... كَقُبَّـةِ المَـولى الكَليـمِ مـوسى
وَفي ذُرَى القُبَّةِ أَشْخاصٌ تُـرَى ... عَلَى خُيولٍ مثل فرسانِ الوَرَى
تطوفُ في أكْنافِهـا وتَـنْصرِفْ ... وَتَنْـجَلي للطـرْفِ ثُـمَّ تَنْحَـرِفْ
وَذاكَ في مَوْلِـدِهِ قَـدْ يُوجَـدُ ... حِينـاً وحِينـاً ثم حِينـاً يُفْقَـدُ

قبر موسى عليه السلام

وفي زيـارات الهروي[٨] : أنَّ في بلـد[٩] مَـآب[١٠] ، في قريـةٍ هنـاك يقـال لها شَيْحان[١١] ، بها قبرٌ ينزل عليه النور ، ويراه الناس ، وهو على جبل ويزعمون أنه قبر موسى بن عمران ، عليه السلام ، والله أعلم . انتهى .

قلت : وعندنا في دمشق الشام خارج باب الله بالقرب من قرية القدم تل أحمر يقال إن فيه قبر موسى بن عمران عليه السلام ، وعليه قبة صغيرة من أخشاب وحول التل جدران تحيط به ، وللناس فيه اعتقادٌ يزورنه ويتبركون به .

وقد استوفينا الكلام على ذلك في رحلتنا الوسطى التي سميناها بالحضرة الأنسية في الرحلة القدسية[١٢] .

---

(٨) زيارات الهروي ١٨ .

(٩) ق : (بلاد) .

(١٠) في الأصول جميعاً (مأرب) . وما هنا عن الهروي . ويبدو أن الخطأ بدأ من نسخة الإشارات التي اعتمد عليها النابلسي ، لأنها وردت هكذا (مارب) في مسودة المؤلف التي كتبها بخط يده . وانظر معجم البلدان (مآب) .

(١١) قال ياقوت : (شيحان : جبل مشرف على جميع الجبال التي حول القدس ، وهو الذي أشرف منه موسى عليه السلام فنظر إلى بيت المقدس) . معجم البلدان (شيحان) .

(١٢) انظر الحضرة الأنسية المسماة (رحلتي إلى القدس) ٤٦ — ٤٨ .

اليوم الرابع والسبعون

١١٠٥/٣/١٦ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٤ م

ثم أصبحنا في[1] صباح يوم الأحد الرابع والسبعين ، وهو السادس عشر من شهر ربيع الأول .

قرية أريحا

فقصدنا المسير إلى قرية أريحا ، ويقال مدينة أريحا ، وفي صبح الأعشى للقلقشندي[2] : والغور يقال إنه ثلاثة أقسام غور مدينة زُغَر وهي وَبِيئَةٌ[3] جداً . وغور مدينة أريحا . وغور مدينة بيسان . وكلها جارية في أعمال الأردن .

وذكر ياقوت الحموي[4] في المشترك[5] أن الغَوْرَ — بفتح الغين المعجمة ، وسكون الواو ، والراء ... غَوْرُ الأردُنّ بالشام بين بيت المقدس وحَوْران من عمل دمشق ، وهو منخفضٌ عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس ، ولهذا سمي الغَوْر . طوله نحو مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو فرسخين أو أقل ، وفيه قرى كثيرة . وقصبته بيسان ، وفي طرفه الشرقي بحيرة طبرية ، وفي طرفه الغربي بحيرة زُغَر المنتنة . انتهى .

وزُغَر — بضم الزاي ، وفتح الغين المعجمة ، وبالراء كزُفَر اسم ابنه لوط عليه السلام ، واسم قرية بالشام لأنها نزلت بها كذا في القاموس[6] .

وقد سار معنا عطاء الله أفندي القاضي . ومن كان معه من الجماعة ، وقد مشينا صاعدين وهابطين على حسب القدرة والاستطاعة ، حتى سَرَّحْنا في ذلك الفضاء الواسع ، وشرحنا صدورنا في إشراق نوره القريب الشاسع .

شوق شعري غرامي

وقد أملينا هذه الأبيات إنشاءً إلهاميّا ، وإنشاداً [١١٩/أ] في ذلك المَهْمَهِ المبارك

(١) في ق ، مط : (ثم أصبح صباح) .

(٢) انظر صبح الأعشى ٨١/٤ و٨٩ .

(٣) قال ياقوت عن زغر (وهذه في واد وخم رديء في أشأم بقعة إنما يسكنه أهله لأجل الوطن ، وقد يهيج فيهم في بعض الأعوام مرض ، فيفني كل من فيه أو أكثرهم) . انظر معجم البلدان (زغر) .

(٤) ليست اللفظة في ق .

(٥) انظر المشترك ٣٢٦ .

(٦) انظر القاموس المحيط (زغر) .

شوقاً غرامياً ؛ حيث قلنا[٧] : [من الخفيف]

يا سَقَى اللهُ من أراضي أريحا ... جانباً مُشْرِقاً وقَفْراً فسيحا

ورعى ثَمَّ للشَّريعةِ نَهْراً ... بزلال المياه كانَ طفيحا

فيه للأنبياءِ أرْواحُ قُدْسٍ ... واضحاتٌ لا يألفون الضَّريحا

سائحاتٌ هناك بينَ جبالٍ ... عالياتٌ تأْوي خُزامى وشِيحا

قَدْ أَتَيْتنا مُسْتَبْشِركين إليهم ... فوجدنا السّرورَ والتَّرْويحا

ورأينا المنى بمسّ ترابٍ ... مَنْ أتاه رأى العَطاءَ المنيحا

وَعَلَيْنا الإله جادَ بلطفٍ ... وحبانا منه الكمال الصريحا

ولدينا نسائمُ الوقت رَقَّتْ ... ونرى حيث نحن وجهاً مليحا

صحبةُ الشهم شمسُ أفق المعالي[٨] ... مَنْ به المجدُ يُستقلّ المديحا

بحرُ جودٍ وطَوْدُ علمٍ وحلمٍ ... كُلُّ فَخْرٍ له وعزّ أُتيحا

شَرَّفَ القدسَ قاضياً إذْ أتاها ... فَامْتَلَتْ في زمانه تَسْبيحا

وله الكلّ شاكرون نوالاً ... عمَّ حتى أحيا الرميم ضَريحا

ذَكَّرتْهُم أيّامُه والليالي ... عَهْدَ حِزْقِيلِهِمْ وعيسى المَسيحا

لم يَزَلْ رافِلاً بأثوابِ عِزٍ ... فارغ البال خالياً مُسْتَريحا[٩]

وبواقي الصّحابِ أَهْلِ المعالي ... مَنْ لهم وَشَّح[١٠] العُلا تَوْشيحا

وأثابَ الجميعَ أكملَ أجرٍ ... رَبُّنا مُكْثِراً لهم تَفْريحا

ما أعان الإله عَبْدَ غنيٍّ ... حينَ يَدْعُو لهم فَيَشْفي القَريحا

ثم وصلنا إلى قرية أريحا التي يضاف إليها الغور ، فوجدناها قرية قديمة البناء غالبها الآن خراب من كثرة الظلم والجور ؛ فلم نجلس بها .

عين السلطان

وسرنا إلى أن وصلنا إلى منبع ذلك النهر، والمكان المسمى بعين السلطان الزاهي بظله الوريف والزهر ؛ فجلسنا هناك بقية اليوم ، ونعمنا بما تيسر من الزاد ونحن والقوم ؛ وصلينا على شط ذلك الماء الزلال . صلاة الظهر والعصر ، ونحن في أكمل السرور والانشراح

(٧) القصيدة في المسوّدة ل : ٥٦ .

(٨) في ق ، مط : (الموالي) .

(٩) في مسودة المؤلف : (خالي البال فارغاً مستريحاً) .

(١٠) ن : (توشح) .

والراحة والنصر ؛ حتى قلنا من النظام ، في ذلك المقام : [من الخفيف]

يا رَعى اللهُ عَيْنَ ماءٍ لطيفٍ   من أريحا بالغَوْر في فَيِّ أَغْصَانِ
قَدْ جلسنا منها بمجلس أُنسٍ   وَرَأَيْنا المُنَى بعَيْنِ السُّلْطانِ

النهر الذي غورّه حزقيل

وحدثنا عن أصل هذه[11] العين النابعة في هذا المكان ، ونحن [١١٩/ب] في رملة هاشم ، بعد سفرنا من بيت المقدس ، أعزّ السادة الأعيان الفاضل الكامل الشيخ أمين الدين ، المتقدم ذكره ، فيما نعينه ونخصه ، أنّه رأى ورقة مكتوب فيها ما نصه[12] :

هذه صورة ما وجد في ورقة بالية ، ظهرت في قبو وجد في ظهر رأس القصيلة بمحلة باب العمود ، وهو أنك إذا أردت أن تعرف محل النهر الذي ببيت المقدس ، الذي غوّره حزقيل تعمد إلى رأس القصيلة من جهة الغرب نحو كذا كذا ذراعاً ، وذكر عدد الأذرع ، تجد طابقاً من رخام ، وتحته لبابيد مملوءة بالملح[13] ، وتحته طابق آخر إلى سبع[14] طوابق تجد النهر المذكور . وذكر أنه لما غوّره حزقيل ظهر من عين السلطان التي بغور قرية أريحا . انتهى .

ثم عدنا في وقت العشي إلى مزار السيّد موسى عليه السلام .

زوّار ومولد وأناشيد

وبتنا في تلك الليلة في سرور تام وقد جاء إلى عندنا الشيخ فتح الله رئيس المؤذنين بالصخرة المباركة ، ومعه جماعة وقرؤوا لنا المولد العظيم ، والأناشيد الإلهية المحمدية ، التي هي كالدر النظيم ؛ وعقد بعده مجلس الذكر الشريف ، والإنشاد اللطيف ، والسماع المنيف ؛ وحصل الوجد للقلوب[13] ، ولمعت في تلك الحضرة بوارق الغيوب[13] .

---

(١١) ليست اللفظة في ق .
(١٢) انظر مسودة المؤلف ل : ٥٦ .
(١٣) في ت ، ن : (من الملح) .
(١٤) كذا في كل الأصول والمسودة ومط ، وهو مخالف للنحو .
(١٣ — ١٣) ليس ما بين الرقمين في ق .

اليوم الخامس والسبعون

١١٠٥/٣/١٧ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٢ م

ثم لما أصبحنا في يوم الاثنين وهو اليوم الخامس والسبعون ، سابع عشر شهر ربيع الأول .

قبر الشيخ الراعي

سرنا قاصدين العود إلى بيت المقدس ، فمررنا على قبر الشيخ الراعي وهو قبر كبير معروف هناك . فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

عين العيزرية

ثم سرنا وقد نَقَّطتنا السحائب بلآلىء أمطارها . ونثرت علينا النسائم منظوم العقود من أقطارها .

إلى أن وصلنا إلى العين المسماة بعين العيزرية . فنزلنا هناك برهة من الزمان ، نحن ومن معنا من الإخوان . ثم وصلنا إلى قرية العزورية[1] . وقرأنا الفاتحة لنبي الله العزير[2] عليه السلام ، بالزاي ثم بالراء على حسب ما يقال إنه مدفونٌ في ذلك المقام .

الجسمانية

ثم مررنا على الجسمانية ، عمارة قديمة متينة في أسفل الوادي ، فيها قبر مريم بنت عمران . فقرأنا الفاتحة هناك ودعونا الله تعالى .

ثم دخلنا إلى مدينة القدس الشريف ، وقد تراسل المطر ، وزاد قطره النزيف فجئنا إلى منزلنا في زاوية القادرية ، وبتنا على أتم سرور ، وأكمل حالة مرضية ، بمعونة [١٢٠/أ] رب البرية .

---

(١) في ت : (عين العيزرية) و(قرية العزرية) . وفي باقي الأصول (العيزرية) في المرتين . ويفهم من كلام النابلسي أن المدفون فيها هو (العزير) ، فإن صح ذلك فمن حقها أن تكون (العزيرية) . ويبدو أن التصحيف بدأ من اسم النبي ، ففي الأنس الجليل ٧٥/٢ أن اسم النبي (عازر أو العيزار بن هارون) ، وعلى ذلك فاسم القرية عنده (العازرية) . وقد تصحفت اللفظتان في هامش الإشارات ٣٠ إلى (العذرية ، والعيذر ابن هاروز أو عاذر) .

(٢) ق : (عزيز) وفي المسودة (العزيز) .

اليوم السادس والسبعون

١١٠٥/٣/١٨ هـ = ١٦٩٣/١٠/١٦ م

فلما أصبحنا في[1] يوم الثلاثاء ، وهو اليوم السادس والسبعون ، ثامن عشر شهر[1] ربيع الأول .

ضيافة في مزار داود عليه السلام

ذهبنا إلى ضيافة المولى الهمام عطاء الله أفندي ، المتقدم ذكره في محل زيارة نبي الله داود عليه السلام ، في دير صهيون ، خارج مدينة القدس . فدخلنا إلى موضع المزار ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، ثم صعدنا إلى ذلك القصر الرفيع ، والجناب المحمي المنيع ؛ وجلسنا نتذاكر القصص والأخبار ، ونتوارد اللطائف الأدبية ورقائق الأشعار ، إلى أن صار وقت الظهر ، فقدمت المائدة وأسرعنا في الطهر ؛ ثم دخلنا إلى الحضرة الداودية ، فصلينا هناك بالجماعة صلاة الظهر ، وختمنا بالأدعية السنية ، ثم صعدنا ثانياً إلى القصر ، وجلسنا كذلك إلى أن صلينا بالجماعة صلاة العصر ؛ ثم قُدّمت لنا المائدة ، فشهدنا مواسم حاتم الطائي أو معن بن زائدة ؛ ثم عدنا في العشي إلى مكاننا المذكور .

اليوم السابع والسبعون

١١٠٥/٣/١٩ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٤ م

وبتنا في أكمل صفا وسرور حتى أصبح صباح يوم الأربعاء السابع والسبعين ، وهو اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول .

الرحيل عن القدس

فعزمنا على المسير من البلاد القدسية ، إلى جهة الرملة وغزة المحمية ، فحضر عندنا علماء البلاد ، وأعيان الأكارم والأمجاد ، والطلبة والأفاضل من أهل الوداد ؛ لأجل حصول الوداع ، وأن تقرَّ بالأدعية منا ومنهم القلوب والأسماع ، ثم ساروا معنا إلى الخارج وودعناهم .

(١) ليست اللفظة في ق .

بيت إكسال

وذهبنا في تلك الجبال والأودية بمصاعد ومعارج إلى أن وصلنا إلى قرية بيت إكسال بكسر الهمزة . فزرنا هناك قبر الشيخ شكر ، وعليه حوطة من الأحجار ، فقرأنا الفاتحة . ودعونا الله تعالى بذلة وانكسار ؛ وقرأنا الفاتحة للشيخ إكسال ، وأهدينا[1] إليه ثوابها بصدق الأحوال .

بيت لقيا

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية بيت لقيا — بفتح اللام ، وسكون القاف ، بعدها ياء مثناة تحتية ، وألف — ونزلنا هناك في المنزول المُعَدّ للضيفان ، وقدم لنا ما تيسر من الزاد .

اليوم الثامن والسبعون

١١٠٥/٣/٢٠ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٥ م

وقد بتنا في مسرة وأمان ، حتى أصبحنا في يوم الخميس الثامن والسبعين ، وهو اليوم العشرون من شهر ربيع الأول . فقرأنا الفاتحة وأهدينا ثوابها إلى حضرة الشيخ[1] أحمد [١٢٠/ب] اللقياني نسبة إلى بيت لقيا القرية المذكورة .

بيت سيرا

ثم سرنا على[2] بركة الله تعالى ، فمررنا على قرية بيت سِيرا — بكسر السين المهملة — يقال إنَّ فيها نبيَّ الله سيرا عليه السلام .

الرملة

ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى بلدة الرملة سقيت وابل الغمام . والرملة واحدة الرمل وبها سميت أم حبيبة زوج النبي ﷺ وغيرها كذا في القاموس[3] وفي الصحاح[4]

---

(١) ن : (وأهديناها) .

(١) ليست اللفظة في ق .

(٢) ق : (إلى) وهو تصحيف .

(٣) انظر القاموس (رمل) .

(٤) انظر الصحاح (رمل) ومختاره أيضاً (رمل)

الرمل واحد الرمال . والرملة أخص منه . ورملة مدينة بالشام انتهى . وهي المراد هنا فإنها من جملة أرض الشام .

فنزلنا في دار صديقنا الكامل الفاضل ، مجمع الفضائل والفواضل ، الشيخ أبي الهدى ابن الشيخ محمد ، المتصل نسبة الكريم بالولي المشهور سيدي علي بن عُلَيْل باللام ، أو عُلَيْم بالميم ، المتصل نسبه الشريف بالصحابي الجليل المنيف ، ثاني خلفاء سيد المرسلين ، أبي حفص عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، رضي الله تعالى عنه ، وعن بقية الخلفاء والصحابة والتابعين لهم إلى يوم الدين . فتلقانا بصدره الرحيب ، وعاملنا معاملة المحب للحبيب ، وأنزلنا مع جماعتنا في ذلك القصر الذي يزهو بمكارمه . على سائر القصور ، من غير قصور ، وحصل لنا ولمن معنا بمجالسة أكمل الحضور ، وأتم السرور . واجتمعنا هناك بصديقنا الفاضل الكامل[٥] ، صاحب اللطف الشامل ، الشيخ أمين الدين الخليلي وغيره من الأفاضل والأعيان ، وأهل الصلاح والعرفان ، وجرى بيننا وبينهم بعض المذاكرة العلمية ، وإيراد المسائل والفوائد الفقهية والأدبية ، ثم قلنا من النظام في مدح الرملة على البديهة في ذلك المقام[٦] : [مجزوء الكامل]

وَلَــرُبَّ قَــوْمٍ فاخَــروا　　في مصرَ أَرْضَ القُــدْسِ جُمْلَــهْ
قالــوا كَثيــرُ الرَّمْــلِ في　　مصرٍ بَـــدَا لا تَسْتَقِلَّـــهْ
فَأَجَــبْتُ أَنَّ القُــدْسَ قَــدْ　　فــاقَتْ على مصرٍ بِرَمْلَــهْ

مجموع بخط ابن الجاموس

وقد وقفنا هناك على مجموع لطيف بخط الشيخ حسن بن محمد المعروف بابن الجاموس ، وفيه قال القلقشندي في صبح الأعشى في بيان الإنشا[٧] : في المملكة الشامية عمل الرملة — بفتح الراء المهملة ، وسكون الميم ، وفتح اللام ، وفي آخرها هاء — وهي مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك[٨] في خلافة [٢١/أ] أبيه عبد الملك[٨] قال في الروض المعطار[٩] : وسميت الرملة لغلبة الرمل عليها .

وقال في مسالك الأبصار : سميت بامرأة اسمها رملة ، وقد وجدها سليمان بن عبد

(٥) ق : (الكامل الفاضل) .
(٦) الأبيات في مسوّدة المؤلف ل : ٥٨ .
(٧) انظر صبح الأعشى ٩٩/٤ — ١٠٠ .
(٨ — ٨) ليس ما بين الرقمين في ق .
(٩) الروض المعطار ٢٦٨ .

الملك هناك في بيت شعر ، حين نزل مكانها ، يرتاد بناءها ، فأكرمته وأحسنت نزوله ، فسألها عن اسمها فقالت : رملة فبنى البلد ، وسماها باسمها . وكان عبد الملك قد أجرى إليها قناة ضعيفة للشرب منها وأكثر شربهم الآن من الآبار ، ومن صهاريج يجمع فيها ماء المطر . انتهى .

قلت : وقوله : (بناها سليمان بن عبد الملك) أي : جدَّد بناءها ، وعَمَّر ما خرب منها ، وإلا فهي مدينة قديمة .

قال الحنبلي في تاريخه[10] : (وأما مدينة الرملة ، وهي واسطة بلد فلسطين ، فإنها في أرض سهلة وهي كثيرة الأشجار والنخيل وحولها كثير من المزارع والمغارس) .

ثم قال[11] : (وكانت في الزمن السالف في عهد بني إسرائيل مدينة عظيمة البناء متسعة ، وكان جالوت أحد جبابرة الكنعانيين ، ملكه بجهة فلسطين ونبيّ الله يونس عليه السلام ، أقام بالرملة ثم جاء إلى بيت المقدس بعبد الله تعالى .

سورها وقلعتها

وأما صفة مدينة الرملة قديماً قبل الإسلام وبعده إلى حدود الخمس مئة ، فكان لها سورٌ محيطٌ بها ، وكان فيها قلعة ولها اثنا عشر باباً منها باب القدس ، وباب عسقلان ، وباب يافا ، وباب يازود ، وباب نابلس .

أسواقها ومسجدها

ولها أربعة أسواق ، متصلة من أربعة أبواب إلى مسجدها وجامعها[12] ، وكان لها أربعة آلاف ضيعة ، والسلطان الملك صلاح الدينْ هدم قلعتها ، وهدم مدينة له في شهر رمضان سنة سبع وثمانين وخمس مئة .

وأما في عصرنا فلم يبق أثر لتلك الأوصاف التي بالرملة ، وقد زال سورها وأسواقها القديمة لاستيلاء الفرنج عليها نحو مئة سنة ، ولم يبق من المدينة ثلثها ولا ربعها .

وبني فيها مسجد ومنارة مستجدة من زمن الملك الناصر محمد بن قلاون وبعده . والموجود الآن من الأبنية في المدينة معظمة خراب متهدم ، وقد صار المسجد الجامع القديم بظاهر المدينة جهة الغرب ، وصار حوله مقبرة ، ولم يبق حول المسجد الجامع من الأبنية

(١٠) انظر الأنس الجليل ٦٧/٢ — ٦٨ .

(١١) انظر الأنس الجليل ٦٨/٢ .

(١٢) ت : (مسجدها جامعها) .

القديمة سوى حارة [٢١/ب] من جهة الشمال حكمها حكم القرى ، وأما المدينة فصارت منفصلة عنه انتهى ما ذكره الحنبلي ملخصاً .

قبر الشيخ ريحان

ثم ذهبنا إلى الزيارة ، وذهب معنا الشيخ أبو الهدى المذكور وغيره من الحاضرين ، فمررنا على قبر الشيخ ريحان في داخل قبة ، بناها الشيخ خير الدين المفتي رحمه الله تعالى .

الشيخ عيسى

ثم زرنا الشيخ عيسى من الأولياء الصالحين ، وعليه قبة صغيرة .

الشيخ محمد أبو العون الغزي

ثم زرنا الشيخ محمد أبا العون الغزي ، وهو في مكان مستقل ، عليه قبة لطيفة ، وعلى قبره هيبة وجلالة ووقار ، وفي الخارج على الحائط بلاطة مكتوب عليها : (أمر شريف من السلطان الغوري ، بأنه لا يتعرض أحد لأولاد الشيخ أبي العون ولا لأتباعه وجماعته وخدامه ، وكل من رآهم يكرمهم ويجلّهم ، وإذا احتمى أحد بحماهم فلا أحد يتعرض له) .

وهذا الشيخ أبو العون هو من أجداد الشيخ أبي الهدى المذكور ، ويتصل نسبه بالشيخ علي بن عليم ، وكانت وفاة الشيخ أبي العون في ربيع الآخر سنة عشر وتسع مئة بمدينة الرملة .

جامع الشيخ العُلَيْمي

ثم ذهبنا فزرنا الشيخ محمد العُلَيْمي بالتصغير في جامع هناك له مبارك ، وعليه قبة ، وعنده منارة ، وقد كان انهدم جامعه ، فعمرّه الشيخ محمد والد الشيخ أبي الهدى المذكور ، وعمّر له منبراً للخطبة .

الشيخ محمد الفلاس

ثم ذهبنا فزرنا الشيخ محمد الفلاس في مكان مستقل وعليه قبة .

مزار الفضل بن العباس

ثم ذهبنا فدخلنا إلى مزار الفضل بن العباس أخي عبد الله بن عباس ، عم النبي ﷺ ،

وفيه نورانية ظاهرة وأسرار باهرة ، وعنده جامع فيه خطبة .

وذكر الحنبلي[13] أنه توفي في طاعون عِمَوَاس[14] في سنة ثماني عشرة من الهجرة . وهو في مشهد[15] يقصد للزيارة ، وقد بَنَى عليه الأمير شاهين الكمالي مسجداً جامعاً[16] ، وجعل فيه منارة ، ووقف عليه أماكن ورتَّبَ فيه وظائف ، وكانت عمارته في سنة أربع وخمسين وثمان مئة ، وقد تلاشت أحوال المشهد في عصرنا ، وخرب معظم الوقف . انتهى .

قبة الشيخ زين

وقد زرنا في ذلك المكان مكاناً آخر مستقلاً في قبة صغيرة ، يقال إنه مدفون فيه الشيخ زين ، وهو من الأولياء في طريق الرفاعية ، خرج من الشام على طريق [١٢٢/أ] السيارة لزيارة الأولياء والصالحين ، ثم جاء إلى هذا المكان ومات ودفن فيه .

الجامع الأبيض

ثم ذهبنا إلى الجامع المبارك المسمى بالجامع الأبيض ، وهو جامع كبير متهدم ، شريف الآثار ، تشرق فيه الأنوار ؛ يقال إنّ تحته خالٍ كالمسجد الأقصى ، ويقال إن نبيَّ الله صالح عليه السلام مدفون هناك .

قبر النسائي

وفي شرقيّ المسجد مكانٌ فيه قبر الإمام أبي عبد الرحمن النسائيّ[17] صاحب السنن أحد الكتب الستة . فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

وذكر الحنبلي[18] أن هذا الجامع بناه سليمان بن عبد الملك بن مروان من الخلفاء الأمويين لَما ولي الخلافة في سنة ست وتسعين من الهجرة [الشريفة][19] وهو جامع [متسع][19] مأنوس عليه الهيبة والوقار والنورانية ، ويعرف في عصرنا هذا وقبله

(١٣) انظر الأنس الجليل ٦٩/٢ .

(١٤) الضبط عن معجم البلدان . وله رواية أخرى وهي بفتح أوله وثانيه .

(١٥) ق : (مسجد) .

(١٦) فيما عدا ق : (مسجداً جامعاً) وآثرت رواية ق لموافقتها ما في الأنس الجليل

(١٧) اسمه أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني النسائيّ . ولد بنَسَا سنة ٢١٥ وتوفي بفلسطين سنة ٣٠٣ وانظر الأنساب ٥٥٩ أ ، والمنتظم ١٣١/٦ — ١٣٢ ، ووفيات الأعيان ٧٧/١ — ٧٨ وتهذيب التهذيب ٣٦/١ — ٣٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٢٥/١٤ — ١٣٥ .

(١٨) الأنس الجليل ٦٩/٢ .

(١٩) عن الأنس الجليل .

بالجامع الأبيض ، وفي صحنه السماوي مغارة تحت الأرض مهيبة يقال إنه دفن فيها سيدنا صالح النبي عليه السلام ثم جُدِّدَتْ عمارة الجامع الأبيض في زمن الملك صلاح الدين على يد رجل من دولته اسمه الياس بن عبد الله في سنة ست وثمانين [٢٠]وخمس مئة ، ثم لما فتح الملك الظاهر بيبرس يافا ، وذلك في سنة ست وستين[٢٠] وست مئة عمَّر القبة التي على المحراب ، وعمرَّ المنارة بدل تلك المنارة التي كانت وتهدمت انتهى[٢١] .

قبر خير الدين الرملي

ثم خرجنا وجئنا إلى مكان[٢٠] قبر الشيخ الإمام قدوة فقهاء الإسلام خير الدين الرملي[٢٢] ، رحمه الله تعالى ، وهو في داخل جنينة لطيفة ، وعليه قبة منيفة ، وقد أخبرونا أنه هو الذي عمرَّ مزاره هذا في حياته ، ثم دفن فيه بعد وفاته ، وكانت وفاته في سنة إحدى وثمانين وألف .

شعر للصفدي والنابلسي

وقد وقفنا على تاريخ موته لصديقنا المرحوم الفاضل الكامل الشيخ أحمد الصفدي[٢٣] وذلك قوله[٢٤] : [من السريع]

إنْ لم تَـذُبْ بالدَّمْـع أَجفانـا ... مـا أَرْأَفَ الأعـدا وأَجْفانـا
وَالقَلْبُ إنْ جدنا به جَزَعـاً ... يَـوْمَ النَّـوى مـا كانَ أَوْلانـا
أَوَّاهُ أَطْـلالُ العُلـومِ عَـفَتْ ... وَأَوْحَشَ الأُنْسَ الـذي كانـا
وَروحُ فَتْوَى الـعَصْرِ عاطِلَـةٌ ... قَدْ أَصْبَحَتْ تَحتاجُ جُثْمانا
مِـن بَعْـدِ مـا كانت مُنَظَّمَـةً ... أَجْيادَهـا دُرّاً ومرجانـا
[١٢٢/ب] سَأَلْتُ هل شَمْسُ العُلا أَفَلَتْ ... أَمْ حَيْنُ خيرِ الدِّيـن قَدْ جانـا
فقـالَ عِلْـمُ الفِقْـهِ لي أَرِّخ ... مـاتَ أَبـو حَنيفـةَ الآنـا[٢٤] سنة ١٠٨١

(٢٠ — ٢٠) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٢١) ينقل النابلسي عن الحنبلي بتصرف فيختصر حيناً ويحذف حيناً آخر ، ويهمل بعض الألفاظ ، ويضيف غيرها .

(٢٢) اسمه خير الدين بن أحمد بن علي الأيوبي العليمي الفاروقي الرَّمْلي . ولد في الرملة سنة ٩٩٣ هـ وفيها توفي . له الفتاوي الخيرية مطبوعة في مجلدين وديوان شعر مخطوط على حد قول الزركلي وانظر ترجمته في خلاصة الأثر ١٣٤/٢ ، الأعلام ٣٧٤/٢ — ٣٧٥ ، ومعجم المؤلفين ١٣٢/٤ .

(٢٣) تقدمت ترجمته في هذا الجزء .

(٢٤) حسابها على النحو التالي :

مات أبو حنيفة الآنا

٤٤١ + ٩ + ٥٤٨ + ٨٣ = ١٠٨١ هـ

وقلا نحن في وقت زيارتنا القبر الشريف ، وتمتعنا بإشراق نورانية ذلك المزار اللطيف[٢٥] : [من الكامل]

إنْ رُمْتَ أنْ تَحظَى بخيرِ الدّينِ ... فَاقصِدْ لقبرِ الشَّيخِ خَيرِ الدّينِ
وادْخُلْ هُناكَ إلى مَزارٍ مُشْرِقٍ ... بمعالمِ التَّحقيقِ والتَبيينِ
شَيْخِ الشُّيوخِ وَمَنْ سَما بُعلومِهِ ... ما بينَ أهْلِ الفَضْلِ بالتّعيينِ
قَدْ كانَ في فَقْهِ الشَّريعةِ كاملاً ... تَعْنو إلَيْهِ أشِمَّةُ العِرْنين
وَهُوَ الَّذي في مَذْهَبِ النّعمانِ لا ... تَلْقى لَهُ مَثَلاً أجَلَّ أمينِ
طَوْدٌ من الحِلْمِ الرَّفيعِ جَنابه ... بالعِزِّ والإيقانِ والتَّمكينِ
رَحِمَ المُهَيْمِنُ رُوحَهُ من ماجِدٍ ... كالشَّمْسِ يُشْرِقُ نُورُه في الحينِ
وَحَباهُ في الفِرْدَوسِ أرْفَعَ مَنْزِلٍ ... ما بينَ ولدان وحورٍ عِينِ
ما جاءَهُ عَبْدُ الغَنيّ مُتَمَسّكاً ... مِنْهُ بحبلٍ في الوداد متينِ
يَرْجُو بزَوْرَتِهِ القَبولَ وَمَا شَدَتْ ... ورقُ الحمامِ بأطيبِ التَّلْحينِ

وقد اتفق أننا لما دخلنا إلى مزاره المذكور ، وجدنا على قبره شيئاً من البلح الأصفر الحلو ، فقلنا للجماعة : هذه ضيافتنا من هذا الشيخ المزور ، عليه رحمة الرب الغفور .

قبة حليمة السعدية

ثم خرجنا وزرنا هناك في قبة صغيرة قبرَ حليمةَ مرضعةَ النبيّ ﷺ على ما يقال ، والله أعلم بحقيقة الحال ، وقال بعضهم إنها حليمة اسم امرأة من الصالحات .

الولي عبد الله البطايحي

ثم زرنا الشيخ الولي عبد الله البطايحي ، رحمه الله تعالى ، وذكروا لنا أنَّ الدعاءَ عند قبره مستجاب .

نسبة وشعر

ثم رجعنا إلى المنزل ، وما نحن عن المسرة والحضور بمعزل ؛ فعرض علينا الشيخ أبو الهدى المذكور نسبته إلى الشيخ علي بن عُلَيْم فوجدناها نسبة شريفة ، عليها خطوط العلماء والأولياء والصلحاء ، ذووي الأقدار المنيفة ، ومن جملة من كتب عليها الحافظ ابن حجر

(٢٥) الابيات في المسودة ل : ٥٩ .

العسقلاني[٢٦] ، والشيخ محمد الرملي[٢٧] ، والشيخ نجم الدين الغَيْطي[٢٨] ، وأمثالهم وطلب منا الكتابة على ذلك ، فكتبنا هذا النظم على البديهة سلوكاً في هاتيك المسالك [٢٩]وهو موقد لنا[٢٩] وهو قولنا[٣٠] : [من الرمل]

قَدْ تَشَرَّفْنا بِهذا النَّسَبِ ... فَرَأَيْناهُ طِرازَ الذَّهَبِ
وَعَلَيْنا اللهُ قَدْ مَنَّ بِما ... مَنَّ مِن إشْراقِ تِلكَ الرُّتَبِ
وَبَدَتْ أَسْرارُهُ ما بَيْنَنا[٣١] ... فَهْيَ تَحكي نَيِّراتِ الشُّهُبِ
نِسْبَةٌ لابنِ عُلَيْمٍ ظَهَرَتْ ... بَيْنَ شَرْقٍ في الوَرَى والمَغْرِبِ
فَتَراها بِأَبي حَفْصٍ سَمَتْ ... عُمَرَ الفَارُوقِ زاكي الحَسَبِ
شَهِدَ القَوْمُ بِها في مَلَأٍ ... خَيْرِ مَوْلُودٍ لَهُ خَيْرُ أَبِ
وَذَوُو العِلْمِ عَلَيْها كَتَبُوا ... برقومٍ هي أَقْوَى السَّبَبِ
فَتَشَرَّفْتُ بِها ثُمَّ عَلَى ... مَشْيِهِمْ لي ثَمَّ مَشْيَ الخَبَبِ
وَتَبَرَّكْتُ بِما قَدْ جَمَعَتْ ... من جُدودٍ هُمْ رجالُ الأَدَبِ
أرتجي النَّفْحَةَ مِن أَسْرارِهِم ... وقَبولاً هُوَ أَسْنَى الطَّلَبِ
وَأَنا عَبْدُ الغَنِيِّ وإلَى ... نابُلُسَ[٣٢] نِسْبَتي لَمْ تَخِبِ
عامَ خَمْسٍ بعد[٣٣] أَلْفٍ معها ... مِئَةٌ أَرَّخت ما قَرَّر لي
حامِداً للهِ رَبِّي شاكِراً ... مُثْنِياً خَيْراً على خَيْرِ نبي
بِصَلاةٍ وَسلامٍ أَبَداً ... ما شَدا الطير بِأَعلى القُضُبِ
أَوْ هَفا البَرْقُ بِأَكْنافِ الحِمَى ... فَانْثَنى الصَّبُّ بِخَمْرِ الطَّرَبِ

(٢٦) اسمه أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني . توفي سنة ٨٥٢ هـ ، وانظر الضوء اللامع ٣٦/٢ ، والبدر الطالع ٨٧/١ ، والأعلام ١٧٣/١ — ١٧٤ وكحالة ٢٠/٢ .

(٢٧) هو محمد بن أحمد بن حمزة شمس الدين الرملي ونسبته إلى رملة المنوفية بمصر توفي سنة ١٠٠٤ هـ وانظر خلاصة الأثر ٣٤٢/٣ ، والأعلام ٢٣٥/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٥٥/٨ — ٢٥٦ .

(٢٨) اسمه محمد بن أحمد بن علي السكندري الغَيْطي الشافعي أبو المواهب نجم الدين توفي سنة ٩١٠ هـ ، الكواكب السائرة ٥١/٣ — ٥٣ ، والأعلام ٢٣٤/٦ ، ومعجم المؤلفين ٢٩٣/٨ .

(٢٩ — ٢٩) ليس ما بين الرقمين في ق ، مط .

(٣٠) الأبيات في المسوّدة ل : ٥٩ .

(٣١) ق : (فيما بيننا) ولا يستوي الوزن بها .

(٣٢) ق : (نابلس) .

(٣٣) في جميع الأصول ومط : (مع) وما هنا عن مسودة المؤلف .

شعر في الرملة

ثم إنه حضر عندنا في تلك الليلة(٣٤) من أفاضل البلاد جملة ، يتواردون على مناهل الأدب مثنى وآحاد، حتى قالوا : لم نسمع في مدح الرملة غير بيت أبي الطيب المتنبي وهو قوله : [من البسيط]

إذا السَّحابُ زَفَّتْه(٣٥) الرِّيحُ مُنْهَمِلاً   فَلَا عَدا الرَّمْلَةَ البَيْضاء مِن بلَدِ

ثم طلبوا منا أن نزيد على البيت تذييلاً ، ونضمنه فيما هو ألطف إشارة وأحسن قيلاً ؛ فقلنا على البديهة في ذلك الحين بطريق التضمين(٣٦) : [من البسيط]

عَرِّجْ عَلَى الرَّمْلَةِ البَيْضَاءِ بالرَّغَدِ
يا أَخْضَرَ العَيْشِ وَاصْبِر ثَمَّ وَاتَّئِدِ
وَأَنْتَ يا حَظُّ كُنْ طِبْقَ المُرادِ لمن
هُناكَ مِن والِدٍ سامٍ ومن وَلَدِ
وَانْشُرْ ضِياءَكَ يا بَدْرَ الكَمالِ عَلَى
سَماءِ تِلْكَ النَّواحي الغُرِّ واتَّقِدِ
فَإِنَّ لي جِيرَةً فيها لهم شَرَفٌ
وَلَمْ أَزَلْ مِن عُلاهُمْ واصِلَ المَدَدِ
قَوْمٌ كِرامٌ شَهِدْنا مِنْ مَآثِرِهِمْ
عَلَى ضَرائِحِهِمْ عِزّاً إلى الأَبَدِ
لمّا أَتَيْناهُمْ نَبْغي زيارَتَهُمْ
وَنَرْتَجي من هُدَاهُمْ عالِيَ السَّنَدِ
أَرْواحُهُمْ مُشْرِقاتٌ في مقابِرِهِمْ
وَطالَما أَشْرَقَتْ منهم على الجَسَدِ
[١٢٣/ب] قَوْمٌ كِرامٌ لَهُمْ فيما يَرَوْنَ يَدٌ
مِن المَعارِفِ تَعْلُو فَوْقَ كُلِّ يَدِ
فَإِنَّهُمْ أَوْلياءُ اللهِ قَدْ ظَهَرَتْ
أَسْرارُهُمْ كَشُمُوسِ الأُفْقِ بالرَّصَدِ

---

(٣٤) في ق : (الساعة) .

(٣٥) في المسودة (زفتها الريح مرتفعاً) .

(٣٦) الأبيات في المسودة ل : ٥٩ — ٦٠ .

وَالسَّعْـدُ ساعَدَهُـمْ في كُـلِّ مـا طَلَبـوا
مـن الإلٰـهِ وَلَـمْ يَلْـوُوا عَلـى أَحَـدِ

مـا بَيْـنَ صَحْبٍ كِـرامٍ للنَّبـيِّ سَمَـوْا
وَأَوْليــاءَ بِأَكْفــانٍ لَهُــم جُــدُدِ

وَصالحين كبــارِ القَــدْرِ قَــدْ ظَهَــرُوا
قــامَتْ عَلَيْهُـمْ خِيـامُ الـفَضْلِ كالعُمُـدِ

بِهِــمْ فِلَسْطيــنُ في عِــزٍّ بِرَمْلَتِهــا
إن رمتــه في سواهــا لم تكــد تجد

وَمِنْهُــمُ ابــنُ عُلَيْــمٍ مــن بِنِسْبَتِــهِ
أَبُـو الهُـدَى الشَّهْـمُ محفـوظ بـلا أَمـد

حــاوي الفَخــارِ بِأَجْـدادٍ لـه سَلَفـوا
يَصولُ بَيْــن البَرايــا صَوْلَــةَ الأَسَدِ

فَيــا لَهَــا نِسْبَــةً غَــرَّاءَ واضِحَــةً
مــن لم يردهــا إلى العَلْيــاءِ لَــمْ تَـرِدِ

جِئْنــا إلى حَيِّــهِ نَبْغــي زيارَتَــهُ
وَقَـدْ خَلَعْنـا ثِيـابَ الهَـمِّ والنَّكِـدِ

وَقَـدَ بَـدَتْ بَـرَكاتٌ منـه تَشْمَلُنـا
بِسِرِّ أَسْلافِـهِ تُنجِـي مــن الكمَــدِ

فيــا رَعَـى اللهُ ذاكَ الحَيَّ مــن أُفُــقٍ
أَقْمـارُهُ لَـمْ تَـدَعْ لـلصَّبِّ مـن جَلَـدِ

يَقــولُ مَــنْ قَــدْ رآهُ بَـيْتَ ذي أَدَبٍ
دَعَتْــهُ بالمُتَنَبِّــي عُصْبَــةُ الــحَسَدِ

(إذَا السَّحــابُ زَفَتْــهُ الرّيــحُ مُنْهَمِـلاً
فـلاَ عـدا الرَّمْلَـةَ البَـيْضَاءَ مِـنْ بَلَـدِ)

اليوم التاسع والسبعون

١١٠٥/٣/٢١ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٦ م

ثم أصبحنا في صباح يوم الجمعة التاسع والسبعين ، وهو اليوم الواحد والعشرون من شهر ربيع الأول . فحضر عندنا الفاضل الكامل الشيخ أمين الدين المذكور ، والسيد خليل ، والشيخ خليل ، وولده الفاضل الشيخ أحمد ، وغيرهم من أهل الرملة .

مجلس علم وإجازة

وقرأ عندنا الشيخ أبو الهدى المذكور حديث (إنَّما الأَعمالُ بالنِّيّاتِ) فتكلمنا لهم عليه بمقتضى فتوح الوقت ، من معاني الحضور ، وأحكام المطلوب والمحظور ؛ وطلبوا منا الإجازة في رواية الحديث ، ومالنا روايته من قديم وحديث ؛ فتلفظنا بذلك عند ختم المجلس ، ثم كتبنا لهم ما تيسر من الأسانيد على حسب طريقنا المتأسس[1] ؛ ثم حضر وقت صلاة الجمعة فذهبنا مع الجماعة إلى الجامع الكبير ، وصلينا هناك مع الجم الغفير ، وكان الخطيب هو الشاب الفاضل الشيخ محمد أخو الشيخ أبي الهدى المذكور ؛ فتح الله عليهما[2] فتوح العارفين أهل النور .

سؤال في الطلاق وجوابه

ثم عدنا إلى منزلنا المعهود ، فعرض علينا هذا السؤال رجل جاء به وهو عنده مقصود ، وصورته[3] :

ما [١٢٤/أ] قول شيخ الإسلام ، عفا عنه الملك العلام ، في رجل ضرب زوجته ، فاحتمت برجل أجنبي ، فقال زوجها لذلك الرجل : إن كان لك غرضٌ فامرأتي طالق ، ثلاثاً . فقال الرجل : لا غرضَ لي في ذلك . فهل لا يقع الطلاق لكونه علَّقه على شرط لم يوجد [ذلك الشرط][4] والحالة ما ذكر أم لا ؟

وطلب منا الكتابة على ذلك . فكتبنا أنَّه لا لا يقع الطلاق المذكور ، لأنه علَّقه على شرط لا يُعلم إلا منه ، وقد أخبر ذلك الرجل بعدم الشرط ، فصدق في عدم وجوده ، فلا يقع الطلاق المذكور . كتبه الفقير عبد الغني بن النابلسي الحنفي عفي عنه .

(١) ن : (المؤسس) .
(٢) مظ : (عليه) .
(٣) السؤال في المسوّدة ل : ٦٠ .
(٤) المستدرك عن المسوّدة .
(٥) ليست اللفظة في مط .

والأصل في هذا الذي ذكرناه ما نقل في الفتاوي الظهيرية في نوع تعليق الطلاق بالمشيئة ، إذا قال لامرأته أنت طالق ، إذا شاء فلان ، أو إن أحب فلان[٥] ، أو إن رضي فلان[٦] ، أو إن هوي فلان[٦] ، أو إن أراد فلان[٦] ، فبلغ ذلك فلاناً ، فله مجلس علمه ثم قال .

والحاصلُ أنَّ تعليقَ الزوج طلاقَ المرأةِ بصفة من صفات قلب غيره تفويض وتمليك[٧] معنى فيقتصر على المجلس وتعليقه طلاقها بصفة من صفات قلب نفسه ليس بتفويض وتمليك[٧] بوجه من الوجوه ولو قال لها أنت طالق إن لم يشأ فلان ، فقال فلان في المجلس : لا أشاء ، طلقت ، وتمامه هناك . والمسألة في المتون والشروح ، بما تنبسط له القلوب وتنسر[٨] الروح .

ضيافة ومسائل علمية

ثم ذهبنا إلى ضيافة صديقنا الشيخ أمين الدين المذكور ، فدخلنا إلى داره الواسعة البركات التي هي أشرف الدور ؛ وقد حضرت الأفاضل والأعيان ، وحصل البحث في المسائل العلمية والفوائد الفقهية والأبياتِ الشعرية الحسان ؛ إلى أن أبدى كل منهم[٩] فرائده ، ثم بسط البساط بالانبساط ، ومُدَّتْ المائدة ، وجاؤوا بماء[١٠] الورد[١٠] والبخور .

---

(٦) ليست في ق ، مط .

(٧ — ٧) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٨) ن : (وتنشرح) .

(٩) ق : (كل واحد منهم) .

(١٠) ق : (بالورد) .

اليوم الثمانون

١١٠٥/٣/٢٢ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٧ م

ثم عدنا إلى مكاننا ، وبتنا في أتم سرور ، حتى طلع فجر يوم السبت ، وهو اليوم الثمانون ، الثاني والعشرون من شهر ربيع الأول ، سرنا من الرملة ، عازمين على زيارة الولي الجامع[1] ، والسر الإلهي اللامع[1] ؛ الشيخ علي بن عليم قدس الله سره[2] .

قال الحنبلي في تاريخه[3] هو علي بن عليل بن محمد بن يوسف بن يعقوب بن عبد الرحمن بن السيد الجليل[4] [١٢٤/ب] الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب خليفة رسول الله ﷺ . وضريح علي بن عليل رضي الله عنه بشاطىء البحر المالح بساحل أرْسُوف[5] ، وعليه مشهد عظيم مأنوس له منارة مرتفعة وأهل تلك النواحي بأسرها في خَضَرةٍ[6] وبركة سره . ومن مناقبه أن الفرنج يعتقدون فيه ، ويعترفون بصلاحه . وقد أُخبرتُ أن الفرنج إذا أقبلوا على ضريحه ، وهم في البحر كشفوا رؤوسهم ونكسوها نحوه ، رضي الله عنه ، وكانت وفاته في يوم السبت لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وأربع مائة .

ولما نزل الظاهر بيبرس لفتح يافا وأرسوف زاره ، ونذر النذور والأوقاف ، ودعا الله تعالى عند قبره بفتح البلاد ، وفي كل سنة له موسم في زمن الصيف ، يقصده الناس من البلاد البعيدة والقريبة ، وينفقون الأموال الجزيلة ، ويقرؤون عند قبره الورد[7] الشريف .

وفي عصرنا ولي عليه النظر سيدنا وشيخنا ولي الله تعالى[8] قدوة العباد ، والزهاد ، الشيخ شمس الدين أبو العون محمد الغزي القادري الشافعي ، رحمه الله تعالى ، فعمر المشهد وأقام نظامه وشعائره . وصنع فيه آثاراً حسنة منها : الرخام المركب على الضريح عمله في سنة ست وثمانين وثمان مئة . وكان قبله مجعولاً من خشب وحفر البئر الذي

(١ — ١) ليس ما بين الرقمين في ن .

(٢) ن : (سره العزيز) .

(٣) انظر الأنس الجليل ٧٢/٢ .

(٤) ن : (جليل) .

(٥) أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قَيْسارية ويافا . كان بها خلق من المرابطين . (معجم البلدان : أرسوف) .

(٦) في الأنس : (في حفظه) .

(٧) في الأنس (المولد) .

بصحن المسجد حتى وصل إلى الماء المعين ، ثم عمر برجاً على ظهر الإيوان من جهة الغرب للجهاد في سبيل الله تعالى(8) ووضع فيه آلات الحرب لقتال الفرنج . وكانت عمارته بعد السبعين(9) والثمان مئة . انتهى .

وسار معنا صديقنا الشيخ أمين الدين المذكور ، والشيخ أبو الهدى المتصل النسب بهذا المزور وهو خادم تلك الحضرة ، ونفحة طيب هذه الزهرة ، وغيرها من الإخوان والأصحاب والأصدقاء والأحباب .

قبر الشيخ أحمد القبي

فمررنا في الطريق على قبر الشيخ أحمد القُبّي بضم القاف ، وبعضهم يكسرها ، وبتشديد الباء الموحدة ، فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى .

بلدة اللُّد

ثم سرنا(10) حتى وصلنا إلى بلدة اللد بضم اللام وبالدال المهملة المشددة .

حديث الدجال

وقد روي في الحديث (11)عن النبي ﷺ أنه(11) ذكر الدجال [١٢٥/أ] فقال يقتله عيسى بن مريم بباب لُدٍ .

ففي هذا الحديث فضيلة لأهل تلك الأرض المقدسة ، لأنهم يقاتلون الأعور الدجال مع نبي الله عيسى عليه السلام .

وكانت لد في الزمن السالف مدينة ، وكانت تنزل بها القافلة الواصلة من مصر إلى الشام ، وصارت الآن قرية كبقية القرى ولكنها حسنة المنظر وظاهرها بهج ذكره الحنبلي(12) .

قبر عبد الرحمن بن عوف الصحابي

وقد زرنا بها عبد الرحمن بن عوف(13) ، رضي الله عنه ، الصحابي المشهور ، في

(8) ليست اللفظة في ق ، ط .

(9) في الأنس (التسعين) .

(10) فوق اللفظة في ق : (على بركته تعالى) .

(11 — 11) مكان الرقمين في ق : (أنه صلى الله عليه وسلم) .

(12) انظر الأنس الجليل ٧١/٢ .

داخل مكان هناك قديم بناؤه ، متهدّم آثاره واعتلاؤه . وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بأنواع الأدعية الصالحة .

قال الحنبلي[١٤] : وبظاهر لُدّ من جهة الشرق مشهدٌ[١٥] يقال : إن به قبر أبي عبد الله عبد الرحمن بن عوف الصحابي ، رضي الله عنه ، ووفاته في سنة اثنتين وثلاثين ، وإنما توفي بالمدينة . وقبره في البقيع انتهى .

وهو أحد العشرة[١٦] المبشرين بالجنة .

وجزم النووي في تهذيب الأسماء واللغات[١٧] أن قبره في البقيع وهو المعروف لا غير .

وقلنا في ذلك على حسب ما هنالك : [من الخفيف]

قدْ مررْنا بالحيِّ من أرضِ لُدِّ   فانعشي يا زيارتي لي ولُدّي[١٨]
منْ فلسْطين قُرْب رمْلة قُدْسٍ   بلدةٌ أهْلُها لهمْ صدْقُ وُدِّ
وقُبوراً هُناك زُرْنا لقوْمٍ   من صحاب النَّبيِّ أرْباب رُشْد
قبر عبْد الرَّحْمن منْ بابن عوْفٍ   قدْ دُعي قيل إنَّهُ ضمْنُ لحْد
ثُمَّ قبر المقْداد أشْرف شهْمٍ   خصَّهُ اللهُ في الأنام بمجْد
وبواقي أماكنٍ وجهاتٍ   تجْمعُ الصَّالحين من أهْل وجْد
بلدٌ صالحٌ وأسْرارُ حقٍّ   ظاهراتٌ ما إنْ تُعدُّ بعدِّ
وأراضي لطيفةٌ مُستنيرٌ   جوُّها للتُّقى وللخيْر تهْدي
فعلى أهْلها السَّلامُ كثيراً   ما تبدَّى برْقُ الغُويْر[١٩] ونجْد

(١٣) ترجمته في التاريخ الكبير ٢٤٠/٥ ، والجرح والتعديل ٢٤٧/٥ ، وحلية الأولياء ٩٨/١ - ١٠٠ ، والاستيعاب ٦٨/٦ - ٨٤ ، وأسد الغابة ٤٨٠/٣ - ٤٨٥ ، وتهذيب الأسماء واللغات ٣٠٠/١ - ٣٠٢ ، وتهذيب التهذيب ٢٤٤/٦ ، والإصابة ٣١١/٦ - ٣١٣ ، وسير أعلام النبلاء ٦٨/١ - ٩٢ .

(١٤) انظر الأنس الجليل ٧١/٢ .

(١٥) في ق : (مسجد) .

(١٦) وهم : الخلفاء الراشدون الأربعة ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعيد بن زيد . وانظر سير أعلام النبلاء ٥/١ - ١٤٤ .

(١٧) انظر تهذيب الأسماء واللغات ٣٠٢/١ .

(١٨) من قولهم لدّه اللدود - كنصر - إذا سقاه الدواء في أحد شقي الفم . انظر القاموس (ل.د) وأساس البلاغة (لد) .

(١٩) الغُوير : قال أبو عبيد السكوني : الغوير ماء بين العقبة والقاع في طريق مكة معجم البلدان . ولعله قصد هنا مكة بدلالها أو الأراضي المقدسة . وكذا قصد بنجد .

نهر العوجا

ثم لم نزل سائرين إلى أن نزلنا في مكان هناك تحت الأشجار ، وأكلنا نحن والإخوان ما تيسر من الزاد وكان ابتداء النهار ، ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى الطواحين والنهر المسمى بنهر العوجا ، وكان الربيع هناك مقبلاً في غير أوانه فوجاً فوجا ، ولله درُّ الشاعر ابن نباتة حيث قال في هذا المقام مُعَرِّضاً بنهر العوجا[21] هذا ، ونهر الأعوج[20] عندنا في بعض قرى دمشق الشام[22] : [من الطويل]

وَهُنِّيتُـــمُ[23] في أَرْضٍ جِلَّـــقَ مَنْهــــلاً
زُلَالاً عَلَيْــــه للثُلُــــوجِ مُعَـــــرَّجُ

[١٢٥/ب] وَإِنْ قُلْتُـــمُ إنَّ المناهـــلَ كُلَّهـــــا
سواءٌ فهٰـذا القَـــوْلُ بالـغِشِّ يُمْـــزَجُ

وَمـــا[24] كُـــلُّ هَيْفـــاءٍ لها الأَخُ أَهْيَـــفٌ
وَلَا كُـــلُّ عَوْجـــاءٍ لَهَـــا الأَخُّ أَعْـــوَجُ

عجائب نهر الأعوج

ومن عجائب نهر الأعوج عندنا في أراضي دمشق الشام ، بأراضي القرى التي يمرّ فيها أَنَّ سيرَهُ متعوّج في الأرض ، يذهب شمالاً ثم يذهب يميناً ، ثم يذهب شرقاً ، ثم غرباً . والسواقي الجارية منه رأيناها تذهب كذلك في الأرض ، ثم تنحرف ، وترجع في طريق آخر إلى قرب مبدئها ، ثم تعود في ممر آخر ، ولم ندر أن سبب ذلك الاعوجاج في طبع الماء ، أو في طبع الأرض ، لأنها هشَّةٌ رخوة ، وقلنا في نحو ذلك ، نشير إلى النهرين وما هنالك : [من السريع]

هٰـــذا زَمـــانٌ أَهْلُـــه غالبـــاً ... تَعَوَّجـوا عَــنْ واضحِ المَنْهَــجِ
حَتَّـى مِــن الأنهـارِ عَوْجـاء في ... أرضِ فِلَسْطِيـــنَ لَمُسْتَنْهَـــجِ
والشَّامُ في قِبْلَتِهــــا أَعْــــوجٌ ... نَهْـرٌ جَـرَى مُسْتَعـذَبُ المَخْـرَجِ
يـــا أَيُّهـــا الأَقْـــوامُ قُومـــوا بنـــا ... نُـــزوِّجُ العَوْجـــاءَ للأَعْـــوَجِ

(٢٠) هو من أنهار سورية ينبع من جبل الشيخ ويتجه شرقاً فيمر بالكسوة لينتهي في الغوطة .

(٢١) قال ياقوت (العَوْجاء : نهر بين أرسوف والرملة من أرض فلسطين من السواحل) معجم البلدان .

(٢٢) الأبيات في هامش المسودة ل : ٦١ .

(٢٣) في المسودة : (فهنّيتم) .

(٢٤) ق ، مط والمسودة : (فما) .

وقلنا كذلك موالياً :

متى تكون استقامت نفسك العوجا — وإن من بعض أسماء النساء العوجا
حتى الفواكه يرى من بعضها العوجا — والأعوج النهر لا تنساه[٢٥] والعوجا

نهر العوجاء

وذكر القلقشندي في صبح الأعشى[٢٦] ، قال : نهر العَوْجَاء — بفتح العين المهملة ، وسكون الواو ، وفتح الجيم ، بعدها ألف : ويسمى نهر أبي فُطْرُس بضم الفاء ، والطاء والراء والسين المهملات : وهو نهر شمالي مدينة الرملة من فلسطين ، ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام ، مقابلَ قلعةٍ خرابٍ هناك تُسمّى مجدل اليابا ، ويجري هذا النهر من الشرق إلى الغرب ، ومن منبعه إلى مصبه ، دون مسافة يوم .

قال في العزيزي : وما التقى عليه جيشان إلّا غَلَبَ الغربيُّ ، وانهزم الشرقيُّ انتهى .

وقد نزلنا هناك على حافَّةِ نهر العوجا مع بقية الإخوان ، وأكلنا ما تيسر معنا من الزاد ولنا الأرض خِوان .

مقام علي بن عليم

ثم لم نزل سائرين إلى أن أشرفنا على مقام سيدي الشيخ علي بن عليم قدس الله سره ، فدخلنا إلى مكان[٢٧] المبارك ، وهو ساحة واسعة تحيط بها جدران أربع ، ولها [١٢٦/أ] باب مُقْفَلٌ في غير أيام الزوار . فلما جئنا فُتح لنا البابُ ، وأشرقت الأنوار ، فدخلنا بسم[٢٨] الله ، وإذا بالقبر الشريف مبنيٌّ بالرخام ، وحوله تأزير منيف ، في جانب من تلك الساحة السماوية ، وفي قبلتها عقد من القبو غرباً بشرق ، فيه المحراب المملوء بالأسرار الخفية والجلية . فوقفنا قبالة القبر ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى . فشممنا للقبول رائحة فائحة .

وكان من جملة دعائنا لولدنا إسماعيل الذي فارقناه من صيدا ، ورجع إلى دمشق الشام لأجل خاطر والدته والاجتماع بها ، لتحصيل البر التام ، بأن الله تعالى يحرك خاطره للرجوع إلينا ، وإدراك فرض الحج الشريف معنا ولدينا ، فكان ذلك اليوم بعينه هو[٢٩] يوم

(٢٥) ق : (لا تنساه) .
(٢٦) انظر صحيح الأعشى ٨١/٤ — ٨٢ .
(٢٧) في ق : (مقامه) .
(٢٨) ت : (بيسم) .
(٢٩) ليس في ق .

خروجه من دمشق الشام ، وتوجهه إلى جهتنا كما أخبرنا هو بذلك عند اجتماعنا به بعد ذلك بأيام .

وكان من دعائنا أشياء أُخر وجدناها متيسرة بإذن الله تعالى من غير تأخير ، والله على كل شيء قدير .

وقد وجد بعض أصحابنا على قبر الشيخ علي بن عليم قدس الله سره ورقة مكتوب فيها : مرحباً بكم وأهلاً وسهلاً أنجح الله تعالى مقاصدكم ، وقضى حوائجكم ، وحملكم بالسلامة ، في السفر والإقامة . وكلام آخر . والورقة[٣٠] أخذها الشيخ أمين الدين الخليلي[٢٩] حفظه الله تعالى[٢٩] ، وقرأها علينا ، وهذا ما حفظناه منها ، والله أعلم بحقائق الأحوال .

وذلك المزار بعيد عن العمران ، منفرد في ساحل البحر وليس يوجد هناك أحد من النساء والرجال ، ونحن جئناه على غفلة ، وطرقنا تلك الأماكن في وهلة ؛ ومما يدل على بعد العهد بالزوار ، أنّا[٣١] وجدنا الصندوق الذي عند رأس الشيخ لوضع النُّذرِ ممن يرد على تلك الديار ، قد دخل من ثقبه النحل ، وعمل فيه أقراص العسل ، فقلنا[٣٢] لهم : هذا إكرام لنا بالفعل أيضاً بعد[٣٣] القول من إشارة الشيخ ، حتى قوي النشاط وزال الكسل ، وقد أكلنا من ذلك الشهد فحصلت لنا البركة وزال الجهد .

وقد جلسنا هناك بعد أداء ركعتين في المحراب للتحية ، وشرعنا في نظم هذه الأبيات على البديهة وإملائها للكاتب بهمة علية ، وهي قولنا[٣٤] : [١٢٦/ب] (من الطويل)

سَقَى ابنَ عُلَيْلٍ من شَرابِ الرِّضا ساقي
فَزَوْرَتُــــهُ شَدَّتْ لِنَيْـــلِ المُنَـــي ساقي

وَأَورثَتِ[٣٥] الإِقْبـــالَ في دَوْلَـــةِ الهَنـــا
وكانَ بها اللهُ الكَرِيـــــمُ لَنــــا واقي

سَرَيْنـــا إِلَيْـــه والصَّبـــاحُ كَأَنَّـــهُ
عَلَى رَوْضَةِ الجَوّ المُضي ماء رَقْـراقِ

---

(٣٠) ن : (آخر الورقة) .

(٣١) ن : (أن وجدنا) .

(٣٢) ن : (فقلت) .

(٣٣) ق : (إلينا بعد) ، ن : (بعد هذا) .

(٣٤) الأبيات في المسودة ل : ٦١ — ٦٢ .

(٣٥) ق : (وأورثنا) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وللأرض أثوابٌ من النَّبْتِ دُبِّجَتْ
بألوانِ زَهْرٍ مُشْرِق أيّ إشراقِ[٣٦]

وَنَهْرٌ لَطيفُ الماءِ يدفقُ في الرُّبا
فَلِلّهِ من نَهْرٍ هنالك دَفّاقِ

جَلَسْنا عَلَى الشّاطي الّذي امْتَدَّ أخْضَراً
كَمِثْلِ لِواءٍ في هَوَى الجَوّ خَفّاقِ

وَذاكَ النَّسيمُ الرَّطْبُ يَنْشرُ طِيبَهُ
عَلَيْنا وَمَا لِلشَّمْسِ نيرانُ إحْراقِ

إلى أنْ دَعا داعي الزّيارة مُعْلِناً
بشارَتَهُ فينا على أوْجِ آفاقِ

وَقُمْنا نَظُنُّ البيدَ تُطْوَى بسيرنا
لمن قد قَصَدْناه بلين وإرفاقِ

وَهَبَّتْ عَلَيْنا من شَذا نَفَحاتِهِ
رَوائحُ قُرْبٍ يَسْتَلِذُّ بها الرّاقي

وَجادَ عَلَيْنا اللهُ بالحالَةِ الّتي
تُثيرُ فُؤادَ المُستهامِ بأشْواقِ

وَأتْحَفَنا المَوْلَى بأنْواعِ لُطْفِهِ
وَدارَ لنا كَأْسُ الفنا من يد الباقي

ألا يا عَلِيَّ الاسْمِ والقَدْرِ في الوَرَى
ويا بْنَ عُلَيْلٍ مَنْ تَسامَى بأعْراقِ

إلى عُمَرَ الخَطّابِ نِسْبَةُ جَدِّهِ
إلى ذلِكَ الفارُوقِ حجةُ خَلّاقِ

خليفةُ طَهَ سَيِّدِ الرُّسْلِ كُلِّهِم
وحامي حِمَى الإسْلامِ مِنه بإمحاقِ

ومن طِيبِ هاتيكَ الجُدودِ تَعَلَّمَتْ
فروعٌ لَهُمْ تُولي[٣٧] العَطايا بإغْداقِ

---

(٣٦) ليست البيت في ق .

(٣٧) ق : (تولي) .

رَعَى اللهُ بَحْراً عِنْدَ بَحْرٍ مِنَ النَّدا
حِمايَتُهُ مَعْروفَةٌ بَيْنَ أَرْفاقِ

كَريمِ السَّجايا مِلءَ تُربتِهِ هُدَى
لَهُ شَرَفٌ بالحَقِّ مِن يَومِ ميثاقِ

كَرامَتُهُ[٣٨] في النّاسِ مَشْهورَةٌ لها
يَرَى كُلُّ ذي عَقْلٍ فيها طِيبَ أَخْلاقِ

وَيَقْصِدُهُ الجاني فَيُغْفَرُ ذَنْبُهُ
لَدَى كُلِّ إرعادٍ يَكونُ وإبْراقِ

وما أَزْمَةٌ مَدَّتْ إلى العَبْدِ باعَها
وَوافاهُ إلّا آبَ مِنهُ بأَرْزاقِ

يَظَلُّ عَلَيْهِ النُّورُ يُبْدي رُواقَهُ
بِغَيْثٍ قَبولٍ مِن سَما الغَيْبِ مِهْراقِ

وَأَوْصافُهُ جَلَّتْ وأَحْوالُهُ جَلَتْ
غُيومَ غُمومٍ عَن أَضالِعِ مُشْتاقِ

أَلا يا كَبيرَ الأَوْلياءِ وَمَن لَهُ
مَزِيَّةُ قُرْبٍ لا تُنالُ بإلْحاقِ

أَتَيْنا إلى أَبْوابِ عِزِّكَ نَلْتَجي
لأَرْوَعَ شَعْشاعٍ العِمامَةِ سَبّاقِ

وَرَكْبٍ صَحِبْناهُمْ إلَيْكَ أَعِزَّةٍ
لَهُمْ مِنَنٌ فينا تُناطُ بأَعْناقِ

جَهابِذَةٍ غُرٍ أَئِمَّةِ مَعْشَرٍ
لَهُم تُنْطُرُ العَلْياءُ لكِن بإطْراقِ

لَدَى كُلِّ شَهْمٍ في الكَمالِ مُهَذَّبٍ
يَتيهُ بِوَجْهٍ في المَفاخِرِ بَرّاقِ

إلى أَنْ وَصَلْنا والنَّهارُ كأَنَّهُ
مُحَيّا جَميلٍ في مَلاحَةِ أَحْداقِ

(٣٨) في المسوّدة : (كراماته) .

[١٢٧/أ] فَجِئنــا وَسَلَّمْنــا عَلَــى الــحَضْرَةِ الَّتــي
يحِقُّ لَدَيْنــــا أَنْ تُــــداسَ بآفــــاقِ
وَقَــدْ لاحتِ الأَسْرارُ مِــن جَنَباتِهــا
فهــامَتْ بذكراهــا قلــوبٌ لِــعُشاقِ
وَجــادَ بما جــادَ الإِلَــهُ وأَسْفَــرَتْ
وجوهُ الأَمــاني عــن سنــا طَلْعَــةِ السّاقي
فــلازالَ رضوانٌ مِــن اللهِ دائمــاً
على ابــن عُلَيْــلٍ بَعْــدَ عَفْــوٍ وإشْفــاقِ
على أَمَدِ الأَيّــامِ مــا لَوْعَــةُ الجَــوَى
بعَبْــدِ الغَنــي قَــدْ هاجَهــا فَتْــح إغْــلاقِ
ومــا جَــدَّتِ الذِّكــرى بصوتِ حَمامــةٍ
تُغَنّــي عَلَــى تــلك النّواحــي بــأَوْراقِ
وَمــا لاحَ صُبْــحٌ والظَّــلامُ مَضَى وَمــا
بُــروقُ الحِمــى فــاهَتْ بــأَلْسُنِ انطــاقِ

ومما اتفق لرجل من إخواننا أنه نسي دواةً له من النحاس بين الحشيش ، وفي الطريق ونحن ذاهبون إلى زيارة الشيخ علي ابن عليم ، قدس الله سره ، فما تذكَّرها حتى وصلنا إلى المزار الشريف ، فيئس منها في نفسه ، ثم قال : يا سيدي علي بن عليم تضيعُ لي هذه الدواة ، وأنا جئت إلى زيارتك ، وفي حماك ، ثم إننا ذهبنا إلى مصر المحروسة كما سنذكره إن شاء الله . فاجتمع برجل هناك ، فقال له : خذ هذه دواتك ووصلت إليه دواته ببركة الشيخ المذكور قدس الله سره .

اليوم الحادي والثمانون

١١٠٥/٣/٢٣ هـ = ١٦٩٣/١٢/١٨ م

ثم بتنا تلك الليلة في أتم سرور ، وأكمل حضور ، ونحن تحت الرواق بين البحرين ، بحر الماء ، وبحر الهدى والندا ، ونحن في العين ، إلى أن أصبح صباح يوم الأحد الحادي والثمانين ، وهو اليوم الثالث والعشرون من شهر[1] ربيع الأول ، فجلسنا تحت تلك الحضرة المباركة ، نحن وبقية من كان بيننا وبينه في الزيارة مشاركة ، إلى أن صار وقت الظهر ، فأكلنا ما تيسر لنا من الزاد ، ثم صلينا بالجماعة صلاة الظهر ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى بإتمام المقصود والمراد .

ثم ركبنا وسرنا نحن والإخوان ، في أتم عافية ، وأعم أمان ، وكان النهار فاختي اللون ، ووجه الشمس تحت جلباب الغيم من الصون ، فأنشدنا الشيخ أمين الدين المذكور سابقاً هذا البيت ، من جملة قصيدة لأخيه الشيخ بشير المقدسي ، رحمه الله تعالى ، وذلك قوله[2] : [من الخفيف]

سُتِرَتْ فيه شَمْعَةُ الشَّمْس خَوْفاً من هُبوبِ الصَّبا بفانوسِ غَيْمِ

ومن تلك القصيدة قبل ذلك البيت قوله :

ربّ يومٍ تَمازَجَ الحَرُّ والبَرْ دُ به فاغْتَدَى كَطَبْعِ السَّليمِ

[١٢٧/ب] وقلنا نحن من النظام في هذا المقام : [من الوافر]

وَيَوْمٍ فاخِتيّ الجَوِّ كُنّا نَطيرُ لَهُ بأَجْنحةِ السُّرورِ
شَرِبْنا فيه كاساتِ التَّصافي وَطِبْنا في الزِّيارَةِ بالمزورِ
لدى[3] ابن عُلَيْل السّامي نَزَلْنا هُنالِكَ بَيْنَ ساميةِ القُبورِ
وبالبحرينِ بحْرِ الماء فُزْنا وبَحْرٍ فائِقٍ بين البحورِ
مَعَ القَوْمِ الكِرامِ أَجلّ قَوْمٍ فَحُزْنا لِلْكَمالِ وللأُجُورِ
وَزادَ اللهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْنا وَقَدْ قُضِيَتْ لنا كُلُّ الأُمورِ
فَحَيّا اللهُ ذاكَ اليومِ عنّا وَذاكَ الدَّهرَ من بينِ الدُّهورِ

---

(١) ليست اللفظة في ق .

(٢) كل الأبيات التالية في المسودة ل : ٦٢ .

(٣) في المسودة (على) .

ثغر يافا

ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى ثغر يافا المحروسة ، فنزلنا[4] هناك في دير الأرمن ، مع جماعتنا المأنوسة ، وهو مكان يشبه القلعة المتينة ، ذات الأبراج الحصينة ، وحصل لنا هناك بإخواننا ، ومن كان معنا كمال السرور ، وأتم الصفاء والحبور ، فقلنا من النظام ، حيث كان لجمعنا انتظام[5] : [من الخفيف]

قَدْ أَتَيْنَا نَسْعَى إلى ثَغْرِ يافا … ثُمَّ قُلْنَا يا فَارِغَ البَالِ يافا

وَدَعَا بَعْضُنَا بِذاكَ لِبَعْضٍ … حَيْثُ رَبِّي لنا مِنَ الهم عافِ

وبها البَحْرُ والمراكِبُ فيهِ … مُثقلاتٌ[6] بما حَوَتْهُ خِفافا

وبأعلى الدَّيْرِ الذي ثُمَّ بِتْنا … وعلينا كأْسُ المَسَرَّةِ طافا

مَع صَحْبٍ حازوا الكمالَ ذَواتاً … وترقَّوْا على الورى أَوْصافا

كُلّ شَهْمٍ على الوِدادِ تَوافى … وعلى الحُبِّ والخُلوصِ تَصافى

سادةٌ كُلُّهُمْ أَجِلَّةُ قَوْمٍ … جَمَعَ اللهُ فيهِمُ الألطافا

ثُمَّ بِتْنا هُناكَ خَيْرَ مَبيتٍ … حَيْثُ وَجْهُ السُّرورِ بالعِزِّ وافى

ثُمَّ لما بَدا الصَّباحُ وَوَلَّتْ … أَنْجُمُ والليلُ بالضيا تتنافى

هَبَّ داعي الرَّحيلِ يُعْلِنُ فينا … فَرَأَيْناهُ للمُنى إسعافا

ونَسيمُ الصَّبا على البَحْرِ يَمْشي … ساقَ مِنْ جُنْدِ مَوْجِهِ آلافا

اليوم الثاني والثمانون

١١٠٥/٣/٢٤ هـ ١٦٩٣/١٢/١٩ م

وبتنا هناك ، وقد تولت الأحلام والأحلاك ، ونحن في أتم صفاء وأعم وفاء . وقد طلع صباح يوم الاثنين الثاني والثمانين ، وهو اليوم الرابع والعشرون من شهر ربيع الأول . فسرنا على بركة الله تعالى مع جماعة الإخوان ، نسحب ذيول الأماني في رياض الأمان .

---

(٤) ف : (فأنزلونا) .

(٥) الأبيات في المسودة ل : ٦٣ .

(٦) مط : (ثقالاً)

قبة سلمة بن الأكوع

حتى رأينا في الطريق من بعيد قبة مبنية بالأحجار والشّيد ، [١٢٨/أ] فإذا هي قبة فيها قبر سَلَمَة بن الأَكْوع الصحابي الجليل ، رضي الله عنه .

وفي مختصر أسد الغابة في أسماء الصحابة[١] قال : سَلَمَة بن الأَكْوَع ، وقيل : سَلَمة ابن عمر وبن الأكوع ، واسم الأكوع : سِنان بن عبد الله وكنية سلمة : أبو إياس ، في الأكثر ، وقيل : أبو مسلم ، وقيل : أبو عامر ، بايع تحت الشجرة [مرتين][٢] ، ثم سكن بالرَّبَذَة[٣] .

قال ابنه إياس : ما كذبَ أبي قَطُّ . وعاد إلى المدينة قبل وفاته بليال .

وتوفي فيها سنة أربع وسبعين ، وهو ابن خمس وثمانين سنة[٤] . انتهى .

وذكر الهروي في كتاب الزيارات[٥] له أن جملة من الصحابة رضي الله عنهم ، دفنوا في البقيع بالمدينة . وذكر منهم سلمة بن الأكوع فقبره في المدينة لا هنا .

والربذة — بالتحريك ، وبالراء ، والباء الموحدة ، والذال المعجمة ، والهاء ، موضع قرب المدينة

قرية صرفند

ثم مررنا على قرية صَرَّفَنْد[٦] — بفتح الصاد المهملة ، وسكون الراء ، وفتح الفاء ،

(١) انظر أسد الغابة ٤٢٢/٢ .

(٢) عن أسد الغابة .

(٣) الربذة من قرى المدينة على بعد ثلاثة أيام ، قريبة من ذات عرق ، على طريق الحجاز ، إذا رحلت من فيد تريد مكة . (معجم البلدان) .

(٤) في الاستيعاب ٦٣٩/٢ سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين وفي أسد الغابة ٤٢٤/٢ سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة وقيل توفي سنة أربع وستين وفي سير أعلام النبلاء أنه (توفي سنة أربع وسبعين . قلت وكان من أبناء التسعين) . ويحرّر ابن حجر المسألة على النحو التالي في إصابته ٦٧/٢ : (مات بالمدينة سنة أربع وسبعين على الصحيح ، وقيل مات سنة أربع وستين . وزعم الواقدي ومن تبعه أنه عاش ثمانين سنة ومن يكون في ذلك السنّ لا يبايع على الموت . ثم رأيت عند ابن سعد أنه مات في آخر خلافة معاوية) . (أي سنة ٦٠) .

(٥) انظر الإشارات ٩٤ .

وسكون النون ، بعدها دال مهملة — فجلسنا هناك تحت ظل شجرة ، وأكلنا ما تيسر لنا من الزاد ببركة الصالحين البررة .

لقمان الحكيم

وقد أخبرنا أن لقمان الحكيم عليه السلام ، مدفون هناك في داخل مكان ، وعليه قبة ذات هيبة ووقار ونورانية ولمعان .

وفي كتاب الزيارات للهوري[٧] : (ومن شرقيّ بُحيرة طبرية قبر لقمان الحكيم ، وابنه . وقبره أيضاً باليمن بجبل يقال له لاعَة [عدن][٨] وذكر[٩] في محل زيارات اليمن قال : (لاعة[١٠] عدن ، عندها جبل عليه قبر لقمان الحكيم) . انتهى .

عود إلى الرملة

ثم دخلنا الرملة ، فنزلنا في ذلك المنزل الأول ، وهو منزل صديقنا الشيخ أبي الهدى الذي هو روح جسد ذلك القطر وعليه فيه المعول .

اليوم الثالث والثمانون
١١٠٥/٣/٢٥ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٠ م

وبتنا تلك الليلة في حماه المنيع ، فكانا[١] نرتع من بدائع آدابه في رياض ربيع ، إلى أن طلع صباح يوم الثلاثاء وهو اليوم الثالث والثمانون ، وهو اليوم الخامس والعشرون من شهر ربيع الأول ، فعزمنا على السير وخرجت معنا الإخوان ، إخوان المودة والخير ، يقصدون الوداع ، حيث [١٢٨/ب] دعا إلى الفراق داع ؛ منهم الشيخ أبو الهدى

(٦) في معجم البلدان : (صَرَّفَنْدَةُ : قرية من قرى صور من سواحل بحر الشام) .
(٧) الزيارات ١٩ .
(٨) عن الزيارات ١٩ .
(٩) الزيارات ٩٧ .
(١٠) في معجم البلدان : (لاعَةُ : مدينة في جبل صَبَر من نواحي اليمن إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها (عدن لاعَةَ) .
(١) ق : (فكنا) .

المذكور ، والشيخ أمين الدين والسيد محمد جلبي الفلاقنسي ، ناظر أوقاف الخليل إبراهيم عليه السلام ، والشيخ شمس الدين ، وجماعة آخرون ممن كانوا عندنا يجتمعون[2] . ثم قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى لهم ولنا[3] ، وعادوا إلى الإقامة ، وسافرنا بالسلامة .

قبر الشيخ قَنْدَه

حتى مررنا على قبر الشيخ قَنْدَه — بفتح القاف ، بعدها نون ساكنة ، ثم دال مهملة[4] مفتوحة ، وهاء — فقرأنا له الفاتحة .

قبر النبي روبين

ثم أشرفنا على قبة النبي روبين[5] عليه السلام .

قرية يُبْنى

ولم نزل سائرين ، مع جماعتنا الحاضرين ، إلى أن وصلنا إلى قرية يُبْنَى — بضم الياء المثناة التحتية ، وسكون الباء الموحدة ، ونون مفتوحة ، وألف مقصورة .

وقال الأسيوطي في شرحه على سنن ابن ماجة الذي سماه (مصباح الزجاجة) في باب الجهاد : أُبنى هي بضم الهمزة ، والقصر : اسم موضع في فلسطين بين عسقلان والرملة ، ويقال له : يُبْنَى بالياء انتهى كلامه .

فاسم القرية أُبْنَى ويُبْنَى بالهمزة وبالياء في أوله مقصوراً .

فجلسنا هناك حصة من الزمان ، وأكلنا ما تيسر لنا من الزاد مع الإخوان .

قبر أبي هُرَيْرة

ثم زرنا قبر أبي هريرة[6] الصحابي الجليل رضي الله عنه ، في مكان كبير ، واسع الأطراف والجوانب ، داخله بناء عظيم ، من عمارة الملك الأشرف ، مكتوب ذلك على بابه ، وعليه قبة ، في المكان مهابة وجلال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٢) ت ، ن : (يجتمعون) وهو خطأ .
(٣) ن : (لنا ولهم) .
(٤) ليست اللفظة في ق .
(٥) كذا في الأصول . وفي الأنس الجليل ٧٢/٢ (روبيل بن يعقوب) .
(٦) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣٦٢/٢ — ٣٦٤ و٣٢٥/٤ — ٣٤١ ، والاستيعاب ١٧٦٨/٤ ، وحلية الأولياء ، وأسد الغابة ٣١٨/٦ ، وتهذيب التهذيب ٢٦٢/١٢ — ٢٦٧ ، والإصابة ٢٠٢/٤ — ٢١١ ، وسير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢ — ٦٣٢ .

واختلف في اسم أبي هُرَيْرة رضي الله عنه : فقيل عبد الرحمن بن صَخْر ، وقيل عبد الرحمن بن غَنْم ، وقيل عَبْد شَمْس ، ويقال اسمه عبد الله ، ويقال يزيد[7] بن عِشْرقَة ، ويقال سُكين ابن روبة[8] ، ويقال عبد الله بن عبد شمس ، ويقال عامر .

وعنه أنه قال : كان اسمي في الجاهلية عبد قيس ، فسميتُ في الإسلام عبد الرحمن . وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرةً ، فحملتها في كمي ، فقيل لي[9] ما هذه ؟ فقلت : هرة . قال : فأنت أبو هريرة .

وروى عنه أنه قال : كنتُ أحمل هرةً يوماً في كمي فرآني رسول الله ﷺ فقال : ما هذه ؟ فقلت : هرة [١٢٩/أ] . فقال : يا أبا هريرة .

وقد اختلف في اسم أبي هريرة اختلافاً كثيراً ، لا يحاط ولا يضبط في الجاهلية والإسلام . والذي اعتمدتْ عليه طائفة الفت في الأسماء والكنى أن اسمه عبد الرحمن ابن صخر .

سكن المدينة ، وبها كانتْ وفاته في سنة سبع وخمسين ، وقيل : تسع وخمسين ، وقيل إنه مات بالعقيق . وصلَّى عليه الوليد بن عقبة بن أبي سفيان ، وكان أميراً يومئذ على المدينة . كما حررت ذلك بالنقول المعتمدة في كتابي زهر الحديقة . في ذكر رجال الطريقة .

وذكر الهروي في كتاب الزيارات[10] أن يُبْنَى بلد بين يافا وعسقلان ، بها قبر أبي هريرة رضي الله عنه انتهى[11] .

ثم نظمنا في هذه القرية على البديهة قولنا[12] : [من الخفيف]

قَدْ أتينا نَـؤُمّ قَرْيَـةَ يُبْنَـى	ولنا حِصْنُ منَّـةِ اللهِ يُبْنَـى
قَرْيـةٌ في طَرِيـقِ غَـزَّةَ لاحَتْ	جَمَعَتْ بَهْجَةً ولُطْفـاً وحُسْنـا
وقُبـورٌ للصّالحيـنَ مُـنيرا	تٌ دَعَوْنـا هُنـاكَ رَبّـي وزُرْنـا
والرُّبـا مُطْلَـق الجَـوانبِ غَضٌّ	بخَريـفٍ لَفْظُ[13] ربيـعِ مَعْنَـى

(٧) كذا في كل الأصول ومط . والذي في كتب الصحابة (برير بن عشرقة) .
(٨) كذا في الأصول ومط . والذي في كتب الصحابة : (سكين بن دومة) .
(٩) ليست اللفظة في ق .
(١٠) انظر الإشارات ٣٣ وفيه (يُبْنا) .
(١١) في هامش ت : (بلغ مقابلة) .
(١٢) الأبيات في المسودة ل : ٦٣ .
(١٣) ق ، مط : (لفظاً) .

وَحَمَدْنـا الإلٰـهَ سِرّاً وَجَهْـراً   وَآمْتَلأْنـا بِرَحْمَـةِ اللهِ أَمنـا
وَمَكـانٍ أَبُـو هُرَيْـرةَ فيـه   صاحِبُ المُصْطَفى إليه دَخَلْنـا
في رُواقٍ وجامـعٍ وقبـاب   كُـلُّ مَـنْ جاءَهُ بـه قـد تَهَنَّـى
وَعَلَيْـه مَهابَـةٌ وَجَـلالٌ   وَهُوَ من بَهْجَةِ الكَواكبِ أَسْنَى
خَصَّهُ رَبُّنـا بشُؤْبُـوبِ عَفْـوٍ   وبرضْوانِـه فُـرادَي وَمَثْنَـى
أَمَدَ الدَّهْـرِ مـا النَّسائِـم هَـبَّتْ   فَأَمـالَتْ هُنـاكَ غُصنـاً فَغُصْنـا

قرية سُدود

ثم قمنا من ذلك المكان ، وسرنا نحن ومن معنا من الإخوان ، في ذلك الطريق السهل ، وبالعلم به نفينا عنا الجهل ، إلى أن وصلنا إلى قرية سُدود — بالسين المهملة المضمومة[14] ، والدالين المهملتين ، بينهما واو ممدود — ونزلنا هناك حصة من الزمان ، وصلينا صلاة الظهر بجماعة الإخوان .

سلمان الفارسي

وزرنا هناك سلمان الفارسي الصحابي ، رضي الله عنه ، في مغارة ينزل إليها بدرج ، وعليه قبة عظيمة ، وذلك المكان[15] طيب الأرج .

وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات[16] قال : ونقلوا اتفاق العلماء [١٢٩/ب] على أن سلمان الفارسي عاش مئتين وخمسين سنة ، وقبل ثلاث مئة وخمسين سنة ... وتوفي بالمدائن سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة خمس وثلاثين . انتهى .

وفي كتاب الزيارات للهروي[17] قال : المدائن بها قبر سلمان الفارسي .

وفي القاموس[18] : المدائن ، مدائن كسرى : قرب بغداد . سميت لكثرتها . انتهى .

فلعلّ هذا القبر الذي يقال إنه قبر سلمان الفارسي في قرية سُدود هو غير الصحابي المشهور .

(١٤) اللفظة مستدركة في هامش ت ولذلك سقطت من مط .

(١٥) مط : (مكان) .

(١٦) تهذيب الأسماء واللغات ٢٢٧/١ .

(١٧) انظر الإشارات ٧٦ .

(١٨) القاموس (مدن) وفيه : (المدائن مدينة كسرى ...) .

قبر إبراهيم المتبولي

ثم زرنا بجانبه قبر الولي الكامل الشيخ إبراهيم المَتْبولي ، قدس اللهُ سرَّه ، في جامع كبير هناك ، وعليه قبة ومهابة وجلالة .

قال المناوي في الطبقات : إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المَتْبولي[19] الأحمدي الصوفي . قدم من بلدة مَتبول إلى مصر وصار يبيع الحِمّص[20] المصلوق[21] . ثم قام بزاوية بدرب السر[22] ، ثم تحول لزاوية بقرب درب السباع ، وصار الفقراء يَرِدُون عليه فيها ، وقصدَتْهُ الأكابرُ والأعيانُ لزيارته والتبرك به ، وخرج إلى القدس ، فمات في الطريق ، فدفن بسدود ، عند سلمان الفارسي سنة نيِّف وثمانين وثمان مئة ، عن نحو ثمانين سنة وقيل : إنه عاش مئة وتسع سنين . انتهى .

وقد قلنا في ذلك ، بحسب ما هنالك : [من الخفيف]

إنَّ بَحْـرَ المَعـارِفِ المَتْـبولي ... في سدودٍ ذاتِ الفُتوحِ المَهولِ
ضَيْعَةٌ من ضِياعِ غَزَّةَ تَحْوي ... كُـلَّ خَيْـرٍ بسرِّهِ المَـأْ مُـولِ
قَـدْ دَخَلْنـا إلى حِمـاهُ وَزُرْنـا ... وَابْتَهَجْنـا بنُـورِهِ المَقْبـولِ
وَهْوَ إبْراهيـمُ الـذي ذِكْرُهُ قَـدْ ... شاعَ بالدِّينِ والتُّقـى والـوُصولِ
وبقُـرْبٍ منـهُ لِسَلْمـانَ قَبْـرٌ ... وَهْوَ سَلْمانُ فارِسٍ في النُّقـولِ
هٰكَـذا قِيـلَ عِنْدَنـا مـن أُنـاسٍ ... ثُـمَّ فَاسْتَمْسَكُوا بهٰـذا المَقُـولِ
لَهُمـا اللهُ لَـمْ يَـزَلْ راحِمـاً ... كُـلَّ وَقْتٍ بعَرْضِ عَفْوٍ وَطُولِ
مـا تَـمَشَّتْ عَلَى الرُّبا نَسَماتٌ ... ساحِبـاتٌ بها فُضولَ الذُّيـولِ

[23]وقد ترجمه السخاوي في الضوء اللامع ، وذكر أنه توفي ليلة الاثنين ثامن عشر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وثمان مئة[23]

وقلنا أيضاً كذلك ، بمعونة القدير المالك[24] : [من الوافر]

فُتُـوحٌ مالَـهُ فينـا سُدودُ ... بمنزِلَـةٍ يُقـالُ لها سُدودُ

(١٩) انظر الضوء اللامع ١/٨٥ ، وجامع كرامات الأولياء ١/٢٤٣ — ٢٤٦ ، والأعلام ١/٤٧ .
(٢٠) الحِمّص : على وزن حِلِّز وقِنَّب . انظر القاموس (حمص) وحاشيته .
(٢١) كذا في الأصول والمطبوع وصلق لغة في سلق . انظر الصحاح : (صلق) .
(٢٢) في ق ، مط (التتر) . .
(٢٣ ٢٣) جاء ما بين الرقمين قبل الأبيات في ق . بينما لم يرد في مط .
(٢٤) الأبيات في المسودة ل : ٦٤ .

نَزَلْنـــا ساعَــــةً فيها وسِرْنــــا	وَطالِعُنـا عليـه بـدا السُّعـودُ
[١٣٠/أ] ألغَـزَّةِ هـاشِمُ نُسِبَتْ فَأَضْحَتْ	تُقامُ بها عَلَى الهَمّ الحُـدودُ
هُنالِكَ تَزْدَهي الفَلَواتُ لُطْفاً[٢٥]	بما فيهنَّ مـن غَـيْثٍ يَجُـودُ
وَقَدْ بَسَطَ الخَريفُ بساطَ نَبْتٍ	يَفوحُ به لنـا[٢٦] مِسْكٌ وَعُـودُ
فما زَمَنُ الرَّبيعِ وَمَاسَناهُ[٢٧]	إذا ما اخْضَرَّ بَيْنَ الرَّوْضِ عُودُ
وَلِلنَّسَمْـاتِ هَبّـاتٌ لِطـافٌ	خـلالَ البيـد تَعْرِفُهـا الوفُـودُ
فحيّـا اللهُ ذاكَ العَهْـدَ منّـا	إذا نُسِيَتْ[٢٨] لمن يَهْوَى عُهودُ
وَلازالَ الحَيا الوَسْمِيُّ يَسْقـي	رُبـا ذاكَ الفَـلا وَلَهـا يعَـودُ
عَلَى طُولِ المَدَى مالاحَ نَجْمُ[٢٩]	وَقَـدْ ضاءَتْ ليـالٍ منـه سُودُ

قبة أبي الجَهْم

ثم لم نزل سائرين إلى أن نظرنا إلى قبة الولي الصالح شيخ الصالحين أبي جَهْم — بفتح الجيم ، وسكون الهاء ، في آخره ميم ، فقرأنا له الفاتحة ودعونا الله تعالى بقلب سليم .

قرية حمامة

ثم إننا[٣٠] سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية حمامة ، وقد أثار كل منا بذاكراه شوقه وغرامه .

قبر إبراهيم أبي عرقوب

وهناك قبر الشيخ إبراهيم أبي عَرْقُوب ابن الشيخ علي بن عليم لصلبه ، أو هو من ذريته . فرأينا قبته ، وقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى . وفي ذلك نقول ومن الله القبول[٣١] : [من الوافر]

(٢٥) ق : (طلقا) .
(٢٦) في الأصول ومط : (لنا به) وما هنا عن المسودة .
(٢٧) مط : (ثناه) .
(٢٨) ت ، ن : (نسبت) .
(٢٩) في المسودة (نجمي) .
(٣٠) ليست اللفظة في ق ولا في مط .
(٣١) الأبيات في هامش المسودة ل ٦٤ .

مَرَرْنـا بالـعَشيّ عَلَـى حَمَامَــة		وَلَـمْ نَسْمَـع غنـاءً مِـنْ حَمَامَـهْ
فَقُلْنـا هَـلْ أبُـو[٣٢] عَرْقُـوبَ فيها		هُوَ ابْنُ عُلَيْمٍ[٣٣] الوافي الشَّهامَهْ
فَقالُوا هَـلْ يُغَنّي طَيْرُ أَرْضٍ[٣٤]		إذا مـا ساقهـا السّامـي أُسامَـهْ
حَمـى جَنَبَاتِها مَـهْ يـا عَـذُولي		لِهَـذا النَّـاسُ سَمَّوْهـا حَمامَــهْ

قرية مجدل عسقلان

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قرية مَجْدَل عَسْقَلان ، فنزلنا هناك .

ليلة برغوثية

وبتنا تلك الليلة مع الإخوان ، في سرور وابتهاج وأمان ، وكانت ليلة بُرْغوثية ، نرتجي فيها همَّةَ كُلّ بَرٍّ غَوْثِيَّة ، فتذكرنا قول أبي الحجاج يوسف بن أحمد المعروف بابن عتوم[٣٥] : [مجزوء الكامل]

أَشْكُــو البَراغِيــثَ الَّتــي		أَضْحــي لها جَسَدي مُباحـــا
أَكَلُــوا اللُّحــومَ وَخَلَّفُــوا		في كُــلِّ جارِحَــةٍ جراحــا
وَاللَّيــــلُ زادَ تَطــــاولاً		أَتُراهُــمُ أَكَلُــوا الصَّبَاحَــا

وقوله أيضاً : [من الكامل]

أَشْكُـو إلى اللهِ البَراغِيثَ الَّتي		لَـيْلي بها عن صُبْحه لا يُسْفِرُ
لَوْلا دَمي ما أَصْبَحَتْ مُحْمَرَّةً		وَعَلَى الحقيقة فهي مَوْتٌ أَحْمَرُ

[١٣٠/ب] حتى قلنا في ذلك ، مما هناك[٣٦] : [من الوافر]

وَمَجْدَل عَسْقَلان وَمَا حَـواهُ		مِـنَ البُرْغـوثِ في لَيْـلٍ طَويـلِ
بـهِ بِتْنـا وَمَــا نِمْنــا لأَنَّــا		رَأَيْنا الوَخْزَ مـن خُرطوم فيـلِ
أَكَلْنا مـن طَعامِ القَوْم لكـن		لنــا بُرْغوثهـم كَهـزَبْر غِيـلِ
لَـهُ أَكْــلٌ كَثيــرٌ كانَ مِنــا		وَكَيْفَ يُرى الكَثِيرُ من القليلِ
وَحاصِلُـهُ بأنّــا قَـدْ نَقصْنــا		عَنِ المُعْتـاد في الـوَزْنِ الثَّقيـلِ

(٣٢) ليست اللفظة في ق .
(٣٣) في المسودة : (عليل) .
(٣٤) في المسودة : (فقالوا هل يغني الطير منها) .
(٣٥) في ق ، مط : (غنوم) .
(٣٦) الأبيات في المسودة ل : ٦٤ .

وإن شِئْتُمْ سَلُوا عَنّا أُناساً   برملَةَ للرَّسُولِ أَوْ الوَكيلِ[37]
أَوْ الخَيْلَ الَّتي جِئْنا عَلَيْها   فتُخْبِرُكُمْ بنا بأَتَمِّ قيلِ

ومن هذا القبيل قولُ شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر الله بن عُنَيْن[38] صاحب الديوان المشهور حيث قيل[39] : [من المتقارب]

حديثُ المُبارز مني اسْأَلوا   إذا شِئتُمُ عَنْ أَحادِيثِهِ
نَزَلْنا عَلَيْه فَلَمْ يُقْرِنا   وَبِتْنا قِرَى لِبَراغِيثِهِ

وقال غيرُه في هذا المعنى[40] : [من السريع]

أَنْزَلَنا الدَّهْرُ عَلَى معشر   تَغُرُّ بالنَّاسِ أَحادِيثُهُمْ
فَما أَكَلْنا مِنْ ضِيافاتِهِمْ   ما أَكَلَتْ منّا براغِيثُهُمْ

وكان الإمام العالم الشاعر ، برهان الدين البوصيري . سافر إلى عند بعض الناس ، فاستضافه ، وكأنه قَصَّرَ في خدمته ، وحصل له عنده براغيث كثيرة[41] ، فقال في ذلك بيتاً مفرداً وهو : [من المتقارب]

فَمَا ضَيَّفونا ولكنَّهُمْ   بَراغِيثُهُمْ ضَيَّفوهُمْ بنا

قال الشَّيْخُ ناصر الدين الفارسكوري فجعلت له أُولاً فقلت : [من المتقارب]

مَرَرْنا بقومٍ نَرومُ القِرى   بُلينا بكَرْبٍ عَلَى كَرْبِنا
فَجاؤوا بفَرْشٍ كُوِينا بِه   كأنا مغازون في حَرْبِنا
وجاؤوا بأَكْلٍ غَصَصْنا بِه   فَلا الأَكْلُ طابَ ولا شُرْبُنا
فَمَا كانَ أطْولَها لَيْلَةً   نُرَجّي الإقالَةَ مِن رَبِّنا
فَمَا ضَيَّفونا ولكنَّهُمْ   براغِيثهم ضَيَّفوهُمْ بنا

---

(37) ق : (أو للوكيل) ولا يستقيم الوزن بها .
(38) توفي ابن عنين سنة ٦٣٠ هـ . انظر معجم الأدباء ٨١/١٩ — ٩٢ ، ومرآة الزمان ٦٩٦/٨ — ٦٩٨ ، ووفيات الأعيان ١٤/٥ — ١٩ ، والعبره/١٢٢ — ١٢٣ ، وسير أعلام النبلاء ٣٦٣/٢٢ ، والنجوم الزاهرة ٨٢/٦ و٩٣ — ٩٥ .
(39) البيتان في ديوان ابن عنين — تحقيق خليل مردم بك — دار صادر ٢٢٢ برواية * انبئكم بأحاديثه .
(40) بعده في ق : (وأجاد) .
(41) ليست اللفظة في ق .

اليوم الرابع والثمانون

١١٠٥/٣/٢٦ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢١ م

ثم أصبحنا يوم الأربعاء[١] الرابع والثمانون[١] ، وهو اليوم السادس والعشرون من شهر ربيع الأول .

مدينة عَسْقَلان

توجهنا إلى [١٣١/أ] مدينة عسقلان وسار معنا قاضي المجدل وحاكمها وأناس من أهلها كثيرون .

وقال ياقوت في المشترك[٢] : عَسْقَلان — بفتح العين المهملة ، وسكون السين المهملة ، وفتح القاف — ويقال لها عروس الشام .

وقال الحنبلي في تاريخه[٣] : عَسْقَلان كانت من أحسن المدن وقد خَرَّبها الملك صلاح الدين في شهر شعبان سنة سبعٍ وثمانين وخمس مئة ، واستمرت إلى يومنا ، ولم تُعمَّر وبها مشهدٌ عظيمٌ بناه بعض الفاطميين من خلفاء مصر على مكان ، زعموا أن به رأس الحسين بن علي[٤] رضي الله عنهما . وبعسقلان أماكنُ تقصد للزيارة ، وهي على شاطىء البحر المالح [وقد ألف الحافظ ابن عساكر جزءاً[٥] في فضلها][٦] . انتهى .

وهناك رملٌ كثيرٌ ، غابت فيه القبور ، واندرست الآثار ، وهو مشهد الشهداء عند باب المدينة ، ويسمُّونه وادي النمل ، وهو الذي صارت فيه المعركة والجهاد .

وقد دخلنا إلى داخل المدينة ، وأسوارُها متهدمةٌ ، وأبراجها واقعةٌ ، وقد اتخذوا غالب أماكنها بساتينَ ، وغرسوا فيها أشجارَ الفواكه والأعناب والليمون ، حتى وصلنا إلى المكان الذي يسمُّونه بالخضراء على شاطىء البحر المالح ، وهو مكان مبارك عليه نورانية ، وفيه أنس وروحانية ، وليس في المدينة بأسرها أحدٌ من الناس ، غير من يعالج بستانَه ، أو يحرسه ، لا يقصد الاستئناس ؛ ثم إننا قلنا في ذلك من النظام ، على مقتضى فتوح الوقت

(١ — ١) ليس ما بين الرقمين في ق .

(٢) المشترك ٣٠٨ .

(٣) أنس الجليل : ٧٤/٢ .

(٤) في ق : (ابن أبي طالب) .

(٥) انظر هدية العارفين ٧٠١/١ وابن عساكر في ذكرى مرور تسع مئة سنة على ولادته ٤٦٤ .

(٦) ما بين المعقوفتين عن الأنس الجليل .

في ذلك المقام(٧) : [مخلع البسيط]

أَسِفْتُ في ثَغْـر عَسْقَـلان(٨) … كأنَّمـا أَلْـعَسُ(٩) قَلاني

عَلَـى حُصونٍ هُنَـاك كانَتْ … مَتينَـة السُّورِ والمَبَـاني(١٠)

دِيـارُ قَـوْمٍ بها أَقامُـوا … لَـدَى قَديـمٍ مـن الزّمـانِ

وَأَصْبَحـوا الآن في قُبـورٍ … هناكَ والكُـلُّ صار فـاني(١١)

مدينـةٌ طـالما أَحـاطَتْ … بِبَهْجَـةِ الأَوْجُـهِ الـحِسانِ

وَطالَمـا حَـلَّ ذُراهـا … أُصيـلُ قَـوْمٍ كَبيرُ شانِ

وَأَقْفَـرَتْ بَعْدَهُـمْ فَصَارَتْ … ريـاضَ زَهْـرٍ وأرغـوانِ

فهـي البَساتيـنُ للأَقَـاصي … مـن جملـةِ النّـاسِ والأَداني

وَقَـدْ دَخَلْنـا بها وزُرْنـا … للشُّهـداءِ سادةَ الطّعـانِ

[١٣١/ب] وَكَـمْ وَلـيٍّ هُنـاكَ ثـاوٍ … في التُّرْبِ والرُّوحِ في الجِنانِ

وَلاحَ للنَّمْـلِ ثُـمَّ وادٍ … أَسْرارُهُ طَلْقَـةُ البَيـانِ

قُبـورُهُ النَّيِّـراتُ تَحْـوي … ذَوي الكَمـالاتِ والعَيـانِ

مِـنْ أَوْليـاءِ الإلـهِ قَوْمـاً … قَـدْ أَدْرَكـوا غايَـةَ الأَمـاني

وَقَـدْ رَقُـوا بالجِهـادِ فيمـا … يَـرَوْن عِـزّاً بـلا تـواني

والآنَ في الرَّمْلِ قَـدْ تَغَـطَّتْ … قُبورُهُـمْ عـن فَتًـى يُعـاني

وَساحِـلُ البَحْـرِ في انْبساطٍ … هُنـاكَ في أَشْرف المكـانِ

أَنْعِـمْ بـخَضْراءَ قَـدْ تَسَمَّتْ … عَظيمـة جَمَّـة المَعـاني

وكم بتـلك الرّحـابِ أُنْسٌ … يكـونُ آنـاً مِـنْ بَعْـدِ آن

وَلَـمْ تَـزَل رَحْمَـةٌ تَـوَالى … عَلَى حِمَـى أَرْضِ عَسْقَـلانِ

تَعُـمُّ تـلكَ الرّحـابِ منها … ما مالَ في الرَّوْض غُصْنُ بانِ

وَمـا شَدا فَوْقَـه هَـزارٌ … مُشابهاً نَغْمَـةَ المَثـاني

ثم قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وودعنا تلك الأقوام ، ورجعوا إلى أماكنهم بتحيةوسلا

(٧) الأبيات في المسودة ل : ٦٥ .

(٨) في الأصول جميعاً ومط : (الثغر العسقلاني) .

(٩) أَلْعَسُ من اللَّعَس وهو سواد مستحسن في الشفة . (القاموس : لعس) .

(١٠) ليس البيت في ف .

(١١) في المسودة : (هناك رهن البلا فواني) .

قرية بَرْبَرا

وسرنا نحن والإخوان ، إلى جهة غزة المحروسة في عافية وأمان ؛ حتى مررنا بقرية بَرْبَر — بفتح الباء الموحدة ، وسكون الراء ، وفتح الموحدة الثانية ، والراء — فدخلنا إليها .

قبر يوسف البربراوي

وزرنا فيها قبرَ الوليّ الصالح الشيخ يوسف البَرْبَراوي ، رضي الله عنه ، في داخل مكان هناك ، وعليه عمارة وقبة ، وعلى قبره مهابة ونورانية ، وهو رجل من المغاربة ، سكن تلك القرية . ومات بها فنسب إليها .

قرية بيت حانون

ثم سرنا فرأينا من بعيد قريةَ بيت حانون — بالحاء المهملة والنونين — وقد دفن فيها على ما يقال نبيُّ الله حانون ، فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

ثم سرنا ، فقبل وصولنا إلى بلدة غزة المحروسة بنحو ساعة ،خرج إلى لقائنا قاضيها الفاضل ، [(١٢)]حاوي الفضائل[(١٢)] ؛ أحمد جلبي ابن البهنسي الشامي الدمشقي ، حبيبنا وعزيزنا ، وكان قد اشتغل علينا في طلب العلم مدة من الزمان ببلادنا[(١٣)] دمشق الشام ، وخرج معه مفتي الحنفية بتلك الديار الفاضل الكامل الشيخ صالح بن أحمد بن محمد ابن صالح بن محمد الغزي العمري الحنفي مصنف (تنوير الأبصار وجامع البحار) في [١٣٢/أ] فقه الحنفية ، والشيخ الصالح[(١٤)] نسل ذوي الكمال محمد بن الشيخ عبد القادر الشهير بابن الفُصَيْن — بالتصغير ، والشيخ الكامل علي بن الشيخ عمر المشرقي ، وكان والده الشيخ عمر مفتياً بالديار الغزيَّة ، والشيخ محيي الدين بن الشيخ شمس الدين القدسي الساكن بغزة ، والشيخ الفاضل علي الضرير الشافعي المشهور بالبدوي ، والشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ محيي الدين شيخ الإسلام ، المفتي سابقاً بالديار الغزية ، وغيرهم من العلماء والأفاضل والأعيان .

فجئنا إلى أن نزلنا في دار صديقنا الشيخ محيي الدين القدسي المذكور فتلقانا بصدره الفائق على الصدور ؛ ووجهه الذي هو بهجة السرور .

(١٢ — ١٢) ليس ما بين الرقمين في ق .

(١٣) مط ، ق : (في بلادنا) .

(١٤) ن ، ق : (صالح) .

اليوم الخامس والثمانون

١١٠٥/٣/٢٧ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٢ م

ثم بتنا تلك الليلة في أتم صفاء ، وأعم وفاء ؛ إلى أن أصبح صباح يوم الخميس الخامس والثمانين ، وهو اليوم السابع والعشرون من شهر ربيع الأول .

فحضر عندنا علماء تلك البلدة وأكابرهم وصلحاؤها وأفاضلها من المذكورين وغيرهم بقصد الزيارة في ذلك الحين ، وحصل بيننا وبينهم بعضُ المذاكرة العلمية والمسائل الفقهية .

شعر في غزة

وقلنا من النظام بحسب ما اقتضاه المقام[1] : [من الطويل]

سَقَى الوابلُ الوَسْمِيُّ غَزَّةَ هاشِمِ
فَكَمْ لعِبَتْ فيها خُيولُ النَّسائمِ

وفاحتْ بها الأزهارُ[2] بين حدائقٍ
وغَنَّتْ على الأغصانِ وُرْقُ الحمائمِ

إذا بكتِ الأرضَ السماءُ بِغَيْثِها
لـه ضَحِكَتْ تلك الرُّبا بالمباسمِ

يقومُ بها النَّخْلُ الذي هو باسقٌ
على قَدَمٍ يَدْعُو بأيْدٍ نواعمِ

إذا بَسَطَ البَحْرُ الخِضَمُّ[3] بساطَهُ
رَأَيْتَ بـه للمَوْجِ رَقْمَ الأراقمِ

وللسُّفُنِ الغَرَّاءِ صورةُ قائمٍ
على الماءِ يَعْلُو بغيرِ قَوائمِ

رَعَى اللهُ ذاكَ الشَّطَّ منها فإنَّهُ
إذا شَطَّ مَنْ أَهْوَى تَداني لهائمِ

نَزَلْنا أُناساً أَرْضُ غَزَّةَ دارُهُمْ
فقاموا لِلُقْيانا قِيامَ الأكارمِ

---

(١) الأبيات في هامش المسودة ل : ٦٥ — ٦٦ .

(٢) ق : (الأنهار) .

(٣) في هامش ق : (بحر الخضم) .

وَبَشّوا بهاتيك الوُجوهِ التي سَمَتْ
على البَدْرِ حُسْناً في ملاقاة قادمِ
وَكَمْ من هُمامٍ بَيْنَهُمْ زادَ فَضْلُه
فماذا إياسُ الحِلْمِ ما جُودُ حاتمِ
حَمَى اللهُ أرْضاً هُمْ حمائمُ دَوْحها
تَغَنَّوْا بأنْواعِ الكمالِ المُلائمِ
ويا حَرَس الرَّحمنُ صَفْوَةَ مائِهِمْ
وَحَيَّا وُجُوهًا لُحْنَ تَحْتَ العَمائِمِ
وَلا زالَتِ الأيّامُ تَسْخُو بِرَوْنَقٍ
عليهم بميثاقٍ، لَهُمْ مُتَقادِمِ
فإنَّ لنا فيهم وَديعةَ مُغْرمٍ
تَعَلَّمَ تَعْليقَ الرُّقى والتَّمائمِ
[١٣٢/ب]وَما هُوَ إلّا مَنْ به هَبَّ مَجْدُهُمْ
يُصافِحُ في لُقْياهُ غِيلَ الضِّراغمِ
فَتًى هُوَ في العَلْياءِ أَحْمَدُ نائلٍ
وفي الدِّينِ والإصْلاحِ أَحْمَدُ حاكمِ
نَشا في دِمَشْق الشّامِ نَشْو مُهَذَّبٍ[٤]
على دِينِهِ يَقظانُ لَيْس بنائمِ
لَهُ حَفِظَ المَوْلَى الكريمُ بلُطْفِهِ
مَدى الدَّهْرِ ما سَحَّتْ عُيونُ الغَمائمِ
وَما لَمَعَ البَرْقُ الحجازيُّ بالحمى
فَشَقَّ لَهُ حبّ الجَوَى عَنْ كاتمِ
وما هاجَتِ الذِّكرى بعَبْدِ الغنيِّ مَنْ
أُهَيْلِ النَّقا عند اقترابِ المواسمِ

بلدة غزة

وقال ياقوت في المشترك : (غزة — بفتح الغين المعجمة ، وتشديد الزاي — : بلدٌ

(٤) كذا في الأصول ولعله قصد (نشأة مهذب) .

مشهور بالشام ، بينه وبين عسقلان نحو فرسخين ، من أعمال فلسطين ، وتُعرف بغزّة هاشم ، سُمّيت بذلك لأن هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ مات بها ، وكان جاءها تاجراً . وبها ولد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، (٥)رضي الله تعالى عنه(٥)) .

وقال القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في كتابه الإنشا(٦) : غزة — بفتح الغين المعجمة ، وتشديد الزاي ، في آخرها هاء : وهي مدينة من جند فلسطين ، ذات جوامع ومدارس وزوايا وبيمارستانات(٧) وأسواق ، صحيحة الهواء ، ويشرب أهلها من الآبار ، وبساحلها البساتين الكثيرة ، وأجل فاكهتها العنب والتين ، وبها بعض النخيل . انتهى .

شعر في غزة

وقلنا من النظام المستطاب ، في شأن هاتيك الجوانب والرحاب(٨) : [من الخفيف]

غَـزَّ في القـبض فـارِسُ الـبَسْطِ غَـزَّهْ
حيـنَ جِئْـنـا إلى مَدينـةِ غَــزَّهْ

وَنَزَلْنـا عَلَـى صِحـابٍ كِـرامٍ
سادَةٍ في الـوَرَى تُقـاةٍ أعِـزَّهْ

وَدَخَلْنـا مَنـازِلاً مُشْرِقـاتٍ
كُـلُّ نَـفْسٍ بلُطْفِهـا مُسْتَفِـزَّهْ

وَرَأَيْنـا حَدائِـقَ النَّخْـلِ قـامَتْ
بقَـوامٍ يهْتَـزُّ بالرِّيـحِ هـزَّهْ

وَدَواعِـي السُّرورِ نـادت بـبشرى
فَسِواهـا قُلوبُنـا مُشْمَئِـزَّهْ

في خَريـفٍ لَـهُ اعْتِـدالُ رَبيـعٍ
يَذْكُـرُ الشّام طيبـه والمِـزَّهْ

يـا سَقَـى اللهُ عَهْـدَهُ مِـن زمـانٍ
نَشَرَ النَّـبْتُ في مَغانيـه بـزَّهْ

(٥ — ٥) في الأصول عدا ق (رحمه الله تعالى) ورجحت رواية ق لأنها رواية المشترك .

(٦) انظر صبح الأعشى ٤/٩٨ .

(٧) ن ، ت : (وبيمارستان) .

(٨) الأبيات في المسودة ل : ٦٦ .

وَرَعَى ثَمَّ مَنْزِلاً فيه كُنّا
وَحَماهُ من مَنْزِلٍ ما أَعَزَّهْ

حَبَّذَا نَفْحَةُ النَّسائِم منه
أَزَّتِ[9] الغُصْنَ في الحَدائِقِ أَزَّهْ

والرُّبا أُلْبِسِيتْ من النَّبْتِ وَشْياً
نَقَّشَ الزَّهْرُ منه في الصُّبْحِ خَمْزَهْ

[١٣٣/أ] وَفَهِمْنا إشارَةَ الوَقْتِ لمّا
طابَ داعي الهَنا وَحَلَّلَ رَمْزَهْ

وَرَوَيْنا عَنِ البِلادِ حَدِيثاً
قَدْ أَشارَتْ به إِلَيْنا بِغَمْزَهْ

وَسَلَكْنا إلى المُنَى في طريقٍ
وَفَتَحْنا من حَضْرَةِ الغَيْبِ كَنْزَهْ

وَقَرأْنا من الحَقائِقِ حَرْفاً
لَيْسَ إِلّا نَراهُ في الخَلْقِ هَمْزَهْ

ثم قمنا عند أذان العصر، وصلينا في الجامع الكبير، وهو مكان مشرق منير، ويقال إن أصله كان كنسيه، ولكن ببركة الطاعة يجد فيه القلب من الوحشة تأنيسه . .

قبر الشيخ عبد القادر الغُصَيْن

ثم ذهبنا إلى زيارة قبر الشيخ عبد القادر الغُصَيْن — بالتصغير — عليه رحمة الرب القدير، وهو[10] مدفون في مدرسته، مع أولاده وذريته، فقرأنا له الفاتحة، ودعونا الله تعالى بنية صالحة.

وجلسنا عند أولاده في تلك المدرسة المذكورة، ننظر الكتب التي عندهم، ونتذاكر معهم في المسائل المسطورة.

ثم عدنا إلى المنزل المعهود، والناس بين صدور إلينا وورود، يأتون بالموائد، على مُقْتَضَى جَرْي[11] العوائد؛ وحضرت الأفاضل والأعيان، وسهروا عندنا تلك الليلة مع

(٩) أزّه: حركه شديدا. [القاموس: أزز].
(١٠) اللفظة مشطوبة في مط، واللفظة الصحيحة مستدركة في هامشه وفوقها لفظة (بيان).
(١١) ليست اللفظة في ق.

جملة الإخوان ، وقامت المنشدون ، وصار السماع المطرب على الآلات بالقانون ؛ ثم انصرفوا وقد طاب الحضور ، وزاد السرور[١٢] .

اليوم السادس والثمانون

١١٠٥/٣/٢٨ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٣ م

إلى أن أصبح صباح يوم الجمعة ، وهو اليوم السادس والثمانون ، الثامن والعشرون من شهر ربيع الأول . فصلينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير ، وحصلنا إن شاء الله تعالى على الأجر الكثير .

قبر الشيخ فرج

ثم ذهبنا فزرنا الشيخ فرج ، في مكان واسع ، عليه قبة لطيفة ، وهناك عمارة منيفة ، فدخلنا إلى ذلك المكان ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى لنا[١٣] ولجميع الإخوان .

قبر الشيخ عبد الرحمن الأوزاعي

ثم ذهبنا إلى مكان آخر هناك مشهور فيه جنينة لطيفة محفوفة بأنواع الزهور . وفيه قبر الشيخ عبد الرحمن ابن[١٤] الأوزاعي .

قبر السلطان الغوري

وبجانبه قبر السلطان الغوري ، رحمه الله تعالى على ما يقال ، والله أعلم بحقيقة الحال ؛ فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ببلوغ الآمال .

مغارة هاشم جد النبي ﷺ

وفي هذا المكان مغارة ، يقال إنه مدفون فيها هاشم جدُّ النبيِّ ﷺ الذي تنسب إليه غزة ، ويقال إن هذه المغارة متصلةٌ بمغارة سيدنا الخليل إبراهيم وأولاده الكرام ، عليهم الصلاة [١٣٣/ب] والسلام .

قبر الشيخ علي بن مروان

ثم خرجنا وزرنا في تلك الجبّانة التي هناك قبر الشيخ علي بن مروان ، وعليه قبة

(١٢) في هامش ت : (بلغ مقابلة) .

(١٣) ليست اللفظة في ت .

(١٤) ليست اللفظة في ق .

مرفوعة ، وعمارة موضوعة ، وله كرامات مذكورة ، وخوارق مشهورة . فقرأنا الفاتحة هناك وجعلنا ثوابها له ولمن دفن في تلك الجبانة من المسلمين من مملوكين وملاك .

الشيخ عبد الرحمن بن عيسى السنجاري

ثم زرنا الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن علي بن سلطان السنجاري ثم الغزي الشافعي الولي الكامل صاحب الكرامات ، وقبره في مكان مستقل ، عليه قبة وعمارة ، وهناك أنس وبهجة واستنارة .

وله ديوان شعر اطّلعنا عليه فيه غزة ، فتح فيه خبيئة المعاني وأنفق كنزه ، رَوَّحَ الله روحَهُ ، وَنَوَّرَ ضريحَه .

ومن شعره هذا التخميس للأبيات الثلاثة المشهورة ، المطوية هنا المنشورة : [من الطويل]

لِعَبْـدِكَ يـا رَبَّ العِبـادِ سَريـرَة   مُطَهَّـرَةٌ عَمّـا سِواكَ مُـنيرة
وَأَدْمُعُه تَجْـري عَلَـيْكَ غَزِيَـرة   فلَيْـتَكَ تَحْلُـو والحَيَـاةُ مَريـرَةُ
وَلَيْـتَكَ تَـرْضَى وَالأَنـامُ غِضابُ

ويا لَيْتَني عَنْ ساقِ عَزْمي شامر   ويا لَيْتَ غُصْني بالتَّواصِلِ نضِرُ
وَيالَيْتَ لي في كُلّ وَقْتٍ مسامِرُ   وَلَيْتَ[١٥] الَّذي بَيْني وَبَيْنَكَ عامِرُ
وَبَيْنـي وَبَيْـنَ العالَميـنَ خَـرابُ

أيا مَنْ رِضاهُ يُذْهِبُ الهَمَّ والعنـا   وَيَحْصُلُ منه الخَيْر والسَّعْدُ وَالغنا
وَتَـأْتي بـه كُـلُّ الـمَسَرّاتِ والهَنَـا   إذا صَحَّ منكَ الوُدُّ يا غايَةَ المُنـى
فَكُلُّ الَّـذي فَـوْقَ التُّـرابِ تُـرابُ

ولنا نحن سابقاً تخميس هذه الأبيات ، وذلك قولنا مما هو موجود في ديوان الإلهيات : [من الطويل]

أيا مَـنْ لَـهُ الأَشْواقُ منّي كثيرة   وَيا مَنْ دُموعي يَوْمَ بانَ غَزيـرة
وَيـا مَـنْ لِقَلْبي في هـواهُ سريرة   فَلَيْـتَكَ تَحْلُـو وَالْحَيَـاةُ مَريـرة
وَلَيْـتَكَ تَـرْضَى وَالأَنـامُ غضابُ

خَيـالُكَ في قَلْبي لقَلْبي مُسامِـرُ   وَحُـبُّكَ لِلْـعُشّاقِ نـاهٍ وآمِـرُ

(١٥) ق : (ويا ليت) ولا يستوي بها الوزن) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيا لَيْتَ غَيْثَ الوَصْلِ لي منك غامِرُ وَلَيْتَ الّـذي بَيْنـي وَبَيْـنكَ عامِـرُ
وَبَيْنِـي وبَيْـنَ العالميـنَ خَـرابُ
لَقَدْ ذَابَ كُلّى في لقاكَ لَكَ الهَنا وَبَـدِّل فَقْـري في تَجلّيكَ بالغِنـا
[١٣٤/أ]وَأَنْتَ هُـوَ الوَجْـودُ حَقـاً ولا أنـا إذا صَحَّ منكَ الوُدّ يا غايـةَ المنـى
فَكُلُّ الـذي فَـوْقَ التُّـرابِ تُـرابُ

جامع شهاب الدين أحمد بن عثمان

ثم جئنا إلى الجامع المشهور بجامع شهاب الدين أحمد بن عثمان ، وهو جامع مبارك عظيم الجوانب والبنيان ؛ فرأينا هناك حلقة ذكر في طريقة المطاوعيّة ، ورأينا الفقراء يذكرون الله تعالى بأحوال قوية ، فلم نزل إلى أن صلينا صلاة العصر بالجماعة في ذلك الجامع المعمور ، وقد حصلنا إن شاء الله تعالى على أكمل الأجور .

الشيخ مجاهد

ثم خرجنا فزرنا في الطريق الشيخ مجاهد في مكان له مستقل .

قبر الشيخ محمد العجان

وزرنا بجانبه قبر الشيخ محمد العجان ، ولي من أولياء الله تعالى ، صاحب كرامات مشهورة عند أهل البلاد .

جامع الجاولي

ثم ذهبنا إلى جامع الجاولي ، وهو جامع كبير واسع ، جميعه مبني بألواح الرخام ، وأحجار السماقي في أول الزمان ، وهو خراب الآن ؛ والرخام ساقط حول جدرانه وفي صحنه الخارج من عدم تقيد النظار عليه بعمارته ومرمته .

ترجمة الجاولي

والجاولي هذا ذكره الحنبلي في تاريخه[١٦] وهو الأمير الكبير علم الدين أبو سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي الشافعي . ولد بآمد[١٧] ثم صار لأمير من الظاهرية يسمى الجاولي ، ثم انتقل بعد موته إلى بيت المنصور ، وانتقلت به الأحوال إلى أن صار مقدماً بالشام . وفي زمن الملك المنصور قلاوون . ولي نظر الحرمين الشريفين ، ونيابة السلطنة

(١٦) انظر الأنس الجليل ٢٧١/٢ — ٢٧٢ .

(١٧) في الأنس الجليل (سنة ثلاث وخمسين وست مئة) .

بالقدس الشريف ، وبلد سيدنا الخليل عليه السلام . وولي نيابة غزة ، وبنى عند مسجد سيدنا الخليل عليه السلام المسجد المعروف بالجاولي ، وهو في غاية الحسن عمره من ماله حين كان ناظراً ، وعمر جامعاً بغزة ، وخانقاه بظاهر القاهرة ، ومدرسة بالقدس الشريف ، وهي التي صارت في عصرنا سكناً لنواب القدس الشريف ، ووقف أوقافاً كثيرة ، وكان له معرفة بمذهب الإمام الشافعي ، وكان رجلاً فاضلاً يستحضر كثيراً من نصوص الإمام الشافعي رحمه الله تعالى(١٨) توفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة بالخانقاه التي أنشأها بالقاهرة . انتهى .

والجامع الذي عَمَّره [١٣٤/ب] بغزة هو هذا الجامع الذي ذكرناه هنا ، وأنه خرب اليوم . وهو منفصل عن العمران ، وقد ردموا(١٩) بابه ، واستغنى الناس عن الصلاة فيه .

مدرسة الطواشي

ثم مررنا بعد ذلك على مدرسة الطواشي ، وهي الآن مسكن قضاة غزة ، وموضع حكمهم ، فتلقانا أحمد جلبي المتقدم ذكره ، النائب في الحكم يومئذ ، وجلسنا عنده هناك حصة من الزمان . ثم عدنا إلى منزلنا مع من كان معنا من الإخوان .

---

(١٨) في ق : (رضي الله تعالى عنه) .
(١٩) ق : (وقد رموا) .

اليوم السابع والثمانون

١١٠٥/٣/٢٩ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٤ م

ثم بتنا تلك الليلة ، فأصبح صباح يوم السبت السابع والثمانين ، وهو اليوم التاسع والعشرون من شهر ربيع الأول .

مكتوب وجوابه

فأرسل إلينا حضرة المولى الهمام عطاء الله أفندي ، قاضي القدس الشريف المتقدم ذكره مكتوباً هذه صورته[1] :

جنابَ شيخ الوقت على التحقيق ، مالك ممالك التحقيق والتدقيق ، درة عقد العلماء ذوي الطريق ، غرّة وجه المحدثين أولي الهداية والتوفيق ؛ العالم النّحرير ، المحقّق الشهير ، حضرة الأستاذ الشيخ عبد الغني أفندي ، كان الله له[2] ، آمين : بعد لثم تلك الراحة المنيفة ، وإهداء ما يليق بتلك الذات الشريفة ، والطلعة الأنيسة اللطيفة ، من درر وتحيات قدسية عبقرية النفحات ، وغرر تسليمات ، سنية عطرية النسمات ، وسلام أبهى من عقود الجمان ، وثناء[3] أزهى من الدرر في أجياد الحسان ، ودعاء يرجى به القبول من الملك المنان[4] ؛ نخصّ به ذلك الإمام[5] الألمعي ؛ الزاهد المفضال اللَّوْذَعي وجناب المشار إليه ، أسبغ الله جزيل النعمَ عليه ، ونظر بعين عنايته إليه ، والسبب الداعي لتحرير أحرف المحبة والوداد :

أولاً : كثرة الأشواق لرؤيا ذاتكم المأنوسة ، لابرحت بملائكة الرحمن محروسة .

ثانياً : أننا ، والله الحمد . والمنة ، بخير وعافية ، ونعمة وافية ، ونرجوه سبحانه وتعالى أن يكون عوناً لكم في جميع الأمور والأحوال آمين .

والمرجو من الجناب المنير ، أن لا تخرجونا من الخاطر المتسنير ، ولا تنسونا من الدعاء الصالح ، بعد فراغكم من قراءة الدروس والذكر والعبادات ، وفي أوقات الخلوات والجلوات ، وفي مواطن الإجابات ، فهذا غاية القصد والمرام ، بلغنا الله وإياكم زيارة المظلل بالغمام ، عليه أفضل [١٣٥/أ] الصلاة والسلام .

(١) المكتوب في المسودة ل : ٦٧ .
(٢) ليست اللفظة في ن .
(٣) ت ، ن : (وسناء) .
(٤) ن : (من الملك من المنان) .
(٥) في المسودة : (الهمام) .

انتهت صورة المكتوب .

جواب الكتاب

ثم إننا كتبنا له الجواب عن ذلك ، وأرسلنا به إليه وهذا صورة ما هنالك[٦] :

روائح حظيرة[٧] القدس ، ولوائح حضرة الأنس ؛ تهبُّ من قبة سلسلة الأشباح ، وذلك الصحن[٨] المبارك من قبة الأرواح ؛ فتلين له صخرة القلب الأقصى ، وتفيض عين سلوان السلوان على بئر أيوب البلاء المستقصى ؛ فينفتح له باب عمود الأشواق ، وباب حطة الهموم من باب غوائمة قلوب العشاق ؛ ويدور[٩] بها الكأس ، بأنابيب المودة والإيناس ؛ على طور الإدراك والإحساس ، فيطيب به حمام الشفاء للناس ، ويكمل به أبو الوفاء على ارتفاع ذلك العلم ، وينعم بإشراقه عفيف العبد للرحمن بمنبره الذي ما اندهم ، ولا زال ابن جماعة المفاخر ، يحيا بمقام داود الأوائل والأواخر .

ومضمون ذلك التحيات السلطانية ، والأثنية النائبة عن مرسلها إلى الحضرة العلية ، في الدولة العثمانية ؛ رفع الله رملة شرفها بين رمل الأشراف ، وحسن أمانة أمينها الذي هو أبو الهدى والدلالة على العدل والإنصاف ، ببركة ابن عليل المقامات السنية ، وزيارة هاتيك الجهات التي لا تنال ولا بالأمنية ، إلى الجناب الخطير ، والشأن الكبير ، جناب شيخ الإسلام ، وابن شيخ الإسلام ، الذي أظهره الله تعالى من حسنات الليالي والأيام ، حضرة المولى والله المولى ، الذي هو بكل كمال أحقُّ وأولى ؛ شمس المعالي ، وبدر السادة الموالي ؛ حضرة المشار إليه ، أعزَّه الله تعالى ببلوغ المرام ، وجعل الحلَّ والعقدَ في يديه ، والذي ننهيه إلى الجناب السامي ، والمقام الأظهر النامي ، بأننا ولله[١٠] الحمد في أكمل صحة وعافية ، ونعمة من الله تعالى وافية ؛ نحن وجميع من معنا من الإخوان ، في أتم نعمة وأشمل امتنان .

وقد توجهنا بشريف همّتكم إلى زيارة الولي الكامل ، والعالم العامل ؛ الشيخ علي ابن عُلَيْل ، قدس الله سرَّه ، وأعلى في درجات القُرْب مقرَّه ؛ وحصل الابتهاج والسرور ، وكمال الأنس والحبور ؛ وذهب معنا جميع الإخوان والمحبين ، وسليل الأماجد

(٦) الجواب في المسودة ل : ٦٨ .
(٧) ق : (حضيرة) .
(٨) ق : (الصحخر) .
(٩) ليست اللفظة في ق .
(١٠) ق : (بأننا لله الحمد) .

الأكرمين(١١) ، حضرة الشيخ أبي الهدى ، وقد أنزلنا عنده في مقام أمين ، وحضرة [١٣٥/ب] مفخر العلماء الكرام الشيخ أمين الدين ، مع بقية أتباعهما وإخوانهما من الأماجد المكرمين . ودعونا الله(١٢) لكم ولأولادكم في هاتيك الأماكن المباركة ؛ بما هو محمول إن شاء الله تعالى إلى حضرة العلي الأعلى على أجنحة الملائكة ؛ ثم توجهنا إلى قرية المجدل وبتنا بها إلى الصباح ، بعد زيارتنا أبا هريرة والشيخ إبراهيم المتبولي ، وسلمان الفارسي ، وبقية قبور أهل الدين والصلاح ؛ وكال الدعاء لكم حتى ذهبنا إلى عسقلان ، وزرنا ما فيها من المشاهد وشهدنا هاتيك الأسرار الحسان ، ثم توجهنا إلى غزة المحروسة ؛ ونزلنا في دار صاحب الأخلاق المأنوسة ، والكمالات الظاهرة ، الدالة على طيب الأعراق الطاهرة ؛ جناب الشيخ محيي الدين أفندي ، الذي لا زال في عناية المعيد المبدي ؛ ونحن الآن في ظل مكانه المعمور ؛ في أكمل إعزاز وأشمل سرور ؛ وتلقانا جناب ولدنا نائبكم(١٣) الكامل الأخلاق ؛ والشريف الأصول والأعراق ؛ قرة العيون ؛ الذي بفضله تفتخر أهل الكمالات والفنون ، أحمد أفندي البهنسي ، وحمدنا سيرته الفاضلة ؛ وسريرته الكاملة ؛ من جميع الوجوه والجهات ، ونحن الآن عند أهل البلاد في أكمل الحالات ؛ وقد شهد معنا هذه المشاهد كلها تابعكم المشكور ، في سعيه المبرور ؛ وكيف ونحن في صحبة خضر(١٥) المشهور ، [وكذلك السيد محمد الذي بشرفه شملنا في جميع الأمور خطيب الشيخ واكد ، الذي لا يزال يحافظ على مروءته ويواكد ،](١٤) وقد وصل إلينا من جنابكم المكتوب الشريف ، والمرسوم المنيف ؛ فسررنا بكمال الصحة والعافية ، وتمام الحظوة الوافرة الوافية . ونحن مواظبون لكم ولأولادكم . ولأتباعكم على وظيفة الدعاء الصالح في كل صباح ومساء ، والسلام على الدوام . انتهى(١٦) . [وإن شاء الله تعالى نكتب لكم مكاتيب أخرى ، ونعلم جنابكم بما يكون ويجري](١٤)

سبب سفره إلى مصر

ثم ذهبنا مع النائب أحمد أفندي المذكور فاجتمعنا بالشيخ واكد شيخ العرب في(١٧) هاتيك البلاد ؛ وتكلمنا معه في الذهاب إلى بلاد الحجاز من طريق البرية ؛ فأخبرنا أن

---

(١١) ق : (المكرمين) .

(١٢) لم يرد لفظ الجلالة في غير ت ، حتى ولا في المسودة أيضاً .

(١٣) ق : (تابعكم) .

(١٤) لم يرد ما بين الحاصرتين في جميع الأصول ، واستدركته عن المسودة ل : ٦٨ .

(١٥) ق : (خضركم) .

(١٦) ليست اللفظة في ق .

(١٧) ليست اللفظة في ن .

حكمه إلى قلعة المويلح ، وأنه يرسل معنا من العرب مَنْ يحملنا على جمالهم إلى قلعة المويلح ، ومن هناك يبقى للمدينة المنورة نحو العشر.[18] مراحل . [19]فقلنا له[19] : ومن هناك مَنْ يأخذنا هذه [20] العشر[18] مراحل فذكر لنا [١٣٦/أ] أنّ هناك عرباً يعرفهم حاكم قلعة المويلح ، ثم قال لنا : الأيسرُ عليكم من هذا كله أن تذهبوا إلى مصر ، وهناك أمير الحاج المصري عنده مشايخ العربان كلهم ، يرسلكم كيف شئتم .

فانفصل المجلس على هذا ، وتوجهت همتنا عليه .

الشيخ طُطْماج

ثم قمنا فزرنا في الطريق الولي الصالح الشيخ طُطْماج — بضم الطاء المهملة ، وبعدها طاء مهملة وساكنة ، وألف وجيم .

الشيخ تُرْكي

وزرنا الشيخ تُرْكي — بضم التاء المثناه الفوقية ، وسكون الراء ، وكسر الكاف ، وياء : النسبة إلى الترك . وقبره في رأس تل عالٍ من الرمل .

الشيخ عجلين

وقرأنا الفاتحة للشيخ عجلين من أولاد الشيخ علي بن عليل ، قدس الله سرهما ، وسيأتي قريباً ذكرنا لزيارة الشيخ عجلين ، وزيارة أخيه الشيخ رضوان رضي الله عنهما .

نزهة وشعر

ثم مشينا بين البساتين من النخيل في ذلك الرمل ، ورأينا آثار الأقدام ، فعملنا هذه الأبيات في ذلك المقام[21] : [من الرمل]

عُجْ عَلَى الكُثْبانِ مِن رَمْلِ الحِمى
وَاقْرَأ الحَرْفَ الَّذي قَدْ رُقِما

حَيْثُما الأَقْدامُ فيهِ كَتَبَتْ
في طُروسِ الأَرْضِ أسرارَ السَّما

---

(١٨) في كل الأصول والمطبوع : (العشرة) وما هنا للسياق النحوي.

(١٩ — ١٩) ليس ما بين الرقمين في ت ولا في ن .

(٢٠) في ق : (فقلنا له من هناك من يأخذ هذه).

(٢١) الأبيات في المسودة : ل ٦٩ .

رُبّمـــا تَفْهَـــمُ أَوْ تَلْمَـــحُ أَوْ
تُــدْرِكُ المَطْــوِيَّ فيـــه رُبّمـــا
إنّ هٰـــــذا نَسَبٌ مُـــــتَّصِلٌ
مِـــن عُلَا الغَـيْبِ إلى أَسْفَــل مــا
يــا سَقَــى اللهُ حِمَــى غَــزَّةَ مِــنْ
بَلَـــدٍ راقَتْ وطـــابَتْ كَرَمـــا
وَرَعَـــى الشَّطُّ مِـــن البَحْـــرِ بها
كُلَّمـــا طـــابَ هَـــواهُ كُلَّمَـــا
قَـــدْ أَتَيْنـــاهُ بأَقْـــوامٍ لَهُــمْ
قَـــدَمٌ في الـــوِدِّ يَعْلُـــو قَدَمـــا
وَلَهُـــمْ فَضْلٌ وَجُـــودٌ وَتُقَـــى
فَهُـــمُ السّاداتُ فينـــا العُلَمـــا
وَنَعِمْنــــــا بتَـــــلاقِيهم ولم
نَجِـــدِ الأَقْـــوامَ إلا نِعَمـــا
هٰـــذِهِ حَضْرَتُنـــا قَـــدْ شَرُفَتْ
بشَرِيــفِ القَــدْرِ أَسْمَــى مَــنْ سَمَــا
أَحْمَـــدُ الأَوْصافِ والـــذاتِ الـــذي
ساقَ في الأَحْكـــام عِلْـــمَ الحُكَمـــا
وعلي مَـــنْ بـــه تَعْلـــو الـــعُلَا
وبطـــيبِ المَجْـــدِ يَشْفـــي السُّقَمـــا
والّـــذي يُدْعَـــي بمُحْيِـــي الدّيـــنِ قَـــدْ
عَـــزَّ قَـــدْراً وبـــه الـــفَضْلُ نَمـــا
وكَـــذَا الكَامِـــلُ في رُتْبَتِـــهِ
أَحْمَـــدُ المَشْهـــورُ دَرويُش الحِمـــى
وَبَـــواقي الصَّحْبِ مِمَّـــنْ حَضَروا
بَيْـــنَ مَخْـــدومٍ وَمَـــنْ قَـــد خَدَمَـــا
[١٣٦/ب] لَـــمْ تَـــزَلْ تَشْمَلُنـــا أَجمعُنـــا
بَـــرَكاتُ الـــوَقْتِ بَيْـــن الكُرَمـــا

ولنـــــا الجوُّ صَفَـــــا رَونَقُـــــهُ
حَـيْثُ ثَغْـــرُ البَحْـــرِ فينـــا ابْتَسَمـــا
وبساتيـــــنُ نَخِيـــــلٍ جَمَـــــعَتْ
كُـــلَّ لُطْـــفٍ نـــاشراتٌ عَلَمـــا
وَقُصورٌ عاليــــاتٌ قَـــــدْ سَمَتْ
بِشَبابِيـــكٍ لَهَـــا اللهُ حَمَـــى
وَأدام الحظّ منها وعلى
أهْلِهـــا مُغْـــدَوْدقالغَـــيْثِ هَمَـــا
مـــا دَعَـــا عَبْـــدُ غَنِـــيٍّ رَبَّـــهُ
فَحَبـــاهُ منـــه بالـــقَصْدِ وَمـــا

قبر الشيخ حسن الأغبر

ثم لم نزل سائرين إلى أن مررنا على قبر هناك عند البحر ، فوق تل من الرمل ، يقال إنه دفن فيه الشيخ حسن الأغبر — بالغين المعجمة ، والباء الموحدة ، والراء — : وهو رجل من أهل الجذب والصلاح . قيل له قبل أن يموت : أين تُدْفَنُ يا شيخ حسن ؟ فأتى بهم إلى موضع قبره الآن ، وقال لهم : أنا أُدفن في هذا المكان . ثم بعد سنين لما مات حضروا له قبراً في الجبّانة ، عند قبر والده ، فأتوا به ليدفنوه فيه ، فما أمكن ، وامتنع النعش ، وما قدر أحدٌ على وضعه في تلك الجبانة . وكانت جنازته حافلة بالعلماء والصلحاء ، والأكابر والأعيان والخواص والعوام ، فحملوا النعش به ، وكان[٢٢] يأخذهم حتى وصل بهم إلى محلِّ قبره الآن ، فحفروا له قبراً وبنوه في تلك الساعة ، ودفنوه فيه ، رحمه الله تعالى .

فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

قبر الشيخ رضوان بن أبي عرقوب

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى قبر الشيخ رضوان بن الشيخ أبي عرقوب بن الشيخ علي بن عُلَيْل ، قدس الله سرهم ، فدخلنا إلى تلك الحضرة العلية ، والسُّدَّةِ العُلَيْلِيَّة ، فرأينا ضريحاً عليه المهابة والنورانية ، فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بحصول الأمنية ، وهناك بالقرب منه بعض القبور ، وذلك المكان مملوء بالبهجة والنور ؛ وقلنا في ذلك المقام ،

(٢٢) مط : (فكان) .

من النظام(٢٣) : [من السريع]

لَقَـــدْ أتَيْنـــا نَبْتغـــي زَوْرَةً ... لِكامِـــلٍ سامٍ لَـــهُ شَانُ
بالشَّيْخِ رِضوانٍ دُعي في الوَرَى ... وابـــن عُلَيْـــل فيـــه عِرْفـــانُ
في جَنَّـــةِ الخُلْـــدِ غَـــدا قَبْـرُهُ ... وخـــازنُ الجَنَّـــة رِضْوانُ

[١٣٧/أ]وأنشدنا لبعضهم الدرويش أحمد(٢٤) المشار إليه سابقاً(٢٣) : [من السريع]

مَـنْ خالَـطَ النّـاسَ بـلا عِلَّـةٍ ... بِنيَّـــــــــةٍ صالحة والأَدَبْ
كَمَّلَـــهُ اللهُ عَلَـــى نِيَّتِـــهِ ... وَحازَ تَفْضيلاً(٢٥) لأَعْلى الرُّتَبْ

ومكان قبر الشيخ رضوان مرتفع في أرض منبسطة والزائرون له يجلسون على قبره من كرم وروحانية ، وجمال تجلية فيحصل لهم كمال السرور والنشاط ، فامتنعنا في أول الأمر من ذلك ثم وجدنا الأذن بلسان الحال ، وهو قبر واسع عال ، عليه قبة بأربع عضايد منفتح الجوانب ، بحيث أنه يشرف على أماكن بعيدة .

قرية جَبالي

فأشرفنا منه على قرية جَبالي ــ بفتح الجيم ، بعدها باء موحدة ــ وهي قرية لطيفة الهواء ، عذبة الماء ؛ في أهلها الصباحة ومحاسن الملاحة .

شعر لعلي النخال

وقد أنشدنا الفاضل الكامل الشيخ علي النَّخّال المذكور سابقاً هذين البيتين من لفظه لنفسه وهما قوله(٢٦) : [من الوافر]

وَلَمّـــا أَنْ أَدارَ الـــحُبُّ كاسي ... وَمِـــنْ صَهْبـــاءِ رِيقَتِـــهِ مَلالي
رَشَفْتُ رُضابَـهُ وَسَكِـرْت منـه ... وَقُـلْتُ لصاحِبـي هَـذا جَبـالي

وأنشدنا أيضاً من لفظه لنفسه(٢٧) : [من الوافر]

(٢٣) الأبيات في المسودة ل ٧٠ .
(٢٤) وفي المسودة أنه خليفة الشيخ شعبان أبي القرون .
(٢٥) في المسودة : (كلمة الله ... * وحاز تفصيلاً ...) .
(٢٦) الشعر في المسودة ل : ٧٠ .
(٢٧) البيتان في هامش المسودة ل ٧٠ .

وَلَمَّـا أَنْ بَـدا كالبَـدْرِ وَجْهـاً   بـوَ جْنـاتٍ بديعـاتِ الطِّـرازِ
شَمَـمْتُ الـوَرْدَ مِـنْ خَـدٍّ نَـديٍّ   وَقُـلْتُ لِصاحِبـي هٰـذا حِجـازي

ويناسبه قول الشيخ إبراهيم المعروف بابن زقاعة ، رحمه الله تعالى صاحب الديوان المشهور[٢٨] : [من الوافر]

تَبَـدَّى مُقْبـلاً فَسَأَلْتُ عَنْـهُ   بأي[٢٩] الأَرْضِ يا مُشْفِـي غَليلي
فَقالَ : من الخليـلِ وتـلكَ أَرْضي   فَقُـلْتُ لصاحبـي هٰـذا خَليـلي

ولبعضهم من قبيل ذلك[٣٠] : [من الوافر]

أَقـولُ لشادِنٍ أَضْحَـى مُقيمـاً   بِقَلْبـي وَهْـوَ من عربِ البَوادي
لمن تُعْـزَى فَقـالَ : إلى مُـرادٍ   فقلتُ لصاحبي : هٰذا مُـرادي

ولنا في نظير ذلك على البديهة قولنا : [من الوافر]

بَدَتْ ذاتُ العُقـودِ عُقـود در[٣١]   وَقَـدْ حَمَـلَتْ عناقيـدَ اللآلي
فَـذُقْتُ الخَمْـر مـن رَشَفـاتِ فيها   وَقُـلْتُ لِصاحبـي هـذي دوالي

---

(٢٨) البيتان في المسودة ل : ٧٠ .
(٢٩) في المسودة : (* عن أي الأرض) .
(٣٠) البيتان في هامش المسودة ل : ٧٠ .
(٣١) ق : (عقود ود) .

اليوم الثامن والثمانون

١١٠٥/٣/٣٠ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٥ م

ثم سرنا نحن والأخوان ، من ذلك المكان ؛ وعدنا [١٣٧/أ] إلى منزلنا المعروف ، وبتنا في أتم سرور موصوف ؛ حتى أصبحنا في يوم الأحد الثامن والثمانين ، وهو اليوم الثلاثون من شهر ربيع الأول ، فحضر عندنا الأفاضل والأعيان ، من أهل(١) تلك البلدة ، وجرت بيننا الأبحاث العلمية الرقيقة(٢) الشان .

ثم بعد صلاة الظهر ذهبنا إلى بستان لطيف ، قريب من البلدة ، وكان الزمان زمان الخريف ؛ وخريفهم(٣) كالربيع ، من كمال صنع الله البديع ، فقلنا في ذلك ، بحسب ما هنالك(٤) : [من الخفيف]

غَزَّةُ الشَّامِ قَدْ زَهَتْ بالأَرَاضِي ... كُلَّما جَادَها السَّحابُ المُريعُ
كَلَّلَ الزَّهْرُ والنَّبَاتُ خَلَاهَا ... فَكَأَنَّ الخريفَ فيها رَبيعُ
وَتَبَدَّى مِن قَبْلِ كانونَ فيها ... زَهْرُ لَوْزٍ على الغُصونِ لَميعُ
يَلْبَسُ الرَّوْضُ حُلَّةً منه خضْرا ... ءَ بأَزرارِ فِضَّةٍ فَريعُ
أَوْ سَماء مِنَ الزَّبَرْجَد تُبْدي(٥) ... أَنْجُمَ الدُّرِّ وَهْوَ شَيْءٌ بَديعُ
أَوْ كُفوف من اللُّجَيْنِ صِغار ... مَدَّها لابسُ الحَريرَ رضيعُ
وَالرُّبا عُطِّرَتْ بها نَفَحاتٌ ... منه فَهْو المِسْكُ الفَتيقُ المُذيعُ

مزار الشيخ شعبان المشهور بأبي القرون

ثم بعد انصرافنا من ذلك المكان ، مررنا على مزار الشيخ شعبان ، وهو المشهور بأبي القرون ، وذلك المزار غير زاويته ، كما سنذكرها فإنه فيه مدفون ، وعلى قبره عمارة ظاهرة ، وهناك كمال نورانية باهرة ، فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى .

قبر الشيخ ياسين

ثم زرنا قبالته قبر الشيخ ياسين ، وهو رجل من الأفاضل الصالحين .

(١) ق ، مط : (أهالي) .
(٢) ق : (الرفيقة) .
(٣) تنخرم النسخة من بعد هذه اللفظة بمقدار تسع ورقات ، وستعود في الصفحة ٤٧٤ من هذا الجزء .
(٤) الأبيات في المسودة ل : ٧٠ .
(٥) في المسودة : (يبدي) .

شعر في المنشد محمد بَرُّوق

ثم عدنا إلى المنزل ، وكان الهمُّ عنا بمعزل ، وحضر عندنا السماع بالآلات الفاخرة ، بعد العشاء الآخرة .

وحضر الأخلاء والمحبون ، الذين كانوا إلينا يترددون ؛ وكان المنشد فيهم اسمه محمد بَرُّوق — بفتح الباء الموحدة ، وتشديد الراء مضمومة — ولنا في شأنه من النظام ، على البديهة حيث اطرب في المقام(٦) : [من الكامل]

لِلّـــهِ دَرُّكَ يـــا مُحَمَّـــدُ في الـــذي
تَـأْتِي بِـــه مِـــن لَـــذَّةٍ في لِقـــاءِ الإنْشادِ
أَذْكَرْتَنـــا العَهْـــدَ القَدِيـــمَ بنَغمـــةٍ
قَـــدْ ساعَدَتْنـــا في لِقـــاءِ سُعـــادِ
وَدَعَـــوْت منّـــا بالغِنـــاءِ ظَواهـــراً
وَبَواطِنـــاً والقَـــلْبُ بالمِـــرْصادِ
[١٣٨/أ] وَإذا شَدَوْتَ فَـــأَنْتَ بُلْبُـــلُ روضَةٍ
أطـــرَبْتَ بالتَّرجيـــعِ والتَّـــردادِ
فَـرَأَيْتَ كَيْـفَ الأَمْـرُ يَنْـزِلُ صاعِـداً
في واحِـــدٍ فَيَسيـــرُ في الأَعْـــدادِ
حَتّـــى إذا احْتَكَـــمَ الهَـــوَى في مَعْـــرَكٍ
مَعَنـــا أتانـــا مِـــنْكَ خَيْـــر مُنـــادي
إن كانَتِ الـعَشْرُ الحَـــواسُ تَوَجَّـــهَتْ
لِلِقائِنـــا مِنّـــا فَـــأَنْتَ الحادِي

الشيخ إسماعيل الملقب بقرشت

فاجتمعنا في هذه الليلة برجل من الصالحين مؤذن في بعض المساجد هناك اسمه الشيخ إسماعيل يلقب بقرشت ، يأكل أي شيء قُدّم له من التراب ، أو الرمل ، أو الحجارة ، أو الزجاج ، أو شربات الفخار ، أو الحشيش ، أو الفحم ، أو التين ، أو جمرات النار أو قطع الكلس ، ويقول قبل الأكل : (قرشت) ، ثم يأكله وكان في يدنا تفاحة ، فألقيناها له ، وقلنا له : (قرشت) فأكلها في لقمة واحدة ، وقصدنا معه المباسطة لعلمنا بأنه يأكل ما لم يؤكل فالتفاح بالأولى .

(٦) الأبيات في المسودة ل ٧٠ — ل ٧١ .

اليوم التاسع والثمانون

١١٠٥/٤/١ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٦ م

ثم أصبحنا في يوم الاثنين التاسع والثمانين ، وهو اليوم الأول من شهر ربيع الثاني .

علي النخال يمدح النابلسي

فأتى إلى عندنا صديقنا الفاضل الشيخ علي النَّخّال المتقدم ذكره ، وقد امتدحنا بهذه الأبيات ، فجاء بها إلينا ، وهي قوله[1] : [من الوافر]

تَشَرَّفْنــــا بمولانــــا الزَّكــــيّ
إمــامِ الــعَصْرِ عَبْــدِ لِلغَنِــيِّ

هُمــامٌ مالــه في الــفَضْل ثــانٍ
ذَكِــيُّ الجدّ ذو قَــدْرٍ عَلــيِّ

فَريــدٌ في الوجــودَ وَحيــدُ دهــرٍ
لطيــفُ الــذّاتِ[2] ذو وجــهٍ سَنــيِّ

لــه فَــوْقَ السِّمــاكِ مَقــامُ صِدقٍ
يَفــوقُ بــه مَقــامُ الأَسْنــويِّ

فيــا لِلّــهِ مــن مَوْلــى تَسامــى
بأَنْــواعٍ مــن العِلْــمِ الوَفــيِّ

يحلّ المُشْكــلاتِ وَلَا عَجــيبٌ
عَلَــى هــذا الإمــامِ اللَّوْذَعــيِّ

تَفَــرّدَ بالكمــالِ وَلَــيْسَ يُلْقَــى
لَــهُ نــدٌ بإظْهــارِ الخَفــيِّ

لَعَمْــري إنَّــهُ الكَهْــفُ المُرَجَّــى
لتبيــانِ الــمُصانِ مــن الحلــيِّ

إذا مــا بــرمْتَ تَسْأَلُ عَــنْ دَقيــقٍ
تَــرَى البَحْــرِ المُحيــطَ بكــل شيّ

يُفيــدُ السّائِليــنَ إذا . . . أَتَــوْهُ
بتَحقيــقٍ وإيضاحٍ بَهــيِّ

---

(١) الأبيات في المسودة ل : ٧١ .

(٢) في مط : (لطيف للذات) ولا يستوي بها الوزن .

فمـــا القامـــوسُ في تَحْريـــرِ لفـــظٍ
لقـــد أَزْرَى صِحـــاح الجُوْهَـــريِّ
فَنَرْجُـــو اللهَ أَنْ يُبقيـــهِ غَوْثـــاً
وَعَوْنـــاً للضَّعيـــفِ وللقَـــوِيِّ
بجاهِ مُحَمَّـــدٍ خَيْـــرِ البَرايـــا
شَفيـــعِ الخَلْـــقِ ذي الأَصْلِ الزّكـــيِّ[٣]
عَلَيْـــه صَلاتُنـــا في كُـــلِّ وَقْتٍ
مَـــعَ التَّسليـــمِ مِـــن قَـــلْبٍ صَفـــيِّ
[١٣٨/ب] كـــذا آلٍ وأَصحـــابٌ كـــرامٌ
دوامـــاً في الصَّبـــاحِ وفي الـــعَشِيِّ
فعُـــذْراً أَيُّهـــا المَوْلَـــى فإنـــيّ
قَليـــلُ الحَـــظِّ مـــن هـــذا الـــرَّوِيِّ
علـــيٌّ عَبْـــدُكَ النَّحْـــالُ طبْعـــي
يَميـــلُ إلى الغـــزالِ الحاجـــزيِّ
وَدُمْ يـــا سَيِّـــدي كَهْفـــاً عَزيـــزاً
قَريـــرَ العَيْـــنِ بالعَـــيْشِ الهَنـــيِّ
عَلَـــى طُـــولِ المَـــدَى مـــا لاحَ بَـــرْقٌ
فَهيَّـــج لَوْعَـــةَ القَـــلْبِ الشَّجـــيِّ

إنشاد وسماع في دار يوسف ابن الغصين

ثم بعد صلاة الظهر ذهبنا إلى ضيافة أخينا صاحب الكمال والمحامد ، الخواجا يوسف الشهير بابن الغصين ، فدخلنا إلى داره المشرقة الكيف الواسعة الأين ، وكان المجلس حافلاً بالأفاضل والأعيان ، والأحباب والخلان ، فتذاكرنا بعض المسائل العلمية ، والكمالات الأدبية . ثم حضر السماع وأنشد المنشدون ، وحصل الطرب والسرور ، فكأنما القوم في روضة يُحْبَرون ، ثم بعد حصول الفائدة ، ووضع المائدة ، جيء[٤] بماء الورد والبخور ، وقد كمل الفرح وتمّ الحضور ... فعدنا إلى المنزل المعهود[٥] ، مع بعض الإخوان إخوان الوجود ، وتكلمنا في بعض الحقائق الشرعية ، بعد صلاة المغرب إلى أن مضى من العشاء نحو ساعة فلكية ، ثم حضر عندنا السماع ، وانطربت القلوب والأسماع ؛ وانصرف الحاضرون .

(٣) ت : (الذكي) .
(٤) ن : (حتّى جيء) .
(٥) ن : (إلى منزلنا المعهود) .

اليوم التسعون

١١٠٥/٤/٢ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٧ م

وبتنا تلك الليلة على أهنى ما يكون ، حتى أصبحنا في يوم الثلاثاء وهو اليوم التسعون ؛ وهو الثاني من شهر ربيع الثاني .

زاوية الشيخ شعبان الملقب بأبي القرون

فذهبنا إلى زاوية الشيخ الولي الصالح شعبان الملقب بأبي القرون ، قدس الله روحه ، وَنَوَّرَ ضَريحَه ، في ضيافة خليفته الشيخ الكامل ، المشمول بالعناية الإلهية ، وهو لغيره شامل ؛ الدرويش أحمد المتقدم ذكره ، فدخلنا إلى تلك الزاوية المعمورة الجوانب والأطراف ، الرحبة الأماكن والأكناف ، وحضر عندنا هناك الأفاضل والأعيان ، ونحن نتذاكر طرائف المسائل العلمية ولطائف البيان ؛ ثم حضر السماع ، ولمعت بوارق الألماع ، وفي طرف البستان الذي في الزاوية مكان مرتفع وهو مطلق القياد ، مشرف على جهات تلك البلاد ، وكان يسميه الشيخ أحمد المذكور بالشرف الأعلى ، يشير بذلك إلى مرجة دمشق الشام والشرفين ، فيذكرنا قول الشاعر [١٣٩/أ] المنازي في المرجين[1] والشرفين : [من الرجز]

والشَّرَفانِ عَقْلَةُ المُجْتازِ ... هُما جَناحانِ لصَدْرِ البازِي[2]

شعر للنابلسي

وفي ذلك نقول ، وعلى الله بلوغ المأمول[3] : [من الطويل]

لأَحْمَدنا الدَّرْويشِ أَحْمدُ جَوْسَقٍ ... به كُلُّ إشْراقٍ[4] ولُطْفٍ وَرَوْنَقِ

ولِلشَّرَفِ الأعْلَى الذي ثَمَّ بَهْجَةٌ ... عَلَى الشَّرَفِ الأَعْلَى بمَرْجة جِلَّقِ

فإنْ قيلَ هٰذا ماؤُهُ دافِقٌ فَقُلْ ... بَدا ذا عَلَى بَحْرٍ بِهِ مُتَدَفِّقِ

وقامَتْ به النَّخْلُ الطِّوالُ كأنَّها ... خَرائِدُ في خُضْرِ الغَلائِلِ تَرْتَقي

وَأَنْواعُ أَزْهارٍ هُناكَ نَوافِحٌ ... بطِيبٍ عَلَى تِلكَ الرِّياضِ مُعَبِّقِ

وَأَشْجارُ لَوْزٍ مُزْهِراتٌ لها شَذا ... كَمِسْكٍ فَتيقٍ مَعْ بَياضٍ لها نَقِي

(١) ت : (المدحين) وهو تصحيف .

(٢) في هامش ت : (بلغ مقابلة) .

(٣) الأبيات في المسودة ل : ٧٢ .

(٤) في ت : (إشراف) وهو تصحيف .

وَعاشِقُ والمَعْشوقُ يَزْهُو بلَوْنِهِ ... إذا ناحَ في الأَقْفاصِ كُلُّ مُطَوَّقِ
ويا حَبَّذا ذاكَ النّسيمُ الذي سَرَى ... عَشِيَّةَ كُنّا بالأَحِبَّةِ نَلْتَقي
يَهبُّ فَيثني للغُصونِ مَعاطِفاً ... فَلا غُصْنَ إلّا كاسَ خَمرِيَّةٍ سُقي
وَبِرْكَةِ ماءٍ سالَ صافي زُلالها ... بنَوْفَرةٍ بَيْضاء ذاتِ تَأَلُّقِ
وَمَجْلِسِ أُنْسٍ مُطْلَقِ الصَّدْرِ مُشْرِقٍ ... عَلَى كُلِّ صَدْرٍ في البرِيَّةِ ضَيِّقِ
تَحفُّ به الأَزْهارُ من كلِّ جانبٍ ... فَكَمْ هاجَ من قَلْبٍ إلى الحبِّ شَيِّقِ
أَتَيْنا وسَلَّمْنا عَلَى مَنْ ثَوَى بِهِ[5] ... فَبَشَّ بوجهٍ منه في النّاس مُشْرِقِ
فَلِلّهِ مِنْ شَيْخٍ سَما بِمُقَيَّدٍ ... مِنَ العَيْنِ في وَقْتٍ عن الغَيْرِ مُطْلَقِ
وكُنّا وما كُنّا هناكَ بَجْمَعُنا ... وللفَرْقِ منّا قَدْ سَمَا كُلُّ مَفْرِقِ
وللدف والنّاياتِ ثَمَّ تزاوج ... وللجَنْكِ يَسْقي كَأْسَ راحٍ مُرَوَّقِ
وأَبحاثِ عِلْمٍ مع صِحابٍ أَعِزَّةٍ ... تُنيرُ مَعانيها كَشَمْسٍ بِمَشْرِقِ

وَطِبْنا وطابَ القَوْمُ في نَشْأَةِ الهَوَى برقَّةِ أَلْفاظٍ وَبَهْجَةِ مَنْطِقِ
إلى أَنْ دَعا الدّاعي وَحَيْعَلَ بالنَّوَى وحانَتْ صَلاةُ الانْقضا والتَّفَرُّقِ

فَقُمْنا إلى التَّسليمِ نَرْكَعُ عِفَّةً ... وَنسْجُدُ للدّاعي بِحُسْنِ تَمَلُّقِ
فيا طيبَ ذاكَ اليَوْمِ ما كانَ في الحِمَى ... أَلَذَّ وأَشْهَى منه للمُتَعَلِّقِ
وَما غَزَّةُ الفَيْحاءِ إلا كَجَنَّةٍ ... لَوَ انَّ الذي فيها من العَيْشِ قَدْ بقي
سَقاها وَحَيّاها[6] الحَيا من مَدينةٍ ... لفَرْطِ الهَوَى تَدْعُو وحُسْنِ التَّعشُّقِ

اليوم الحادي والتسعون

١١٠٥/٤/٣ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٨ م

ثم عدنا إلى منزلنا المعروف ، وبتنا تلك الليلة في أتم سرور لا يمكن تأديته بتعبير الحروف ، إلى أن أصبح صباح يوم الأربعاء الحادي والتسعين ، وهو الثالث من شهر ربيع الثاني .

تذييل لبيت

[١٣٩/ب] فعرض علينا بعض الجماعة من أهل الأدب ، هذا البيت المفرد من

(٥) في المسودة : (به ثوى) .
(٦) في المسوّدة : (رعاها وحياها) .

قول بعض الشعراء ولإنشاده انتدب[1] : [من البسيط]

إنَّ انتِصارَكَ بالأَجْفانِ من عَجَبٍ ... فَكَيْفَ يُوجَدُ مَنصورٌ بمُنْكَسِرِ

وطلب منا أن نذيّل له عليه ، ونعمل له أبياتاً قبله كالمنسوبة إليه ؛ فقلنا في ذلك ، بمعونة القدير المالك[2] : [من البسيط]

هاتَتْ حُروبُ الهَوَى في المعرَكِ العسر ... والقَلْبُ صادٍ لَهُ من ثغر أَلْعَس رَيّ

يا بَدْرَ تَمٌّ تَبَدّى من سَوالِفِهِ ... في جُنْحِ لَيْلٍ دَجيٍّ غير مُنْحَسِرِ

إذا تَجَلّى فيا وَجْدي لديه[3] أَقِمْ ... وإن تَوَلّى فيا صَبْري عَلَيْه سِرِ

عَجِبْتُ منك لخَصْرٍ كاد لَيْس يُرَى ... من فاقةٍ فيه مع حُسْنٍ لَدَيْكَ سَرِي

غَزَوْتَنا بجُفُونٍ منكَ أَسْهُمُها ... لم يَلْقَ فيها خَلاصاً كل مُنْأَسِرِ

ففرقت جَيْش صبري عنك[4] وانْهَزَمَتْ ... عساكِرُ الجَلَدِ العاني بك الجَسِرِ

إنَّ آنْتِصَارَكَ بالأَجْفانِ من عَجَبٍ ... فكَيْفَ يُوجَدُ مَنصورٌ بمُنْكَسِرِ

الشيخ اينبك

ثم ذهبنا نحن والجماعة . وبقية الإخوان ، وبعض الأصحاب والخلان ؛ بقصد النزهة إلى بستان ، وزرنا في الطريق الشيخ اينبك — بفتح الهمزة ، بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة ، ثم نون مفتوحة ، ثم باء موحدة ، وفي آخره كاف — وهو في مكان مستقلّ ، وعليه قبة وعمارة . ثم دخلنا إلى ذلك البستان ، فإذا فيه شبه من حدائق الجنان . وجلسنا هناك في غاية الصفاء ، وكمال المسرّة والوفاء ، إلى أن صلينا صلاة العصر مع الجماعة ، وكملت النشأة بحصول الطاعة .

قبر الشيخ حِياض

ثم ذهبنا ، فمررنا في الطريق على قبر الشيخ حياض — بكسر الحاء المهملة ، بعدها ياء مثناة تحتية ، ثم ألف ، ثم ضاد معجمة — وهو تحت شجرة هناك ، وليس عليه عمارة . فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

(١) البيت في المسودة ل ٧٢ .

(٢) الأبيات في المسودة ل ٧٢ .

(٣) في الأصول ومط : (إليه) وما هنا عن المسودة .

(٤) اللفظة مستدركة في هامش ت .

تربة الدِّرارية

ثم سرنا إلى أن وصلنا إلى تربة الدِّرارية — بكسر الدال المهملة المشددة — فقرأنا الفاتحة لمن دفن فيها من المسلمين والمسلمات .

قبر التُّمُرْتاشي

وزرنا قبر الشيخ محمد بن عبد الله(٥) ، مصنف كتاب تنوير الأبصار ، وجامع البحار ، وهو المشهور بالتُّمُرْتاشي(٦) — بضم المثناة الفوقية ، وضم الميم المعجمة(٧) ، وسكون الراء ، وفتح التاء المثناة الفوقية ، بعدها ألف وشين(٨) ، وياء النسبة .

قال في كتاب مراصد الإطلاع في أسماء الأماكن [١٤٠/أ] والبقاع(٩) ، للعلامة أبي الفضائل صفي الدين عبد المؤمن مفتي الحنابلة بالبشيرية : تُمُرْتاشي بضمتين ، وسكون الراء ، وتاء أخرى ، وألف ، وشين معجمة : قرية من قرى خوارزم . انتهى .

فلعل الأصل من بلاد خوارزم ثم سكن جدُّهم الأعلى في بلاد غزة وتناسلوا فيها .

اولاد التمرتاشي وأجداده

ثم زرنا قبورَ أولاد التمرتاشي وأجدادَه في تلك التربة ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى . وكانوا في غزةَ يُفْتون على مذهب الحنفيَّة كلهم رحمهم الله تعالى .

والد الشيخ علي النخال وأجداده وأولادهم

ثم زرنا والد الشيخ علي النخّال في تلك التربة أيضاً ، وأجداده وأولادهم ، رحمهم الله تعالى . وكانوا كلهم مشايخ الإسلام(١٠) يُفْتون على مذهب الشافعيّة .

وقد أخبرنا الشيخ علي النخّال المذكور أنه رأى بخط ابن عمه العلامة شيخ الإسلام ، الشيخ أبي بكر مفتي غزة . قال : أخبرني عمي شيخ الإسلام الشيخ محيي الدين مفتي غزة أن والده المرحوم شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم أخبره :

---

(٥) ولد سنة ٩٣٩ وتوفي سنة ١٠٠٤ هـ وانظر خلاصة الأثر ١٨/٤ — ٢٠ ، والأعلام ١١٧/٧ ومعجم المؤلفين ١٩٦/١٠ — ١٩٧ .

(٦) كذا ضبطه النابلسي ، والذي في الأعلام ومعجم المؤلفين (التّمرتاشي) بفتح التاء .

(٧) ليست اللفظة في مط .

(٨) مط : (وشين معجمة) .

(٩) انظر معجم البلدان ٤٦/٢ (تمرتاش) .

(١٠) مط : (مشايخ إسلام) .

أنه كان لوالده الولي العارف ، صاحب الكرامات والعوارف ، الشيخ عبد الله النّخال . بهيمةٌ عزيزةٌ عليه ، فطلب منه ولده الشيخ عبد الكريم الإِذْنَ في ركوبها إلى الكَرْمِ ، فإِذِنَ له ، وشرط عليه أن لا يُرْكِبَ معه أحداً . فلما ركبها أردف خلفه واحداً من أصحابه ، ولما عاد بها إلى البيت ربطها في محلها ، فجاء الشيخ على عادته ، ووضع لها العلفُ ، فلم تأكل ، فقال لها : كُلي يا مباركة ، فقالت له : أنت أَبْرَكُ منّي ، ولكن ولدك أتعبني ، وأردف خلفَه من آذاني وضربني . فدخل إلى ولده وسأله عن ذلك ، فأنكر فمسكه من يده ، وجاء به إلى البهيمة ، وقال لها : هذا أنكر جميعَ ما قلتيه . فأخبرته بجميع ما قالته أولاً ، فلما سمع الغلام كلامَها وقع مَغْشِيّاً عليه ، فأخذته والدته إلى البيت ، ومكث ثلاثةَ أيامٍ ، لا يعي شيئاً . ثم لما مرض الشيخُ مَرَضَ الموتِ أَوصى ولدَهَ المذكورَ أن البهيمةَ إذا ماتت يدفنها . فتوفي الشيخ إلى رحمة الله تعالى ، ثم بعد مدة ماتت البهيمة ، فألقاها على المزابل ، و لم يدفنها ، فرأى والده في المنام ، وقال له : أنت [١٤٠/ب] لم تقبل الوصيةَ ، ونحن كفيناك مؤونَتَها . فلما أصبح توجَّه فلم يَجْدها و لم يجدْ لها أثراً .

وقد اشتهر بأن الشيخ عبد الله المذكور كان في كل سنة يُرى في وقت الحج على جبل عرفات ، وقد أخبر بذلك من جماعة من جيرانه كانوا في الحج مراراً والله أعلم . انتهى .

مكان ولادة نبي الله سليمان

ومررنا على مكانٍ مُستقلٍّ ، فيه عمارة[١١] ، يقال إنه ولد فيه نبي الله سليمان عليه السلام فتبركنا به .

قبر الشيخ أبي العزم

ومررنا على قبر الشيخ أبي العزم ، وهو في مكان مستقل ، عليه عمارة[١١] وقبة معقودة بالحجارة . فقرأنا الفاتحة . ودعونا الله تعالى .

ثم عدنا إلى المنزل . وبتنا في كمال السرور والعافية ، وتمام النشأة الوافية .

(١١ ــ ١١) ما بين الرقمين في هامش مط .

اليوم الثاني والتسعون

١١٠٥/٤/٤ هـ = ١٦٩٣/١٢/٢٩ م

حتى أصبحنا في يوم الخميس الثاني والتسعين ، وهو الرابع من شهر ربيع الثاني ، فورد علينا الوارد الإلهي من فتوح الوقت على حسب الحال ، فنظمنا هذه الأبيات وعلى الله بلوغ الآمال[1] : [من الطويل]

فَدَيْتُكَ يا مَنْ قَدْ خَفَيْتَ فَلَاهـا
وَشَوْقِي إِلَيْهِ لا يَزالُ فَلَاحـا
وَلا عَجَبٌ أَنْ طِرْتُ في رُؤْيَتي لَهُ
فَمِنْ لُطْفِهِ أَنّي وَجَدْتُ جناحـا
وَلَمّا بَدا وَجْهٌ لَهُ من ورا الوَرَى
رَأَيْتُ جَميعَ الكائِناتِ مِلاحـا
تَبارَكْت من سرٍّ خَفِيّ عَنِ السّوى
أَباحَ لَنا جَهْراً لقاه أَباحـا
يَقولُ لشيءٍ كُنْ وما الشيءِ غَيْره
إذا كانَ لكن قَدْ سَتَرتُ وَباحـا
وما صِبْغَةُ الأَشياءِ إِلّا شُؤونَهُ
بها يَتَجَلّى للأَنامِ كفاحـا
تَعالَيْتَ يا ساقي القُلوب شَرابَهُ
برؤْيَةِ وَجْهٍ منه ساعةَ لاحـا
لَئِنْ كانَتِ الأَكْوانَ في النّاسِ ظُلْمَةً
فإنّكَ عِنْدي قَدْ ظَهَرت صَباحـا
وَشَمْسُ سَماءِ الّذاتِ منك لنا بَدَتْ
وَرَوْضُ التَّجَلّي من صِفاتِكَ فاحـا
هُوَ الكُلّ إلا أَنَّ صَوْلَةَ فِعْلِه
حِجابٌ لَهُ يَسْقي البَرِيّةِ راحـا
فَتَسْكَرُ أَرْبابَ العُقولِ فلا ترى
سِوى مالها منها الخبالُ أتاهـا

---

(١) الأبيات في المسودة ل ٧٣ .

وَمــا الحسُّ إلا وَهْــوَ للعَقْــلِ تابــعٌ
يَــرَى مــا يــراه قَـبْضَه وسراحــا
ألا يــا وَحيــدَ الّــذاتِ أنتَ وجودُنــا
وَمـا نَحْـن إلا الحُكْـمُ مـنك مُتَاحـا
خُطــوطٌ بأقْــلامِ العُقــولِ تَخيَّــلا
عـن القَلَـمِ الأعْلَـى صَدَرْنَ صَحِاحـا
ومـا القَلَـمُ الأعْلَـى سوى عَـنْ إرادةٍ
تجلّ انبعاثــاً إذْ عَــلَتْ وَرَواحـــا
إرادةُ غَــيْبٍ مــن مقــامِ مُقَــدَّسٍ
بِبَيْدائِــهِ فَهْــم المُنَــزِّهِ ساحـــا
[١٤١/أ] قَــديمَةُ عَهْــدٍ والجَميــعُ حَــوادِثٌ
فَلَــيْس لنــا فيها الكَــلامُ مُباحـــا

ثم جاء إلى عندنا بعض الأصحاب ، من أفاضل الأحباب ؛ فتذاكرنا في المسائل التوحيدية ، والمواجيد الربانية ؛ وقرأ علينا بعض الإخوان قصيدتنا العينية ، التي لنا في ديوان الإلهيات بتمامها ومطلعها قولنا[٢] : [من الطويل]

فَريدَةُ حُسْنٍ وَجْهُهـا البَـدْرُ طالِـعٌ أُشاهِـدُ مَعْنَـى لُطْفِهـا وَأُطالِـعُ[٣]

الشيخ عجلين بن أبي عرقوب

ثم بعد صلاة الظهر . قصدنا زيارة ولي الله الشيخ عجلين — بكسر العين المهملة ، بعدها جيم ، ثم لام مكسورة ، بعدها ياء مثناة تحتية ، في آخره نون — وهو ابن الشيخ أبي عرقوب ابن الشيخ علي بن عُلَيْل . والشيخ عجلين المذكور أخو الشيخ رضوان المتقدم ذكره ، وكلاهما ولد الشيخ أبي عرقوب ، واسم أبي عرقوب الشيخ إبراهيم .

وقد تقدم ذكر زيارتنا لقبره في قرية حمامة قبل مجدل عسقلان ، وكأنما هذا الشيخ أبو عرقوب قدس الله سره كان الله تعالى قد جمع له مقام الجمال ، ومقام الجلال[٤] ، بتجليه سبحانه على نشأته الإنسانية فلما مات ورثه ولده الشيخ عجلين في تجلي مقام

(٢) البيت في هامش المسودة ل ٧٣ .
(٣) في هامش ت : (بلغ مقابلة) .
(٤) ن : (مقام الجلال ومقام الجمال) .

الجلال ، وورثه ولده الشيخ رضوان في تجلي مقام الجمال ، وحال كل مقام منهما ظاهر[٥] من روحانية صاحبة عند تربة قبره يشهده الزائر له ، كما وجدنا نظير ذلك في مصر المحروسة ، حسبما نذكره إن شاء الله تعالى في محله كلاً من الأخوين الشيخين الجليلين صديقنا وحبيبنا وروحنا الشيخ زين العابدين ، والشيخ الكامل العارف المسمى بأبي المواهب ولدي قطب العارفين الشيخ محمد البكري الصديقي رضي الله عنهم فإن الشيخ زين العابدين نور الله سره كان أرثه من والده الجمال المحض . والشيخ أبي المواهب حفظه الله تعالى أرثه من والده الجلال وروحانية كل منهما مُشْعِرةٌ بذلك .

فوصلنا مع الإخوان والأصحاب ، ومن كان معنا من خلاصة الأحباب ؛ إلى مكان قبر الشيخ عجلين المذكور ، ولمعت علينا بوارق ذلك النور ، فدخلنا إلى مقامه المأنوس ، وحرمه المحروس ؛ بجانب البحر المالح ، مثل قبر جده الشيخ علي بن عُلَيْل [١٤١/ب] الولي الصالح ، وهو داخل جدران أربع متسعة الجوانب ، وليس عنده غيره مدفون من الأقارب والأجانب . وقبره تحت السماء في قرب الباب ليس عليه عمارة ، وهناك إيوان في طرف من المكان مبني بالحجارة ؛ وعلى المكان هيبة عظيمة وجلال ، ففرشوا لنا في ذلك الإيوان . وجلسنا حصة فلم نستطع من هيبة الحال ، حتى قمنا وذهبنا إلى الخارج ، بعد قراءة الفاتحة والدعاء الذي هو للقبول إن شاء الله تعالى من أقوى المعارج .

جميز ونرجس مضعف

ونزلنا إلى مكان على شط البحر بين صخور ، ومكثنا هناك نقابل أمواج البحر وهي تغور ؛ وإذا بغلام معه قُفّةٌ من جريد النخل مملوءة من الجميز الحلو ، أقبل بها علينا ، ووضعها بين يدينا ؛ فقلنا هذه ضيافة الشيخ عجلين جاءت إلينا ، وكنا تطلبنا[٦] ذلك ممن كان معنا في الطريق فلم تتيسر . ثم أتى غلام آخر نحونا بباقة من النرجس المُضَعَّف وناولها[٧] لنا فحمدنا الله تعالى وشكرناه على كمال العافية .

قبر الولي الشيخ أحمد

ثم زرنا قريباً منه قبر الولي المشهور ، الشيخ أحمد وهو تحت السماء ، ليس عليه عمارة ، وعليه الهيبة والوقار ، ويقال إنه مدفون هناك ، قبل أن يدفن الشيخ عجلين .

ثم قمنا وذهبنا إلى منزلنا المعهود ، في آخر ذلك النهار المشهود .

(٥) مط . (وحال مقام كل منهما ظاهر) ، وفي ن (وحال كل مقام منهما ظاهر) .

(٦) ن : (نطلب) .

(٧) ن : (ناولها) دون الواو) .

كرامات الشيخ عجلين

وللشيخ عجلين المذكور ، كرامات كثيرة وخوارق وعادات خبرها في طي هاتيك البلاد منشور ؛ وحضرته من لازمها الأدب ، فلا يقع من أحد سوء أدب ، في حضرته ظاهراً أو باطناً إلا وتظهر في ذلك المكان الرياح والزعازع .

وأخبرنا بعضهم أن ناساً ذهبوا إلى مزاره . وذبحوا رأس غنم ، ووضعوه في طنجر[8] من النحاس على النار في جنب قبره ، وألصقوا النار بقبره ، ثم بعد حصة يسيرة لم يروا في ذلك الطنجر[9] إلا العظام ، ولم يجدوا شيئاً من اللحم أصلاً . وهي من كراماته قدس الله سره .

شعر في مقام الشيخ عجلين

ولنا من النظام ، في ذلك المقام[10] : [من البسيط]

مَا مِثْلُ قَبْرِ الإِمَامِ الشَّيْخِ عُجْلِينِ
بَيْنَ القُبُورِ ذَوَاتِ المَاءِ والطِّينِ

قَبْرٌ شَرِيفٌ عَلَيْهِ هَيْبَةٌ وعُلاً
لا تَسْتَطِيعُ تُرَاهُ النَّاسُ بالعَيْنِ

وَجَدُّهُ ابْنُ عُلَيْلٍ جَلالَتُهُ
عَلِيُّ الشَّهْمُ مَنْ يَسْمُو بِتَمْكِينِ

وَالحَبْرُ عِجْلِينُ في تِلْكَ الرِّحَابِ لَهُ
سِرٌّ سَرَى بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ في الحِينِ

[١٤٢/أ] تَأْتِي إِلَيْهِ البَرَايَا في زِيَارَتِهِ
تَبَرُّكاً بِزِيَارَاتِ الأَسَاطِينِ

وَيَنْزِلُونَ بِهِ مِنْ حَوْلِ تُرْبَتِهِ[11]
في دَارِ عِزٍّ لَهُ تَزْهُو بِتَزْيِينِ

---

(٨) ن : (طنجرة) .

(٩) ن : (الطنجرة) .

(١٠) الأبيات في المسودة ل : ٧٤ .

(١١) في المسودة : (قبته) .

فَيَجْلِسونَ حَوَالَيْها عَلَى جَبَلٍ
مِنَ الرِّمالِ عَظيمٍ في التَّلاوِينِ

في مهمهٍ قَفْرَةٍ ما فيه مِن أَحَدٍ
يَأْوِي هُناكَ ولا ثاوٍ بتَدْفينِ(١٢)

كَقَبْرِ موسى كَليمِ اللهِ لَيْسَ بِه
حَيٌّ تَحَرَّكَ أَوْ مَيْتٌ بتَسْكينِ

وَإِنَّما تَقْصِدُ الخُدّامُ حَضْرَتَهُ
وَقْتَ الزِّيارةِ في بَعْضِ الأَحايينِ

بشاطِئِ البَحْرِ مِن عَلْياءِ غَزَّةَ كَمْ
لَدَيْهِ ثَمَّ كراماتٌ بِتَبْيينِ

فإِنْ أَسا أَدَباً شَخْصٌ هناكَ بَدَتْ
زَعازِعٌ وَأُمورٌ ذاتُ تَشْيينِ

وإِنْ يكُنْ أَدَبٌ كانَتْ مكارِمُهُ
مَنْشُورَةَ السُّحبِ في تلكَ الدَّواوينِ

وذاكَ مِنْ غيرةٍ فيه قَدِ اشْتُهِرَتْ
مَعَ الجَلالِ كَأَخْلاقِ السَّلاطينِ

جِئْنا إِلَيْهِ نَؤُمُّ البَحْرَ مِن كرمٍ
يَعْلُو عَلَى البَحْرِ في قبرٍ بتَعْيينِ

حَتَّى جَلَسْنا لَدَيْهِ مُلْتَجِينَ بِهِ
في حَضْرَةِ العِزِّ مع صَحْبٍ ميامينِ

مُسْتَبْرِكينَ بِهِ حَتَّى أَشارَ لنا
في القَفْزِ بالأُكْلِ مع بَعْضِ الرَّياحينِ

فَجاءَ طفلٌ بجُمَّيزٍ بِهِ مُلِئَتْ
سَلٌّ وآخَرُ قَدْ وافَى يُحَيِّيني

بمُضَعَّفِ النَّرجِسِ الزّاهي وَلَيْسَ لنا
عِلْمٌ بذاكَ عَلَى بُعْدِ البَساتينِ

(١٢) هذا البيت واللذان يليان مستدركة في هامش المسودة .

وَقَـدْ دَعَوْنـا هُنـاكَ اللهَ خالِقَنـا
بما قَصَدْنـاهُ مـن حاجـاتِ مسكيـنِ

عَلَيْـه رحمةُ رَبّـي مـا شَدَتْ سَحَـراً
وُرْقُ الحَمـامِ بأنْـواعِ التَّـلاحين

وما سَرَتْ في رياضِ الحيِّ ريـحُ صَبا
فَعَطَّـرَ الكَـوْنَ منها ريـحُ نِسريـن

اليوم الثالث والتسعون

١١٠٥/٤/٥ هـ = ١٦٩٣/١٢/٣٠ م

ثم أصبحنا في يوم الجمعة الثالث والتسعين، وهو اليوم الخامس من شهر ربيع الثاني، فجاء إلى عندنا الشيخ محمد بن الشيخ عبد القادر الشهير بابن الغصين، وابن عمه الخواجا يوسف صاحب الفضل الباهر، والكمال الزاهر.

شعر في بني الغصين

فعلمنا هذه الأبيات في مدح هذا البيت المبارك فقلنا[1] : [من الوافر]

بَـلا بلُنـا بمدحِ بنـي الغُصَيْـنِ
سَواجـعُ في الرِّيـاضِ على الغُصَيْـنِ

وَنَشْأتُنـا برُؤيـةِ خَيْـرِ قَـوْمٍ
لَهُـمْ فَضْلٌ كـآلِ بنـي الحُسَيْـنِ

هُـمُ القَـوْمُ الأكابـرُ أهْـلُ مَجْـدٍ
وَأهْـلُ شَهامَـةٍ مـن غَيْـرِ مَيْـنِ

عُيـونُ الأكْرميـنَ ذَوي المَعـالي
وَمَـنْ كَشَفـوا لنـا مـن كُـل غيـنِ

بِهِـمْ يَسْمـو لَهُـمْ رَأس وَعَيْـنُ
عَلَـى مَـنْ كانَ ذا رَأسٍ وَعَيْـنِ

لَهُـمْ شَرَفٌ بغـزةَ قَـدْ تَسامـى
وذلك شائـعٌ بالمَشْرِقَيْـنِ

---

(١) الأبيات في مسودة المؤلف ل : ٧٤ .

[١٤٠/ب] وَقَــدْ زادَتْ مَناقِبُهُــم وفــاقَتْ
بسرِّ الوالدَيْــنِ الأكْرمِيّــنِ

بِعَبْــدِ القــادرِ المَشْهــورِ طالــوا
وَأَجْــدادٍ كِــرامِ الجانِبَيْــنِ

وَفَضْلُ مُحَمَّــدٍ لا زالَ فيهم
بوالِــدِهِ يَفــوقُ النَيِّرَيْــنِ

وَيُــوسُفُ بَعْــدَهُ يَزْهــو كَمــالاً
رَفِيــعُ القَــدْرِ ذُو مَجْــد وَزَيْــنِ

وَبــاقي القَــوْمِ في أفْــلاكِ عِــزّ
طوالــع لا تُشانُ ولا بِشَيْــنِ

سُلالَــةُ أَوْليــاءِ اللهِ سادوا[٢]
وَقَــدْ نُظِمــوا كَعَقْــدٍ مــن لُجَيْــنِ

فــلازالتْ تَحيّــاتي إليهم
رَواجِــعَ بَيْنهُــمْ أبَــداً وبَيْنــي

عَلَــى طُــول المَــدَى مــا لاحَ صُبْــحٌ
وَبَثَّ ضِيــاءَه في الخافِقَيْــنِ

وَمــا هَبَّ النَّسيــمُ مــن الــرَّوابي
فَعَطَّرنــا بطــيبِ الوادِيَيْــنِ

مكان ولادة الشافعي

ثم لما حانت صلاة الجمعة ذهبنا إلى الجامع الكبير ، وصلينا فيه صلاة الجمعة مع جملة الكبير والصغير ؛ ثم خرجنا وزرنا مكان ولادة الإمام الشافعي ، رضي الله تعالى عنه ، فإن جمهور العلماء على أنّه وُلد بغزة ، فدخلنا إلى مكانه . وهو على شكل المغارة فنزلنا إليه بدرج .

قبر الشيخ عطيّة

وهناك في داخله قبرٌ يُقال له قبر الشيخ عطية ، وهو رجل من الصالحين ، كان في حياته يلازم هذا المكان إلى أن مات ، ودُفن فيه رحمه الله تعالى ، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

(٢) في المسودة : (عزوا) .

قبر بنت الشافعي

وفي خارج ذلك المكان قبرٌ يُقال إنه قبرُ بنت الإمام الشافعي فقرأنا لها الفاتحة ، وتبركنا بذلك .

بعض ترجمة الشافعي

وذكر النَّووي في تهذيب الأسماء واللغات[3] : أن الشافعي رضي الله عنه كان مولده بغزة ، وقيل بعسقلان ، ثم حُمل إلى مكة ، وهو ابن سنتين . وتوفي بمصر سنة أربع ومئتين ، وهو ابن أربع وخمسين سنة .

وفي كتاب الزّيارات للهروي[4] ، قال : غزة ثغر ، شريف بها ولد الإمام الشافعي محمد بن إدريس رضي الله عنه . انتهى .

مزار الشيخ شعبان

ثم ذهبنا إلى مزار الشيخ شعبان ، المعروف بأبي القرون ، فدخلنا إلى مكانه المعمور ، بأنواع الحضور ، وعليه عمارة لطيفة ، وقبة منيفة ، فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

الشيخ علي الأندلسي المغربي

ثم ذهبنا فزرنا الشيخ علي الأندلسي المغربي في مكان مستقل ، وليس عليه قبة ، ولكن حوله عمارة قديمة ، ويقال إنه شيخ الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سرهما ، [١٤١/أ] فقرأنا له الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

زاوية الشيخ أحمد خليفة الشيخ شعبان

ثم ذهبنا إلى زاوية الشيخ أحمد خليفة الشيخ شعبان أبي القرون المتقدم ذكره . فدخلنا إلى جنينته اللطيفة . ذات المحاسن التي بها مطيفة .

ديوان إبراهيم بن الهدمة

وقد أطلعنا الشيخ أحمد المذكور على ديوان العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم الهدمة الذي زرناه في بلاد الخليل ، فرأيناه ديواناً لطيفاً ، نحو العشر كراريس ، وفيه قصيدة تائية ألف بيت ومئتان وستون بيتاً ، ووزنها على خلاف المعهود من أوزان العرب ،

(٣) انظر تهذيب الأسماء واللغات ٤٥/١ .

(٤) انظر كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ٣٣ .

ومطلعها[٥] :

سَاقي شراب وصل نـــاوي لهجـــر ذاتي
في الصحـو سكـرى انظـر مـن ذاك في الصفـات[٦]

الجسم مـن وجـودي اسم بـلا مُسمَّـى
مشهـود أهـل كشف حيًـا بـلا ممات[٧]

في الحب لي مقـام أدنى مـــن التـــداني
ذاك العلـو أعلى مـن حـرف عاليـاتِ[٨]

إلى آخر ذلك الكلام الطويل ، المُنْبىء عن إجمال قائله في مقام التفصيل ، وذلك من غلبة الجذب والسكر ، على الصحو ويقظة الشكر .

(٥) الأبيات في المسودة ٧٤ .

(٦) بعد هذا البيت في المسودة :

إني أعجب الكون من نفحة المقدّس ... ذا سرُّ سر أخفى في الغيب شاهداتِ

(٧) بعد هذا البيت في المسودة :

ناول ندام خب كاس الهواء وانظر ... من سكرنا تحير أبصارنا هائمات
في السكر قد بدا لي صحو الغرام شاناً ... ذا حيرة المتيم مفقـودة السـروات

ومنها :

لما بـدا التجلي مني إليّ فانظر ... في أعيان المرايا أعيان طائفات
عني ظهر كموناً برز الوجود من ذا ... يبزغ كضوء إمس إنشاء ومنشآت
في عالم التجلي فرقي بجمعي أشهد ... مشهودة مستـرّ مرفوع حافظات

ومنها :

نـزّه في المرايا يوم الوجود وانظر ... في ظاهر تبطّن اخفاء بارزات
يوم الوجود دين لأهل اليقين منا ... حقق بانعدام ما دين موجدات
ها أعجب الشواهد اثباتي بمحو ... عيناً بعين انظر اثبات ماحيات
قامت قيامة الكون مني إليّ فابصر ... في محشر البرايا جمعي مناشرات
فرقي بجمع انظر في العين من عيان ... من ذاك صار جمعي تفريق فارقات
نفي الوجود اثبت بالانعدام كوني ... كالوحي صار من ذا الهام ملقيات
من ذي الوجود نقص عين الكمال فافهم ... للكاملين من ذا نقصان كاملات
ذنب الوجود حب للطالبين فافهم ... يا كامل المكمل ما نقص مذنبات
يا ليت لي بذنب من ذي الكمال كوني ... من غاية المحبة أدنى وباعدات
ايمان أهل وركض الضلال فاشهد ... بالفقر عنك اخفى مكنون ساترات
انظر بعين جمعي في بر وبحر فرق ... محمولة مكرم في الحب حاملات
لما بدا التجلي في نشأة المرايا ... عني بدا المظاهر مكنون بارزات

(٦) بعد هذا البيت في المسودة ٧٥ — ٧٦ .

منـي إلـيّ نـفسي جـاءت رسول دانيـا   القـت بـروع اسمع كالوحـي ملهمـات

ومنها :

صوفي صوف كبش أهـل اللباس صالي   كالتيس إذ تزيـن مـن شعـر ماعـزات

ومنها :

اقـرا بـكشف قـلب آيـات ربي افهـم   ذا حل عقـدة الكـون حلال مشكـلات
علمي رسوخ حال بالكشف من خفـي   ذا سر سرسر في الســعين واردات
تـاه العقـول فينـا مـن حيرة الضلالـة   مـن ذا أضلـه الله في الـعين عائـدات
اسمع مفصل العلـم بالاختصار واتركنـي   تطويلك المطـول مـن قـول فلسفـات
نجوي كـــلام محو في مجلس المحبــة   إثبـات عين حـال درس بطاليـات
محو الوجـود نحوس درس لأهـل شوق   مـن نسخـة البيـاض لهواء راغبـات
إهـداء أهـل ذوق درس الغـرام عنـا   في مكـتب المحبـة مـن ذاك هائمـات
كشاف كشف درس تفسير قصة الحب   مـن أحسن المهـوّى مقصود راصدات
مصباحنـا المطالـع شوق الحبـيب ذوق   من درس كشف اهوى كشاف كاشفات
توضيحنـا المهـوّى تلـويح نـار شوق   ذا مشهد الطوالـع مـن ضوء بازغـات

ومنها :

يـا أيها المؤذن قـم لـلصلاة إذن   من يوم جمعة الجمـع طـرأ لفارقـات
مـن أحسن مقـالا ممن دعـا إلى الله   ب المسلـم مـن مقـام أذان صالحات
هـا داعيـاً إلى الله بـالله في البرايـا   أذان شوق ود في الحب مـن هـدات
لا تركنـوا بلهـو بعـد الأذان بـالله   إن الصلاة خير مـن ربـح تاجـرات
إذ أن فرض وعيني من جمع فرض عين   ذا الفرض فرض عين من بعد نافلات
اسمع بسمـع جمـع صوت الأذان بـالله   في عين قرب فرض للجمع من صلات
فاسعـوا إلى صلاة للجمـع بالجماعـة   قبل الصوات طرايـا معشر الـولاة
هـا قـامت القيامـة للمؤمـنين جمعـاً   من نشر حشر ومـن برهـان قاطعـات
وجهت وجه جمعي من فرق فرق كون   للفاطـر البرايـا ذا قبلـة الثقـات

اليوم الرابع والتسعون

١١٠٥/٤/٦ هـ = ١٦٩٣/١٢/٣١ م

ثم أصبحنا في يوم السبت الرابع والتسعين ، وهو اليوم السادس من شهر ربيع الثاني ، فاجتمعنا بجناب الحسيب النسيب السيد[1] مصطفى أفندي نقيب السادة الأشراف ببيت المقدس ، فإنه قدم غزة[2] في يوم الجمعة .

ثم أتى إلى عندنا عزيزنا أحمد أفندي البهنسي النائب يومئذ بغزة المحروسة ، والشيخ علي النّخال حبيبنا المتقدم ذكره .

قصص من العجائب

وأخبرانا عن جماعة من أهل العريش قرب غزة أنهم رأوا يَقَظَةً من مدة ماضية بين السماء والأرض جمالاً على طريقة الهجن والأخراج عليها ، وخلفهم فرس عليها راكب ، والكل سائرون بين السماء والأرض في الهواء ، حتى شهد بذلك جماعة منهم ، وأرادوا أن يكتبوا حجة ليثبت ذلك بشهادة المسلمين ، وهو من العجائب .

ويناسبه ما أخبرنا به في الرملة صديقنا الشيخ أمين الدين الخليلي المتقدم ذكره أن صاعقة نزلت من السماء ، ثم صارت شجرة عظيمة .

وأخبرنا أيضاً عن رجل كان شيخ زاوية المولوية بالقدس الشريف أنه اجتمع برجل من بلاد الروم من أهل اللطف والأدب ، فأخبره أنه خرج ذات ليلة في زمن [١٤١/ب] الطاعون إلى الخارج بالليل ، فسمع ضجةً عظيمةً ، فظن أن الوالي أو الحاكم قادم ، فخرج هناك إلى مكان عال ، فلّما قدم الجمع مرُّوا به ، فقالوا له : انزل ، فاذهب معنا . فنزل فأخذوه معهم ، وقد حصل له منهم رعب شديد ، حتى تحقق بهم . فإذا هم أهل الطاعون الذين يضربون الناس ، فصار معهم من جملتهم ، ثم إن كبيرهم أمر كل واحد منهم أن يذهب إلى فلان ويضربه فذهبوا وأمره هو أن يذهب إلى بيت فلان ، وهو من معارفه ، وأعطاه ثلاث سهام ، وقال له : اضرب بها أولاده الثلاثة ، فذهب فانشقّ له الحائطُ ، ودخل فرآهم نائمين ، وفلان نائم في وسطهم ، فطعنهم بالسهام[3] ، ثم أصبح فوجد الواحد منهم مات ذلك اليوم ، والثاني مات في اليوم الثاني ، والثالث في اليوم الثالث . ثم سلب عنه ذلك الحال فخرج يتحدث في الناس بما وقع له ولا يصدقه أحد ، حتى

(١) ليست اللفظة في ن .

(٢) في مظ (قدم إلى غزة)

(٣) ن : (في السهام) .

جاء إلى ذلك الرجل الذي ماتت أولاده الثلاثة فقال له : أما كنت نائماً في وسطهم وقت[٤] كذا وكذا في الليلة الفلانية وقت طعنهم ؟ فقال له : نعم ، وقد مكث عندهم أياماً وأهله وأصحابه يسألون عنه ، فلا يجدون له خبراً . انتهى .

وقد حدَّثني بهذه القصة غير الشيخ أمين الدين أيضاً ، وذلك من العجائب .

شعر في اللف والنشر

وقد اطلعنا في بعض المجاميع على هذين البيتين لبعضهم ، مُشْتَمِلَيْن[٥] على اللف والنشر في تشبيه عشرة أشياء بعشرة أشياء وهي[٦] من البديع[٧] : [من البسيط]

فَـرْقٌ وَشعْـرُ جَبينٍ نَكْهَـةٌ شَنَبٌ   خَـدٌّ عـذارٌ وخـالٌ مُقْلَـةٌ ثَغْـرُ
صُبْـحٌ وَلَيْـلُ هِـلالٌ عَنْبَـرٌ ضَرَبٌ[٨]   وَرْدٌ وآسٌ وَمِسْكٌ نَـرْجسُ دُرَرُ

وقد زدنا نحن فنظمنا على طريقة اللف والنشر كذلك في تشبيه اثني عشر باثني عشر حيث قلنا : [من البسيط]

وَجْهٌ وَلحْظٌ شَذَا خَد لَمَى خَجَـل   شَعْـر فَـمٌ معطفٌ ثَغْرُ حَلَى كَفَـلُ
بَـدْرٌ رَشَا عَنْبَـر وَرْدٌ طـلاً ونَـدًى   دُجا عَقيـق قَنـى دُرّ ذُكَـا جَبَـلُ

اليوم الخامس والتسعون

١١٠٥/٤/٧ هـ = ١٦٩٤/١/١ م

ثم أصبحنا يوم الأحد الخامس والتسعين وهو اليوم السابع من شهر ربيع الثاني .

وقد طال مكثنا في غزة ، ونحن ننتظر [١٤٤/أ] مجيء ولدنا إسماعيل من دمشق الشام ، وكان أرسل لنا مكتوباً إلى بيت المقدس ونحن هناك أنَّ مرادَه يأتي إلى عندنا ، فأرسلنا إليه أننا إذ ذاك في بيت المقدس ، وأننا ننتظره في غزة . فجاء مع القافلة الخارجة من

(٤) ليست اللفظة في ن .
(٥) ت ، مط : (مشتملة) .
(٦) مط : (وهو) .
(٧) البيتان في المسودة .
(٨) الضَّرْب : العسل الأبيض ، وبالتحريك أشهر . القاموس (ضرب) .

دمشق[1] ، وتوجَّه إلى بيت المقدس يظنّ أننا هناك بعد ، فلم يجدنا وكنا أوصينا قاضي بيت المقدس أنه إذا جاء يرسله إلينا إلى غزة ، ويرسل معه من يوصله إلينا . وهو إذ ذاك رجل ، ولكن لا يعرف أحوالَ السفر ، والمخالطة مع الناس .

فقلنا في ذلك النظام ، على حسب ما اقتضاه ذلك المقام[2] : [مجزوء الرمل]

غَـــزَّةُ الفَيْحـــاءُ دَارٌ ... ذاتُ إكـــرام وَمَلْقَـــى[3]

أَهْلُهـــا أَهْـــلُ خلـــوصٍ ... لا يَـــرَوْنَ الـــوُدَّ مَلْقـــا[3]

عِنْدَنـــا مِنْهُـــمْ حَيـــاءٌ ... لٰكِـــنِ المَقْـــدُورُ مُلْقـــى

كَـــمْ بها نَمْـــكُثُ كَـــم نَـــاء ... كُـــلَّ جُمَّيْـــزا ونَبْقـــا

قبر الشيخ علي المرجعي

ثم قصدنا المسير إلى بستان هناك مع الجماعة . فبينما نحن نسير في الطريق تلك الساعة ، إذ مررنا على قبر الشيخ علي المرجعي — بفتح الميم ، بعدها راء ساكنة ، ثم جيم مكسورة ، فعين مهملة — وقبره تحت جميزة هناك ، فقرأنا له الفاتحة .

نزهة في بستان

وسرنا حتى وصلنا إلى البستان ، وجلسنا في أرغد عيش وصفاء ، وأكمل مسرة ووفاء ، إلى أن صلّينا صلاة العصر ، وحصل الثواب وكمال النصر .

الشيخ محمد البطل

وعدنا فزرنا في الطريق الشيخ محمد البطل في داخل مكان هناك وعليه عمارة تحيط به .

قبر الشيخ أبي الركاب

ثم مررنا على قبر الشيخ أبي الركاب ، من أولياء الله تعالى في داخل مكان كذلك ، وحوله عمارة ، فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى حتى وصلنا إلى المنزل .

(1) مط : (الشام) .
(2) الأبيات في المسودة ل ٧٧ .
(3) ن : (قلقا) .

اليوم السادس والتسعون

١١٠٥/٤/٨ هـ = ١٦٩٤/١/٢ م

فبتنا حتى أصبح علينا صباح يوم الاثنين السادس والتسعين ، وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني .

زوار

فجاء إلى عندنا حضرة السيد مصطفى أفندي نقيب الأشراف بالقدس الشريف ، وجاءت أكابر البلاد وأعيانها ، ومفتي الحنفية الشيخ صالح [١٤٤/ب] التُّمُرتاشي ، والشيخ علي البدري البصير ، وكان يواظب مجلسنا في كل يوم مدة إقامتنا في غزة .

شرح بديعية النابلسي

فطلب منا الإجازة في تصنيف شرح على متن بديعيتنا التي ذكرنا فيها اسم النوع البديعي ، وهي مئة وخمسون بيتاً من قافية الميم المخفوضة في مدح النبي ﷺ فإنّا لم نشرحها ، وإنما شرحنا البديعية الأولى التي لم نذكر فيها اسم النوع ، وهي على منوال البديعية المذكورة ، فاسمعناه إياها جميعها وأذنا له في الشرح .

شرح بيتي الرقمتين

وقد سألنا عن معنى هذين البيتين المشهورين ، وهما قول القائل[1] : [من الوافر]

رَأَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ فَأَذْكَرَتْني ... لَيالِيَ وَصْلِنا بالرَّقْمَتَيْنِ
كِلانا ناظِرٌ قَمَراً وَلٰكِنْ ... رَأَيْتُ بعَيْنِها وَرَأَتْ بعَيْني

فذكرنا له أن المحبوبة نظرت إلى قمر السماء ، والمحب نظر إلى وجهها وكل منهما ناظرٌ إلى قمر حقيقي في زعمه ، والأمر بالعكس عند المحب فهو الذي ينظر إلى القمر الحقيقي ، وهو وجهها ، وهي التي تنظر إلى القمر المجازي ، وهو قمر السماء ، ولهذا قال : رأيت بعينها ، أي رأيت وجهها بعينها التي رأت بها قمر السماء ، فإنها رأت بعينها قمر السماء قمراً حقيقياً على زعمها عنده .

---

(١) البيتان في المسودة ل ٧٧ . وقد ذكر الاستاذ عبد الإله النبهاني في مجلة مجمع اللغة العربية ١٠٠١/٥٤ أنه عثر على البيتين في كتاب طراز المجالس للخفاجي منسوبين للرئيس شرف الدين مستوفي إربل قالهما بديهة في سنة أربع وست مئة .

وقوله : (رأت بعيني) أي : إنما هي رأت قمر السماء بعيني التي رأيت وجهها بها ، فإني رأيت بعيني وجهها قمراً مجازياً على زعمي عندها ، وإنما أنا الذي رأيت وجهها قمراً حقيقياً وهي التي رأت قمر السماء قمراً مجازياً على معنى قول القائل : [من الطويل]

تـراءى وَمِـرْآة السمـاءِ صَقيلـةٌ ... فأثّـر فيها وَجْهُـهُ صُورةَ البَـدْرِ

ومن هذا القبيل قول ناصح الدين الأرجاني : [من البسيط]

لِلّيلِ بَـدْرٌ وأَطْـرافُ القَنـا شُهُبٌ ... يَجْلُـوهُ فيهن من صدغَيـه لَيـلانِ

تقُـولُ لِلْبَـدْرِ في الظَّلْمـاءِ طَلْعَتُـهُ ... بـأيِّ وَجْـهٍ إذا أقْبَـلْتَ تَلْقـاني

وَجْـهُ السَّمـاءِ مِـرآةٌ لي أُطالِعُهـا ... والبَـدْرُ وَهْنًـا خَيـالي فيـه لاَقـاني

لَـمْ أَنسَهُ يَـوْمَ أَبْكـاني وَأَضْحِكُـهُ ... وُقوفُنـا حَـيْثُ أَرعـاهُ وَيَرْعـاني

كُلٌّ رَأى نَفسَهُ فِي عَيْـنِ صَاحِبِـه ... فالحُسْنُ أَضْحَكَهُ والحُزْنُ أَبْكاني

شرح بلا غي

وذكرنا له أيضاً ما كتبناه في شرح بديعتنا في نـوع الاتّساع [١٤٥/أ] وذلك قولنا[٢] : وهذا من المبالغة حيث ادّعى أن القمر الحقيقي[٣] هو وجه محبوبته ، وأنّ قمرَ السماء ليس قمراً حقيقياً ، وإنما أطلق ذلك عليه مجازاً لمشابهته لوجهها . وقوله : (رأيت بعينها ، ورأت بعيني) يرشد إليه ، لأنه رأى بعينها التي رأت بها القمر قمراً حقيقياً . ورأت هي بعينه التي رأى بها وجهها قمراً مجازياً على زعمها وباعتبار الظاهر .

شرح الصلاح الصفدي

وقد ذكر هذا المعنى الصلاح الصفدي في كتابه رشف الزلال في وصف الهلال ، وعبارته : وأحسن ما يمكن أن يقال في هذا إن معنى قمرين : قمر حقيقي ، وهو قمر السماء ، وقمر مجازي ، وهو وجه المحبوبة فهو يقول : هي رأت القمر المجازي ، وهو قمر السماء ، وأنا رأيت وجهها ، وهو القمر الحقيقي ، لأنها هي نظرت إلى قمر السماء ، وهو نظر إلى وجهها ، فصح أنه رأى بعينها ، وهي رأت بعينه ، وهذه مبالغة وإفراط في الوصف ، وهي عادة الشعراء أن يجعلوا المحبوب هو القمر الحقيقي والذي في السماء هو القمر المجازي . انتهى .

(٢) انظر نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ١٧٠ .

(٣) في هامش ت : (بلغ مقابلة) .

شرح ابن اللبان

وذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعي الصوفي : معنى هذين البيتين في بعض تصانيفه ، فقال : يشير هذا الشاعر إلى أن قمر السماء من عُشّاق محبوبته ، وأن محبوبته رأته ذات ليلة ، فكسته برؤيتها له نور جمالها ، ومحاسن صفاتها ، وألقت عليه شبهها ، وأعارته اسمها ، فأذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي وصلته بالرقمتين ، وأنها بوصالها له أفنته عن صفاته وغلبت عليه بصفاتها حتى صارت معه كالقمر الواحد وكلاهما ينظره ولهذا قال : (كلانا ناظر قمراً) أي قمراً واحداً تعدد مظهره ولكنها تنظره بعينه ، وهي عين المحبة ، لأن المحب صار محبوباً ، وهو ينظر بعينها ، لأنها أعارته عيناً رآها بها ، فكان البصير لها نفسها[4] انتهى

وهذا من قول ابن غانم المقدسي رضي الله عنه : [من المتقارب]

وَمَخْطوبةِ الحُسْنِ مَحْجوبَة	فَلا يَأْلَفَنّ السّوى إلْفُها
إذا رامَ عاشِقُها نَظْرَةً	وَلَمْ يَسْتَطِعْ إذْ عَلَا وَصْفُها
[١٤٥/ب] أَعارَتْهُ طَرْفاً رَآها بِه	فكانَ البصيرَ لها طرفُها

شرح صوفي للبيتين

ثم ذكرنا له معنى إلهياً من هذا القبيل أعلى من هذا الذي ذكره ابن اللبان، وتقريره يحتاج إلى تحقيق مقدمات كثيرة بنى عليها طريق المحققين ، وملخص ذلك : أن عارفاً من العارفين نظر إلى السماء في القمر ، وهو مستغرق في مقام فناء الوجود وتجريد الشهود ، فقال رأت أي الحقيقةُ الوجوديةُ هي التي رأت قمر السماء ، وأنا لم أر الآن بصري ، فإني مضمحل في الوجود الحق والحقيقة الغيبيّة الرائية من مقام كنت بصره الذي يبصر به ، ثم قال : فاذكرتني أي ألقت ذكري لها الذي في علمها علي . فتذكرت ليالي وصلها ، أي الظلمات العدمية من أطواري الثبوتية قبل نسبة نور الوجود إلي بالرقمتين أي الحضرتين الراقمتين لي فيهما ، وهما حضرة العلم الإلهي وحضرة الكلام الإلهي ، يعني تذكرت قيامي بعلمها ، وقيامي بكلامها ، وأنا إذ ذاك لا عين لي أصلاً غير إحاطة العلم القديم بعالم إمكاني ، وحقيقة ثبوتي بلا وجود ، وإحاطة الكلام القديم أيضاً بي في توجهه على إظهاري ، ثم قال : كلانا أنا وهي معاً معدوم الكون في وجود العين ناظر واحد قمراً واحداً في السماء ، ثم فصل ذلك بقوله : ولكن رأيت أنا قمر السماء بعينها التي رأت

(٤) هنا آخر ما نقل من نفحات الأزهار .

هي بها ، ورأت هي أيضاً قمر السماء بعيني التي رأيت أنا بها ، فالعين الحادثة المخلوقة قائمة بالعين القديمة الخالقة والتنزيه لازم[٥] على كل حال ، ولا يخرج عنه إلا من لم يعرف طريقة الرجال فإذا رأت العين الحادثة ، كانت رؤيتها حاصلة بالعين القديمة[٦] ، كقوله تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ ﴾[٧] ، وإذا رأت العين القديمة ، كانت رؤيتها حاصلة بالعين الحادثة ، على حد قوله تعالى : ﴿ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾[٨] فالأولى باء الاستعانة أو السببية ، والباء الثانية باء الملامسة والمصاحبة ، والعارف يقول ذلك في كل ما يرى من كل شيء مع تحقيقه في العرفان ، واتقانه مقام الإحسان .

اليوم السابع والتسعون

١١٠٥/٤/٩ هـ = ١٦٩٤/١/٣ م

ثم أصبحنا في [١٤٦/أ] يوم الثلاثاء السابع والتسعين ، وهو اليوم التاسع من شهر ربيع الثاني .

انتظار ولده إسماعيل

ونحن في انتظار ولدنا إسماعيل ، وقد جاء القَفَل[١] والرفقة من أصحابنا الشاميين إلى غزة ، ومكثوا ثلاثة أيام ، وأخبرونا أن ولدنا جاء معهم من دمشق الشام ، ولكنه ذهب إلى بيت المقدس ، يظن أننا هناك ، وذهبت القافلة والرفقة إلى جهة مصر ، ولم يأت هو من بيت المقدس ، فمكثنا نحن في غزة ننتظره وقلنا في ذلك ، بحسب ما هنالك[٢] :

في غَــزَّةِ الفَيْحــاءِ قالــوا لنــا ... يَــأْتي لَكَ الابـنُ فَنَـادَيْتُ أَيْــنْ

إلى مَتَــى نَبْقَــى هُنــا هٰكَــذا ... نَسْتَعِمــلُ اللَّفْظَــةَ بالمعنيــينْ

وأردنا لفظة (نبقى) فإنها فعل مضارع من البقاء ، وهو الاستمرار ، واسم أيضاً[٣] لنوع من الثمر يقال له النبق صغير حلو كنا نأكله في غزة مدة إقامتنا فيها ، وقلنا كذلك في مثل ذلك[٤] : [من السريع]

(٥) بهذه اللفظة تعود النسخة ق .

(٦) ت ، مط : (القديم) .

(٧) سورة البقرة ٢/٢٥١ .

(٨) سورة التوبة ١٤/٩ .

(١) قفل كنصر وضرب — قفولاً : رجع . فهو قافل ج : قُفّال ، والقَفَلُ محركة — اسم الجمع (القاموس : قفل) .

طَـالَ انْتِظَـارِي في حَمَـى غَـزَّةٍ قَصْدَ مَجيءِ ابنـي وَرَبّـي مُعيـنْ
فَقُـلْتُ حَتّـى التَّبَّـقُ مُستخدمـاً إلى مَتَـى نَبْقَـى لَـهُ آكليـنْ

جنينة الدرويش أحمد بن عميرة

ثم بعد صلاة الظهر ذهبنا إلى جنينية الدرويش أحمد بن عميرة المتقدم ذكره ، وهي في داخل زاوية شيخه الشيخ شعبان أبي القرون .

وصول ابنه اسماعيل

وجلسنا هناك مع الإخوان ، نتذاكر أطراف المسائل العلمية في أكمل سرور وامتنان ؛ إلى أن صلينا صلاة العصر هناك وهممنا بالذهاب ، وإذا بولدنا إسماعيل قد قدم علينا ، وحسن منه إلينا الإياب ؛ وكان معه جوخدار[٥] حضرة قاضي القدس الشريف فنعمنا بقدومه وزال ما كنا فيه من الانتظار والتسويف ، وجاءنا بالمكاتيب من جهة دمشق الشام ؛ ووردت علينا[٦] أخبار الأهل والأولاد على الوجه التام ؛ بأنواع التحية والسلام ، ثم بتنا تلك الليلة في أتم سرور ، وأكمل صفاء وحبور ؛ وقد عمل لنا هذه الأبيات ، صديقنا الشيخ علي النخال السابق ذكره تهنئة لنا بقدوم ولدنا إسماعيل معرضاً بذكر الشرف الأعلى المذكور حيث قال : [١٤٦/ب] [من الطويل]

إلى الشَّرَفِ الأَعْلَى مقـامٌ بغَـزَّةٍ بِرُتْبَتِـهِ يَسْمـو عَلَـى كُـلِّ رُتْبَـةِ
لكَوْنِ إمامِ العَصْرِ حَـلَّ به وقَـدْ تَشَرَّفَ هٰـذا القطرُ منه بـزَوْرَةِ
وَأَعْني به عَبْدَ الغَنيِّ الـذي سَمَـا وَشاعَتْ مَزايـاهُ بكـلِّ قَبيلَـةِ
عُلومٌ له تبدو[٧] بفَيْضٍ إلى الورى ولا غَرْوَ فهو الغوثُ مُحْيي الطَّريقةِ
إذا مـا سَأَلْنـا عـن دَقيـقِ جَنابِـهِ نَـراهُ كَبَحْـرٍ في المَعاني الدَّقيقَـةِ
فَفـي كُـلِّ عِلْـمٍ لا نَظيرَ لفَضْلِهِ وَقَدْ حازَ أَنْواعَ العُلومِ الجَليلَةِ
فيا واحِداً في الدَّهْرِ لا زلتَ مَلْجأً إلى عَبْـدِكَ النَّخـالِ نَجْـلِ الأئمـةِ
علـيٌّ يُسَمَّـى قـدْ تَعَلَّـقَ قَلْبُـهُ بحبّكَ يـا مَوْلايَ مـن غيرِ رَيْبَـةِ
وَيُهنيـكَ بالنَّجـلِ السَّعيـدِ فإنّـه سعيـدٌ بعـونِ اللهِ رب البَرِيَّـةِ
فـلا زِلْتُمـا في صحَّـةٍ وسَلَامَـةٍ وعـزٍّ وإقبـالٍ وَأَكْمـلَ نِعمـةِ
بجاهِ رسولِ اللهِ أَحْمَـدَ مَنْ رَقَى إلى قابِ قَوْسِ القُرْبِ عَيْنِ الحَقيقَةِ

---

(٢) البيتان في المسودة ل ٧٧ .

(٣) ق : (وأيضاً اسم) .

(٤) البيتان في المسودة ل ٧٧ .

(٥) الجوخدار لفظة تركية ، أصلها : جوقه دار والمعنى الأصلي : فتى من فتيان القصر السلطاني ، ثم أصبحت تطلق على رسول السلطان أو الوالي وانظر حوادث دمشق اليومية ٦ .

(٦) ليست اللفظة في ق .

(٧) ق : (تبدى) ... * ولا غرو وهو) .

اليوم الثامن والتسعون

١١٠٥/٤/١٠ هـ = ١٦٩٤/١/٤ م

حتى أصبح صباح يوم الأربعاء الثامن والتسعين ، وهو اليوم العاشر من شهر ربيع الثاني ، فأتى إلى عندنا أكابر تلك البلدة وأفاضلها ، وتذاكرنا معهم حصة في أطراف المسائل العلمية وأصاب مناضلها . ثم بعد صلاة الظهر ذهبنا إلى بستان هناك بقرب البلدة لطيف وذهب ولدنا إسماعيل معنا ، وحصل لنا وللجماعة كمال السرور الخارج عن التوصيف . فتأملنا المكاتيب التي جاءتنا من الشام .

مكتوب تلميذه الشيخ سعودي

وكان منها مكتوب تلميذنا الشيخ سعودي ، وصورته بعد إهداء السلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على الحبيب والخليل والكليم : [من الطويل]

تَبارَكَ نورٌ من سَنا وَجْهِكَ البادي ... شَهِدْناهُ يُجلَى في مُقيمٍ وفي بادي
وَحَيّا مُحَيّا لاحَ منكَ بطيبةٍ ... فَأَشْرَقَتِ الأَنْوارُ في ذلكَ الوادي
وَجَلّ فَتًى يَجْلو عَروسَ وُجودِهِ ... بوادي مِنىً منه وَمَوْسم أَعيادِ
هُوَ الفَردُ قَدْ وافى سُلَيْمى مُيَمّماً ... حِماها بلا قُوتٍ سواها ولا زادِ
ألا إنَّهُ عَبْدُ الغَنيّ وَقَدْ غدا ... غَنِيّاً بمَوْلىً واهبِ الفَيْضِ جَوّادِ
عَلَيْه سَلامي ما سَرَتْ نَفْحَةُ الصّبا ... وَما لاحَ بَرْقٌ من معالِمِ أَجْيادِ
وَأَصْحابه والمُنْتَمينَ لَهُ فهم ... نُجومُ الهُدَى ما بَيْن غرٍّ وأمجاد

حمداً لمن تجلّى بصفاته السنية ، في حضرته القدسية ، وتحلى بالهياكل الإنسانية ، في المشاهد الإحسانية ، وانجلى لأهل [١٤٧/أ] الكمال ، بنعوت الجلال والجمال ؛ فكان ظلمة ونوراً ، ومد الظلال وأمد في الضلال ، وعين الفرقة في عين الوصال ، فلم يزل في ظهوره مستوراً ، وفي ستره مبصوراً ، وتبارك الذي نزل الفرقان ، وجلا جماله المحمدي على الأكوان ، في غره جهة عين الأعيان ؛ وخلاصة أهل الشهود والعيان . عرش الاستواء للتجلّي النفسي ، ومحل الاعتناء من آيات الكرسي[1] سيدي وأستاذي ، وعمدتي وملاذي ، الشيخ عبد الغني النابلسي ، ضاعف الله تعالى أنواره ومدده ، وقدس أسراره

(١) ق : (آيات كرسي) .

وأبد مدده . ورقى في[٣] معارج السعادة ، نجله السعيد وآدام له السيادة[٢] ، من توج في ديوان الولاية بالدر والإكليل ، سيدي الشيخ[٤] إسماعيل ، حفظه الله تعالى بعينه التي لا تنام ، في اليقظة والمنام ، بجاه سيد الأنام ، عليه الصلاة والسلام . والسلام .

ثم عدنا إلى المنزل . وبتنا في هناك قائم ، وابتهاج يوقظ النائم ، ويحرك من القلوب على أغصان الأوقات شوق الحمائم .

اليوم التاسع والتسعون

١١٠٥/٤/١١ هـ = ١٦٩٤/١/٥ م

حتى أصبح صباح يوم الخميس التاسع والتسعين ، وهو اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الثاني ، فعزمنا على الترحال ، وشددنا على متون الدواب أدوات السروج والرحال .

الرحيل عن غزة والوداع

وسرنا على بركة الله تعالى جهة مصر المحروسة وودعنا الرجال ، وأزمعنا على مفارقة أرض الشام ، والمباينة لهاتيك الأقطار المباركة بسلام ، فخرج لوداعنا نائب البلدة ، حضرة أحمد أفندي ، والشيخ علي النخال ، والشيخ محيي الدين ، وغيرهم من الأعيان .

وخرجت أتباعهم وخدامهم ، وبقية الأحباب والإخوان ، وخرج حاكم البلاد ، ومعه نحو الخمسين خيالاً من الأعوان والأجناد .

وخرج جناب صديقنا السيد مصطفى أفندي نقيب أشراف بيت المقدس ، إلى أن قطعنا معهم حصة وافية من الطريق ، ثم وقفنا ووقفوا ، وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى . وذهب كل منا مع جماعته فريق ، وبقي معنا صديقنا الشيخ محيي الدين ، فصحبنا إلى خان يونس ، ومن هناك فارقناه بالخير .

قرية الدير

وقد مررنا معه في أثناء ذلك[١] السير على قرية هناك معروفة تسمى بالدير ، كان

(٢) في هامش ت : (بلغ) .

(٣) ليست اللفظة في ق .

(٤) ق : (الشيخ الموفق المحفوظ) .

(١) ق : (أثناء ذلك الطريق في ذلك السير)

[١٤٧/ب] أهلها كلهم[٢] نصارى في الزمان الماضي ، فأسلموا كلهم إلا امرأة واحدة منهم ما الله عنها براضي .

مقام الخضر

وعندهم هناك مقام الخضر ، فقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى .

وههنا تم منا الكلام ، على القسم الأول الذي هو في الجولان في بلاد الشام ، وكان القياس أننا نكمل ذلك بذكر خان يونس إلى بلاد العريش ، لأن ذلك حد بلاد الشام كما هو المشهور بين أهل الدراية والتفتيش ؛ ولكن لما وجدنا خان يونس هو أول حكم بلاد مصر وفيه الآن جنود[٣] الغز والعسكر المصري وجعلنا[٤] ذلك أول البلاد المصرية وابتدأنا القسم الثاني من ذلك المكان ، لأنه ابتداء حكم بلاد مصر في هذا الآن ، ويقال لعسكر مصر (الغُز) — بضم الغين المعجمة ، وتشديد الزاي — كما ذكر الشيخ الإمام عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي رحمه الله تعالى في مقدمة تاريخه[٥] أن الغز من أمم الترك . وقال قبل ذلك[٦] إنهم الخزر ، وهم التركمان ، قال : ويقال لهم الخزر كأنه عرب وصارت خاؤه غيناً ، وشددت الزاي . انتهى . وبالله المستعان . وعليه التكلان وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير[٧] .

(٢) ق : (كلهم بأجمعهم) .

(٣) بهذه اللفظة تنخرم النسخة ق لتعود في الجزء الثاني .

(٤) مط : (جعلنا) بدون الواو .

(٥) انظر تاريخ ابن خلدون ١٣٠/١ .

(٦) تاريخ ابن خلدون ١٢٩/١ .

(٧) بعدها في ت : (وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير السراج المنير وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً آمين) وفي هامشها : (بلغ مقابلة ولله الحمد على النسخة التي بخط شيخنا المصنف قدس الله سره) . وبعدها في مط : (قال المصنف قدس الله سره : تم الجزء الأول نهار السبت أواخر صفر سنة ١١٠٦) . وبعدها في ن : (وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً آمين . تمَّ الجزء الأول بعون الله وكرمه) .

فهرس الموضوعات في الجزء الأول

الصفحة





السعر ٢٧٥ ل.س